

مجلة

الجامعة المستنصرية

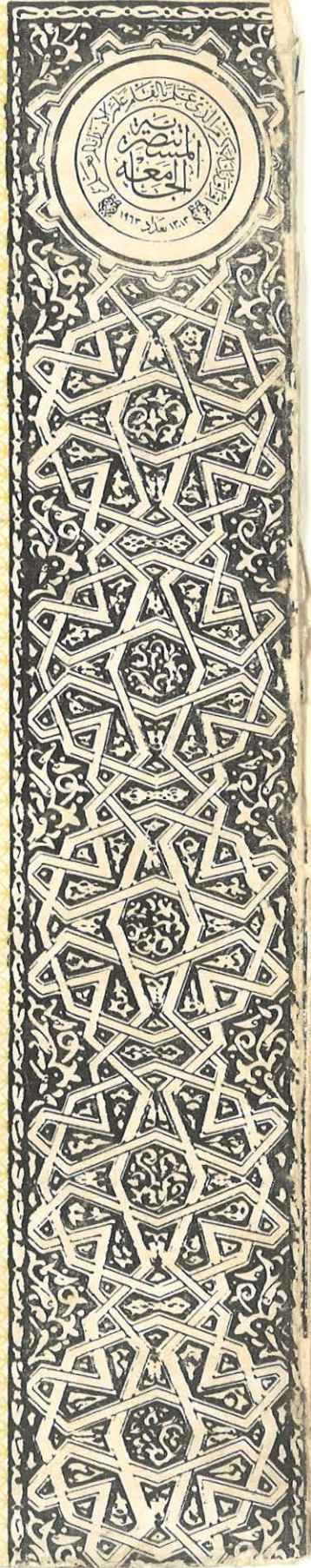
تصدرها رئاسة الجامعة

العدد الثالث

السنة الثالثة

١٣٩٢ هـ

١٩٧٢ م



رقم الصفحة	الموضوع	كاتب البحث
٢٥٦	مستقبل الاشراف التربوي في العراق	الدكتور عبدالرحمن الحسون
٢٦٥	مفهوم التهيؤ بين علماء النفس في الولايات المتحدة وعلماء النفس في الاتحاد السوفياتي	الدكتور موفق الحمداني
٢٨٣	علاقة طرق تربية الاطفال ببعض مظاهر الطفل السلوكية	اعداد نسرين العمر

القانون والسياسة

٢٩٩	الاثبات بالقرائن في الشريعة الاسلامية	الدكتور احمد عبيد الكبيسي
٣٠٩	نظرة الشريعة الاسلامية الى دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع	الدكتور حمد عبيد الكبيسي
٣٥٥	القانون الدستوري في الدول النامية	الدكتور نوري لطيف

العلوم الاجتماعية والكتبات

٣٧٩	من حركات المعارضة في العصر الاموي	الدكتور عبدالامير عبيد دكسن
٣٨٩	البيبليوغرافيا .. مشاكلها .. واقتراحات في حلولاها	السيد عبدالكريم الامين
٤١١	ديوان الطرماح الجديد	السيد عزمي الصالحي
٤٣٠	سياسة المامون تجاه العلويين ٨١٤/١٩٨ - ٨٣٣/٢١٨	الدكتور فاروق عمر فوزي
٤٤٧	مكتبات وادي الرافدين	السيد فؤاد يوسف قزانجي

العلوم الصرفة

٤٦١	المناخ وحياة الانسان	الدكتور سعيد خنجر حسين
-----	----------------------	------------------------

رقم الصفحة	الموضوع	كاتب البحث
٤٦٥	فيزياء البلازما	سهام قندلا

العلوم الاقتصادية

٤٨٣	حول فكرة التطور الاقتصادي	الدكتور عبدالمنعم السيد علي
٥٢١	دراسة في اتجاهات ومشاكل التطور الصناعي في العراق فسي الفترة ١٩٦٤/٦٣ - ١٩٦٩/٦٨	الدكتور كاظم حبيب

كلمة لجنة المجلة

يسر هيئة التحرير ان يصدر المجلد السنوى الثالث من مجلة الجامعة
المستنصرية في موعده المقرر حافلا بكل ما ارادت له اللجنة من العمق
والشمول رغم عنائها من مشاكل الطباعة ونقص ادواتها *

لقد حرصت اللجنة - هذه المرة - كما حرصت في الماضى ان تصدر
المجلة في نهاية العام الدراسي الجامعي ومع ميقات حفلة تخرج طلبة
الجامعة تتوج بها جهدا علميا سنويا تبسدا من جديد مستهدية
بكل ما يدفع بها الى الرسوخ والتطور والفتن *

ان مجلة الجامعة - وهي تنزع الى التجديد والتطور - انما تستلهم
اطوارها من تطلع الجامعة نفسها الى افق علمية جديدة تسمم الجامعة
المستنصرية وتعلن هويتها المناهضة الجديدة *

ان السهمة العلمية الرئيسية التي وصلتها المجلة في الاوساط
العلمية الجامعية داخل القطر وخارجه تزيد من ايمان اللجنة بضرورة رصد
اوسع الجهود للنهوض بها وباهدائها

ان كتب الثناء والاعجاب التي نلقتها اللجنة من الاوساط العلمية
العربية والاجنبية وعلماء الاستشراق وان اسناد رئاسة الجامعة للمجلة
وسخاها عليها سيوفران لها كل اسباب النهو وهيررات الحياة وتعسد
اللجنة بانها ستكون وفيه مع كل عشاق العلم ورواده الذين طلبوا ان
تبقى وشائج الوصل قائمة بينهم وبين المجلة كما تطلب من هؤلاء
الاصدقاء ان يظلوا اوفياء معها بالاشارة الناصحة والكلمة الرشيدة *

وختاماً تسدى اللجنة شكرها الجزيل للسادة الزملاء الذين اسهموا
ببحوث هذا العدد وتجديد دعوتها لهم وللآخرين لامدادها بالبحوث
الجديدة للعدد القادم وتعتذر للذين لم تدرک مقالاتهم هذا العدد بانها
ستتخذ طريقها للنشر في الاعداد القادمة *

والله ولي التوفيق

علوم اللغة العربية وآدابها

تطبيقات البدیع عند أبي تمام

حمید مخلف الهيتي
الجامعة المستنصرية

تقديم في الصراع بين القديم والحديث

ان الحديث عن ابي تمام^(١) شاعرا وفنانا لا يخرج عن دائرة الحديث عن الصراع التقليدي في مجال الفنون الادبية بين القديم والحديث في كل زمان ومكان وكان حظ العصر العباسي الاول - الذي عاش فيه الشاعر - من هذا الصراع بالغا وعنيفا تمثلت صورته في عصبية المحافظين للقديم ودعوتهم الى ضرورة سلوك الشعر ضمن الاطر الفنية التي رسمتها القصيدة القديمة ومحاولات المحدثين الانعتاق من تلك القيود للتعبير عن المجتمع الحضري الجديد الذي بدأ يلهم الشاعر فنه ويوجه خواطره في مناخ حضارى متطور .

- (١) أنظر في ترجمة وأخبار أبي تمام حبيب بن اوس الطائي .
أخبار أبي تمام للصولي (لجنة التأليف والنشر) ص ٢٤٦ ،
دائرة المعارف الاسلامية .
طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبدالستار احمد فراج ص ٢٨٤
ابو تمام الطائي حياته وحياته شعره - نجيب محمد البهيتي - القاهرة
١٩٤٥ .
الموازنة بين أبي تمام والبحثري - للآمدي - تحقيق محمد محيى
الدين عبدالحميد - القاهرة ١٩٥٩ .
كتاب العمدة لابن رشييق - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد -
ط٣ - ١٩٦٣ .
الموشح للمرزباني ٤٦٤ .
الاغاني - لابي الفرج الاصفهاني ٢٨٣/١٦
تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - بيروت ٢٤٨/٨
شذرات الذهب لابن العماد ٢٠١/٢ - ٣٥٠ - نشر مكتبة القدسى .

لقد عانى المحدثون والمولدون من شعراء المائة الثانية للهجرة مسن عنت الرواة وعلماء اللغة وهم الجبهة المحافظة التي ملكت ناصية الحكم على الأدب وأمله فمن نوهوا به وأجازوه لمع نجمه وطار ذكره ومن خرج على سبيلهم كتبوه واخملوا ذكره وقد أستطاع هؤلاء من خلال سيطرتهم الادبية واللغوية على البلاط العباسي وأشتغالهم في تعليم أولاد الخلفاء والقادة توجيه ذوق البيت العباسي توجيها محافظا لا يفتح أبوابه إلا لمن يخرجونه ويرضون عنه .

وقد اضطرت الطلائع المجددة من الشعراء المخضرمين والمولدين من أمثال ابن هرمة وبنار بن برد وابي العتاهية وأبي نؤاس وغيرهم الى محاسبة اللغويين والرواة كالأصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والمدائني وابي عمرو بن العلاء وعمر بن شبة وابي هقان وخلف الأحمر ويونس النحوي وأبي حاتم السجستاني^(١) الى النظم على الانماط القديمة وأعتقاد الغريب والوحشي في اشعارهم حتى إذا شهد لهم هؤلاء بالحنق والبراعة وتمكنوا من الشهرة على أيديهم أولا سلكوا في طريق التجديد ينفذون الى بثهم العصرية بثقة ويقفون في ثورتهم على ارضية صلبة وشهادة باتعة من سدنة الادب وأصحاب الكلمة فيه .

أن بوادر التجديد عند بنار بن برد وجيله سلكت في بادئ الامر طريقاً متوسطة في اللغة بين بلاغة القصيدة القديمة ولغة المحدثين وتصرف الشعراء بعده مستبشرين به بين متوسط مثله كمسلم بن الوليد ومتبسط في اسلوبه يقارب لغة العامة احيانا كأبي نؤاس وابي العتاهية حتى اذا جاء القرن الثالث الهجري تصدر أبو تمام حركة التجديد فاعطى لها من ثقافته واطلاعه وذكائه ما قرر منهجها وقوم فخامة لقتها على جزالة اللسان العربي سالكا في التوليد والتجديد والبديع مساقن أبواب البلاغة للاجيال بعده^(٢) .

لاشك أن موقف المحافظين من الشعراء قد خدم حركة التجديد

(١) علي الزبيدي في الادب العباسي ٨١ وما بعدها .

(٢) راجع شوقي ضيف - العصر العباسي الاول ص ١٣٩ .

من جانب آخر لانه دفع الشعراء المولدين الى شد انفسهم بالتراث يأخذون انفسهم بثقافة واسعة من لغة وآثار الاوائل للتزود بالاسس الضرورية للبناء الفني متلمذين على اساتيد الشعراء الفحول وقد سلك الشعراء من أجل هذه الغاية في الرحلة الى الصحراء لشأفة الاعراب وتوقيع الستهم على الفصحى التي انحسرت عن المدينة أو ملازمة الفصحاء من تلامذة الصحراء الذين عملوا مؤدبين في المدن من أمثال « أبي البيداء وأبن الدمينه وأبن ميادة وأبي حية التميري وأبن ضمضم الكلابي والعماسي وشييل بن الضبعي وأبي العميتل وعمار بن عقيل »^(١) .

وقد بلغ من شدة حذر الشعراء من سلطان المحافظين أن نفرا منهم من معاصري بشار بن برد وقفوا عند التقليد لمنهج القدماء ولم يشاركوا كثيرا في حركة التجديد التي بدأها رفاقهم ومن هؤلاء مروان بن ابسي حفصة والسيد الحميري وأبو دلالة وأن أولهم لم يتجاسر على انشاد قصيدته في مدح الخليفة المهدي الا بعد عرضها على يونس النحوي ورضاه عنها ومطلعها^(٢) .

طرقك زائرة فحّي خيالها

ولم يسلم الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث من عبث الرواة وأنتحالهم^(٣) وقد سبب ذلك أرتباكا في دواوين الشعراء وهدرا لكثير من اشعارهم فأبو تمام الذي ذكر ابن المعتز في طبقاته « ان له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة » لم يثبت في ديوانه المطبوع الا ثلث هذا العدد تقريبا^(٤) وهذا التصرف يقلل من ادعاء حرص الرواة المرصود للامانة العلمية على آثار الشعراء ويشكك في تحري الصدق في النقد الموجه الى

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٥ طبعة القاهرة

(٢) الاغانى (طبعة دار الكتب) ٨٢/١٠

(٣) انظر بحث الدكتور علي الزبيدي - دواوين الشعراء العباسيين حتى

نهاية القرن الرابع الهجري مجلة كلية الاداب ١٩٦٦ بغداد .

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٦ .

المحدثين لكثرة ما مترادف التهم على نصوص ليست لهم .
ويحسن بنا أن نسوق - هنا - خبرين اثنين على سبيل المثال لا
الحصر عن تعصب المحافظين للقديم بدون حق ضد ابي تمام بعيدا عن
الحق والعدل وقد ذكرهما الصولي في اخباره فقال :

« ومن الافراط في عصيتهم عليه ما حدثني به أبو العباس عبد الله
بن المعتز قال : حدثت ابراهيم بن المدير ورأيتَه يستجيد شعر ابي تمام
ولا يوفيه حقه بحديث حدثنيه أبو عمر بن ابي حسن الطوسي وجعلته
مثلا له قال : وجه بي أبي الى ابن الاعرابي لاقرا عليه اشعارا وكنت
معجبا بشعر ابي تمام فقرأت عليه من أشعار هذيل ثم قرأت ارجوزة أبي
تمام على انها لبعض شعراء هذيل . »

وعاذل عدلته في عدله فظنَّ أنّي جاهل من جهله
حتى اتسمتها فقال : أكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت احسنه هي؟
قال : ما سمعت باحسن منها قلت : أنها لابي تمام فقال ، خرق خرق^(١)
« أي مزقها ، ، ، » .

وقال في مكان اخر « حدثني علي بن محمد الاسدي قال : حدثني
أحمد بن يحيى ثعلب قال : وقف ابن الاعرابي على المدائني فقال له : الى
أين يا أبا عبدالله قال : الى الذي هو كما قال الشاعر

نحمل اشعارنا الى ملك نأخذ من ماله ومن ادبه
قال أبو بكر : فتمثل بشعر ابي تمام وهو لا يدري ولعله لو درى
ما تمثل به وكذلك فعل في النوادر جاء فيها بكثير من أشعار المحدثين
ولعله لو علم بذلك ما فعله ،^(٢) .
وأمثال هذه الاخبار كثيرة جرت في حق بشار وابي نؤاس ومسلم

(١) الصولي أخبار ابي تمام ١٧٦ .

(٢) الصولي أخبار ابي تمام ١٧٧ .

وغيرهم وهي - كما نرى - صور من العناد والتعصب الظالم على المحدثين
والمولدين والشعراء العباسيين *

ولم يعد هؤلاء المجددون انصارا من النقاد وقفوا الى صفهم أو
سلكوا قافية وسيطة بينهم وبين خصومهم ولولاهم لضاعت بقية أشعارهم
كما ضاع غيرها ومن هؤلاء قدامة بن جعفر والصولي والثعالبي والجرجاني
وعبدالله بن المعتز وفي هذا الاتجاه يقول ابن قتيبة في كتاب الشعر
والشعراء :

« ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من
أقلد أو استحسِن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة
لتقدمه والى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل عدلى
الفريقين وأعطيت كلا حظله ووفرت عليه حقه ، فاني رأيت من علمائنا
من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيرته ويرذل
الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله» (١)

وفي ختام هذا التقديم وقبل الدخول في تفاصيل موضوع البحث
أجد من العدل أن أثبت أن شاعرا عظيما كأبي تمام وقف على أشعار الأوائل
واعيا ومدركا وبرع في اختيار الجيد منها في « حماسته » وبقية مختاراته
براعته في صناعة أشعاره لا ينبغي أن يتناوله منتقده بالثلب لأنه تزعم
المولدين في عصره ولأنه توسل في بديعه الى إعطاء الصيغ الشعرية
تلقونيا جميلا وتحريكها يشدها الى العصر والانسان مع محافظة بارعة
على أنماط الفصاحة والجزالة والبناء اللغوي المتين للقصيدة العربية *

أن أبا تمام أمسك بزمام الشعر في عصره ومخض تجارب المحدثين
قبله فأرسي رسومها وثبت اختلاجها ووضعها على المحجة الوسطى ليسلك
فيها كل موهوب بعده يعشق الفن تجربة وتصنيعا *

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء - المقدمة *

اولية البديع ومنتزلة أبي تمام فيه : -

جاء في القاموس المحيط تحت مادة (بدع) : « البديع ، المتبدع »
والمبتدع ، البدعة ، الحدت ، ابدع الشاعر .. أتى بالبديع^(١) فتكون
الكلمة في اللغة مرادفة للكلمة الجديد والمخترع والجميل *
وجاء في كتاب العمدة لابن رشيق في باب البديع « وأما البديع فهو
الجديد واصله في الجبال وذلك أن يفتل الجبل جديدا ليس من قوى
جبل نقضت ثم قتلت فتلا اخر وانشدوا للشماخ^(٢) »

اطار عميقه عنه نسالا وادمج دمج ذي شطر بديع

ويعتبر كتاب البديع لعبدالله بن المعتز من اوائل الكتب المؤلفة فيه
وقد حصر فنونه بخمسة موضوعات هي « الاستعارة والتجنيس والمطابقة
ورد الاعجاز على الصدور والمذهب الكلامي^(٣) » وجعل ما سوى ذلك من
المحاسن وأجاز لمن شاء أن يسميها بديعا ويعقب صاحب العمدة على رأي
ابن المعتز في البديع فيقول : « والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة
وأنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة » وعندما يستعرض
جوانبه يستوفي أغلب الفنون المعروفة في علم البلاغة عند المتأخرين من
بيان وبديع ومعان *

ونكاد نخلص الى أن مفهوم البديع عند ابن المعتز وعند ابن رشيق
يلاقي مفهوم علوم البلاغة الثلاثة عند المتأخرين مع اختلاف في التسميات
والتقسيمات وايجاز عند الاول واستطراد عند الثاني *
ويعرف البلاغيون المتأخرون البديع بأنه « المحسنات اللفظية والمعنوية
في الكلام » ولا يدخلون فيه موضوعات علم المعاني وعلم البيان^(٤) وعلى هذا

(١) القاموس المحيط - مادة بدع -

(٢) العمدة لابن رشيق ١/٢٦٥ وما بعدها *

(٣) نفس المصدر *

(٤) انظر جواهر البلاغة للهاشمي *

والبلاغة الواضحة لعلي الجارم *

الاساس الذي حدده ابن المعتز وابن رشيق جرت محاكمات أبي تمام في
البيدع الذي اصطنعه وسلك فيه وسوف نذكر له ذلك .
أما أوليات تطبيقات البيدع في اللغة العربية فهي سابقة كثيرا لعصر
أبي تمام في الشعر والنثر الجاهليين وفي القرآن الكريم وعند الشعراء
المتقدمين وفي ذلك يقول عبدالله بن المعتز في كتاب البيدع : « وقد قدمنا
في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله
صلى الله عليه وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من
الكلام الذي سماه المحدثون البيدع ليُعلم أن بشارا وسلما وأبا نؤاس
ومن تقلدهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثير فسي
أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه
ثم أن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع
فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبي الافراط
وثمره الاسراف وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البيدع بصاح
بن عبد القدوس في الامثال » (١) .

ويقول ابن رشيق في العمدة « وقالوا أن أول من فقه البيدع من
المحدثين بشار وابن هرمة وهو ساقه العرب وآخر من يستشهد بشعره
ثم اتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتّابي ومنصور النمري ومسلم بن
الوليد وأبو نؤاس وأتبع هؤلاء حبيب بن أوس الطائي والوليد البخري
وعبدالله بن المعتز فاتمى علم البيدع والصنعة اليه » (٢) .

فأبو تمام لم يكن مبتكرا لعلم البيدع ولا منفردا به ولكنه عني بسه
وأكثر منه وقعد قواعده في تصنيعه فارتفق باسمه في عصره وأصبح كالمبتكر
له ولو أنعمنا النظر في طبيعة البيدع عند أبي تمام لوجدنا أنه لم يتوجه الى
استهلاك النماذج القديمة وأجترارها بقدر ما توجه الى أستيعاب ألوانه
البيديعة وتشكيلها بقواله الخاصة فلا تحتفظ من العلاقة بصورها عند

(١) البيدع - ابن المعتز ص ١

(٢) العمدة ١/١٣١

غيره الا بالتسميات التي يصطلحها النقاد وأهل البلاغة وفي ذلك يقولون
الاصفهانى « وله مذهب في المطابق والمجانس هو كالسابق اليه جميع
الشعراء وأن كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار
منه والسلوك في جميع طرقه^(١)، وبمعنى اخر أن أبا تمام ان لم يكن
مبتكرا للبديع فإنه مبتكر ومجدد في تصنيع البديع ونظمه في عقد قصائده
التي تروع وتخلب ولعله لم يتجاوز حقيقة نفسه حين وصف شعره
بقوله :-

خذها مغربةً في الارض آتيةً بكل فهمٍ غريبٍ حين تعترب

وقوله مصنعا :

يفدون مقترباتٍ في البلاد فما يزلن يؤنس في الافاق مقتربا

وقوله مشيرا الى وشيه وترصيعه :

خذها منقفةً القوافي ربهما لسوايغ النعماء غيرُ كنود
صفراء تملأ كل اذن كلمةً وبلاغةً وتدر كل وريد
كالدرد والمرجان أُلّف نظمته بالشذر في عنق الفتاة الرود
كشقيقة البُرد المنمنم وشيه في ارض مهرة او بلاد تزيد

وعلى ذكر البديع في آثار المتقدمين تؤكد أن ذلك كان يقع لهم اتفاقاً
غير مقصود على سبيل الطرود والسوانح التي يقتضيها السياق ولم يكن
عندهم أداة للتجميل والتجويد بالشكل الذي قصد اليه المصنعون وعلى
رأسهم أبو تمام وأن الوقوف على دراسة تطبيقاته في نصوص السابقين
يقتضي اطالة لا يتطلبها البحث وسنكتفي - هنا - بأيراد أمثلة
موجزة. لذلك من القرآن الكريم والشعر فمن الاستعارة والمطابقة قال تعالى
في كتابه العزيز « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور» وفي

(١) الاغاني ١٥/١٠٠ - ١٠٨

الاستعارة المكنية قوله ايضا (ربّ اني وهن العظم مني وأشتعل الرأس شيئا)^(١) وكذلك قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)^(٢) .
ومن استعارات امريء القيس الجيدة قوله وقد جعل الليل يتمطى وجعل له أردافا وكلكلا .

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل^(٣)
وقال زهير وقد استعار للسهول افراسا ورواحل
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله^(٤)
وأحسن طفيل الغنوي في هذا الباب بقوله :
وجعلت كوري فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل^(٥)
ومن السبق في التجنيس قوله تعالى « واسلمت مع سليمان لله رب العالمين »^(٦) وقوله « خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل »
وقول القطامي :^(٧)

كنية النحي من ذى القيظ فاحتملوا مستحقين فؤادا ما له فاد
وقوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة ، يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .

ومن السبق في المطابقة والمقابلة قوله تعالى « ولكم في القصص حياة يا أولي الالباب »^(٨) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من المقابلة « أنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع »^(٩) وقول طفيل الغنوي :
بساهم الوجه لم تقطع اباجله يسان وهو ليوع الروع مبذول^(١٠)

(١) الآية ٤ - من سورة مريم .

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الموازنة ١٧

(٤) (٥) نفس المصدر

(٦) الآية ٤٤ - سورة النمل

(٧) الموازنة ص ١٨

(٨) سورة البقرة الآية ١٧٩

(٩) الموازنة ١٩

(١٠) البديع لابن المعتز ٣٩

ومن السبق في تشبيه الصورة الملفوف قول امرئ القيس
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرهَا الْعُتَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
لم يختلف منتقدو أبي تمام في منزلته من البديع وتعلقه به وولعه باطرافه
ولكنهم اختلفوا في مدى قبولهم له بين معجب لا يرى له مثيلا وبين منكر
عليه اسرافه في طلبه وتحريه لالوان بديعة والمسألة هنا - أيضا - مسألة
صراع بين القيم والمفاهيم جيل يعبد القديم ولا يرى احسانا في غيره وجيل
متمرد يتحرك مع عصره ويتعامل بدوقه ويتصدر الصولي في كتابه
« أخبار ابي تمام » حملة الدفاع عن ابي تمام وتجديده بينما يتصدر
الأمدي في كتاب (الموازنة) حملة النعي على تكلف ابي تمام وتصنيعه
ولو كان ذلك من طرف خفي وهكذا سلك المتأخرون بعدهم حتى الوقت
الحاضر *

فالصولي مثلا يعجب من اختلاف الناس في شعره مع شهادة ذوي
الفضل له فيقول * وعجبت من افتراق الناس فيه حتى ترى أكثرهم والمقدم في
علم الشعر وتمييز الكلام منهم والكمال من أهل النظم والنثر فيهم يوفيه
حقه في المدح ويعطيه موضعه من الرتبة ثم يكبر باحسانه في عينه ويقوى
بإبداعه في نفسه حتى يلحقه بعضهم بمن يتقدمه ويفرط بعض فيجمله
نسيج وحده وسابقا لا مساوي له وترى بعد ذلك قوما يعيونه ويطعنون
في كثير من شعره ويسندون ذلك الى بعض العلماء ويقولونه بالتقليد
والادعاء اذ لم يصح فيه دليل ولا اجابتهم اليه حجة (١) *

وقال فيه عمارة بن عقيل (٢) بعدما سمع قصيدته الدالية التي مسح
بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي :

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفاً نوى غدا

وعاد قتادا عندها كلُّ مورد

(١) الصولي أخبار ابي تمام ص ٣

(٢) الديوان ص ١٠٠

فأجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خد مورد

• • • • •

فأني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

« ان كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واستواء

الكلام فصاحبكم هذا أشعر الناس وان كان بغيره فلا أدري » •

ويركز نقاد ابني تمام على تصرفه في الغموض وحزونة الالفاظ وهذا أمر سوف نناقشه لاحقاً وفي ذلك يقول ابن المعتز « وأكثر ما له جيد والرديء الذي له انما يستعلق لفظه فقط » وفي مجال الموازنة بينه وبين البُحْثري يقول « وذلك أن البُحْثري لا يكاد يغلظ لفظه انما الفاظه كالعسل حلاوة فأما أن يشق غبار الطائي في الحدق بالمعاني والمحاسن فهيهات بل يفرق في بحرهِ »^(١) •

وقال الباقلاني منتقداً تصنيعه « فهذا وما أشبه انما يحدث من غلوه في الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب »^(٢) وقد عقد الأمدى فصولاً في الحديث عن سيئاته في الاستعارة والجناس والطباق كثير منها مردود عليه^(٣) وتحدث عنه الجرجاني في الوساطة مشيراً الى استرساله في البديع فقال « كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام ومال الى الرخصة فأخرجه الى التعدي وتبعه أكثر المولدين »^(٤) •

وقال ايضاً « ان أبا تمام اسلم نفسه للتكلف يرى انه أن مرء على أسم موضع يحتاج الى ذكره أو يتصل بقصيدة يذكرها في شعره من دون

(١) طبقات ابن المعتز ٢٨٦

(٢) اعجاز القرآن - الباقلاني ٥٢ سنة ١٣١٥

(٣) الأمدى ٢٣٨ وما بعدها

(٤) الوساطة ٣٢٤

ان يشتق منها تجسيدا أو يعمل فيه بديعا فقد باء بائمه واخسل بفرس
حتم»^(١) .

ويدفع الصولي عن سلوك المجددين - وقمتهم ابو تمام - فيقول «أعلم
اعزك الله ان الفاظ المحدثين منذ عهد بشار الى وقتنا هذا كالتقلد ألسي
معان أبدع والفاظ أقرب وان كان السبق للاوائل بحق الاختراع والابتداء
والطبع والاكتفاء وانه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبوه عيانا كما لم
ير المحدثون ما وصفوه مشاهدة وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحارى
والبر والوحش والابل والاخنية فهم في هذا أبدا دون القدماء كما أن
القدماء فيما لم يروه أبدا دونهم وقد بين هذا أبو نؤاس بقوله :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم^(٢)

بقيت نقطة هامة تكمل هذه الفقرة جديرة بالعضاية والتحري هي
منزلة مسلم بن الوليد في البديع باعتباره يمثل مرحلة وسيطة بين جيل
بشار بن برد وأبي تمام لانه سلك في البديع بقدر يسمو على المخضرمين
ويقل عن شعراء المائة الثالثة للهجرة فالأمدي - مثلا - يرى أن مسلم
بن الوليد سابق لابي تمام في التصنيع فلم يقبل منه وزاد على ذلك أبو تمام
فهو أخرى بالرفض^(٣) وقال نجيب محمد البهيتي عن ذلك « أما مسلم
فقد أخذ جانب البديع يطلب الاستعارة ويتحرى الجناس والطباق والمقابلة
تحري الطالب لها حتى اتهم بأنه أول من أفسد الشعر - كان يبطن كثيرا
في صنعه ويجيدها وهو زهير المولدين ولكنه لم يخرج على القصيدة
العربية^(٤) » وليس من شك في أن أبا تمام تأثر بمسلم وهو ينأى عن
التطبيقات العنوية في الادب القديم وقد أشار الى ذلك أبو تمام نفسه في
حديث أبي الغصن محمد بن قدامة من أن على يمينه اللات وعن يساره

(١) الوساطة ١٠

(٢) الصولي أخبار أبي تمام ١٦

(٣) الأمدي ١٩ بتصرف

(٤) البهيتي ١٧٩ والأمدي ١٩

العزى « يقصد شعر مسلم وشعر أبي نؤاس » يعدهما من عشرين سنة^(١) على أن ذكاء أبي تمام وسعة اطلاعه ووقوفه على انماط التصنيع الاولية ووفرة ثقافته سمت بفضه الى حد ملك فيه على عصره رياسة التصنيع دون منازع وكان البحترى لا يأنف أن يشهر بأخذه عنه اذ يقول « أيعاب علي أن أتبع أبا تمام وما عملت بيتا فط حتى خطر شعره ببالي »^(٢) وقال ابن رشيقي في العمدة مشبها له رياسة التصنيع « مع أنه لا يبد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبي نؤاس في الخمر وأبي تمام في التصنيع والبحترى في الطيف وابن المعتز في التشبيه »^(٣) .

اشهر فنون البديع عند أبي تمام

من أقوال النقاد التي سبق ذكرها ومن الرؤبة الفاحصة لديوان أبي تمام يجد الباحث الأستعارة والجناس والطباق هي أشهر فنون البديع التي سلك فيها أبو تمام وقد اعتمد فيها المزج والمشاكلة والصياغة المحكمة التي تتم عن رؤى فنية أصيلة قلما توفرت لغيره من شعراء العربية فإذا لجأ الى معنى لغيره وشعه بيديه وتمم معناه فكان أحق به فهو بذلك مبتدئ^(٤) لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه^(٥) .

وازاء تطبيقات الرجس تتهافت أكثر تهتم منتقديه فاذا كان أبو تمام قد وقف على ثقافة واسعة من علوم العصر من فلسفة ومنطق وعلم كلام ، يكون غير أمين على فنه ومعطيات عصره لو صرف نظره عن وسطه وأدواته بعيدا عن فكره الواسع فجناب الغموض الذي يتحدثون عنه وجه من التصنيع الذي يكمل أنماطه في البديع وغرض من أغراضه التي سعى اليها بأطواره الخاصة لان أحدا من معاصريه لم يكن قادرا على الجري في مناهجه فهو شاعر عالم مثقف وغيره شاعر وحسب وسوف أتناول في هذا الموضوع من البحث فنون البديع عنده في مجال التطبيق

(١) طبقات ابن المعتز ص ٢٨٤ - ٢٨٥ بتصرف

(٢) الصولي ٧٠

(٣) العمدة ١/٢٦٥

(٤) الصولي/أخبار أبي تمام ٣٣

والنقد ، كما انضحت في شعره :

١ - الاستعارة : يعرف البلاغيون الاستعارة بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي علاقة المشابهة ويقدر ما تكون الصورة المتكررة بالاستعارة جميلة وموحية يكون نصيها من النجاح والقبول . ويبدو لي أن جانب العمق في استعارات أبي تمام تفرد لم يبلغه فيه أكثر الشعراء وهذا جانب منها .

قال من قصيدة يمدح فيها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر في خراسان^(١)
أهن عـوادي يوسف وصواحيبه
فـعزما فقـدما أدرك السؤل طالبه
وركب كأطراف الاسنة عرسوا
على مثلها والليل داج غياهيبه
لأمر عليهم أن تسم صدوره
وليس عليهم أن تسم عواقبه
على كل رواد الملاط تهدمت
عريـكته العلياء وانضم حالبه
رعته الفيافي بعدما كان حقة
رعاهـا وماء الروض ينهل ساكبه

وأجود الاستعارات في هذه الأبيات « رعته الفيافي » يريد أن الجمل هزل وضعف لكثرة ما أنهكته الصحراء فكأنها أكلت منه واستأفت شحمه ولحمه وكان قبل ذلك يرعاها فيأكل عشبها ومن استعاراته الجميلة التي أعجبت ابن المعتز^(٢) :

مطر يذوب الصحو منه ويعده
صحو يكاد من النضارة يمطر
وقد جعل المطر وسطا يذيب صحو السماء كما جعل الصحو الرائق
بعد المطر بليلا يكاد يمطر .

(١) الديوان ٣٣-٣٤

(٢) ابن المعتز - البديع - ٢١

وقوله أيضا :

يا سهم كيف يفيق من سكر الهوى

حسran يُصَبِّحُ بالفراق وَيُنْبِقُ^(١)

وقد جعل الفراق كالخمرة للصباح وللقبوق للمحب الذي فاروق

الحبيب فقله بوجه •

وقال مستعيرا الماء للقوافي :

لم تُسَقِّ ماءً أقل قذى

من ماء قافية يسقيكه فهم^(٢)

ومن استعاراته التي أعجبت الأمدى قوله وقد استعار الماء للملام :

لا تسقني ماء الملام فأنني

صب قد استعذبت ماء بكائي^(٣)

وقال من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم بن شباية وقد مزج بين

الفن والعقل فجسد الصورة أروع تجسيد :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه

بكفيك ما ماريت في أنه برد^(٤)

فقد جعل حلم الرجل وهو احساس رقيقا رقة البرد الناعم • لو لمست

بيديك •

وقد عاب الأمدى وغيره على أبي تمام بعض استعاراته واستقبحوها

منه لأنهم ينظرون تعبيراتهم بدوقهم الخاص الذي نهضت مفاهيمه عندهم

على أساس الممارسة البسيطة للتصنيع في الشعر القديم بعيدا عن المذهب

الذي انبرى له أبو تمام ولما كان الشعر في كثير من حالاته تعبير انساني

كاشف عن نفس الشاعر محاولة لتصيد اللحظات الأكثر انفعالا وكان

الانفعال بطبيعته احساسا غائما لا يفهمه حتى الشاعر نفسه اتفقت للشعراء

أفانين من القول لا يمكن أن تفهم فهما عقليا كما تعودنا أن نفهم أغلب

(١) ابن المعتز - البديع - ٢٢

(٢) الموازنة ٢٤٢

(٣) الموازنة ٢٤٤

(٤) الديوان ١٢١

شعرنا العربي أقصد الى القول أن من طبيعة الشعر وهو ترجمان النفس الإنسانية التي يتفق لها من ضروب الاحاسيس ما تعجز اللغة عن التعبير عنه تعبيرا كاملا فيكون التعبير تعبيرا غائما مثل الاحساس الغائم الذي يحسه الشاعر . والشاعر هنا لا يحاول أن يقدم للقارئ الا جوا نفسيا معتما لا تتحدد فيه الحدود الفاصلة ، انه يوميء ولا يفصل ، يوحي ولا يحدد ومن هنا كانت الايات والقصائد التي يختلف في تلقيها الناس ومن هنا كان الرمز وكان ما نسميه خطأ بالغموض لانه في طبيعته الاصيله ليس غموضا بقدر ما هو تعبير عن حالة نفسية متأزمة لا يدركها حتى الشاعر نفسه^(١) . ومن هنا أيضا تنطلق أحكام الأمدي على استعارات أبي تمام وتصنيعه ومما عابه عليه قوله^(٢) :

تحملت ما لو حمل الدهر شطره

لفكر دهرًا أي حمليه أثقل

وبقدر ما يرى الامدي في هذا البيت من قبح أرى فيه من حلاوة فأبي بأس في أن يستعير الفكر للدهر ليحس ما تحمله المقصود بالبيت من الهم والهمم .

وعاب عليه أيضا قوله مستعيرا اشترق بالدهر اللثيم بدل الماء وهو

تصميم رائع في الشعر .

والدهر الأم من شرقت بلومه

الا اذا اشرقته بكريم^(٣)

وقوله وقد استعار للشقاء أخدعين :

فضربت الشتاء في أخدعيه

ضربة غادرتة عودا ركوبا^(٤)

واستقبح منه ابن الخشعمي هذه الاستعارة :

تروح علينا كل يوم وتفتدي

خطوب يكاد الدهر منهن يُصرع^(٥)

(١) كمال نشأت : شاعرية أبي تمام (بحث لم ينشر)

(٢)، (٣)، (٤) الموازنة ٢٤٢ وما بعدها

(٥) الصولي اخبار ابي تمام ٢٤٧

لانه استعار الصرع للدهر وهو أمر لا نرى فيه بأسا على أبي تمام
واستعارته هنا تعد من روائع هذا الفن *

في ضوء ما تقدم نعود فنؤكد من جديد أن مذهب الامدي وغيره
في نقد أبي تمام لا يقوم على أساس تقويم شعره بالموازين المتطورة وأن
الغموض المحسوب عليه يشكل - في نظرنا - الجوانب الرائدة الفذة
في الحركة التجديدية للشعر العربي في القرن الثالث الهجري وكان أبو
تمام رأسا لها *

٢ - الجناس : يعني الجناس عند البلاغيين اتفاق الكلمات باللفظ
واختلافها بالمعنى وهو من المحسنات اللفظية في الكلام ويتخذ الجناس
في بديع أبي تمام صورا من الأناقة في التصنيع ترفع من مستوى شعره
شكلا ومضمونا لان الجناس عنده لا يعني المشاكلة في الظاهر فقط بل
يسوقه أحيانا من خلال العطاء الفكري الذي يدخل شعره عنوة فهو عنده
اذن لون وصوت وعمق واذا كان المحافظون يسرون فيه كذا وجهدا
فلا نهم تعودوا على طوارئه في أدب القدماء ولم يهضوا بعد أبعاده في أدب
الشاعر المتحضر العالم وكما قلنا في الاستعارة نقول في الجناس بأنك تجده
في كل قصائد الديوان أتى فتنحته وحين تطالعك القصيدة الاولى فيه والتي
يمدح بها خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني والتي مطلعها :

يا موضع الشدية الوجناء

ومصارع الادلاج والاسراء^(١)

تجد ما يروعك من تجنيسه الذي يأخذ به قسرا ويعركه فيعطيكه
مشعلا معا صائتا اذ يقول :

وغدت بطون منى منى من سيبه

وغدت حرا منه ظهور حراء

وتعرفت عرفات زاخرة ولم

يخصص كداء^(٢) منه بالاكداء

(١) الديوان ص ١

(٢) كداء - جبل بمكة *

ولطاب مرتبع بطيبة واكتست
بردين برد ثرى وبسرد ثراء
لا يحسرم الحرمان خيرا نلته
حرموا به نوما من الانواء
وانظر تجنيسه في القصيدة الثانية من الديوان وهو يمدح يحيى بن
ثابت ومطلعها^(١) :

قدك اشب اريت في الغلسواء
كم تعذلون واتسم سجرائي
راح اذا ما الراح كن مطيها
كانت مطايا الشوق في الاحشاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها
نار ونور قيذا بوعاء
ولا اعلم لماذا يعيب الامدي هذا الجناس ؟
ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت
فيه الظنون أمذهب أم مذهب^(٢)
ومن جناساته المشهورة قوله :

لهم سلف سمر العوالي وسامر
وفيهم جمال لا يفيض وجمال
وقوله :

أظن الدمع في خدي سيقني
رسوما من بكائي في الرسوم
وقوله :

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا
ظلم الستور بسور حور نهد

(١) الديوان ٢-٣

(٢) الامدي ٢٥١

وقوله :

يمدون من أيدي عواصم عواصم
تصول بأسسيف قواض قواضب^(٣)

وقوله :

لا يطرد الهم إلا الهم من رجل

مقلقل لبنات القفرة النجب

ويكاد كلف أبي تمام بالجناس يكون عاما في قصائد الديوان كلها واختص الجناس الناقص بشكل خاص في تطبيقاته عليه وهو أمر يتم فن الرجل ويعليه لان الجناس الناقص يرفع من الاثر الموسيقي في الشعر ويزيد من ألوانه أما الجناس التام فيخلع طابع الرثابة على الشعر وتلك ظاهرة لا تحمد في التصنيع وان التلوين في أوزان الالفاظ المستعملة في التجنيس تتحول الى مسارات صوتية متحركة تستأثر بخواطر السامع وتشده اليها .

٣ - الطباق :

الطباق في مصطلح البلاغيين هو ايراد اللفظ وضده في الكلام وأن ايراده العفوي في النصوص البليغة احسان في العبارة وحلاوة في الاصباح المستعملة في تلوين الكلام وتزيينه وان الاجادة الذكية في استخدامه تتحول الى استجابة لرغبة الفكر في النزوع الى معرفة مطابق الشيء والى اشباع لتطلع حاستي السمع والبصر الى الالوان التي تطلعا الى جانب أضدادها امعانا في وضوح الصورة .

لقد استطاع أبو تمام بذكائه وشاعريته وذوقه أن يجعل هذا الفن من البديع أداة رائعة من أدوات تصنيعه فلم يكفه أن يعرض أزهاره الملونة في السلال أمام عشاقها كما هي في الطبيعة بل غير ألوانها من عطائه الفكري فأضاف الى نضرتها وشما يلفت اليها النظر ويبعث فيها الحياة واذا وقفنا عند أي قصيدة من ديوانه دون تحر أو اجتهاد يصدق

(٣) الديوان ٤٢

عليه جميع من قلناه في مطابقاته ولناخذ مثلا قصيدته في مدح أبي سعيد
محمد بن يوسف الثغري التي مطلعها^(١) :

من سجايا الطلول أن لا تجيبنا
فصواب من مقلتي أن تصوبنا
فأسألها واجمل بكلك جوابنا
تجد الدمع سائلا ومجيبا
أكثر الارض زائرا ومزورا
وصعودا من الهوى وضوبيا
وكعابا ، كأنما البستها

غفلت الشباب برذا قسبيا
أليس حقا أن الرجل لا يستخدم مطابقاته دون ربطها بفكره وروحه؟
ثم أليس حقا أنه يقرن طباقه بقرائن متينة تتحد معها بعمق لتزيد من
شدها الى القلب بعد السمع؟ فارتباط السمع بالسؤال والجواب
وتعميم الزائر والمزور لسكل الارض والصعود والصبوب من الهوى
وشائج لا أرى المقابلات معها فقاعات طافية سائبة بل أراها اتحادا
متعاضيا لا يقبل انفصاما ولعل في انفصامه موتا للصورة الحية التي قصد
اليها الشاعر .

ونجد مثل ذلك في قصيدته التي قالها في مدح محمد بن عبد الملك
الزيات ومنها :

ووالله ما آتيتك الا فريضة
وآتي جميع الناس الا تنفلا
وايس امرؤ في الناس كنت سلاحه
عشية يلقي الحادثات بأعزلا^(٢)

فاستخدامه مصطلحات الفقه والشريعة « الفرائض والنوافل » في
سياق مدح وربط ذلك بوشيجة حركة المجيء له فريضة والمناس نافلة بعد

(١) الديوان ٣٥

(٢) الصولي اخبار ابي تمام ١١٩

رائع في فن الطباق وتطبيق أروع لجانب من ثقافته في الشعر وما أكثر منا
كان يطبقها •

ومن روائع مطابقاته قوله (٢) :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويتلي الله بعض القوم بالنعيم

وقوله (٣) :

وضل بك المرتاد من حيث يهتدي

وضرت بك الايام من حيث تنفع

وقد كان يدعى لا بس الصبر حازماً

فأصبح يدعى حازماً حين يجزع

وقوله أيضا :

يا أيها الملك النسائي برؤيته

وجوده لمراعي جوده كتب

ليس الحجاب بمقص منك لي أملاً

ان السماء ترجى حيث تحتجب

ان هذه النماذج بقدر ما تتداخل مع المفهوم القديم في المطابقات
اللفظية تغرب في صور أبي تمام مهومة في غلالة من استبطانه الذاتي
وتعيمه العقلي • لتكون سبكا مستخلصا من تجربة عميقة يروع فيها
الشكل كما يروع المضمون •

٤ - ألوان أخرى من البديع :

اعتمد أبو تمام ألوانا أخرى من البديع في شعره ولكنه لم يبلغ بها
ما بلغه في الألوان الثلاثة سألقة الذكر كما أنها لم تستأثر باهتمامه في
التصنيع كما استأثرت به فنونه الأساسية ولكنها مع كل ذلك تكمل

(٢) الموازنة ٢٥٦

(٣) ابن المعتز - البديع ٤٢

وسأله في الحلية والنقش وسأذكر له جانباً من تلك الألوان مع قليل من الشواهد .

أ - رد الإعجاز على الصدور : وهو أن يجعل الشاعر قافية البيت متجانسةً مع الكلمة الأولى والثانية من الصدر وهو في تقديرنا شكل من أشكال الجناس المنتزم بنمط معين ومن ذلك قوله^(١) :

ومن تيمت سمر الحيمان فؤاده

فما زلت بالسمر الحسان متيماً

وقد رد كلمة « متيماً » (من العجز) الى كلمة « تيمت » (من

الصدر) .

ب - المذهب الكلامي : هو عند البلاغيين المتأخرين التكرار وسماه الجاحظ وابن المعتز المذهب الكلامي وهو من المحسنات اللفظية ومنه قول أبي تمام^(٢) :

المجسد لا يرضى بأن ترضى بأن

يرضى المؤمل منك الا بالرضى

ج - الالتفات : وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون^(٣) الاستدراك

وقال عنه ابن المعتز « هو انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة ومن المخاطبة الى الاخبار »^(٤) ومنه قوله تعالى « حتى اذا كتتم في الفلك وجريين بهم بريح طيبة » .

وقال فيه أبو تمام :

وأوجدتم من بعد انهام داركم

فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

(١) ابن المعتز - البديع - ٥٢

(٢) نفس المصدر ٥٥

(٣) العمدة ٤٥/٢

(٤) العمدة ٤٧/٢

د - حسن الخروج : وهو البراعة في التخلص الى الغرض بعد المقدمة التقليدية للقصيدة ومنه قوله^(١) :

لا والذي هو عالم أن النوى

صبر وان أبا الحسين كريم

هـ - حسن الابتداءات : وهو اجادة الشاعر في اسلوب استهلال

القصيدة وقد كان أبو تمام فارسا لا يجارى في هذا المجال ومن حسن ابتداءاته قوله^(٢) :

يا بعد غاية دمع العين اذ بعدوا

هي الصباية طول الدهر والكمد

وقوله في أبي سعيد^(٣) :

لا أنت أنت ولا الديار ديار

خف الهوى وتوات الاوطار

وقوله يمدح الخليفة المتصم^(٤) :

الحق أبلج والسيوف عوار

فحذار من اسد العرين حذار

هـ - تشبيه المختلفين والضدين : وهو لون من التشبيه يقتضي

احتراسا ودقة لانه جانب عقلي الى جانب كونه صورة فنية ومنه قول أبي تمام^(٥) :

ومسافة كمسافة الهجر ارتقى

في صدر باقي الحب والبرحاء

و - التقسيم : وهو استقصاء الشاعر جميع اقسام ما أبتدأ به وقد

أدخله أبو تمام في تصنيفه ومن ذلك قوله^(٦) :

(١) ابن المعتز - البديع ٦١

(٢) نفس المصدر ٧٦

(٣) الديوان ١٤٤

(٤) الديوان ١٥٠

(٥) العمدة ٢٩٦/١

(٦) العمدة ٢٨/٢

تجلى به رشدي وأثرت به يدي
وفاض به شمدي وأورى به زندي

وقوله محسنا استخدامه :

تدبير ممتصم بالله متقم

الله مرتقب في الله مسرتقب

وقال على غير هذا النمط من التقسيم المباشر

عن ثامر ضاف ونبت فرارة

واف ونور كالمراجل خافي

ولو استقصينا الفنون الفرعية للبديع التي يذكرها البلاغيون لطال بنا الكلام ولهم فيها أكثر من مائة وخمسين لونا ترد جميعا الى الاصول المعروفة في علم البلاغة وإذا كنا قد أكدنا على ما شهز به أبو تمام في تصنيعه بالفقرات الثلاث الأولى فلانها فرض على الباحث في بديعه أما الاشارات الاخيرة فمن نوافل الحديث في التصنيع *

تصنيعه العقلي :

ان أبا تمام بوصفه شاعرا مثقفا لم يستطع أن يتجاوز ثقافته وعصره المتحضر فظهرت آثار تلك الثقافة في أدبه وتحولت بذكائه الى وسائل جديدة في التصنيع يمكننا أن نعددها صورا من البديع العقلي في أدبه وقد رأينا في أقوال نقساده من ينحى عليه كده وجهده في التعمية والغموض الذي يطبع جانبا من شعره ومصدر هذا النقد هو لغة النقاد للنصوص السابقة التي تجردت أو كادت تتجرد من الدخول في هذا الجانب من التصنيع بعوامل الفوارق الحضارية التي أدت الى غيابها عن المتقدمين وشخصها أمام أبي تمام وجيله ومعنى ذلك أن الادوات الفنية مسألة يتحكم فيها عامل الزمن تحكما بالغا *

ان فنون التصنيع العقلي عند أبي تمام كثيرة جدا تمتزج مع الالوان التقليدية في تحسين الكلام ترافقها وتعامل معها وتشكلها بصيغ جديدة على الشعر العربي ومن تلك الفنون :

١ - الأعراب في التصوير : ان الصورة الشعرية التي يولدها الشاعر القديم أو المحافظ من خلال التشبيهات أو المجازات تفصح عن نفسها بالمظهر اللامع والتخيل بدون عناء ولكنها تتحول عند أبي تمام تجسيدا يظهر فيه أثر العمق الذي يعاني منه السامع أو الدارس لاحكام استيعاب الصورة المقصودة ومن صوره الغريبة المملوءة بالاستعارة قوله وقد جعل للاحزان أنملة :

سلوت ان كنت أدري ما تقول اذن
جعلت أنملة الاحزان في اذني

وقوله وقد اصطنع لوجهه غطاء غريبا من الخجل :
أتاني من الركبان ظن ظنتته
للفت له رأسي حياء من المجد
وقوله وقد استعار للمعروف كيدا وهو ما أنكره عليه الامدي :
لدى ملك من أيكة الجود لم يزل
على كبد المعروف من فعله برد
وقوله مصطنعا صورة غريبة لوصف روضة أصابت مطرا نرا :
ومعرس للغيث تخفق فوقه
رايات كل دجنة وطفاء

٢ - الاشارة والرمز :

قد يعتمد أبو تمام من خلال عشقه لبلاغة الصورة وتوثيقها بالعمق الفكري الى الاشارة والرمز ويترك لسامع شعره أو قارئه أن يدخل في تيه من تحديد القصد أو ادراك المراد . من ذلك قوله :

أما وأبي الرجاء لقد ركبنا
مطايا الدهر من سود وبيض

وقد أشار بالرمز الى نحس الايام بالسود وسعدها بالبيض وكذلك قوله من مرثية محمد بن حميد الطوسي وقد رمز الى مقتله « بالسياب

الحمير « والى « رضوان الله عليه وتسليكه في طريق الجنة » بالثياب
الخضراء :

تردى ثياب الموت حمرا فما دجا
لها الليل الا وهي من سندس خضر

وقوله مكنيا عن الكرم :

صينت له شبة غراء من ذهب
لكنها أهلك الاشياء للذهب

وأكثر ما كان يسلك الى الرمز بالكنايات المغربية البعيدة والاشارات
الذكية .

٣ - القياس العقلي والفني :

ان العطاء الثقافي والفكري الذي انطوت عليه شاعرية أبي تمام
تحول الى استغلال فني رائع في استخدام الأقيسة العلمية والمنطقية بدقة
فقرأ اذا افترض وصفا أو صورة قاس لها من العلم ما يقربها للذهن ومن
البداهيات ما يثبت حقيقتها من ذلك قوله في معرض رثاء .
ان ريب الزمان يحسن أن يهـ

سدي الرزايسا الى ذوي الاحساب

فلهذا يجف بعد اخضرار

قبل روض الوهاد روض الروابي

فمصاب العظيم بالرزية ليس غريبا ما دام روض القمم يجف قبل
روض الوديان ومنخفضات الارض وهي أدنى من الجبال .

وقوله مستخدما أقيسة اللغة والنحو في وصف الخمرة :

خرقاء تلعب بالمقول جبابها

كتلاعب الأفعال بالاسماء

وقال مبررا شحة أموال الكريم :

لا تكري عطل الكريم عن الغنى

فالسيل حرب للمكان العالي

وقد قاس ذلك الى عدم احتفاظ قمم الجبال بماء المطر مع أنها أول ما يلاقيه من الارض .

وقال مداريا صاحبه وقد آلمها تخديد وجهه يقيس ذلك بشطب
السيف الباتع وطرائقه التي لا تمنع حدثه :

لا تكري منسه تخديدا تجلله

فالسيف لا يزدري ان كان ذا شطب

وأمثال هذه المظاهر العقلية الفنية كثيرة في شعر الرجل تمسلاً ديوانه الضخم الذي تطالعنا قصائده وقد أحكمها فنا وتصنيعا وعمقا وان سلوك المحافظين في نقد الرجل من هذه الزاوية يمثل ابتعادا عن الرؤية السليمة للفن من خلال عصره وظروفه وبواعثه ولعلنا في ضوء علمنا الحديث بالشعر فنا انسانيا متطورا وخاصة بعد كشوفات علم النفس والقاء الضوء على خبايا نفسية الانسان ومعرفة الآلات المعقدة لكتابة القصيدة نستطيع أن ننظر بعين محايدة الى شعر أبي تمام بل نستطيع القول أنه من الممكن تفهم كثرة من أبياته التي أنكرها النقاد القدامى الذين حددوا للشعراء دروبا للقول مألوفة حتى تشابهت وجوه الشعراء والمعروف أن الشعر هو استبطان ذاتي للشاعر ولما كان الشعراء يختلفون اختلاف بقية الناس كان لا بد للشعر أن يختلف عند كل شاعر من زوايا الالتقاط في عمق الصورة أو تسطيحها في حدة الاحساس أو فتوره وفي مدى رسم الصورة الخيالية كما أحسها الشاعر في لحظة انفعال معين وشبهه بالصور التي أنكرها النقاد القدامى في شعر أبي تمام قول شاعر فرنسي « ان السماء في نعومة المؤلف » ومن الواضح أن السماء ليست ناعمة لأنها ليست شيئا ماديا فضلا عن تعذر لمسها لنعرف

أهي ناعمة أم لا ومع ذلك فإنا نحس بما وراء تعبير الشاعر الفرنسي من أحساس - أن همة الأول هو أن يصور لنا أحساسه في لحظة ما فقد أحس حينما نظر إلى السماء أنها ناعمة وبدهي أنه لم يرد تقرير نعومة السماء أو أن يضيف إلى معلوماتنا حقيقة اقتنع بها هي أن السماء ناعمة ولكنه أراد أن ينقل أحساسه الخاص في لحظة انفعال معين ففي هذه اللحظة أحس الشاعر أن السماء ناعمة^(١) .

أن الشاعر هنا يصور أحساسه المتفرد الصادق وعلينا أن نستبطن هذا الاحساس فلسنا في مجال درس من دروس « الجغرافية » حتى نقده ونقول له : لا ، السماء ليست ناعمة والا أصبحنا مثل نقادنا القدامى الذين أنكروا على أبي تمام أن يكون للملام ماء فإنا لو تابعنا منطق بعض هؤلاء النقاد لسقط أجود الشعر ومن الممكن القول : لو تابعناهم القول في هذا المنطق قلنا : أن الصحراء لا ترعى الجبل بالمعنى المحدد الحر في الوقت الذي يعجب النقاد باستعارته « رعته الفيافي » ، أن تذوق الشعر يجب أن يعتمد على رحابة في التصور يتعد عن التفكير المقصص الأجنحة فكما أن الملام لا ماء له نعلم أن الصحراء لا ترعى الجبل ولكن هي الصورة الخيالية يكونها الشاعر من أشياء متباعدة ولولا هذا لصار الشعر علما .

المزج بين ألوان تصنيعه في قصيدة عمورية :

تكاد براعة أبي تمام في مزجه الجميل بين أدوات تصنيعه كلها تلتقي في قصيدة عمورية التي قالها في مدح الخليفة المعتصم بالله العباسي وفتح عمورية ولم نعلم إلى اختيارها لأنها من أجود قصائد الديوان - وإن كانت من رواثعه - بل لأنها حملت إلينا الرجل بقوته وعنفه وكبريائه يلي فنه من خلال حسه الثائر وعقله المفلس يقرن بديعه اللفظي بديعه العقلي ويدفع أنماطه مقتدرا اقتدار الخليفة وجيشه على فتح

(١) د. كمال نشأت (شاعرية أبي تمام) بحث لم ينشر .

عمورية وفهر الروم وبمستوى ما يملأ قلبه من فرح بالنصر وكسب الحرب ولم ينس فلسفته في مطلع القصيدة: من دريا المنجيين وكتبهم أمام حد السيف وقد توفرت دواعي الحرب مع المدو ونفها المتصم واتصر خلافاً لا تتأبه المنجمون من أصحاب الكتب والقراءات بها كما لم ينس أدوائه في الحلية فطابق واستعار وجانس وهو يقول :

السيف أصدق انباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللب

بيض الصفائح لا سود الصفائح في

متسوتهن جلاء الشك والرب

أن هذا المزيج من ألوان الجانس بين (حده ، والحد) وبين الصفائح والصفائح والمطابقة بين (الجد واللب) و (البيض والسود) مع اللفاظ الفلسفية (الجلاء - الشك - الرب) سبك قل من يقدر على مثله من الشعراء ثم بعضي في القصيدة يحتاج المنجيين وبهاجهم بحدّة المناضب وثقة العالم أثبت فيقول :

أين الرواية بل أين النجوم وما

صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرصسا ، وأحاديثا مملقة

ليست ينبع اذا قيست ولا غرب .

فتح الفتوح تعاك أن يحيط به

نظم من التمس أو تثر من الخطب

وحين يصل الى وصف مظاهر الحرب يبلغ تضيئه ذروة في الايقال بالعمق والتصنيع فيقول في المدينة المفتوحة :

وبرزة الوجه . قد أبيت رياضتها

كسرى وصدت صدودا عن أبي كرب

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد
شابت نواصي عداها وهي لم تشيب

بكر قد افترعتها كف حادثة
ولا تفرقت إليها هممة الشهب

حتى اذا مخض الله السنين لها
مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

أتهم الكربة السوداء سادرة
منها وكان اسمها فراجة الكرب

فلمدينة فتاة حسناء مليحة الوجه امتعت على الملوك من أمثال كسرى
وهي بكر لم تفرع قبل وصول الخليفة لها فكان فتحه زبدة لمخض
السنين الطويلة •

ويمزج الشاعر بين الوصف والمدح من نسيجه المتألق الفذ
فيقول :

لقد تركت أمير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يقله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلايب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

ما ربع مية معسروا يطيف به
غيلان اشهى الى ناظري من خدها الترب
سماجة غيت منا العيون بها
عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبدو عواقبه
جاءت بشائسته عن سوء منقلب

أن التشابك الذي تناول فيه تديجه ومشاكلاته ليس من السهل
تحليله الى عناصر تصنيعه في مستوى هذا السبك المتين فالمجازات تحتوي
التجسيسات والمطابقات وتوافر الاضداد تأخذ برقاب التصنيع العقلي والفاظ
الغزل تجاور مشاهد الحرب فلا تجد نفورا أو نبوأ *

ولعل أحدا لم يبلغ في عمق تصنيعه ما بلغه أبو تمام في هذا البيت
من القصيدة وهو يصف وقود الحرب من أرواح الرجس والوصفا
فلسفيا :

ان الحمامين من بيض ومسن سمر
دلوا الحياتيين من ماء ومن عشب
وما أروع ما يصف هزيمة الاعداء في اخر القصيدة وهو أعلى كعبا
في قوة أدائه الشعري وزنا وقافية وتصنيعا :

ولى وقد ألجم الخطي منطقته
بسكته تحتها الاحشاء في صخب
موكلا يفاع الارض يشرفه
من خفقة الخوف لا من خفقة الطرب
تسعون ألفا كآساد الثرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب

وختاماً أن أبا تمام ظاهرة فنية فريدة لم تشغل القرن الثالث الهجري فقط بل امتد أثرها وخطرها حتى عصرنا الحاضر وإن بحثنا مقتضياً كهذا البحث لا يمكن أن يفني الرجل حقه في الاطوار الفنية التي سلك فيها وأرسى أصولها ولا أريد أن أقرر أن ما ذهب إليه جملة النقاد من اتهامه بالغموض واعتماد جزونة الالفاظ باطل أو لا أساس له ولكنني أوجه هذا الغموض في مسار الرجل باعتباره شاعراً مثقفاً عالماً وقد ملك ظواهر عصره كلها فصنع منها شعره على النماذج اللفظية التقليدية التي أرضت المحافظين وعلى النماذج العقلية التي أرضت العلماء وعلى صور المزج بينهما وقد أرضى فكرة التطور اللازمة لكل فن .

أن شعره نمط من التعبير الذي تتداخل فيه الثقافات كما تشابكت فيه معلومات عصره من علوم العربية فلم يعد الشعر عند أبي تمام غموضاً ساذجاً وإنما هو فن معقد يعكس تعقيد عصره أسلوباً وثقافة وحضارة .

ثبت المصادر والمراجع

- ١ - الاغانى لابي الفرج الاصفهاني طبعة دار الكتب - القاهرة وطبعة بولاق ١٣٨٥ هـ .
- ٢ - أخبار أبي تمام لابي بكر الصولي تحقيق خليل محمود عساكر وجماعته طبعة بيروت .
- ٣ - اعجاز القرآن للباقلاني طبعة القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٤ - البديع لابن المعتز نشرة كراتشكوفسكي طبعة مكتبة المنسى بغداد .
- ٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبعة القاهرة ١٩٣١ م وطبعة بيروت - نشر دار الكتاب العربي .
- ٦ - ديوان أبي تمام نشر محيي الدين الخياط طبعة القاهرة .
- ٧ - الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة دار المعارف - القاهرة .
- ٨ - العمدة لابن رشيح القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٩ - الموازنة بين أبي تمام والبحثري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٠ - الموشح في ما أخذ العلماء على الشعراء للمرزباني - تحقيق علي محمد البجاوي ١٩٦٥ م .
- ١١ - شذرات الذهب لابن العماد نشرة القدسي القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٢ - طبقات الشعراء لابن المعتز - تحقيق عبدالستار أحمد فراج ١٩٥٦ م .
- ١٣ - أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني طبعة المنار - القاهرة ١٩٢٥ م .
- ١٤ - المثل السائر لابن الاثير طبعة بولاق القاهرة ١٢٨٢ هـ وطبعة البايي - القاهرة ١٩٣٩ م .

- ١٥ - الوساطة - بين المتنبى وخصومه - الجرجاني - مطبعة صبح -
القاهرة ١٩٤٨ م وطبعة البجاوي ١٩٥١ م *
- ١٦ - تاريخ الادب العربي - عمر فروخ طبعة بيروت ١٩٦٨ م *
- ١٧ - ابو تمام الطائي حياته وشعره - نجيب محمد البهيتي -
القاهرة ١٩٤٥ م *
- ١٨ - تاريخ الادب العباسي - نيكلسن - ترجمة الدكتور صفاء
خلوصي - بغداد ١٩٦٧ م *
- ١٩ - القاموس المحيط - الفيروز أباذي *
- ٢٠ - في الادب العباسي - الدكتور علي الزبيدي - بغداد ١٩٥٩ م *
- ٢١ - دواوين الشعر العباسي - الدكتور علي الزبيدي - مجسلة
كلية الاذاب بغداد ١٩٦٦ م *
- ٢٢ - امراء الشعر العربي - أنيس المقدسي - بيروت ١٩٦٣ م *
- ٢٣ - أبو تمام الطائي - خضر الطائي - بغداد ١٩٦٦ م *
- ٢٤ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف ط. القاهرة *
- ٢٥ - الادب العربي في اثار الدارسين - جماعة من المؤلفين -
بيروت ١٩٦١ م *
- ٢٦ - العصر العباسي الاول - شوقي ضيف - القاهرة ١٩٦٦ م *
- ٢٧ - البلاغة الواضحة - علي الجارم - طبعة القاهرة *
- ٢٨ - شاعرية أبي تمام - الدكتور كمال نشأت - بحث لم ينشر *
- ٢٩ - الفهرست لابن التديم طبعة القاهرة *

أبو العتاهية والنقاد

حياة جاسم
الجامعة المستنصرية

ظهر في أواخر العصر الأموي اتجاه جديد في الشعر هو الاتجاه الشعبي ، حين بدأ الشعر ينزع الى تصوير الأحداث الجارية في الحياة اليومية ، ويسجل انفعال الشاعر بهذه الأحداث وانفعال أبناء الشعب بها ، وكان مبعثه احساس الشاعر بالحاجة الى التعبير عن حاجاته حاجات من حوله .

وظهر هذا الاتجاه واضحا جليا لدى شاعر نشأ بعيدا عن الشعب ، ولكن الظروف شاءت أن يكون أول ممثلي الاتجاه الشعبي في الشعر ، هو الخليفة الأموي الوليد بن يزيد . كانت حياته الخاصة قاسية قبل أن يتولى الخلافة ، ف شعر بحاجة الى أن ينفس عما يلقي عن طريق الشعر ، ومن يراجع أخبار الوليد في الاغانى^(١) تتوضح له شعبية الموضوعات التي نظم فيها ، وسهولة اللغة التي اصطنعها في النظم .

وكانت القصيدة العربية في أواخر العصر الأموي « قد وصلت الى تحقيق الشعبية لموضوعات الشعر ، ولكنها كانت تقف في منزلة بين بين بالقياس الى لغتها »^(٢) .

(١) الاغانى ٦/٢٠٧ - ٢٩٤

(٢) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ٢٨٥

ثم انتقل الاتجاه الشمسي الذي حمل لواءه الوليد بن يزيد السلي المرارق ، وأبديت حدوده واتسعت ، حتى غدا تيارا قويا ، ومدرسة ذات خصائص ، تقف في وجه المدرسة الشمسية القديمة ، عالج شمر أوها عواطف الناس وموضوعات حياتهم العامة ، بعيدا عن حياة الخلفاء والامراء ، وموضوعات حياتهم الخاصة .

وأنقضت شمسية الموضوعات أن يعبر الشعراء اللغة التي يؤردون بها تلك الموضوعات ، فظنوا بلغة التسمب اليومية ، لانهم كانوا يتظلمون لآبناء الشعب ، فداع شمرهم بين الناس لسهولة فهمه ، و « أصبح جزا من الثقافة العامة »^(٣) . ولم يقبل أولئك الشعراء وجود ألفاظ شمرية خاصة بل اقبلوا بلقنتهم من لغة التخاطب . وشمسية الشعر لا تعني قفاهته ، وان مال الى ذلك علماء اللغة ورواة الشعر القديم .

الامثلة في الشعر العربي كثيرة ، فبشار على مكاتنته الشمسية وثقافته ، نظم في موضوعات اعتيادية ، كما هبط بلغة الشعر في هـنـه الموضوعات من سماتها الى أرض التسمب ، وهو - كما يرى بعض الباحثين - « أول المنصرفين عن اللغة الكلاسيكية »^(٤) ، وقد لاحظ النقاد تفاوت شمره واختلافه ، ويذهب الدكتور البهيتي الى مذهب بشار وطريقته في الشعر امتداد للمذهب الوليد^(٥) ، ولكنا نجد ان هذا الرأي مبانة وتطرفا .

والسيد الحميري وأبو المتاهية نظما بلغة التسمب في الموضوعات جميعها ، والعباس بن الاحنف اصطلح هذه اللغة في غزله ، وشـمـراء الغناء كانهم نظموا في الموضوعات التسمبية بلغة التسمب ، والمتصفح للاعاني يجد مما ذكرنا الشواهد الكثيرة .

(٣) يراجع اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٥٥٤ - ٥٥٦

(٤) اللقند الادبي وآثره في الشعر العباسي ٤٢

(٥) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ٢٢٩

لقد غدا الأسلوب الشعبي متميزاً ، ابتعد عن الأسلوب العربي الفصيح الذي يطالنا في شعر العصر الجاهلي ، وتلك نتيجة طبيعية ، أملتها التغيرات السياسية والاجتماعية والعقلية التي جرت في أواخر العصر الأموي ثم في العصر العباسي ، ولكن ذلك لا يعني أن الأسلوب الفصيح والشعر الرفيع انطوت صفحاتهما ، فقد ظل الأسلوب الفصيح حياً باقياً ، يستمد حياته من حرصه على البقاء ، ومقاومته لتيار الأسلوب الشعبي . وكان يعتمد العربية الأصيلة ، لغة القرآن ، فبقاؤه مرتبط ببقاء القرآن ، ولذلك وجدنا هذا الأسلوب يتأصل ويرسخ في بيئات العلماء من أصحاب اللغة والقرآن والحديث ، إذ رفض أولئك الأسلوب الجديد ، ونادوا بحركة ترمي إلى تنقية اللغة من الدخيل ، يقول يوهان فك : « حركة تنقية اللغة العربية على عهد هارون الرشيد قد نضجت نضجاً تاماً ^(١) . وكان الأصمعي من أولئك العلماء ، يتشدد ولا يميز إلا أصح اللغات ، وابن الأعرابي الذي رفض شعر كثير من المحدثين .

*

كان أبو العتاهية أبرز شعراء الاتجاه الشعبي في الشعر ، نظم فسي شؤون الحياة المختلفة ، واصطنع فيما نظم اللغة السهلة ، التي تهبط أحياناً إلى الضعف والركاكة .

أما زهدياته ، وهي أغلب ما وصل إلينا من أشعاره ، فتميز بقرب معانيها وهبوط لغتها إلى لغة التخاطب في بعض القصائد ، يقول في إحدى تلك الزهديات :

أسلك من الطرق المناهج	واصبر وإن حملت لاعج
وانبذ همومك أن تضيق	ق بها فإنا لها مخارج
واقض الحوائج ما استطعت	ت وكن لهم أخيك فارح
فلخير أيام الفتى	يوم قضى فيه الحوائج ^(٢)

«(١) العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ٩

«(٢) أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره : ٩١

ويقول في أخرى^١ :

الله يحفظ لا الحراسه
طلب الرئاسة ما علم
والناس يخط بعضهم
ولربما تخطي الفراسه
ت تفاقمت فيه النفاسه
بعضاً على طلب الرئاسة^(٨)

أي فرق نجد بين لغة هذه الايات واغتنا التي نصطنعها للتعبير عن
أمور حياتنا حين نتخاطب فيما بيننا ؟

وهذه آيات من زهدية أخرى تؤيد ما أوردناه من شعبية أبي
العنايه في المعاني واللغة :

نموت جميعاً كلنا غير ما شك
أيانفس أنت الدهر في حال غفلة
أيانفس كم لي منك من يوم صرعة
أيانفس ان لم أبك ممأ أخافه
ولا أحد يبقى سوى مالك الملك
وليس صروف الدهر غافلة عنك
الى الله أشكو ما أعالجه منك
عليك غداً يوم الحساب فمن يبكي^(٩)

وقد انطلق أبو العنايه في غزله من المنطلق نفسه ، فهذه الايات التي
تقرّل فيها بعنة تظهر قرب المعاني وشعبية اللغة :

آه من غمّي وكربي
ما أشدّ الحب يا سبب
ولقد قلت وخمر الـ
يا بلائي من غزال
لم أنل منه نوالاً
أنت ممّن خلق الرحـ
آه من شدة حبي
بحانك اللهم ربّي
حجّ قد أقرح قلبي
قد سببا قلبي ولبي
غير أن كدّر شرّي
من من ذا الخلق حبي^(١٠)

وقال يسأل عتبة عن حالها بعد عارض ألم بها :

يا قرّة العين كيف أمست
أعزّز علينا بما شكيت^(١١)

(٨) أبو العنايه ، أشعاره وأخباره : ١٩٥

(٩) المصدر نفسه : ٢٥٨

(١٠) المصدر نفسه : ٤٨٩

(١١) المصدر نفسه : ٥٠٧

وقال يخاطبها في أبيات من قصيدة أخرى :

بالله يا حلوة العينين زوريني قبل المماتِ والآنَ فاستزيريني
هذان أمران فاختراري أحبهما اليك أولاً فداعي الموت يدعوني
ان شئتِ موتاً فانتِ الدهرَ مالكةٌ روحي وان شئتِ أن أحيا فأحييني^(١٢)

وهذه ابيات قالها في رثاء علي بن ثابت :

مؤنسٌ كان لي هلكٌ والسبيل التي سلكٌ
كل حَيٍّ مملكتِ سوف يفنى وما ملكٌ
يا علي بن ثابت غفر الله لي ولك^(١٣)

والمديح ، ذلك اللون من الشعر الذي حرص الشعراء فيه على اصطناع اللغة العربية الاصلية النقية ، والتمسك بمقومات البيان العربي ، وأعتبروه ميداناً يجتلي قدراتهم الشعرية ، نظم فيه أبو العتاهية باللغة عينها ، وتوسل الى ممدوحيه بالمعاني القرابية التي كان يتحدث بها الى أصحابه والى عموم الناس . يقول في احدى قصائده للرشيدي :

يا رشيد الأمر أرشدني الي وجه نجحي لا عدمت الرشدا
لا أراك الله سواه أبداً ما رأيت مثلك عين أحدا
أعن الخائف وارحم صوته رافعاً نحوك يدعوك يسدا
وابلائي من دعاوى أملك كلما قلت تدانسي بعُدا
كم أمتي بغدٍ بعد غدٍ ينفدُ العمرُ ولم ألقِ غدا^(١٤)

وقال في مدح الهادي :

يا أمين الله مالي لست أدري اليوم مالي
لم أتل منك الذي قد نال غيري مسن نوال

(١٢) أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره : ٦٥١-٦٥٢ .

(١٣) المصدر نفسه : ٥٩٦ .

(١٤) المصدر نفسه : ٥٢١ .

تبذل الحقَّ وتعطي عن يمينٍ وشمال
وأنا اليائس لا تسـ ظرُ في رقعة حالي^(١٥)

*

لقد انعكس صراع الاسلويين : الفصيح والشعبي على آراء النقاد ،
فاختلفوا في أمر أبي العتاهية ، فرفعه بعضهم ، ووضعه بعضهم . والذي
نريد أن نعرفه : هل اصطنع أبو العتاهية اللغة السهلة قصوراً وعجزاً ؟
وهل ما في شعره من ضعف وركاكة أحياناً مطعن " يوجّه إليه وينال من
شاعريته ؟ سنحاول أن تبيّن ذلك مستثيرين بما قدّمته لنا الكتب من
آراء النقاد في عصره وبعد عصره .

اتفق الكثير من الشعراء على تفضيل أبي العتاهية على أنفسهم ،
والروايات في ذلك كثيرة . ورد في الأغاني عن مولى ثوبان بن علي قال :
كنت عند بشار ، فقلت له : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : مخنث أهل
بغداد ، يعني أبا العتاهية^(١٦) .

وفي رواية أخرى عن رجاء بن مسلمة : قلت لسلم الخاسر : من
أشعر الناس ؟ فقال : ان شئت أخبرتك بأشعر الجنّ والانس . فقلت :
إنما أسألك عن الانس فان زدتي الجنّ فقد أحسنت . فقال : أشعرهم
الذي يقول :

سكن " يبقى له سكن " ما بهذا يؤذن الزمن^(١٧)

ونحن نستنكر المبالغة التي اتسم بها حكم الشاعر سلم الخاسر ، الا
أن ذلك لا يفقد الرواية دلالتها على تقديم الشعراء لأبي العتاهية .
أما أبو نواس فطالما عظّم أبا العتاهية ، والروايات في ذلك كثيرة ،

(١٥) أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره : ٦١٩-٦٢٠ .

(١٦) الأغاني ٣/٣١٢

(١٧) الأغاني ٣/٢٥٣

ومن تاريخ بغداد نقل الرواية التالية : كان أبو نواسٍ جالساً مع جماعة فمرَّ بهم أبو العتاهية على حمار ، فسلمَّ ثم أوماً برأسه الى أبي نواسٍ وأنشأ يقول :

لا ترقدنَّ لعينك السهرُ وانظر الى ما تصنع الغيرُ
أنظر الى عبرِ مصرقةٍ ان كان ينفع عينك النظر
واذا سألتَ فلم تجد أحداً فسل الزمان فعضده الخبر
أنت الذي لا شيء تملكه وأحقّ منك بملك القدر^(١٨)

وقبل الخطيب البغدادي روى الأصفهاني في كتابه عن ابن الحارث مولى عباد : حضرتُ أبا نواسٍ في مجلسٍ وأنشد شعراً ، فقال له من حضر في المجلس : أنت أشعر الناس ! قال : أما والشيخ حيّ فلا ، يعني أبا العتاهية^(١٩) .

وسئل ابن منذر : من أشعر أهل الاسلام ؟ ففضّل جريراً من السابقين ومن المحدثين « هذا الخيث الذي يتناول شعره من كنه^(٢٠) » ، يعني أبا العتاهية .

وهناك رواية مهمة عن أبي تمام أنه قال : تكتب من شعر أبي العتاهية خمسة أبيات ، فان أحداً لم يشركه فيها ، ولا تهيأ لأحد مثلها . قوله : -

الناسُ في غفلاتهم ورحى المنيّة تطحنُ
وقوله في أحمد بن يوسف :
ألم تر أن الفقر يرجي له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر

(١٨) تاريخ بغداد ٢٥٩/٦

(١٩) الاغانى ٢٥٦/٣

(٢٠) الاغانى ٢٩٨/٣

الغاهية رأي حسن" ، كما يتوضَّح في الرواية التالية : « عن أبي عكرمة :
حمّ الرشيد ، فصار أبو الغاهية الى الفضل بن الربيع برقعة فيها :
لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا اذا ما ألت أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بال ناس اذا ما وُزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يس تنغى اذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد ، فأمر باحضار أبي الغاهية ، فما
زال يسامره ويحدثه الى أن برى . قال : وحدثت أن ابن الأعرابي
حدث بهذا الحديث ، فقال له رجل " بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق
لما قلت . قال : ولم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابي :-
وكان أحد الناس - الضعيف والله عقلك لاشعر أبي الغاهية . الأبي
الغاهية تقول : انه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبع
ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه الاّ ضرباً من السحر^(٣١) »
فاصطناع أبي الغاهية اللغة السهلة ، وأنحداره الى الضعف والركاكة في
بعض الأحيان لم يقدح في شاعريته عند كثير من النقاد وعلماء اللغة .

وقد قدّمه ممدوحوه على غيره من الشعراء ، وآثروه بالعطايا
والجوائز والمكافآت . أنشد أبو الغاهية الخليفة المهدي مدحته المشهورة :
ألا ما لسيدتي ما لها أدلاً فأحمل ادلالها
وكان هناك جماعة من الشعراء فيهم بشّار ، فقال بشّار بعد أن سمع
القصيدة : أنظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟ ولم يخرج أحد من
الشعراء يومئذٍ بجائزة غير أبي الغاهية^(٣٢) .

وفي تاريخ بغداد : رؤي مروان بن أبي حفصة واقفاً بباب الجسر
كثيباً أسفاً ، ينكت بسوطه في معرفة دابته ، فقيل له : يا أبا السمط
ما الذي نراه بك ؟ قال : أخبركم بالعجب ، مدحت أمير المؤمنين ،
فوصفت له ناقتي من خطامها الى خفيها ، ووصفت الفياقي من اليمامة السى

(٣١) الاغانى ٣/٢٥٤-٢٥٥

(٣٢) المصدر نفسه ٣/٢٧٣-٢٧٤ ، البداية والنهاية ١٠/٢٦٦

بابه أرضاً أرضاً ورملة رملة ، حتى إذا أشفيتُ منه على غناء الدهر جساء
- يعني أبا العتاهية - فأشده بيتين فضمضع بهما شعري ، وسواءً فسي
الجائزة بي . فقل له : وما البيتان ؟

فأشده :

انّ المطايا تشتكك لأنها تطوي اليك سباسباً ورمالاً
فاذا رحلن بنا رحلن مخفّةً واذا رجعن بنا رجعن ثقلاً^(٣٣)

والبيتان مما يثني عليه نقاد الأدب دوماً ، وهما - كما في رواية
أخرى - في مدح عمر بن العلاء ، ورد في العمدة : مدح أبو العتاهية
عمر بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً ، وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ،
فغار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجياً لكم معشر الشعراء ، ما أشدَّ
حسد بعضكم لبعض ، انّ أحدكم يأتينا ليمدحنا ، فينسب في قصيدته
بصديقه بخمسين بيتاً ، فما يلغنا حتى تذهب لاذة مدحه ورونق
شعره ، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات يسيرة ، ثم قال :

انّي أمتُّ من الزمان وريبه لما علقْتُ من الأمير جبالاً

•• •• ••

•• •• ••

انّ المطايا تشتكك لأنها قطعت اليك سباسباً ورمالاً
فاذا وردن بنا وردن خفائفاً واذا صدرن بنا صدرن ثقلاً^(٣٤)

ويورد الرواية صاحب زهر الآداب أيضاً^(٣٥) .

وكما رفعه من ذكرنا من النقاد وأثنوا عليه وضعه غيرهم ، وقدحوا
في شعره ، ونجد عند المرزباني الكثير من ذلك ، ربما لأن كتابه وضع
ليبان ما أخذ العلماء على الشعراء ، يورد عن المدائني أنه قال : « العباس

(٣٣) تاريخ بغداد ٦/٢٥٨

(٣٤) العمدة ٢/١٣٣

(٣٥) زهر الآداب ١/٣٢٤-٣٢٥

ابن الأحنف في الغزل مثل أبي العتاهية في الزهد : يكثران الحسزً ولا يصيبان المفصل «^(٣٦)» . وعن المبرّد أنه قال : « كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه يكثر عثاره ، وتصاب سقطاته ، وكان يلحن في شعره ، ويركب جميع الأعاريض ، وكثيراً ما يركب ما لا يخرج من العروض اذا كان مستقيماً في الهاجس ، فمماً أخطأ فيه قوله :

ولربما سُئل البُخِيْلُ لَ الشَّيْءِ لا يسوَى قَتِيلاً
لأن الصواب لا يساوي ، لأنه من ساواه يساويه^(٣٧) » .

ونعى عليه السكري برودة شعره^(٣٨) ، وبعض المعاني البشعة^(٣٩) ، والخطأ في بعض معانيه^(٤٠) ، وبعض الابتداءات الباردة^(٤١) .

ومن النقاد المحدثين عرض أنيس المقدسي في دراسته لأبي العتاهية كثيراً من عيوبه : عدم اهتمامه بطرح الفث من الألفاظ ، وتكرار الكلمات والعبارات والموضوع ، وعدم التفنن في الخيال^(٤٢) .

ويقول البستاني أن سهولة أبي العتاهية كانت تقوده أحياناً إلى تساهل في التركيب ، يؤدي إلى ركافة بكثرة المكرر والساقط والمرذول^(٤٣) .

وقال لويس شيخو أن سهولته ربما طوّحت بلسانه فنطق بأبيات ضعيفة باردة يسجّها الذوق^(٤٤) .

(٣٦) الموشح ٤٤٧

(٣٧) المصدر نفسه ٤٠٥-٤٠٦

(٣٨) الصناعتين ٦٠

(٣٩) المصدر نفسه ١١٧

(٤٠) المصدر نفسه ١٢٨

(٤١) المصدر نفسه ٤٣٧

(٤٢) يراجع امراء الشعر العربي في العصر العباسي ١٦٦-١٧١

(٤٣) دائرة المعارف [البستاني] ٤٤٨/٤

(٤٤) أبو العتاهية [الروائع] ٥٨٣

۸/۳۱۸ شماره مسلسل (۳۷)
 ۸/۵۳۸ ق.م.ر (۵۳)

دعا ... و ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...
 ...

نستطيع أن نفهم حكم الأصمعي الذي أصاب فيه حين قال : « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجواهر والذهب والتراب والخزف والنوى » .

إنَّ شعر أبي العتاهية ، على ما فيه من الضعف والركاكة في بعض الأحيان ، يعطينا صدق التجربة وواقعتها ، ويتحدَّث إلى نفوسنا بصورة مباشرة ، دون اللجوء إلى التعقيدات اللغوية أو الزخارف البيانية ، ولذلك تميَّله اليوم ونأس إليه كما تقبله الناس في عصره وأنسوا إليه .

المصادر والمراجع

- ١ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره - تحقيق الدكتور شكري فيصل مطبعة جامعة دمشق - ١٩٦٥ •
- ٢ - أبو العتاهية (الروائع) - لويس شيخو اليسوعي - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣١
- ٣ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري - الدكتور مصطفى هدارة دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ •
- ٤ - الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - منشورات دار الحياة ودار الفكر بيروت •
- ٥ - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي - أنيس المقدسي - بيروت ١٩٦٧ - الطبعة السابعة •
- ٦ - البدايات والنهاية - ابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت ومكتبة النصر الرياض ١٩٦٦ •
- ٧ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت •
- ٨ - تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري - الدكتور نجيب محمد البهيتي - القاهرة ١٩٦١ •
- ٩ - خاص الخاص - الثعالبي - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦ •
- ١٠ - دائرة المعارف - فؤاد أفرام البستاني - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٢ •
- ١١ - زهر الآداب - الحصري القيرواني - مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة - ١٩٥٣
- ١٢ - شذرات الذهب - العماد الحنبلي - مطبعة مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ •
- ١٣ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري - القاهرة ١٩٥٢ •
- ١٤ - طبقات الشعراء - ابن المعتز - دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ •

- ١٥ - العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب - يوهان فك
ترجمة عبدالحليم النجار - القاهرة ١٩٥١ .
- ١٦ - العمدة - ابن رشيق القيرواني - مطبعة السعادة - القاهرة
١٩٥٥ .
- ١٧ - المثل السائر - ابن الأثير - مطبعة مصطفى البابي الحلبي -
القاهرة ١٩٣٩ .
- ١٨ - الموشح - المرزباني - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة
١٩٦٥ .
- ١٩ - النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي - الدكتور ناصر الحانبي
مطبعة بغداد ١٩٥٥ .
- ٢٠ - وفيات الأعيان - ابن خلكان - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٤٨ .

موقف ابن الأنباري من القياس

الدكتور فاضل صالح السامرائي
مدرس بكلية الآداب

المقصود بابن الأنباري - في هذا البحث - أبو البركات عبدالرحمن ابن أبي الوفاء محمد بن أبي السعادات عبيدالله بن أبي سعيد كمال الدين الأنباري النحوي^(١) .

والأنباري نسبة الى الأنبار بفتح أوله وسكون النون بعده وهي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور . عمرها سابورين هرمز ثم جدها أبو العباس السفاح^(٢) . ولد بها أبو البركات في شهر ربيع الآخر سنة ٥١٣ هـ^(٣) وقدم بغداد وسكنها من صباه^(٤) قيل ولم يفارقها حتى مات^(٥) . توفي في ليلة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣١٠/١١ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٨٤/٤ ، الروضتين للمقدسي ٢٧/٢ ، المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ٨٥/٢ ، وفيات الاعيان ٣٢٠/٢ ، بغية الوعاة ٣٠١ وفي (انباه الرواة) ١٦٩/٢ (عبدالله) بدل (عبيدالله) ، وفي البداية والنهاية ٣١٠/١١ (عبيدالله بن محمد بن عبيدالله) بينما في طبقات الشافعية الكبرى (عبيدالله بن مصعب) وكذا في هدية العارفين للبغدادي - المجرد الاول ٥١٩ .

(٢) معجم البلدان ٣٦٧/١ ، الانساب ٣٥٢/١ ، وفيات الاعيان ٣٢٠/٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ترجمة عبدالحميد يونس وجماعة ج ١/٣ (٣) انباه الرواة ١٧١/٢ ، مرآة الجنان لليافعي ٤٠٨/٣ ، دائرة المعارف بإدارة فؤاد البستاني ٣٥١/٢ . (٤) انباه الرواة ١٦٩/٢ ، الوافي بالوفيات الورقة ٧٦٣ ، وفيات الاعيان ٣٢٠/٢ ، بغية الوعاة ٣٠١ . (٥) دائرة المعارف الاسلامية لزكي خورشيد ٤/٣ ، دائرة المعارف لفؤاد البستاني ٢٥١/٢

الجمعة تاسع شعبان من سنة سبع وسبعين وخمسمائة للهجرة^(١) .

القياس : -

القياس في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الاصل .
وقيل : هو حمل فرع على أصل بعلة واجراء حكم الاصل على الفرع ،
وقيل : هو الحاق الفرع بالأصل بجامع ، وقيل هو اعتبار الشيء بالشيء
بجامع^(٢) .

وأركانه أربعة : الأصل والفرع والعلة والحكم ، وذلك كأن تركيب
قياسا في الدلالة على رفع نائب الفاعل فتقول : اسم اسند الفعل اليه مقدما
عليه فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل ...

فالأصل هو الفاعل ، والفرع نائب الفاعل ، والعلة الجامعة هي
الاسناد والحكم هو الرفع^(٣) .

وذكر ابن الانباري اقسام القياس فقال انه ينقسم على

١ - قياس العلة : وهو أن يحمل الفرع على الاصل بالعلة التي علق
عليها الحكم في الاصل^(٤) كما مر في رفع نائب الفاعل وحمله على الفاعل
بعلة الاسناد وهو معمول به بالاجماع عند العلماء كافة^(٥) .

٢ - قياس الشبه : وهو أن يحمل الفرع على الأصل بضرب من
الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الاصل^(٦) . وذلك كالاستدلال

(٦) انباء الرواة ١٦٩/٢ ، الكامل لابن الاثير ١١/١٩٤ ، وفيات الاعيان

٢/٣٢٠ ، العبر في خبر من عبر ٤/٢٣١ ، النجوم الزاهرة ٦/٩٠ ،

مرآة انزمان ج ٨/٣٦٨ (القسم الاول) ، الوافي بالوفيات ، الورقة ٧٦٣

(٧) مع الادلة لابن الانباري ٩٣

(٨) مع الادلة ٩٣

(٩) مع الادلة ١٠٥

(١٠) مع الادلة ١٠٥

(١١) مع الادلة ١٠٧

على أعراب الفعل المضارع بأنه يتخصص بعينه شياعه كما أن الاسم
يتخصص بعينه شياعه فكان معربا كالاسم^(١٢) .

وهو معمول به عند أكثر العلماء^(١٣) وهو عنده قياس صحيح يجوز
التمثل به في أوجه الوجهين كقياس العلة^(١٤) .

٣ - قياس الطرد : وهو الذي يوجد معه الحكم وتفقد الاخالة في
«العلة»^(١٥) والاخالة المناسبة . واختلفوا في كونه حجة فذهب قوم الى انه
ليس حجة لانه مجرد الطرد لا يوجب غلبة الظن الا ترى انك لو عللت
بناء (ليس) بعدم التصرف لا طرد البناء في كل فعل غير متصرف ، واعراب
حما لا ينصرف بعدم الانصراف لا طرد الاعراب في كل اسم غير متصرف
في حين انا نعلم أن سبب بناء (ليس) لانه فعل والاصل في الافعال البناء
وأن ما لا ينصرف انما اعرب لانه اسم والاصل في الاسماء الاعراب^(١٦) .

وقد ذهب قوم الى انه حجة^(١٧) .

وان مجرد الطرد لا يكتفي به عند ابن الانباري فلا بد من اخالة أو
شبهه^(١٨) ، وعلى هذا فلا يكون حجة^(١٩) .

ثم ذكر أوجه الاعتراض على الاستدلال بالقياس وذكر أنها سبعة
أوجه :

أ - فساد الاعتبار : وهو الاستدلال بالقياس في مقابل النص عن
العرب .

-
- (١٢) لمع الأدلة ١٠٧-١٠٨
(١٣) لمع الأدلة ١٠٥
(١٤) لمع الأدلة ١٠٩
(١٥) لمع الأدلة ١١٠
(١٦) لمع الأدلة ١١٠
(١٧) لمع الأدلة ١١١
(١٨) لمع الأدلة ١١٠
(١٩) لمع الأدلة ١١٢

ب - فساد الوضع : وهو أن يعلق على العلة ضد المقتضى مثل أن يقول الكوفي : إنما جاز التعجب من السواد والبياض دون سائر الألوان . لانهما أصل الألوان . فيقول له البصري : قد علق على العلة ضد المقتضى لان التعجب إنما أمتنع من سائر الألوان للزومها المحل وهذا المعنى في الاصل أبلغ منه في الفرع .

ج - القول بالموجب : وهو أن يسلم للمستدل ما اتخذته موجبا للحكم من العلة مع استبقاء الخلاف وذلك مثل أن يستدل البصري على جواز تقديم الحال على عاملها إذا كان فعلا متصرفا وصاحب الحال اسما ظاهرا نحو : راكبا جاء زيد فيقول : « جواز تقديم معمول الفعل المتصرف ثابت في غير الحال فكذلك في الحال » .

فيقول له الكوفي : انا أقول بموجبه . فان الحال يجوز تقديمها عندي إذا كان صاحبها مضرا .

د - المنع للعلة كأن يقول البصري : الابتداء يوجب الرفع ، فيقول له الكوفي : لا اسلم .

ه - المطالبة بتصحيح العلة كأن يقال : « إنما بنيت (قبل) لانها قطعت عن الاضافة ، فيقول : وما الدليل على صحة هذه العلة ؟ »

و - النقض : وهو وجود العلة ولا حكم ، وذلك كأن يقول : إنما بنيت حذام وقطام ورقاش لاجتماع ثلاث علل^(٢٠) وهي : التعريف والتأنيث والعدل . فيقول : هذا ينتقض بـ (أذربيجان) فان فيه أكثر من ثلاث علل وليس بمبني .

ز - المعارضة : وهو أن يعارض بعلة مبتدأة وذلك كأن يقول الكوفي في أعمال المتنازعين : إنما كان أعمال الاول أولى لانه سابق على الفعل الثاني فكان أعماله أولى لقوة الابتداء .

(٢٠) يعني ثلاث علل من موانع الصرف

فيقول البصري : هذا معارض بأن الفعل الثاني أقرب الى الاسم من الفعل الاول وليس في أعماله نقص فكان أعماله أولى^(٢١) .

تعارض القياسين :

إذا تعارض القياسان اخذ بأرجحهما وهو أن يكون أحدهما موافقا لدليل آخر من طريق النقل أو طريق القياس .

أما الموافقة من طريق النقل فظاهر ، وأما الموافقة من طريق القياس فكان يستدل الكوفي على أن (أن) تعمل في الاسم النصب ولا تعمل في الخبر بأنها فرع على الفعل في العمل فضعفت عن درجته في العمل فعملت في الاسم النصب ولم تقو على أن تعمل في الخبر الرفع فبقي مرفوعا بما كان يرتفع به قبل دخولها . فيقول له المعارض : هذا فاسد لانه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الاسم النصب الا ويعمل الرفع فالقياس يقتضى انها ترفع الخبر كما تنصب الاسم^(٢٢) .

ولست أدري ماذا يعنى بقوله انه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الاسم النصب الا ويعمل الرفع فأنا نعلم أن المصدر قد يعمل النصب ولا يعمل الرفع^(٢٣) كقوله تعالى (أو اطعام في يوم ذي مسغبة يثما) فقد عمل المصدر النصب ولم يرفع . وكنصب المميز التمييز كأن تقول : « اقبل أحد عشر رجلا » فان النحاة يقولون ان الناصب للتمييز هو المميز فقد عمل النصب ولم يعمل الرفع^(٢٤) .

القياس في النحو :

يقول أبو البركات « اعلم ان انكار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو كله قياس ولهذا قيل في حده : « النحو علم بالمقاييس المستنبطة من

(٢١) انظر الاغراب في جدل الاعراب لابن الانبارى ٥٤-٦٢

(٢٢) نع الادلة ١٣٨-١٣٩

(٢٣) الاشموني ٢٨٣/٢

(٢٤) التصريح ٣٩٥/١

- (٦٤) ١٠٠١-٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)
- (٦٥) ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٥)
- (٦٦) ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٦)
- (٦٧) ٧٨ ١٤٥٣ هـ (٦٧)
- (٦٨) ٥٦ ١٤٥٣ هـ (٦٨)

١٤٥٣ هـ - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤) - ١٠٠١ - ٦٦ ١٤٥٣ هـ (٦٤)

يرى - لا يصح القياس على الشاذ^(٣٠) أو النادر^(٣١) أو القليل^(٣٢) أو على ما لم يسمع من العرب الفصحاء^(٣٣) أو المولد^(٣٤) . ومذهبه في هذا مذهب البصريين فإن الكوفيين يقيسون على الشاذ والنادر وأنهم لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للاصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين^(٣٥) بل هم قاسوا على شطر لا يعلم شطره الآخر ولا يعلم قائله وهو قوله :

● ولكنني من جها لعميد^(٣٦) ●

ويقول : « لو طردنا القياس في كل ما جاء شاذا مخالفا للاصول والقياس وجعلناه أصلا لكان ذلك يؤدي الى أن تختلط الاصول بغيرها وأن يجعل ما ليس بأصل أصلا وذلك يفسد الصناعة بأسرها وذلك لا يجوز^(٣٧) » .

مما تقدم يمكن أن نلخص رأيه في القياس بما يأتي :

١ - للقياس أربعة أركان أصل وفرع وعلة وحكم .

٢ - وهو على ثلاثة أقسام : قياس علة وقياس شبه وقياس طرد وان كلا من قياس العلة وقياس الشبه مقبولان عنده واما قياس الطرد فليس حجة فلا بد من (اخالة) أو شبهه .

(٣٠) أسرار العربية ١٦٩ ، الانصاف ٢/٢٤٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، اسرار العربية ٢٤٥

(٣١) أسرار العربية ١٥٥

(٣٢) أسرار العربية ٣٣٨

(٣٣) أسرار العربية ٢٢٩

(٣٤) لمع الادلة ٨١

(٣٥) الاقتراح للسيوطي ١٧ ، ٨٤ ، طبقات الزبيدي ٢/٢٨٤ ، الهمع ٤٥/١

(٣٦) الاقتراح ص ٢٧

(٣٧) الانصاف ٢/٢٤٢

- ٣ - هناك اعتراضات على القياس من سبعة أوجه ينبغي أن تراعى وهي : فساد الاعتبار وفساد الوضع والقول بالموجب والمنع للعلّة والمطالبّة بتصحيح العلة والنقض والمعارضة .
- ٤ - يقاس على الكلام العربي الفصيح المنقول نقلاً صحيحاً بشروط مرعية .
- ٥ - إذا تعارض القياسان أخذ بأرجحهما وهو أن يكون أحدهما موافقاً لدليل آخر من طريق النقل أو طريق القياس .
- ٦ - النحو كله قياس وان انكار القياس في النحو لا يتحقق .
- ٧ - أما اللغة فهي نقل لا قياس .
- ٨ - لا يجوز القياس على الشاذ أو النادر أو القليل وهو في هذا النحو منحى البصريين .
- ٩ - لا يصح القياس حتى يساعده الاستعمال العربي الفصيح^(٣٨) .
- ١٠ - القياس على الفاسد فاسد^(٣٩) .
- ١١ - قد يتكلم العربي الفصيح بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه وينحرف عن سنن أصوله وذلك مما لا يجوز القياس عليه^(٤٠) .

(٣٨) أسرار العربية ٢٢٩

(٣٩) الانصاف ١/١٢٦

(٤٠) الانصاف ٢/٢٩٨

مراجع البحث

- ١ - أسرار العربية لابي البركات بن الانباري تحقيق محمد بهجة البيطار - مطبعة الترقوي بدمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م •
- ٢ - الأعراب في جدل الأعراب لابي البركات بن الانباري - مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م طبع مع رسالة (لمع الأدلة) له •
- ٣ - الاقتراح لجلال الدين السيوطي طبعة دهلي •
- ٤ - أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين ابن الحسن علي ابن يوسف القفطي تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م •
- ٥ - الانساب للإمام ابي سعيد بن السمعاني ط١ - حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م •
- ٦ - الانصاف في مسائل الخلاف لابي البركات بن الانباري تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط٣ مطبعة السعادة •
- ٧ - البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة •
- ٨ - بغية الوعاة للسيوطي •
- ٩ - التصريح على التوضيح للازهري - دار احياء الكتب العربية •
- ١٠ - دائرة المعارف الاسلامية ترجمة عبدالحميد يونس وجماعته •
- ١١ - دائرة المعارف - فؤاد البستاني •
- ١٢ - شرح الاشموني على الفية ابن مالك - دار احياء الكتب العربية
- ١٣ - طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب السبكي ط١ المطبعة الحسينية المصرية •
- ١٤ - طبقات النحويين والمغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ط١ ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م •
- ١٥ - العبر في خبر من غير للحافظ الذهبي تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد أصدار وزارة الارشاد والانباء في الكويت •
- ١٦ - الكامل لابن الاثير •

- ١٧ - كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي مطبعة
وادي النيل بمصر القاهرة سنة ١٢٨٧هـ .
- ١٨ - لمع الادلة لابن الانباري طبع مع رسالة الاغراب له .
- ١٩ - المختصر في اخبار البشر لابي الفدا .
- ١٩ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان للامام أبي محمد اليافعي ط ١
حيدر آباد الدكن ١٣٣٨ .
- ٢١ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لشمس الدين أبي المظفر الشهير
بسبط ابن الجوزي ط ١ حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
- ٢٢ - معجم البلدان لياقوت .
- ٢٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
- ٢٤ - الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ج ١٥-١٧ القسم (٢)
مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد برقم م ٩٢٠ ص ف و .
- ٢٥ - وفيات الاعيان لابن خلكان نشر مكتبة النهضة المصرية ط ١
١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
- ٢٦ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي - استانبول ١٩٥١ .
- ٢٧ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي سنة
١٣٢٧هـ. مطبعة السعادة بمصر .

الأقتصاد وأثره في شعراء العصرين الأموي والعباسي

قحطان رشيد التميمي
كلية الآداب
محاضر في الجامعة المستنصرية

لا شك أن للعامل الاقتصادي أثرا كبيرا في حياة الناس عامة والشعراء بصورة خاصة . وينعكس هذا الأثر الكبير على ما ينتجه هؤلاء الشعراء . وللحياة الاقتصادية - بلونها الجيد والسيء - تأثيرها العظيم في حياة الشعوب منذ القديم وإلى اليوم ، من حيث المجتمع الذي يعيشون في ظلاله ، ومن حيث مستوى معيشتهم وعلاقة الأفراد بحكامهم ، وعلاقتهم بعضهم ببعض الآخر .

ومنذ القديم وإلى اليوم تناضل هذه الشعوب من أجل حياة كريمة سعيدة ، ومن أجل أسترداد ثروتها من أيدي مستغليها ، من ولاة الأمور والقادة ورجال الأقطاع ، وفي العصر الحديث بدت تبشير نظم العدالة الاجتماعية والمساواة تظلل حياة الكثيرين على هذه الأرض .

لقد كانت حياة الترف والنعيم وفقا على مجموعة قليلة من الناس ، بينها الخليفة وآل بيته وقادته وولاته . والمتنفذون بيدهم المال والسلطان ، بينما تعيش عامة الناس في فقر مدقع وحياة بؤس وشقاء لا حد لهما . هذا الذي أقوله عن التفاوت بين عيش أقلية مترفة وأكثرية شقية ، يصدق على العصرين الأموي والعباسي على حد سواء . فقد أمثأت حجور الخلفاء والأمراء وأبناء المتنفذين بالأموال الطائلة والثروات الواسعة ، يمنحون من يشاؤون ، ويمنعون عمَّن يشاؤون . ولا تريد هنا الأفاضة فسي الحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في هذين العصرين ، لأن ذلك

مكانه كتب التاريخ وتاريخ الادب ، ولكننا نكتفي بأيراد عبارة للدكتور شوقي ضيف في معرض حديثه عن المجتمع المكي والمدني في عصر بني أمية اذ يقول : « ان مجتمع مكة كان على غرار مجتمع المدينة ، حضارة وترفا ومرحا ورقة وغناء وعزفا واعدت هذا كله شعراء مكة لان يجري جمهور شعرهم في الغزل والحب^(١) » . واذن فالترف ورقصة العيش سبب مباشر في أن يقصر الشعراء ، الى حد كبير في مثل هذا المجتمع ، شعرهم على الغزل والحب والمرح ، وأن يكتفوا هذا الشعر لان يجري مع فن الغناء جريا ، ولان يكون مادته الاساسية . وفي مثل هذا المجتمع الغني يرغب الشعراء عن كثير من الاغراض الشعرية الاخرى كالمدح مثلا ، كما هو الحال مع عمر بن أبي ربيعة واضرابه ، ولست أريد هنا أن أقول بأن النعيم والترف هما السبب في نشأة الغزل وشعر اللهو ، وإنما أقول : بأنهما سبب في توسعه وتطوره وانكباب مجموعة من الشعراء عليه ، والا فالغزل موجود في كل عصر ومصر وتحت جميع ظروف الحياة .

ويرجع الدكتور شوقي ضيف شيوع الغزل المادي الصريح فسي المدن الحجازية ، وانتشار الغزل العذري العفيف في نجد وغيرها من البيئات البدوية ، الى نعومة العيش والترف اللذين عاشهما سكان هذه المدن ، وما كان عليه سكان هذه البوادي من بؤس وشظف عيش^(٢) . ونحن مع الدكتور شوقي في ما ذهب اليه ، وان كنا نرى ان هنالك عوامل أخرى - كالسياسة الاموية ورقة طبع الشعراء واستعدادهم الذاتي - قد تضافرت مع العامل الاقتصادي في اتجاه أكثر الشعراء في هذه البيئة نحو فن الغزل .

(١) تاريخ الادب العربي : العصر الاسلامي ص ١٤٧ . الدكتور شوقي ضيف .

(٢) تاريخ الادب العربي ، العصر الاسلامي . شوقي ضيف ص ٢٠٨

فلولا وفرة المال وكثرة الرقيق والمغنين وتسامح السلطة الاموية ، لما أتجه عمر وآخرون معه هذا الاتجاه ، واذا لم يكن هذا فعلى الأقل لكنا وجدناه ومن شاركه في حياته هذه يتجسه صوب الخلفاء والولاة يمدحهم ويستمنحهم ، ولربما لم يكن ليتيج ما أتجه من هذا الغزل الطريف .

هذا الذي حدث في مكة والمدينة نجد نظيره في دمشق حيث الخلفاء والمترفون وأصحاب الثروات ، ولعل أبرز من حددّ لين العيش والنعيم أتجاههم الفني هنا في دمشق ، الوليد بن يزيد الاموي هذا الامير المترف اللاهي الذي قضى حياته بين الكواعب الحسان ومجالس الخمرة المعتقة لا يقول الشعر الا في الحديث عن لذاته ومجالسه وجميلائه ، دون ان يتطرق الى الاغراض الشعرية الاخرى التي تدفع اليها حاجات الحياة . ولنسمعه يتحدث عن عيشه الهنيء ولذاته والجو الذي كان يحياه فهو يقول^(٣) :

ولقد قضيت - وان تجلّل لمتي شيب - على رغم العدا لذاتي
من كاعبات كالدّمى ومناصفٍ ومراكبٍ للصيد والنشوات
وهو مرة أخرى يطلب النعيم ويترك الهموم ظهريا بما يلهيه من
كؤوس الخمرة وغضارة العيش اذ يقول^(٤) :

أصدعُ نجيَّ الهموم بالطربِ وأنعم على الدهر بابتة العنبِ
واستقبل العيش في غضارته لا تنقُ منه أنار معتقبِ
من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تلو على الحقبِ

وهذا الذي وجدناه من أثر العامل الاقتصادي - في حالته الحسنة - في العصر الاموي نجده عند أكثر من شاعر عباسي . وربما كان ابرزهم وأشهرهم العباس بن الاحنف وعبدالله بن المعتز . فكلا هذان الشعاران

(٣) الاغانى . للاصبهاني ١٢/٧ ط . دار الكتب .
(٤) المصدر السابق ١٩/٧

مترق موسى متعم لم يعرف الشقاء والبؤس في الحياة * عن الاول يقول
صاحب الاغاني : « كان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد الترف ، وذلك
يسن في شعره ، وكان قصده الغزل وشغله النسيب ، وكان حلوا مقبولا
غزلا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده ، ولم يكن
هَجَاءَ ولا مدَّاحاً^(٥) » * فابتعاد الاخف عن المديح والهجاء وتوفره على
الغزل وحده يعود الى شدة ترفه وتنعمه وعيشه الرغيد * فرقة عيشه
سبب في عدم مدح الاغنياء طلبا لاعطيائهم وصلاتهم كما هو شأن الكثيرين
من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه * والاقبال على الغزل دون الفنون
الشعرية الاخرى هو الذي خلق منه شاعر الحب العذري المتصوف في
عصر بني العباس *

وعن ابن المعتز قال الاصبهاني : « فليس يمكن واصفا لصبوح ، فسي
مجلس شكل ظريف ، بين ندامى وقيان ، وعلى ميادين من السور
والبنفسج والترجس ومنضود من أمثال ذلك ، الى غير ما ذكرته من
جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات ورقة الخدم ، ان يعدل
بذلك عما يشبهه من الكلام السيط الرقيق الذي يفهمه كل من حضر ،
الى جعد الكلام ووحشية ، والى وصف البيد والمهامة والظبي * الخ^(٦) » *
والذي تقدم يكشف عن السبب الذي دعا ابن المعتز الى أن يكثر من قول
الشعر في الاغراض التي يتناسب مع حياته المترفة اللاهية في الحب والغزل
والطرد وما الى ذلك * وهو ان مدح أو أفتخر فانما يتكلف المديح والفخر
في آله العباسيين لانه لم يكن بحاجة الى أن يتكسب بمديحه * وهذا هو
الذي أدى الى أن يكون شعره رقيقا سهلا بعيدا عن التعقيد والوحشي
من الكلام * ولعل المقطوعة التالية تفسر اندفاعه في حياة اللهو والبس
والبحث عن اللذات والابتعاد عن الاحزاب ومعتك السياسة ، فقد كان

(٥) الاغاني ٣٥٣/٨ ط ٠ دار الكتب

(٦) المصدر السابق ٢٧٤/١٠

له من الشباب والفراغ والمال والشاعرية ما يلهيه عن مشاكل الحياة السياسية ويبعده عنها الى وصف القصور والرياض والحديث عن الخمر والحسان ، فلقد لخص ابن المعتز وجهة حياته الخاصة في هذه الايات حين قال^(٧) :

قليل هموم القلب الا للذة ينعم نفساً آذنت بالتنقل
فان تطلبه تقتنصه بحسنة والا يستبان وكرم مظلل
يعبئ ويسقي أو يسقي مدامة كمثل سراج لاح في الليل مشعل
ولست تراه سائلاً عن خليفة ولا قائلاً : من يعزلون ومن يلي
ولا صائحاً «كالتور» في يوم لزوة يناظر في تفضيل عثمان أو علي
ولكنه فيما عنساء وسرء وعن غير ما يعنيه فهو بمعزل

فأتجاه ابن المعتز هذا لم يكن الا ثمرة من ثمرات الاكتفاء الاقتصادي وأثر من آثار ترفه ونعيمه ، وهو نتيجة من نتائج الحالة الاقتصادية الحسنة التي كان يعيشها . ولولا هذا الترف والنعيم لما وجدناه يكثر من هذه التشبيهات التي لا تتجلى صورها الا لمن يعيشون عيش هناء ويسر وترف ، فمن تشبيهاته قوله في وصف ليمونة^(٨) :

ياحبذا ليمونة تحدث للنفس العجب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

وقوله يصف الهلال^(٩) :

فانظر اليه كزورق من فضة قد انقلته حمولة من عنبر

وقد لاحظ ابن الرومي أثر ترف ابن المعتز في شعره فأجاب من قال له : لم لاتشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ بقوله : لا يكلف الله

(٧) ديوان ابن المعتز ٣/٩٠ ط . المعارف

(٨) ديوان ابن المعتز ص ٩٠ ط . دار صادر .

(٩) المصدر السابق .

نفسها الا وسعها ، ذلك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء ، وأنا أي
شيء أصف؟^(١٠)

وحيث تسوء حالة الشعراء الاقتصادية فيعانون من شظف العيش
وقسوة الحياة ، نجدهم يبتالون لكسب المال كل احتيال ، فلقد امتطى
الشعراء المعوزون غرض المديح ، يظفرون عن طريقه بما يريدون الظفر
به من الهبات والعطايا ، ومن اجل هذا اتسع باب المديح أيما اتساع وكثر
شعراؤه كثرة مفرطة . ولو كان هنالك مجتمع عدل ومساواة لما ازدحمت
حجور قلة قليلة بالاموال والثروات ، ولما اضطر الشعراء الى أن يريقوا
ماء وجوههم على أعتاب هذه القلة من أجل أن يكسبوا لقمة عيشهم وعيش
أطفالهم ، ولما اضطروا الى أن يكذبوا على أنفسهم قبل ممدوحهم في ما
يصوغونه من المبالغات المفرطة من أجل أن يستدروا اصحاب المال والثروة .
وقد يضطر الضيق والعوز الشاعر الى أن يترك دياره وأهله ويشد
رحاله الى حيث يقيم الخليفة أو من بيده المال ، ولهذا كثرت الرحلة في
سبيل التكب ، فكثير من الشعراء من ارتحل الى هنا وهناك يمدح
ويستمح ، ولعل الاعشى في الجاهلية أول من ارتحل في سبيل المال
والعطاء فهو يقول^(١١) :

وقد طفت للمال آفاقه : عمان ، فحمص فأورشليم
اتيت النجاشي في ارضه وارض النبط وارض المعجم
وفي العصر الاموي طالما ترك الشعراء بواديهم الى دمشق او مصر
طلبا للعطاء كما نجد ذلك عند جرير ونصيب وذو الرمة وغيرهم ، قال
ذو الرمة^(١٢) :

وما كان مالي من تراث ورثته ولا دية كسانت ولا كسب مائهم
ولكن عطاء الله من كل رحلة الى كل محجوب السرايق خضرم

(١٠) العمدة . ابن رشيق ج ٢ ص ٢٣٦-٢٣٧ ط . السعادة

(١١) ديوان الاعشى ص ٢٠٠ ط . دار صادر .

(١٢) العمدة ٨٥/١

وكان هذا شأن الشعراء في عصر بني العباس ، فمن منا من لم يسمع
قول أبي نواس حين قصد الخصيب في مصر يطلب عطاءه^(١٣) :

تقول التي عن بيتها خفٌ مركبي عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب بلى ان اسباب الغنى لكثير

ولم يكن شعراء المديح ليكتفوا بالرحلة هذه ، وإنما كانوا يشفعون
مديحهم بالتعريض بما يريدون والتصريح بما يطلبون كالسدي نقرأه في
قول ليلي الاخيلية تستمنح الحجاج^(١٤) ، وفي قول نصيب يستيب سليمان
بن عبد الملك^(١٥) :

اقول لركب صاددين لقيتهم قفا ذات أوшал ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان اني لمعرفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فانتوا بالسدي انت أهله ولو سكتوا أنت عليك الحقايب
ونظير هذا قول ابي العتاهية في عمر بن العلاء^(١٦) :

ان المطايا تشتكك لأنها قطعت اليك سلباً ورمالاً
فاذا وردن بنا وردن مخفةً واذا رجمن بنا رجمن ثقلاً

ولم تكن سعة باب المديح وكثرة ارتحال الشعراء وسفرهم من مكان
الى اخر طلباً للعطاء من ثمرات سوء حالهم وعسرهم وضيق ذات يدهم
حسب ، بل أن ذلك العسر أدى الى التناقض الشديد بين الشعراء وتهاجيمهم
مع بعضهم ومحاولة كل واحد منهم أن يستأثر بممدوح معطاء وبهدية
كبيرة ، يقول سلم الخاسر معرضاً بمروان بن أبي حفصة^(١٧) :

من مبلغ مروان عني رسالة مغلفة لا تشني عن لقائسكا
جباني أمير المؤمنين بنفحة ثمانين القاططات من جبايسكا

(١٣) ديوان ابي نواس ص ٤٨١ ط ٠ مصر

(١٤) الامالي للقالبي ١/٨٦ ط ٠ المكتب التجاري

(١٥) الاغانى ١/٣٣٧ ط ٠ دار الكتب

(١٦) الاغانى ٤/٣٨

فيرد عليه مروان بقوله^(١٨) :

اسلم بن عمرو قد تعاطيت خُطبة تقصّر عنها بعد طول عنائك
رأيت امرأً نال السها فحسدته فلم يبق الا أن تموت بدائك
طلبت من المهدي شطر جباة فقال لك المهدي : لست هنالك

ومثل هذه المنافسة وقع بين ايان اللاحقي والمعدل بن غيلان^(١٩) ، وبين أبي العتاهية وسلم الخاسر^(٢٠) ، وبين مروان بن أبي حفصة وأبي الشمقم^(٢١) .

وإذن ففكرة المديح والرحلة في سبيل المال والتهاجي والمنافسة بين الشعراء ، كل هذا أثر من آثار سوء الحالة الاقتصادية التي كان يعيشها الشعراء .

لقد عاشت الطبقة العامة في هذين العصرين محرومة شقية لا تملك ما يكفيها لعيش بسيط ، بينما كانت طبقة المتنفذين تلهو وتعبث على حساب الأكثرية المظلومة . وليس هذا حسب ، فإن العمال والولاة جاروا أي جور وظلموا أي ظلم ، فقد راحوا يفرضون كثيراً من الضرائب البشعة ويلحون بجبايتها بأخس الطرق وأشعها ، ولهذا ضجّ الناس بالشكوى ورفع الشعراء أصواتهم يطالبون الخلفاء بأن يرفعوا عنهم هذا الحيف والظلم ، ولعل من أرق قصائد الشكوى وعرض سوء الحال تلك الأبيات التي قالها الراعي السيري في حضرة عبدالمملك مروان^(٢٢) :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة تشكو اليك مزلّة وعويلا
أخليفة الرحمن انا مشرر حفاء نسجد بكرة وأصيلا

(١٧)(١٨) العمدة . ابن رشيق ٨٥/١ ط . السعادة

(١٩) أخبار الشعراء للصولي ص ٨ ط . هيوارت د ن

(٢٠) معجم الادباء ٢٤٧/٤

(٢١) الاغانى ٧٩/١٠

(٢٢) جمهرة اشعار العرب للقرشي ٢٣٣-٢٣٤ ط . دار صادر

فإن السعاة عصوك يوم أمرتهم واتوا دواهي لو عملت وغولاً
فادفع مظالم عيئت انساءنا عنا واتخذ شلونا الماكولاً

وتظل شكوى الشعراء مريرة دائمة بعد عبدالملك ، وحتى في عصر
الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز يرتفع صوت كعب الاشقري يشكو
سوء معاملة العمال للناس ، ويدعوه الى أن يضربهم ويجلدهم كسي
يستقيموا ، فيقول^(٢٣) :

ان كنت تحفظ ما يليك فانما عمال ارضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلّد بالسيوف رقاب
ويخطبه آخر مشيراً الى ظلم ولاته وجور عماله للناس واستحلالهم
الحرام ونبذهم لكتاب الخليفة فيقول^(٢٤) :

أن الذين بعثت في أقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على مناير ارضنا كل يجور وكلهم يتظلم
واردت أن يلي الامانة منهم عدل وهيئات الامين المسلم

وفي العصر العباسي يتسع باب شكوى سوء الحال أيما اتساع ، فقد
تزايد سوء الحالة الاقتصادية وتفاقت الشكوى من العوز والحاجة والجوع
حتى ضجّ أكثر شعراء هذا العصر - وخصوصاً شعراء القرن الرابع -
بالشكوى وبعرض سوء حالتهم وضيق ذات يدهم . قال ابو الشيمق
يتحدث عن فقره وبؤسه وجوع أطفاله^(٢٥) :

وقد دنا القطر وصياتنا ليسوا بنبي تمر ولا أرز
وذلك أن السدر عاداهم عداوة الشاهين للوز
قلو رأوا خبزاً على شاهق لاسرعوا للخبز بالجمز
ولو أطاقوا القفز ما فاتهم وكيف للجائع بالقفز

(٢٣) البيان والتبيين . للجاحظ ج ٣ ص ٣٥٨ ط . لجنة التأليف
والترجمة والنشر .

(٢٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٥٩ .

(٢٥) شعراء عباسيون ص ١٤٠ . منشورات دار مكتبة الحياة

وهذا ابن الحجاج يشكو سوء حاله الى ابن العميد فيقول^(٢٦) :
فداؤك نفس عبد انت مولى له يرجوك ياخير الموالي
فلحمني ليس تطبخه قسدوري وحتوي ليس تقيه المقالي
ومائي قد خلت منه جبابي وخيزي قد خلت منه سلاي
وكيسي الفارغ المطروح خلفي بعيد العهد بالقطع الحلال

وكثيرا ما تفتن شكوى سوء الحال بشكوى الزمن ، فالعـسـوزون
يلومون الدهر ويدمونه ملقين عليه تبعه بؤسهم وفقـرهم ، وما ذلك الا تفسير
خاطيء لوضعهم الاقتصادي السيء واسبابه ، فلو أنهم نظروا لحالهم مليا
لما وجدوا غير الظلم الاجتماعي وسوء النظام الاقتصادي سببا لما هم فيه من
ظلم واستغلال .

ولسنا هنا بصدد المزيد من أمثلة شكوى الولاة وسوء الحال فسأن
الأمثلة على ذلك كثيرة تردحـم بها مصادر الادب العربي . ولكننا نريد ان
نقول : ان ازدهار فن الشكوى واتساعه وكثرة القائلين فيه يرجع الى سوء
الحالة الاقتصادية التي كان يعيشها عامة الناس بما فيهم الشعراء .

ولم تكن الشكوى ثمرة العوز والجوع وسوء الحال حسب ، بل أن
ذلك كثيرا ما دفع بعض الشعراء للانحراف عن دينهم ، وكان محمد بن
احمد المعروف بالمتيم وجد الدين شأنا من شؤون الطبقة المترفة المتنفذة ،
فراح يعلل تركه للصلاة بسبب فقره وعوزة ، وأعلن أنه سيعود الى عبادته
وصلاته ان أغناه الله كما اغنى اصحاب العبيد والجواري فهو يقول^(٢٧) :

تلوم على ترك الصلاة خليلتي فقلت: اغربي عن ناظري انت طالق
فوالله لا صليت لله مفلساً يصلي له الشيخ الجليل وفائق
وناش وبكتاش وكنباش بعده ونصر بن ملك والشيوخ البطارق
وصاحب جيش المشرقين الذي له سراديب مال حشوها متضايق

(٢٦) معجم الابهاء . ياقوت ٩/٤ ط . هندية .

(٢٧) اليتيمة للشعالي ١٥٧/٤ ط . السعادة

لماذا أصلي؟ أين باعي ومنزلي؟
 وابن خيولي والملى والمناطق؟
 وابن عبيدي كالبدور وجوههم؟
 وابن جوارى الحسان العواتق؟
 أصلني ولا فتر من الأرض يحتوي
 عليه يميني؟ انني المنساق
 تركت صلاتي للذين ذكرتهم
 فمن عاب فعلي فهو أحق مائق
 بلى ان علي الله وسع لم أزل
 أصلي له ما لاح في الجو بارق
 فان صلاة السبي الحال كلها
 مخارق ليست تحتن حقائق
 وابن سكرة يبيع دينه برغيف خبز في معرض شكواه الى اخدهم
 فيقول (٢٨) :

اليك يحيى اشتكائي صحوي بيوم طريف
 ولست مضمّر نسك كلا، ولا بعفيف
 ولو أسام بديني لبعته برغيف

ولست أشك بتحلل هذا النفر من الالتزام الديني ، ولكن سوء الحال
 وشدة الفقر علة كفرهم وسبب من أسباب هذا التحلل وهذا الانحراف ،
 وقديما قالها النبي الكريم : « كاد الفقر أن يكون كفرا » .
 ولم يكن سوء الحالة الاقتصادية وفساد النظام الاجتماعي سببا في
 كل ما تقدم حسب ، بل انني أرجع انحراف الكثيرين من الشعراء عن
 مذاهبهم السياسية الى حاجتهم الى المال الذي يكتنزه الخلفاء ومن يدهم
 السلطة . فكثير من شعراء الاحزاب والمذاهب لم يتقربوا الى العباسيين
 ويمدحهم وينحرفوا عن احزابهم الا بسبب طمعهم بأموالهم وعطاياهم
 والا فكيف نفسر موقف ابان اللاحقي^(٢٩) ومنصور النميري^(٣٠) وغيرهما من
 الحكم العباسي وتأيدته ، وهما الشاعران المعروفان بتجاهمهما الشيعي؟
 فهذان الشاعران أتصلا بالعباسيين بسبب حاجتهم ورغبتهم بالثروة التي في
 أيديهم منحرفين عن عقيدتهما .

(٢٨) المصدر السابق ٢١/٣

(٢٩) أخبار الشعراء ، الصولي ص ١٤

(٣٠) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ص ٢٤٤ ط٠ دار المعارف بمصر

ويتضح مما تقدم ان للاقتصاد ونظامه أثرا عظيما في الشعر ، اغراضه ومعانيه ، فحيث تكون النعمة والمال وترف العيش يزدهر فن الغزل واغراض اللهو والعبث كما رأينا عند عمر بن ابي ربيعة والوليد بن يزيد وابن الاخنف وابن المعتز . بينما تنمو اغراض المديح والشكوى حيث يسوء النظام الاقتصادي وتوسع الفروق الطبقة بين فئة غنية مستقلة واكثرية فقيرة معدمة كالذي وجدناه في شعر الراعي والاشقري والمتميم وغيرهم .

مصادر البحث

- ١ - أخبار الشعراء . الصولي . تحقيق هيوارت دن
- ٢ - الاغاني . الاصفهاني . ط . دار الكتب
- ٣ - الامالي . القالي ط . المكتب التجاري
- ٤ - البيان والتبيين . الجاحظ . ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ٥ - تاريخ الادب العربي . العصر الاسلامي . شوقي ضيف .
- ٦ - جمهرة اشعار العرب . القرشي . ط . دار صادر
- ٧ - ديوان الاعشى . ط . دار صادر .
- ٨ - ديوان ابن المعتز ط . دار صادر . ط . المعارف
- ٩ - ديوان ابي نواس ط . مصر
- ١٠ - شعراء عباسيون منشورات دار مكتبة الحياة
- ١١ - طبقات الشعراء . ابن المعتز . ط . دار المعارف بمصر .
- ١٢ - العمدة . ابن رشيح . ط . السعادة .
- ١٣ - معجم الادباء . ياقوت . ط . هندية .
- ١٤ - تيسية الدهر . الثعالبي . ط . السعادة .

مَسْرَحُ عَزِيزِ ابَاظَةَ

بقلم الدكتور كمال نشأت

أستاذ مساعد

بالجامعة المستنصرية

يمثل مسرح عزيز اباطة في تاريخ المسرح الشعري العربي مرحلة ثانية هي امتداد لمرحلة أحمد شوقي ، وان لم تستطع ان تخرج عن الاطار الذي حدده شوقي . وليس من شك في أن المحاولات السابقة في التأليف المسرحي الشعري قد طوعت اللغة العربية لهذا الفن الجديد كما طوع شوقي المسرحية أمام عزيز أباطة على الرغم من ان مسرحه لم يرتبط بمسرح معين ، فقد استفاد من المسرح الكلاسيكي والرومانيكي ، فهو لم يتقيد بالوحدات الثلاث كما فعل الرومانيكيون ، كما جمع مثلهم بين موضوع رئيسي وموضوع ثانوي ، وتنقل بالمسرحية من مكان الى مكان وفصل بين الفصول بازمان متفاوتة البعد^(١) ، ومثله فصل اباطة في أغلب مسرحياته . واذا كان شوقي هو أول من كتب مسرحا شعريا ناجحاً بالنسبة الى سابقه ، فإن ما كتبه هؤلاء كان الدرب الاول الذي قاد شوقي الى ما وصل اليه . وعلى الرغم من فجاجة هذه الابتداءات ، فان شوقي قد تأثر بها وتابع نهجها حينما اتخذ موضوعه المسرحي من التاريخ ، وكذلك فعل عزيز اباطة في اغلب مسرحياته ، فقد اختار مثله شخصيات تاريخية ، وتابعه في طريقة ادارة الحوار ، وفي الاهتمام بالمواقف التي تعتمد الغناء الشعري .

(١) عن مسرحيات عزيز اباطة - ص ٦٢

واعتماد الشعراء على التاريخ يستمدان منه اغلب مسرحياتهما شئ .
طبيعي بالنسبة لتاريخ المسرح العربي ولظروف العصر والبيئة ، وان كان
الرجوع الى الماضي يحمل نفساً رومانتيكياً قد يجنح المسرحية فتطير في جو
الحلم . وكثير من المسرحيات التي تناول أحداثاً تاريخية ، تستهدف لونا
من الاصلاح قد يكون اجتماعيا او وطنيسا الخ دون ان يشير المؤلف
الى أنه يقصد بتناول هذه الاحداث التاريخية واقعه المعاصر ، فهو بتقسده
أوضاعاً قديمة معينة ، يوحي باصلاح اوضاع خاطئة مماثلة ومعاصرة ايضاً ،
وقد سأل بعض الأدباء أحمد شوقي عن السر في اختياره لفترات الضعف
التاريخية فكان رده أن مصر تجتاز مثل هذه الفترات . والى نفس الغرض
يذهب عزيز أباطة حينما وجه الحديث في اهداء مسرحيته (غروب
الاندلس) الى أمته الناهضة ضاربا لها الامثلة من تاريخ الأمم (لعل العظة
بالاعتبار ألصق بالشاعر من العظة بالنصيحة) (١) .

والفارق هنا بين عمل المؤرخ وعمل الكاتب المسرحي ، هو أن
المؤرخ لا يملك حرية التصرف فيما يسجل . أن عمله هو ذكر الوقائع
والاحداث كما تمت في واقعها المادى بينما يستطيع الكاتب المسرحي أن
يؤول هذه الاحداث فنيا ، وان يتخيل اشياء او شخصيات لا وجود لها في
الواقع من الممكن أن تتحرك بجوار الشخصوس التاريخية المعروفة بشرط
أن تخضع لمنطق العصر والبيئة والاحداث . وليس من شك في أنه يختار
شخصياته التاريخية من الشخصيات ذوات الحياة الخصبية ، حتى يختار من
وقائع هذه الحياة مادة غنية مثلما رأينا شوقي وأباطة يفعلان ، وان كان
أباطة قد آثر في عدد من مسرحياته ان تكون هذه المادة داخل اطر
(الأسرة) بحيث أصبحت - أى الأسرة - محور مسرحه الشعري ، وهي
ظاهرة تحتاج الى تعليق . ولعلنا نستطيع أن نقرب مسن تحليلها الصحيح
حينما نعرف أن عزيز أباطة ظل صامتا كشاعر حتى ماتت زوجته الاولى ،

(١) راجع اهداء (غروب الاندلس) .

فاصدر ديوانه (أنات حائرة) • وهو بعد موت هذه الزوجة التي يسرت له جو الأسرة السعيد قد أحسن الفراغ والوحشة ، ولعل الحاح هذا الاحساس عليه هو السبب اللاشعوري الذي جعله يلتفت الى (الأسرة) كموضوع مسرحي • ويرجع هذا التعليل علما أن مسرحيته الأولى (قيس ولبنى) قد كتبت ابان ازمتة النفسية بعد فقد زوجته ، وانه اهدى المسرحية اليها بقوله في مقدمتها (اليها في أكرم جوار)^(١) •

واذا كان عزيز اباطة قد التفت الى الاسرة تحت تأثير دافع شخصي ، فان الأسرة ومشاكلها من زواج وطلاق وحب قد اتفت اليها المسرحيون المحدثون ، وان كانوا قد نظروا اليها كمشكلة اجتماعية أكثر منها جبا رومانسيا • ولعل (أسبن) هو اول من طرق حياة الأسرة كموضوع جاد ، فلم يكن من سبقه يلتفت اليها • لقد تعرض (أسبن) لمشاكل الزواج في مسرحيته (بيت الدمية) ومسرحيته (البطة البرية) • وقام سترندبرج بدراسات أكثر مرارة لموضوعات الحب والزواج والأبوة في مسرحياته (مس جوليا) و (رقصة الموت) و (الاب) • وقد بحث يوجين أونيل الحب والأبوة في مسرحياته (أنا كريستي) و (فترة غريبة) و (الحداد يليق بالبكترا)^(٢) •

ان عزيز اباطة - مع ثراء التاريخ بالموضوعات المسرحية - قد كتب في موضوعات سبق لغيره أن تناولها ، فقد كتب - جورجى زيدان قبله

(١) تناول أباطه في (قيس ولبنى) حياة الاسرة المهددة بالتمزق ، وكذلك فعل في (العباسه) • وفي مسرحيته (اوراق الخريف) و (زهرة) يتحدث عن الاسرة كذلك حينما تقف في سبيل هناءتها عواطف لا تقرها تقاليد المجتمع • وهو في (الناصر) ١٩٥٠ و (شجرة الدر) ١٩٥١ و (غروب الاندلس) ١٩٥٢ قد تناول حياة الاسرة وان كانت قد تعرضت لمشكلات تمس الاسلام والعروبة • (راجع « عن مسرحيات عزيز اباطه » ص ١٠٦) •

(٢) فن المسرحية - ص ١٧٦ •

قصصا عن عبدالرحمن الناصر والعباسة وشجرة الدر كما تناول شوقي قبله قيس بن الملوح في (مجنون ليلي) وكذلك فعل طسه حسين وتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير حينما تحدثوا عن شهرزاد ، ولكننا - وان كنا نعلم ان كثرة من القصص التاريخي والاساطير القديمة قد عالجها كثيرون وفي عصور متباعدة كأسطورة (أوديب) أو (بجماليون) - لا ننفي ما للجدة في الموضوع من سحر خاص * ولعل نجاح المسرحية التاريخية عند شوقي واباطة لا يرجع الا الى شعرها الغنائي ، فقصة قيس وليلى أو قيس ولبنى معروفة لاغلب المشاهدين من المثقفين *

ولقد تابع عزيز اباطة الوقائع التاريخية كما هي دون أن يخرج عنها الا في القليل النادر فهو مقيد بالأحداث التي تذكرها المراجع عن قيس ولبنى أو شجرة الدر مثلا ، وهو في نفس الوقت يستهدف مثلا قومية وأهدافا خلقية مثلما اتجه شوقي في مسرحه ، فشوقي وعزيز أباطة قد سارا الاتجاه الشرقي العام ، وبخاصة الاسلامي في ايثار الصفات الخلقية التي تستهدفها المسرحية عبر الشخصيات التي تنصف بهذه الصفات ، والتي كانت تستحوذ على أعجاب المشاهدين * وهو في مسرحه المعاصر - أقصد مسرحياته التي تناولت موضوعا معاصرا - يميل الى اختيار أبطاله مسن أصحاب الثراء ومن طبقة الباشوات^(١) * فعزير اباطة لم يكتب عن هم أقل من هذه الطبقة الارستقراطية من موظفين وعمال وفلاحين ، ولسنا نشير الى ذلك ناقدين ، وانما لنقرر ظاهرة مطردة في مسرحه * ولاشك أن المؤلف المسرحي حر في اختيار موضوعه وشخصياته ، وبخاصة الموضوعات التي يجد في نفسه القدرة على تمثيلها والتعبير عنها * وشخصيات عزير اباطة أنماط مختلفة ، غلبت عليها روح الرومانسية * * انهم يتحركون في مجالات مرسومة ، ولولا بعض افعال ذات اتصال بتسلسل الاحداث لوجدت أرضية مشتركة تقف عليها * أن «زهرة» تكافح في سبيل حبها على الرغم

(١) راجع (اوراق الخرف) و (زهرة) مثلا *

من وضعها المجتمعي كزوجة وكذلك يفعل قيس حفاظا على بيته وسعادته ،
وإذا كان هذا الكفاح قد يصل الى حد الخروج على تقاليد المجتمع مثلما
حاولت (زهرة) أن تفعل ، فإن تحقق هذا لا يقل عن قتل الناصر لابنه
التمرد الذي أراد ان يأخذ كرسى العرش من أبيه إذ ان خروج
(زهرة) على هذه التقاليد وزواجها بحبيبها هو قتل لابنتها البريئة كما
أشارت الابنة نفسها الى ذلك أثناء حوارها مع أمها ، ومن هنا نخالف رأى
الدكتور عبدالمحسن سلام الذي قال عن شخصيات عزيز اباطة انهم
يعيشون (عيشة الانسان الذي تسيره عاطفته ، اذا كان بعيدا عن المناصب
العظمى ، فاذا كان البطل ملكا أصبح شخصية نمطية لها كيانها الخاص
وتصرفاتها الخاصة ايضا . ان الملك في تصور عزيز اباطة نوع من البشر
لا يخضع لمنطق العواطف البشرية لاسباب تتصل بحياته كملك حرصا
منه على ملكه وكرامته ومجده ، فالناصر يقتل ابنه التمرد الذي أراد أن
ينزع كرسى الملك منه ، والرشيد يقتل وزيره جعفر لانه تزوج أخته
وانجب منها دون رغبته . . .)^(١) . وقد رأينا ان المسألة لا ترجع الى كون
الشخصية ذات منصب ام لا . . . ان زواج زهرة سيؤدي الى قتل ابنتها
معنويا كما أدى زواج جعفر من العباسة الى قتله فعلا . . . وكذلك قتل
الناصر لابنه التمرد . ولعزيز اباطة قدرة خاصة على تصوير الشخصية
النسائية وهو عبر مسرحه كله قد قدم لها نماذج متباينة . . . قدمها كأم . .
وكزوجة . . . وكعاشقة . . . وكابنه الخ . . . الا انه في تحليل نفسيات بطلاته
وأبطاله من خلال السلوك او الحوار او كليهما يدور حول الصراعات التي
تملكها دون نفاذ الى الاغوار . . . انه لم يستبطن دخيلة هذه الشخصيات . .
وكذلك كان احمد شوقي . ففي (مصرع كليوباترا) لا تحس انك أمام
شخصية مُقنعة من ناحية التصوير النفسى ، ومثل شخصية كليوباترا نرى
(زهرة) عند عزيز اباطة . . . انها شخصية مرسومة من الخارج عن طريق
الحوار العام الذي يلخص الموقف دون استبطان يحدد ملامح نفسية

(١) راجع « عن مسرحيات عزيز اباطة » للدكتور عبدالمحسن سلام .

معينة ، فهي نموذج للمرأة العاشقة ذات الزوج والاولاد . . تلك التي نقرأ بعض أقوالها في الصحف حين يتهمها زوجها بالفرار مع العشيقي !

ان اية مسرحية ليست لوحات جميلة او مشاهد رائعة الحوار . . انها حياة متشابكة من أحداث وشخصيات ، والشخصية لا تبدو في كسل مشهد منفصلة عن موقفها في المشهد السابق أو اللاحق . . ان كليوباترا في (المكتبة) ليست منفصلة عن كليوباترا في (المأدبة) أو كليوباترا وهسي تخاطب حبيها المتحرر ، ولكن كليوباترا كما يجب ان تكون كشخصية مسرحية ذات طابع معين يبدو خلال المواقف والسلوك والحوار يجب ان تكون « حركة نفسية » حية ، واذا كان المسرحيون قد حددوا البعد الجسماني والبعد الاجتماعي كعصرين لا بد منهما في تصوير الشخصية المسرحية فقد حددوا البعد النفسي ايضا بحيث يحدد هذا البعد نموذجا انسانيا معيناً نسميه (كليوباترا) او (زهرة) مثلا . واعمل اخطر ما يواجه من نقد الى مسرحنا الشعري ممثلا في مسرحي شوقي وعزيز اباطة هو الفقر الشديد في رسم الشخصيات التي تقدم لنا كصور فوتوغرافية وسلوك خارجي مسطح ، وكأنها دمي مشدودة بالخيط تتحرك أمام ابصارنا في آلية رتيبة . وهذا هو (هاملت على سبيل المثال ، فنحن لا نعرف سنه فقط او مظهره أو حالته الصحية فحسب ، بل نحن نستطيع بسهولة ان نحرز غرائزه وسجاياه الفطرية ، ان الاساس الذي نشأ عليه هاملت ، والظروف الاجتماعية التي كوتته تعطي لتمثيلية هاملت قوة دافعة ، ونحن نعرف من الرواية الموقف السياسي في ذلك الوقت ، والعلاقة التي كانت قائمة بين والدي هاملت ، والاحداث التي وقعت من قبل ، والامر الذي تركته تلك الاحداث في نفس هاملت . . نحن نعلم نفسيته ، ويمكننا بوضوح أن نرى كيف تتبع هذه النفسية من كيانه الجسماني وكيانه الاجتماعي كليهما) (1) .

ان هذه البراعة في « التصوير الداخلي » للشخصية تتضح ايضا في هذا

(1) فن كتابة مسرحية - ص ١٠٦

التوافق العجيب بين (اياجو) و (عطيل) .. انه الترابط النفسى الذى لسه شكسير ، فنجاح « اياجو » في ابعاد « عطيل » عن « ديدمونه » وتمجيله بالمأساة يعتمد من الناحية النفسية على قلة تحكم عطيل وسرعة غضبه وطبيعته المحبة للانتقام .. ان المبررات النفسية الكامنة في شخصية عطيل ترشح لما سيتم بعد من أحداث ، وكأن هناك قانونا خفيا يعمل كقانون الفصل ورد الفعل في نسج هذه الدراما هو قانون الحياة الصادقة . ومن هنا كان احساسنا بالشخصية المسرحية .. احساسنا بأنها قريبة منا الى درجة الصداقة الحميمة ، ويذهب مؤلفا كتاب (فن المسرحية) الى احد القول باننا قد نعرف (الشخصية المسرحية معرفة افضل من معرفتنا للشخص الذى نرتبط بهم ارتباطا وثيقا في الحياة الواقعية .. ومن المحتمل جدا ان نكون على معرفة اوفى بأمر هاملت من معرفتنا بامهاتنا ، ولاشك فى اننا قد نعرف شخصية صورت تصويرا كاملا كشخصية « فولستاف » اكثر مما نعرف أنفسنا^(١) ولكن أترانا نعد مقارنته بين رسم شوقى وابطاة لشخصياتهما وبين رسم عملاق المسرح وليم شكسير لشخصياته ؟ لاشك اننا نطلب مطلبنا عسيرا عندما نتوقع من شوقى او عزيز ابطاة ان تصل شخصياتهما الى مستوى شخصيات شكسير من ناحية التصوير النفسى للشخصية .

ان هذا التحليل النفسى العميق للشخصية المسرحية لم يعرفه الا الكتاب الذين يملكون تاريخا وتراثا مسرحيا ، ونحن نضع فى اعتبارنا هذه الحقيقة ونحن نتحدث عن شوقى او ابطاة وان كنا مع ذلك نوميء الى عيوب تصويرهما للشخصية المسرحية . ونحب ان نشير هنا الى ظاهرة تجدها في مسرح ابطاة هي هذه الالفاظ الغريبة التى بعد بها العهد فمات واصبحت الالفاظ قاموسية ، وعزيز في احدى مقدمات مسرحياته يدافع عن ذلك دفاعا غريبا ، فهو يقول انه يعتمد استعمال هذه الالفاظ لاختياها ،

(١) فن كتابة المسرحية - ص ٤٤١

ومسا اظن ان هذا من عمل الكاتب المسرحي أو من اهدافه ، وان اجزائه
للكتاب الروائي - جدلا - أن يستعمل هذه الالفاظ ، فأن قارىء الرواية -
يملك الوقت الذى يرجع فيه إلى القاموس ولكن ماذا يفعل مشاهد المسرحية -
والحوار يتتابع دون توقف يبيح السؤال أو البحث والاستقصاء ؟

النتيجة المنطقية ان بعضا من الجمل الشعرية برمتها سيفضح معناها
لدى الجمهور ما دامت هناك مثل هذه الالفاظ . . . وهذه نماذج منها على
سبيل المثال مأخوذة من مسرحية واحدة :

يقول في (قيس ولبنى) ص ١٠٤ :

سأعمد سيفى في صدور وأقلب

ويشرح (أقلب) في الهامش على أنها جمع (قلب) وهو جمع غريب

غير مستعمل .

ويقول على لسان عزة للبنى ص ١١٥ :

أتخدعين طبة لم تخدع

ويشرح (طبة) في الهامش بالحازمة العاقلة .

وكذلك قوله على لسان مالك ص ١٢٧

تحدث الى لبنى فأن هي اطلبت

يشرح (أطلبت) بـ (أجابت الطلب)

ويقول على لسان لبنى لزوجها قيس :

أذكر الظلم الذى روعنا انه كان عندنا وغراما

ويشرح (غراما) في الهامش بقوله (الغرام هنا الشر والهلاك) وهذا

المعنى بعيد عن ذهن المشاهد ولا يتبادر الى ذهنه الا المعنى الشائع للكلمة . . .

وهكذا نرى عزيز باطية يلجأ الى الالفاظ قاموسية هو نفسه يحسن

صعوبتها فيشرحها في الهامش . . . واذا كان هذا محتملا في قراءة رواية

مطبوعة - وان أنكره منطلق الفن الصادق - فإنه يصبح عيبا خطيرا في

المسرحية المشاهدة ، لان المفروض ان يفهم المشاهدون الحوار للوهلة الاولى لان الممثلين يتقلون عبره الى بقية المسرحية ولا يعودون الى ترديد ما قالوه مثلما تفعل أم كلثوم حينما يصيح المشاهدون : أعد ..!

وفي كثير من الاحيان يلجأ عزيز اباطة الى بعض الاساليب المعروفة في المسرح الغربي ، فالتليفون في كثير من الاحيان وسيلة تقديم بعض الشخصيات من خلال الحوار الذي يدور بلباقة أمام المشاهدين وكذلك الحوار الذي يدور بين الخدم في مفتتح المسرحيات ، وهو الوسيلة التي لجأ اليها عزيز اباطة لتحديد بعض ملامح ابطال المسرحية فالخادمة (رقية) في مسرحية (زهرة) تتحدث عن اصحاب المنزل فتقول :

عيشة متعبة لا تحتمل عمل مضمن وهم متصل
سيد البيت كريم وادع وهي ست الدار نار تشتعل
تقطع اليوم هياجيا واذى ثم تطوى الليل أنسا وغزل

فهي في هذه الايات قد قدمت شخصيتين هامتين في المسرحية في خطوط سريعة حددت بعض ملامحهما ، ويجرنا الحديث عن مسرحية (زهرة) الى مناقشة اسلوبها ، فهذه المسرحية مثل مسرحية (أوراق الخريف) تتناول احداثا معاصرة واشخاصا يعيشون في هذا العصر ، والمؤلف مع ذلك قد اجري الحوار على ألسنتهم شعرا ، والمعروف أن الحوار الشعري ألقى بالمسرحيات التاريخية (لان عنصر الزمن يفصل بينهم وبين واقعا ، ويكسوهم اردية من الجلال والمثالية ، تسمح للمشاهد ان يراهم وهم يتحدثون بلغة الشعر ، فالشاهد حين يرى معاوية او الناصر أو الحجاج ينطقون في حوارهم شعرا ، لا يشعر بهوة بين حقيقة هؤلاء ولغتهم ، وليس ذلك قاصرا على الشخصيات العربية ، بل مثلها في ذلك الشخصيات غير العربية ، فرمسيس وكليوباتره ويوليوس قيصر ، يستطيع المؤلف الماهر أن ينطقهم شعرا حين يتحاورون دون أن يحس المشاهد بأي تناقض بين حقيقتهم كأجانب ولغتهم كعرب ، بل يقولون الشعر (كذا) وذلك كله راجع لما سبق أن قررناه من أن الزمن يقيم

فأصلا بين هؤلاء الأبطال التاريخيين وبين لغتهم ، فالمشاهد لم يسممهم في حياتهم العادية يتكلمون ، ولم يرهم في واقعهم يتخاطبون ، فهو لسم يربط بين حقيقتهم وبين لغة خاصة لهم ، وكل ما ينتظرهم هو لغة خاصة لهم تناسب هذا الجلال الذي به يحاطون^(١)

ومن هنا كانت محاولة عزيز أباظة في (زهره) وفي (أوراق الخريف) محفوفة بالمخاطر ، فالمشاهد (قد ألفت أن يسمع من الناس في حياته لغة خاصة ، فربط بين هؤلاء الناس وبين تلك اللغة التي بها يتحدثون حتى صارت مقوما من مقوماتهم وعنصرا من عناصر شخصياتهم ، فإذا رأى أناسا منهم على المسرح ، انتظر أن يتحدثوا بتلك اللغة التي تعود أن يراهم بها متحدثين . وإذا نطقوا بغير تلك اللغة ، شعر المشاهد بالازدواج والثنائية يهدمان تلك الشخصيات ، ويفسدان وضعهم فسي المسرحية . فأتين البلد الذي يحيى أصدقاءه مساء قاتلا (ميت مساء ياجدعان) لا يصح أن يقول على المسرح بالفصحى « طبتم مساء أيها السادة »^(٢) .

وعلى الرغم من صحة هذا الرأي في جملة ، فقد استطاع عزيز أباظة بالذات أن ينزل من فخامة الأسلوب وجودة الحك إلى أسلوب بسيط معاصر لم تمنعه التفاصيل ولا القافية ولا اللغة الفصحى من أن يحمل طابع التعبير الشعبي الدارج بكل ما فيه من ايقاعات التعبير العامي ، وتموجات الصوت في القاء الجملة وبخاصة عند السيدات ، ويمكننا أن نرى هذا النجاح التعبيري في الفقرة الحوارية التالية ، وهي تدور بين (أم الهنا) العانس العجوز الطويلة اللسان وبين الخادمة (فاطمة) :

« أم الهنا لفاطمة » :

(١) أوراق الخريف - من دراسة لآحمد هيكل بعنوان (المسرح أو الشعر) ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٦ .

يابنت يا شوهاء .. ياد ميمية
ياقطعة من أمك اللثيمة
ناديتك الان فأين كنت
أقدر أنى في الوجود أنت
والله ياستي

« فاطمة في خوف » :

« أم الهنا »

أسكني يا فاجرة
كل عيوب الارض فيك حاضرة

« تمد على أصابعها »

سارقة .. نمامة .. وكاذبه
وللرجال في الحرام طالبة

« فاطمة »

ياست عرضي

« أم الهنا »

نكته مليحة

متى عرفت العرض يا مفضوحة
ولمنا نرى نفس الأسلوب التعبيري الناجع في الحوار التالي من
مسرحية (زهرة) ، وهو يتناول بعض فئات الحياة اليومية في اتسار
أبعد عن اللغة الفصحى وعن الشاعر المتمكن مظنة العجز عن التعبير عن
أبسط الأشياء بأسلوب قريب من لغة الحياة .

(زهرة الى سلمى) :

انظري سلمى فما زالت كما

تركت أمس جميع الحجرات

لم تنظف .. لم تنظم .. لم تزل

بقاياها الصحن القذرات

أي بيت ذاك ! سلمى .. أسرعني

وابعشي بالخدمات الخائبات

« توجه الكلام لظافر بعد خروج سلمى » :

كل شيء أتولاه أنا نبني ما نفع انجاب البنات
سهام : يا ست مري

نطم الأمرا

زهرة : أدخلن دخلتن القبرا

ما بال البيت يلوح كأن لم يكنس أو يمسح شهرا

رقية : يا ست السهرة قد طالت وضيوفك قد خرجوا الفجرا

ان عزيز أباطة قد أشفق على نفسه وهو يقدم هذه المحاولة ، فقد قال في اهداء (أوراق الخريف) : « مهدة الى أصدقائي الألى زينوا لي كتابة هذه المسرحية ، ولعلمهم يقبلهم لهذه الهدية ، يقاسمونني سخرية الساخرين ونقد الناقدين . » (١) .

انا برجوعنا الى مسرحية (قيس ولبنى) وهي مأخوذة من التاريخ العربي القديم وتصور أسرة بدوية ، يمكننا أن ندرك بعض خصائص مسرح عزيز أباطة .

قيس ولبنى :

اعتمد عزيز أباطة في بناء هذه المسرحية على ما ذكرته بعض المصادر القديمة من أخبار حول قصة قيس ولبنى ، وتبدأ المسرحية فتؤكد جبهما وان كان أهلها يرفضان زواجهما وكان هنالك مالك الذي يحب لبني وان كانت لا تبادل نفس الشعور . وينتهي الامر بذهاب قيس وأبوه ذريح وعامر بن عمه وابن أبي عتيق رسول الحسين الى أهل لبني لخطبتها

(١) راجع اهداء (أوراق الخريف) .

قال قيس ويتحدث رسول الحسين في ذلك ، الا أن الحجاب يحدثه بسا
كان من أمر قيس الذي تغزل في شعره بلبنى ، وبتتحي الامر بالمواقفة
ويتم الزواج وخلال هذه الاحداث يلقي المؤلف الضوء على حب ثانوي
هو حب مطيع لعزه . الا أن الزوجين يجدان عتتا ومحاربة من والسد
قيس وأمه ، فقد أحست الأم بالغيرة لانصراف ابنها عنها ، وقد استطاعت
أن تقنع الأب أن لبني قد غيرت من عواطف قيس نحسوها ، ويتعرض
الوالدان للزوجة ويقولان لقيس انه أهملهما في الوقت الذي يصرف فيه
مال أبيه على لبني ويطلبان منه تطلقها خاصة انها عاقر لم تلد له ولدا
يرث ثروتهما ، ويدافع قيس عن لبناء ، ولكن أمه تزيد النار اشتعالا ولا
تأبى الا الطلاق ، وان كان أبوه قد طلب منه أن يتزوج أخرى حتى
ينجب ولدا . ويلجأ الوالدان الى وجوه القوم ليضغظوا على قيس الذي
رفض الطلاق ، واذا بهما يخرجان الى الصحراء يقفان في نار الشمس
والحارقة دون مأكلا أو مشرب فاضطر قيس الى تطلق زوجته . ويحاول
بعد ذلك أن يزورها في حيفا ولكن أهلها يشكونه الى معاوية فيهدر دمه
ان رآه أهلها في حيهيم ، ويضطر قيس الى الزواج ، وتتزوج لبني حينما
تسمع ذلك . ويلتقي قيس لبني بقيس ليلي فيشكيان مواجههما ويقابلان
بعد ذلك عبدالله بن أبي عتيق كما يلتقى بهما كثير بن الصلت السدي
يعجب بمهر لقيس فيود شراءه فيتفق الاثنان على اللقاء في بيت كثير حتى
يأخذ قيس ثمن المهر . وفي منزل كثير (زوج لبني) يقابل قيس زوجته
الاولى فيغصى عليه ويسكن قيس من مقابلة لبني ويدور بينهما عتاب المحين ،
ويحدث أصحاب قيس زوج لبني طالين منه تطلق لبني فله في النساء
بما يعوضه أما قيس فلبني بالنسبة اليه حياته . ويرد الزوج قائلا للزوجة
أن تختار ، وأخيرا تعلن لبني عن حبها لقيس فيثور كثير زوجها
لكرامته التي جرحت وأخيرا يطلقها ليتزوجها قيس مرة ثانية .

هذا هو الهيكل العام لهذه المسرحية التي أعتمد المؤلف فيها على
ما ذكرته المراجع من قصة قيس ولبنى . الا اننا بمراجعتنا لنسيج القصة

كما تذكره هذه المراجع نرى المؤلف قد أضاف إضافات ليست فسيحة
الأصل وغير في بعض خيوط هذا النسيج ، فلم تذكر المراجع مثلا أن والده
لبنى قد أبى زواجها من قيس لأنه شهّر بها في شعره ، ولكنها تقول انه
رحب بهذا الزواج على شرط أن يخطب والد قيس ابنته . ومن الإضافات
بعض الشخصيات التي لم تذكرها المراجع ، ولا شك ان المؤلف في هذا
المجال حر في ان يخلق بعض الشخصيات الثانوية مادامت تسير منطق
الحدث والبيئة ، وقد شاء المؤلف أن تكون نهاية المسرحية سعيدة وبذلك
ابتعدت النهاية عن الرواية التي تقول ان أحد الزوجين قد مات أولا ولحق
به الثاني ، فقد آثر أن يشتم الرواية التي تقول انهما تزوجا . وللعقاد
رأي في هذه المسألة ، فهو يقول في تقديمه لهذه المسرحية (ولست أرى
غضاضة على مؤلفنا ان يتجنب المأساة في ختام روايته ، اذا لم يكن ممن
قصده هو أن يكتب مأساة وان خالف التاريخ أو آثر القول الضعيف من
أقواله ، فليس حتما لزاما على مؤلف أن يختم موافقه بمأساة . .)^(١)

والمؤلف يقدم أحداثه دون تقييد بقيود زمانية أو مكانية فهو ينقل
شخصياته من الحجاز الى نجد ويدير الحديث على لسان قيس السدي
يعترف انه تزوج لبنى خمس سنوات .
صحبتني حججا خمسا سعدت بها

ما قبل حبك يا لبنى وما هانا

والشخصية الاولى في المسرحية هي شخصية قيس ، وقد قدم الينا
في صورة الرجل المفجوع في حبه لزوجته لظروف خارجة عن ارادته .
وهو عبر المسرحية بؤرة الصراع بين ارضاء الوالدين وبين التصحية
بزوجته . وليس من شك في أن شخصية قيس شخصية مهزوزة فسي
نسيجها الاول الذي قدمته المراجع ، ولقد بنى عزيز اباطة هذه الشخصية
حسب « مواصفات » هذه المراجع ، فالذنب ليس ذنبه في صفتي الضعيف

(١) انظر مقدمة المسرحية (ص ٢٠) من الطبعة الثانية .

والاستكانة اللتين عرفنا عنه في كل موقف يحتاج للحسم الرجولي ، انه شخصية ضعيفة رضخت لتهديد والدين أنانيين وقد بلغ ضعفه أنه في كل موقف حرج كان يحتاج الى من يأخذ بيده ، فابن عتيق هو الذي يتقدم ليحقق له زواجه بمن يحب وأبوه وأمه هما سبب طلاقها ، ويرجع ابن عتيق ليطلقها من كثير ، وبذلك يبدو قيس أمامنا في صورة الرجل الرومانسي المتهالك أو الصبي الغرير . وقد حققت هذه الصورة بجانب ما ذكرناه - كثرة اغمائه ، ويبدو أن صورة العاشق في عصر بني أمية كانت لا تكتمل الا اذا أغمي عليه عند رؤية المحبوبة بعد فراق أو بعد ذكر أسماها ، ويتكرر هذا الاغماء بالنسبة للرجل العاشق لا المشوقة ، فعندما يرى قيس زوجته السابقة حينما ذهب الى دار زوجها الثاني يتخاذل كالعادة ويغمي عليه بعد أن قال شعرا ، والغريب أن الرجل العاشق في أمثال هذه اللقاءات المفاجئة هو الذي يغشى عليه لا المشوقة ، والأقرب الى طبيعة الاشياء أن يغمى على المرأة المشوقة لا الرجل ، لأن المرأة بطبيعتها تكونها الفسيولوجي والنفسي هي الأقرب الى الانهيار . ولعل هذه المبالغة التي أبدت صفة الصدق عن العاشق العربي في هذا العصر كان المقصود بها التذليل على شدة الوجد والهيام ، ولكنها من ناحية أخرى كان لها وجه آخر هو الابتعاد عن الواقع ابتعادا يكسب هذا العاشق صفات تبعده عن الرجولة في بيئة تهتم كل الاهتمام بالرجولة الحققة . ولذلك كان قيس شخصية غير مقنعة لا تتعاطف معها وان كنا نرى لها لضعفها وميوعتها .

ويتابع عزيز أباطة نفس المفهوم عن الحب ، فإذا كان الحب في ذلك العصر يذهب باللب والرجولة ، ويجعل العاشق يهيم على وجهه ويغمي عليه مرات ليعود لقول الشعر^(١) ، فإنه جعله سببا للسكوت على الكرامة المحروجة ، فلبنى عزيز أباطة امرأة عاشقة ، ولكنها لم تثر في وجه الذين

(١) راجع اخبار قيس ليلى أيضا .

٦٥ ، ٦٦) فضلا عن الملل الذي يحسه المشاهد حينما يسمع حوارا يحكى نفس الدوافع مرتين ، ولكن يبدو أن المؤلف الذي أطلال في شرح هذه الدوافع ابتداء من صفحة ٦٤ الى صفحة ٨٨ قد أحسن أن صراع المسرحية كله يقوم عليها ، فدفعه هذا الاحساس الى المبالغة في الشرح والتطويل حتى فقد الحوار التركيز الواجب لكل حوار مسرحي ناجح . على أن هذا الصراع الذى تمثله المسرحية - وهو الخلاف بين أهل الزوج والزوجة وكراهيتهم لها - من الممكن أن يكون صورة من صور المسرحية أو جزء من بنائها العام بحيث يكون هناك صراع أشد قوة منه ، أما أن يكون هو وحده المحور الأساس الذى تدور عليه مسرحية في ١٥٣ صفحة فشيء بالغ الخطورة بالنسبة الى المسرحية لانه قلل من التوتر الدرامي . وهناك مواقف يبدو بها بعض التناقض ، فقد خرج الولدان يضربسان في البلاد ويلتمسان المساعدة من علية القوم حتى يفارق ابنيهما زوجته ، بل مكنا دون طعام أو شراب في أشعة الشمس الحارقة (ص ٩٥ ، ٩٦) وإذا بهما بعد هذا الاصرار الذى وصل الى حد تعذيب نفسيهما بعودان السى الاعتدال فيقبلان أن تعود لبنى الى ابنيهما ، وهو موقف يناقض موقفهما الاول من الناحية النفسية ، فالولدان يعرفان منزلة لبنى في قلب ابنيهما ومع ذلك لم يتورعا عن هدم عشهما .

والذى يقف هذا الموقف العنيد القاسي ويعذب نفسه هذا العذاب الجهنمي ليصل الى التفريق بين الزوجين المتحابين لا يتراجع بمثل هذه السهولة . ان الحركة النفسية من النقيض الى النقيض في حاجة الى تبرير من الناحية النفسية حتى ولو كانت المراجع القديمة تؤكد هذا الموقف فيما تذكر من أخبار الزوجين .

ومن المواقف التي لا تخدم المسرحية ولا تعتبر جزءا عضويا فيها وحذفها لا يؤثر فيها لقاء القيسين (قيس لبنى) و (قيس ليلى) ، فهو لا يفيد المسرحية قدر زيادته لرومانيتها المبرقة (ص ١٣١) .

الا أن عزيز اباطة ينجح في ادارة الحوار الشعري نجاحا ملحوظا
ولاسيما في امثال الموقف التالي :

- قيس : أبويّ لم نعم بأيسر منة
أنىّ يكون وأتما لم تحضرا
جئنا لنسعد بالجلوس اليكما
ذريع : عجباً ..!
- قيس : وأيّ عجيبة فيما ترى ؟
ذريع : اليوم يوم شفاك .. كيف نسيّتنا ؟
- أم قيس : انا نراك أتيت شيئا منكرا
ذريع : لو قد سميت لنا شفيت نفوسنا
ورددت للاجفان ممتع الكرى
- أم قيس : دعه فلو ذاق الأبوة مرة
لرعى حقوق الوالدين وقدراً^(١)

(١) قيس ولبنى - ص ٦٩

المراجع :

- ١ - عن مسرحيات عزيز أباظة - للدكتور عبدالمحسن عاطف سلام مطابع نصر - الاسكندرية ١٩٦١
- ٢ - فن المسرحية - تأليف فرد ب * ميليت وجيرالد ايدس بتلى - ترجمة صدقي الحطاب ، دار الثقافة - بيروت
- ٣ - فن كتابة المسرحية - تأليف لاجوس اجري - ترجمة دريني خشبة - مطابع دار الكتاب العربي - القاهرة -
- ٤ - فن الكتاب المسرحي - تأليف روجر - م - بسفيلد الابن ترجمة دريني خشبة - الدار القومية العربية للطباعة
- ٥ - مسرحيات - « أوراق الخريف » و « غروب الاندلس » و « زهرة » و « قيس ولبنى » لعزير أباظة *

الأمثلة النحوية

الدكتور هادي الحمداني

المثل النحوي^(١) الذي يضربه النحاة في كتبهم لتقريب القاعدة النحوية الى اذهان الدارسين مثل رشيق لزيادة فيه ولا نقصان ولا قصر فيه ولا طول. فان ارادوا الفعل جاؤوا بالفعل وحده وان ارادوا الاسم جاؤوا بالاسم وحده. وحتى ان ارادوا الحرف جاؤوا به وحده رغم عدم دلالة الاسم عليه . والجملة الفعلية عندهم لا تتعدى الفعل والفاعل ان ارادوا المعلوم ، والفعل ونائب الفاعل اذا ارادوا المجهول ، وكذلك الجملة الاسمية ليس أكثر من مبتدأ وخبر لا يتعديان لفظتين اثنتين مجموع احرفهما ستة او سبعة في اغلب الاحيان ، ولا تأتي الفصلة عندهم الا اذا اقتضاهما المثل فالظرف ان ارادوا الظرف والجار والمجرور ان اقتضى ذلك وكذلك الشأن في الحال والتمييز المفاعيل وغيرها .

والمثل النحوي مع قصره جاف ليس فيه من الناحية الفنية نصيب. فلا تجد فيه أية طلاوة او خيال او صورة^(٢) لان النحوي لا يريد أن يتعدى ذهن الدارس عن فهم القاعدة النحوية بل هو يشده دائما اليها فليس المثل

(١) ان الحديث عن المثل النحوي هنا لا يتناول الايات القرآنية ولا الاحاديث النبوية ، كما أنه لا يتناول الشواهد ولا الشعر .

(٢) يخالف النحويين في هذا خلف الاحمر فهو في امثلته بعيد عن هذا الجو التقليدي ولا شك أن هذا منسجم مع الروح الجديدة التي ابتدعها في تأليف كتابه « مقدمة في النحو » فمن امثلته : صوتها حسنا ، كتابا جميلا ، شرابا ماتما . . الفخ . (ص ٤٢) .

عنده أكثر من تكملة لتعريف او تمة لقاعدة ولا بد أن يكون المثل النحوي منسجما مع صلابه علم النحو وجفافه .

يعتبر « كتاب » سيويه اول من ثبت هذا القالب المتوارث في المثل النحوي وقد تداولته أغلب كتب النحو ان لم يكن جميعها على غراره فظل « زيد » و « عمرو » وما بينهما من ضرب وقتل هو المعتمد الاول والاساس في كل ما نقرأ فيها ، وظل « رجل » و « فرس » وغيرهما تطارد هنسا وهناك بين كل كتاب وآخر حتى ان طلاب النحو ودارسيه ملوا كل هذا التكرار وسُموا اعادته .

أول ما يبرز لنا من الاعلام في امثلة النحاة « زيد »^(٣) وكذلك « عمرو » ولا شك ان اختيارهم للعلم الاول « زيد » اختيار ذكي وجيد فهو اسم ثلاثي معرب منصرف سهل خفيف ساكن الوسط فيه اجمل ما في الاسماء العربية من جرس موسيقي بديع ولذلك أحبه النحاة واوردوه كثيرا ومع حبهم كان عندهم هو الضارب غالبا^(٤) وهو القاتل وهو الذي يصلح ويحول دون أن يجسر أي علم آخر على ضربه او قتله . اما الاسم الثاني « عمرو » فاختياره غير موفق لما فيه من مشكلة نحوية ومشكلة املائية تحمل طلبتنا ثقلها بمرارة أليمة ، وهو مع ذلك جبان منهزم في أغلب موافقه مسع « زيد » .

وتظهر لنا بعد هذين الاسمين أسماء اخرى اقل استعمالا منهما ولعل اسم « خالد » اول اسم رباعي يظهر لنا في كتب النحاة استعمله سيويه وكثير ذكره عند المبرد^(٥) . ويظهر اسم « بشر » غريبا عند سيويه ولكن

(٣) زيد مصدر زاد يزيد زيادا وزيادة .

(٤) يصطدم الباحث بامثلة ليست قليلة يكون فيها زيد هو المضروب او المقتول ، بل ان ابن يعيش يعتبر زيادا شر الناس « المفصل - الطباعة المنيرية بمصر ١/١٢٥ » .

(٥) كتاب المقتضب - تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ٢/٤٤ .

هذه الغرابة تزول اذا ما عرفنا ان كنية الرجل « ابو بشر » ثم يأتي « بكر »
ويورد « عبدالله » من الاسماء المركبة كثيرا .

أما من اعلام الاناث فبرز « زينب » و « فاطمة » و « هند » وقد
لا تجد غير هذه الاسماء كثيرا . وعلى ذكر المرأة هنا أود أن اشير الى أن
نصيب المرأة من امثلة النحاة قليل جدا وهي لاتأتي الا في سبيل الحاجة الى
امثلة المؤنث وما يتعلق به من متفرعات « نعمت المرأة » و « بثست الجارة »
في الحديث عن « نعم وبئس » و « تفعلين » عند الحديث عن الافعال
الخمسة ، وكذلك في المنوع من الصرف . وفي هذه القلة من الامثلة
لاتجد أي تعاطف أو احترام لها فقد ورد منها « الرجل افضل من المرأة »
و « والله لا اتزوج النساء »^(٦) وغيرهما .

وكما كثر استعمال الاسم « زيد » كثر استعمال الفعل « فَعَلَ »
ومشتقاته وهو الفعل المقيس في الميزان الصرفي وكذلك في صوغ الافعال
الخمسة وهو لا يعطي معنى « فَعَلَ » التي بمعنى « عمل » وأما
مجرد رمز لا دلالة له . ويترد كثيرا استعمال « ضرب » قتل ومشتقاته
والضرب والقتل من صميم الخلق العربي آنذاك ، فالرجل العربي كان
غازيا ومحاربا ومقاتلا عنيدا . ولا يقتصر الضرب في امثلتهم على زيبس
وعمر و وإنما يتعداه الى كل الناس كبيرهم وصغيرهم ففي الوقت الذي يقع
على الأب في مثل قولهم : من ضرب اباك ؟ اخاك ؟ امك ؟^(٧) يقع على
الجواري والعبيد والفلمان ، ويرد ذكر هؤلاء العبيد كثيرا عند النحاة
ولا يقع عليهم الضرب والقتل فحسب وإنما يقع عليهم الوطء كذلك فقد

(٦) ابن الانباري - الانصاف في مسائل الخلاف (القاهرة ١٩٦١) ،
١١١/١ .

(٧) ابن هشام - مغنى اللبيب - القاهرة - تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد ٥٠/١ .

(٨) سيبويه - الكتاب - تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة
١٩٦٦) ٥٠/١ .

أما في الطبيعة فالأمثلة تكاد تكون نادرة للسبب الذي ذكرناه آنفاً من أن النحوي كان يتجنب ظاهرة الخيال في أمثله حرصاً على عدم سرود ذهن الدارس ، ومع هذا التجنب فهو لا يتورع عن المبالغة في هذا المجال ، فهو يقول « حملت الجبل وشربت ماء البحر »^(١٩) .

والأمثلة النحوية قد لا تعني شيئاً أحياناً وإنما هي من قبيل الفرض وعلى زنة من التصريف لا معنى لها ، ويكون ذلك حين يعجز النحوي ان يأتي بمثل من الواقع ، وهو في هذا يغرق في الغرابة والفرض ، يقول مثلاً في منع الاسم من الصرف اذا كان علماً وهو على وزن يخص الفعل : (فلو سميت رجلاً بضرب او كلمت من الصنف فتقول « هذا ضُربٌ او كلمتٌ » ، ورأيت ضُرباً او كلمتاً ومررت بضرباً او كلمتاً »^(٢٠) . وهم يضربون لما حكى من الجمل « زيد منطلق » أو « الرجل منطلق »^(٢١) فتنادى فيمن اسمه « الرجل منطلق » : يا الرجل منطلق اقبل »^(٢٢) وهكذا .

(١٩) سيبويه ٢٦/١ ، وهو يشير الى أن هذا من الكذب .

(٢٠) ابن عقيل - شرح ابن عقيل (القاهرة ١٩٦٥) تحقيق محمد

محيي الدين عبدالحميد ٢/٢٦٠-١ .

(٢١) المصدر نفسه ٢/٢٠٨ .

عناصر الصور الفنية في الشعر الجاهلي

بقلم : الدكتور يحيى الجبوري

« ١ »

يكثُر التصوير في الشعر الجاهلي كثرة واضحة ، وبخاصة في الوصف حيث يرسم الشاعر مناظر ومشاهد رائعة مكتملة الجوانب ، فهو يُلمِّسُ بالصورة الملمة ، ثم يدقق في اجزائها ، ويحصر أطرافها ، ويستقصى جوانبها وهذا - لا شك - دليل التمكن في الفن والدقة في التعبير وخصب الخيال ، فالشاعر الجاهلي يرسم لوحات كاملة يعني بكل تفاصيلها واجزائها على الرغم من ايجازها . ولعلك تذكر معلقة لبيد ووصفة الديار المقفرة ، فهو يصف الرسوم الدارسة ويحدد واقمها ويشبّه الارها ويؤكد قدمها ، وما مر عليها من اشهر طويلة وكيف تعاقبت عليها الرياح والامطار ونبتت الاعشاب وزكا الجرجير البري ، وولدت الظباء والنعام والنعاج وراحت صفارها تفرح وترتع على درأى من امهاتها ، على شاكلة قوله (١) :

عفت السديار محللها فمقامها بسنى تابد غولها فرجامها
فمدافع الريان عري رسمها خلقاً كماضمين الوحي سلامها
دمن تجرم بعهد عهد أنيسها
حجج خلون حلالها وحرامها

(١) ديوان لبيد ص ٢٩٧-٢٩٩ ط الكويت .

رُزِقَتْ مَرَايِصَ النُّجُومِ وَصَابِيهَا
 وَدَقُّ الرِّوَاغِ جَوْدُهَا فَرَاهِمُهَا
 مِنْ كَلِّ سَارِيَةٍ وَعِغَادٍ مُدْجِنٍ
 وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ ارْزَامُهَا
 فَعَلَا فُرُوعُ الْأَيْهَقَانِ وَأَطْفَلَتْ
 بِالْجَهْتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا
 وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَانِهَا
 عَوْدًا تَأَجَّلُ بِالْفَضَاءِ بِهَامُهَا
 وَجَلَا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُوبِ كَأَنَّهَا
 زُبُرٌ تُجِيدُ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا
 أَوْ رَجَعُ وَاشْمَةٌ أَسْفَى نَوُورُهَا
 كَيْفَ تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا

فقد جمع ليبيد في صورته هذه كل ما يمكن ان يجمع في الصورة
 المتقنة ، وقر لها عناصر أصيلة لازمة لجمال المشهد من ذكر الزمان
 والمكان والماء واللون والنبات والحركة في الحيوان والصوت في رعسود
 السحب وهكذا نجده يدقق في رسم صوره ، ثم هو لا يكتفي بهذا التدقيق
 بل يتقن صوره ويحققها ويستكمل كل جوانبها ، ترى ذلك واضحا في
 هذين البيتين اللذين يصفان حمار الوحش وأتانه وهما يعدوان فيشيران
 سحابة من غبار ، وتأمل كيف دقق وتأثق وحقق : (١)

فتنازعا سبباً يطير ظلالة
 كدخان مشطلة يشبب ضرامها
 مشمولة غلثت نبات عرقسج
 كدخان نار ساطع أسنامها

(٢) ديوان ليبيد ص ٣٠٦

فقد صور الغبار المتناثر بينهما بغلالة رقيقة يتنازعانها ، وشبه هذا الغبار
بميدخان نار مشبوبة الضرام ، وقد كملت الصورة في البيت الاول ولو شاء
الاكتفى بها ووقف عندها ، ولكنه اراد أن يفصل في هذا التشبيه ويتقنه
ويبين ان هذه النار قد اوقدت بنبات العرفج الطري الذي يثير الدخان
الكثيف ويزيد لهب النار بحيث تسطع أعاليها ، وان ريح الشمال تمر
عليها فتزيد من ضرامها وسطوعها .

وهذه الصورة الدقيقة عند ليد قرية من صورة أبي خراش الهذلي
بالبحر الوحش وأتته ، وذلك في قوله : (٣)

أرى الدهرَ لا يبقى على حدائنه
أقبُ تَبَارِيهَ جَدَائِدُ حَوْلُ
أَبْنِ عَقَاقَا ثُمَّ يَرْمَحُنْ ظَلْمَهُ
أَبَاءَ وَفِيهِ صَوْلَةٌ وَذَمِيلُ
يَنْظَلُّ عَلَى الْبَرْزِ الْيَقَاعِ كَأَنَّهُ
مِنَ الْغَارِ وَالْخَوْفِ الْمُحِمْ وَبَيْلُ
وَوَظَلَّ لَهَا يَوْمٌ كَأَن أُوَارَهُ
ذَكَ النَّارِ مِنْ قَيْحِ الْفُرُوعِ طَوِيلُ
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ صَارَتْ كَأَنَّهَا
فَوَيْقُ الْبُضِيعِ فِي الشُّعَاعِ خَمِيلُ
فَهَيَّجَهَا وَأَنْشَامَ نَقَمًا كَأَنَّهُ
إِذَا لَقَّهَا تَمَّ اسْتَمْرًا سَجِيلُ
عَنِيبًا وَقَدْ أَسَى تَقَدَّمَ وَرَدَهَا
أُقَيِّدُ مَحْمُوزَ الْقِطَاعِ نَذِيلُ

«(٣) ديوان الهذليين ص ١١٧ - ١٢١ القسم الثاني ط دار الكتب
المصرية ١٩٤٨ .»

فلما دنت بعد استماع رَهْفَنَه
 بَنَقَبَ الحجاب وقَمُهَنَ رَجِيلُ
 يُفَجِّينَ بالأيدى على ظَهْرِ آجِنِ
 له عَرْمَضُ "مستأيد" ونَجِيلُ
 فلما رأى أن لا نَجَاءَ وَضَمَّهُ
 الى المِوتِ لَصَبُ "حافظ" وقَفِيلُ
 وكان هو الأذنى فَخَلَّ فُوَادَهُ
 من النَّبْلِ مَفْسُوقُ الفِرَارِ نَجِيلُ

فقد استطاع الشاعر في هذه الايات القليلة ان يصور حمارا وحشيا
 وأتته التي ظهرت عليها امارات الحمل ، فهي تعاسره وتمنّع منه ، وهو
 يعابشها ويباريها ويتبعها ، والحمار خائف مذعور يخشى الصياد وكلابه ،
 فتراه قد علا مرقبة من الارض يشرف منها على ما حوله ، وبينما هو كذلك
 مالت الشمس نحو الغروب لتودع نهارا قاتظا شديد الحر ، والحمار اذ
 يطارد أُنْتَهُ وهي تعدو امامه فتشير غلالات من الغبار تمتد كأنها جبال
 سحيلة لم تبرم ، وتنبه هذه الحمير لصياد بادي الفقر يتربص بها الفوائل ،
 فاذا تسمعت حركته وأيقنت أنه الموت ، اشتدت في العدو ، فاذا اعترض
 طريقها ماء آجن علاه الطحلب والوان النبات ، ألقت بنفسها في غمار هذا
 الماء تبغي النجاة وخلفها حمار الوحش ، ويرسل الصياد سهامه المصميمة
 فيصيب فُوَادَ الحمار اذ هو أقرب اليه من الأتْن .

واذا امعنا النظر في هذه اللوحة الحية المتحركة نجدها صورة
 كاملة واضحة المعالم بارزة السمات ، لم يترك الشاعر جانبا الا ملاء ووقاء
 حقه ، سواء في ذلك الجانب الحركي أم الجانب النفسي ام جانب الزمان
 والمكان واللون والصوت . ولم يهمل الشاعر التفاصيل والجزئيات بل نراه
 يؤكدها ويدقق فيها ، فالأتْن هنا قد استبان حملها ، والحمار حذر شديد
 الحذر . والغبار ممتد بين الحمير والأْتْن كخيوط ام تبرم . والصياد

فقير سيء الحال • وحين تقذف الحمر نفسها في الماء يصف هذا المساء فهو آجن قد فسد وقد علاه نبات طويل أخضر • ثم يمثل حركة ايديهن تفتح الماء وهي عائمة • ويُعيّن موضع الحمام من اناته فهو وراءها أقرب الى الصياد منها وكان ذلك سببا في اصابته دونها • ولا ينس الشاعر ان يصف السهم الذي كانت رميته مصمية ، فهو سهم كبير عريض النصل •

هذا الشمول في الوصف والتدقيق في الصورة والعناية بالجزئيات والتفاصيل كل ذلك دليل على عناية الشاعر في رسم الصورة كسي تأني كاملة ناضجة معبرة ، وهذه العناية من ابرز صفات الصورة عند فحول الشعراء ومجيديهم •

والملاحظ في أكثر القصائد التي تناول وصف الحيوان وبخاصة حمام الوحش والاتن والبقرة الوحشية والثور والناقة والفرس ، وصراع الثور او البقرة مع كلاب الصيد ، الملاحظ ان الشاعر يعني بتصوير الاحوال النفسية لهذه الحيوانات ، فهي دائما خائفة مذعورة حذرة تسمع حركة الصياد وكلابه فتجد في الهرب او تنشط في القتال ، فاذا انتصرت خرجت مزهوة باسلة واذا فقدت وليدها ظلت تترجم وتتردد في مواضع الهلكة • حزينة ولهى عليها تجد وليدها ، ولكن هيئات فقد غدا مزقاً واشلاءً مفقّرة بالتراب •

- ٢ -

وهذا الوصف الحسى المادي فيه تجسيم وتشخيص للغرض الذي يريد الشاعر ، وفيه جلاء للصورة وتوضيح لجوانبها ، وقد اقتضى ذلك عناية بالاجزاء والتفاصيل ، واهتماما كثيرا بالتشبيه وعرض صور كثيرة للمشبه به بحيث يدعو ذلك الى الاستطراد والخروج عن الاصل ، وجاءت اوصاف الحيوانات معنية بمظهرها الخارجي ، فطرفة حين وصف ناقته صورها دمية واضحة الاعضاء ، لم ينس منها جزءاً ولا عضواً ، ولم يغادر

- ١١٣ -

عصباً ولا عرقاً دون ان يصفه ، فهو رسام بارع ينقل صورة ناقته بأعضائها
وقسماتها الجسمية تجد كل ذلك في قوله من المعلقة :^(٤)

لها فخذ ان اكمل السخص فيهما
كأنهما بابا منيف ممرّد
وطى محال كالحنى خلوفا
وأجرنة لرت بدآى منضد
كان كناسي ضالة يكتفانها
وأطر قسي تحت صلب مؤيد
لها مرفقان أفتلان كأنها
تمر يسلمى دالجم متشدّد
كقطرة الرومى أقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمّد
صهايبة العننون موجدة القرأ
بعيدة وخذ الرجل موارة اليد
أمرت يدها قتل شرر وأجنحت
لها عضداها في سيف مستد
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت
لها كتفها في معالى مصعد
كان علوب السع في دأياتها
وارد من خلفاء في ظهر قرود
تلاقي وأحيانا تين كأنها
بنائق غر في قميص مقدد
وألمع نهاض اذا صعدت به
كسكان بوصى بدجلة مصعد

(٤) شرح المعلقات للتبريزي ط لايل ص ٤٠

وجُمُجِمَةٌ مثلُ المَلَاةِ كَأَنَّمَا
وَعَى المَلْتَقَى مِنهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدٍ
وَخَدُّ كَفَرطاسِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرٌ
كَسَبَتِ اليَمَانِيَّ قَدَمَهُ لَمْ يَجْرُدِ
وَعَيْنَانِ كَالْمَالَوِيَّتَيْنِ اسْتَكْنَتَا
بِكَهْفِيٍّ حِجَابِيٍّ صَخْرَةٍ قَلَّتِ مَوْرِدِ

وهكذا يمضي في وصف اعضاء الناقة وجوارحها ، الا ان هذا
الوصف ، وصف لدمية صامتة لا حياة فيها ولا حركة ، ومثل هذا الضرب
عند الجاهليين كثير ، وهذا الضرب من التصوير هو الذي يعرف بوصف
الهيئة ، الوصف الحسي المادي الذي يتناول الموصوف من الخارج .

ولكن فريقاً من الشعراء وجهوا عنايتهم الى وصف الحالة ، حالة
الموصوف : سواء أكان حيواناً أم انساناً ، وصفوه وصفاً داخلياً صوروا فيه
الحياة والحركة ، وتحدثوا عن جوانبه النفسية والعاطفية ، من حب وكره
وخوف وضمف وجرأة وأقدام ، صوروا نشاطه ومرحسه ، حركاته
وسكناته ، زهوه وخيلاءه وحتى تفكيره في بغض الاحايين ، وقد قرأت
فيما مضى شعر أبي خراش الهذلي في تصوير احوال الحمام والأتين ،
وأقرأ للبيد بن ربيعة قوله في وصف البقرة التي أكل السبع ولدها فراحت
تبحث عنه جزعة مذعورة : (٥)

عَلِيَّتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدِ
سَبْعًا تَوَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَثِيَسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقُ
لَمْ يُبْلِسْ أَرْضَاعُهَا وَفَطَامُهَا
وَتَوَجَّسَتْ رِزًّا الْأَيْسِ فَرَاعَهَا
عَنْ ظَهْرِ غَيْبِ الْأَيْسِ سَقَامُهَا

(٥) ديوانه ص ٣١٠-٣١١ .

فَعَدَتْ كَيْلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلَقَهَا وَأَمَامُهَا

فقد بين جزعها وفرقتها وهي تبحث عن ولدها سبعة أيام بلياليها
وتحدث عن بأسها بعد طول انتظار وطول غيبة ، وكشف عن مخاوفها
وهي تتوجس وتسمع صوت الانسان ، ثم هروبها وهي مشفقة لا تدري من
أين تأتيها المخاطر وتداهمها المنون •

وهكذا نجد فريقاً كبيراً من الشعراء من مثل لييد والهنديين والاعشى
وزهير يقلبون الكلام ليينوا احوال الحيوان النفسية وما يتناهب من خوف
وفزع وقلق حين يقاتل او حين يهرب من كلاب الصيد وسهام الصائد •
وان لم يهملوا في هذا هيئة الحيوان فيصفوا اعضاءه وحسن شباته وهو
مذهبهام العام في الوصف •

تأتي اوصاف الجاهليين لوحات كاملة يوفرون لها كل اسباب الصور
الدالة الموحية المؤثرة ، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة
وحتى الصوت في كثير من الاحايين • نجد ذلك في وصف الطبيعة
الصامتة من وصف المطر والسيل والبرق والسحاب والرمال والرياض •
ونجد ذلك كذلك في وصفهم للحيوان حين يتعرضون للون بشرته وقوائمه
والتماعه وسط الظلام ، وحين يصورون حركته في مرجه وعدوه فسي
ذهابه بعيداً بقضي شهور الشتاء وفي عودته ساعياً نحو الماء عند اشتداد
القيظ ، وفي هروبه من الصياد وكلابه وفي مقاتلته هذه الكلاب وهو يفري
صفاها • وتستطيع ان تلمس هذه العناصر كاملة في قصيدة لزهير يصف
بقرة وحشية يطاردها الصياد وقد اقترس السبع ولدها ، فاستطاع زهير ان
يوفر لقصيدته كل اسباب الجمال والروعة ، وان يفتن في رسم
الالوان وبيان الحركات والمطاردة ووصف المواطف وتعيين مواطن
الفتحة قال : (٦)

(٦) ديوان زهير ص ٢٢٥-٢٢٨ •

كخسَاءَ سَفْعَاءِ الْمَلَاظِمِ حُرَّةٍ
مَسَافِرَةٍ مَزْعُودَةٍ أُمَّ فَرْقَسِدِ
غَدَتِ بِسِلَاحٍ مِثْلِهِ يُنْتَقَى بِهِ
وَيُؤْمِنُ جَاشِ الْخَائِفِ الْمُتَوَحِّدِ
وَسَامِعَتَيْنِ تَمْرِفِ الْعِتْقِ فِيهِمَا
إِلَى جِذْرِ مَدْلُولِ الْكُيُوبِ مَحْدَدِ
وَنَاطِرَتَيْنِ تَطْحَرَانِ قِذَاهُمَا
كَأَنَّهُمَا مَكْحُولَتَانِ بِأَيْمِيدِ
طَبَاهَا ضَحَاءٌ أَوْ خِلَاءٌ فِخَافَتِ
إِلَيْهِ السَّبَاعُ فِي كِنَاسٍ وَمَرْقَدِ
أَضَاعَتْ فَلَمْ تُغْفَرْ لَهَا غَفْلَاتُهَا
فَلَاقَتْ بِيَانًا عِنْدَ آخِرِ مَعَهْدِ
دَمًا عِنْدَ شِلْوٍ نَحْجِلِ الطَيْرِ حَوْلِهِ
وَبَضْعِ لِحَامٍ فِي إِهَابٍ مَقْدَدِ
وَتَفْضِ عَنْهَا غَيْبِ كُلِّ خَمِيلَةٍ
وَتَخْشَى رُمَاةَ الْغَوْثِ مِنْ كُلِّ مَرْصَدِ
فَجَالَتْ عَلَى وَحْشَتَيْهَا وَكَأَنَّهَا
مَسْرِبَةٌ فِي رَازِقِيٍّ مُعْضَدِ
وَلَمْ تَسْدِرْ وَشَكَّ الْبَيْنِ حَتَّى رَأَتْهُمْ
وَقَدْ قَعَدُوا أَنْفَاقَهَا كُلِّ مَقْعَدِ
وَأَرَوْا بِهَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
وَجَالَتْ وَإِنْ يُجْشِمُنَهَا الشَّدَّ تَجْهَدِ
تَبْذُ الْأُلَى يَأْتِينَهَا مِنْ وَرَائِهَا
وَإِنْ تَتَقَدَّمُهَا السَّوَابِقُ تَصْطَبَدِ
فَأَتَقْدِمُهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهَا
رَأَتْ أَنَّهَا أَنْ تَنْظُرَ السَّبِيلَ تُقْصَدِ

نجاءٌ مُجِدٌ ليس فيه وتيرةٌ
وتدبُّها عنها بأسحَمِ مِذْوَدٍ
وجدتْ فألقت بينهن وبينها
غباراً كما فارت دواخن غرقس
بملثماتٍ كالخِذَارِيفِ قُوْبِلَتْ
إلى جَوْشَنِ خَاطِي الطَريقَةِ مُسْنِدِ

فهي بقرة خساء وعلى خدها حمرة مشربة بسواد ، تطلق فسي
الصحراء فرقة مذعورة ، تركت وليدها في كناس ، فهي في قلق واضطراب
تخشى عليه غوائل الانسان وسباع الصحراء . ويصف زهير وسائل الحس
والقتال فيها فيصف قرنيها كأنهما سيوف ماضية محددة ملساء ، واذنيها
الصغيرتين المرهفتين تتسمع بهما حركة العدو مخافة ان يفجأها فيصيب
منها مقتلاً ، وعينيها الواسعتين السوداوين كأنهما كحلتا بأمد ، تأمل بهما
في حذر شديد مواطن الهلاك والخطر .

بهذا القسم من القصيدة يؤكد زهير على جانب اللون من اعضائها ،
لون خدها وعينيها وقرنيها واذنيها . ثم اذا هو بلغ الجزء الثاني من
القصيدة تناول حال البقرة فأظهر خلجاتها النفسية واضطرابها وقد استعان
بذلك بالحركة الجسمية الظاهرة والحركة النفسية المصورة . فهي
مسافرة مسرعة في عودتها ، خائفة مضطربة قلقة على ولدها من سباع
الصحراء ، وقد راعها هول المشهد ؛ مشهد ابنها حين رأته اشلاءً ومزقاً
مفجرة ، ودماؤه تصبغ الرمال بلونها العاتك ، والطير حوله تحجل هنا
وهناك ، ثم عادت تعدو في هذه الصحراء الواسعة ، وتراها كثيرة الحركة :
حركة عدوها السريع ، وحركة تلفتها ذات اليمين وذات الشمال ، وحركة
عينيها الزائمتين اللتين لا تستقران في موق او محجر .

ذاك أنها تخشى المهالك وتوشك ان تصيها سهام الرماة من عشيرة
الغوث ، الذين يقفون لها في كل مرصد ، يرسلون اليها سهامهم ويجرون

أما الدماء فهي حالكة عاتكة ، وجلود اعدائهم حمراء كالدم ووجوههم مشرقسة كلون الماء المذهب ، والنبت أخضر في الربيع ، وأنامل الفقراء سوداء في الشتاء ، ومعاصم الفقيرات سود وكذلك قدورهم التي يحيط بها الغرثى من المرملين ، والديار غُبر ، والاناتي سفح والاواري سود وكذلك البعر اسود كحب الفلفل .

- ٣ -

ومن تمام الصورة عناية الجاهليين بالمواضع والمنازل والديار ، وتحديدتها وتعيين اماكنها ومخاطبتها ومناجاتها والحزين اليها ، وكثرة تكرار ذكرها ونسبة بعضها الى بعض من وادٍ وجبل وسهل ونجد وعين ماء ، وهذه الظاهرة لها دلالتها النفسية ، فالمنازل اوطن الشعراء وديارهم ، فيها ذكرياتهم وملاعب صباحهم ومساكن أحبتهم وميادين حروبهم ومالهم فيها من غارات منتصرة او جولات غائبة . وهم لذلك حين يذكرونها يستبد بهم الجزع حين تخلو المنازل ، وتغورق عيونهم بالدموع حين يستعيدون ذكريات ماضيهم .

وليس ذكر المنازل تقليداً سار عليه الشعراء - كما نعهد ذلك في الشعراء العباسيين والمتأخرين الذين تابعوا الجاهليين بعد تغيير الحال وتبدل الاوطان - بل كان حينهم الى الديار تعبيراً عن عواطف صادقة وذكريات عزيزة ، فهم حين يمرون على الديار يقفون وقفة ذكرى عند خرابها القديمة وآثار احبتهم البالية بعد ان خلت منهم ، فهم يلتمسون العبرة من أفاعيل الزمان واحداث الليالي فتزه هذه المواضع عواطفهم وتستثير اشواقهم .

ولم يكن ذكر المنازل والديار مقتصرأ على شاعر دون غيره او طائفة منهم دون أخرى ، بل كان أمراً شائماً عند أكثر الشعراء ، وبخاصة في قصائدهم المطولة . فهذا ليد في معلقته يتتبع مواضع حبيته نوار ويبين منازلها ويحدد أماكن حلولها او مرورها ، وتراه يستمتع بذكر هذه المواضع ويلتذ حين يسميها او يشير اليها فيقول :^(١)

(١) ديوانه ص ٣٠١-٣٠٢ .

مريّة حلتّ^٩ بفَيْد وجاورت
أهلَ الحجاز فأين منك مرامها
بمشارك الجليلين أو بمحجر
فضمّتها فردة^{١٠} فرُخامها
فصوائق أن أيمنت فمظنة
فيها وحاف القهر او طلخامها

ولا يكاد القارئ يمضي في قراءة أبيات المعلقة حتى تفجأه كثرة
المواضع والديار فكأنه يأس بذكرها وتسميتها ، وهو في كثير من شعره
على هذه الحال . وكذلك كان عنترة العسبي يفعل في معلقته ، حيث بالغ
في ذكر المنازل وتأنق بتحديداتها ، وأحب الديار عنده ديار عبلة حيث
يقول :^(٩)

يا دار عبلة بالجّواء تكلمني
وعمي صباحا دار عبلة واسامي
ويسمى ديار حبيته وديار أهله :
وتحل عبلة بالجّواء واهلنا
بالحزن فالصمان فالمتسلم
ويقول كذلك :

كيف المزار وقد تربّع أهلها
بمُنَيَّرَتَيْنِ وأهاننا بالقيسَلَمِ
وكذلك يعني الحارث بن حلزة بالمواضع ، ولكنه لا يحدد جهاتها
مثل لبيد وعنترة فهو يقول في ديار أسماء :^(١٠)

(٩) ديوان عنترة ص ١٥ ط بيروت ١٩٥٨ .
(١٠) شرح المعلقات العشر - التبريزي ط لائل ١٨٩٤ ص ١٢٥-١٢٦

بعد عهد لنا بركة شماء
فأدنى ديارها الخلصاء
فالحياة فالصباح فأعلى
ذى فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا فأودية الشر
ب فالشعبان فالأبلاء

ولم يتخلف عن هؤلاء امرؤ القيس في هذا الضرب من الضائفة
بالمواضع فقال في مطلع معلقته: ^(١١)

قفا نيك من ذكرى حيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالقراءة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
وظهرت الديار أقل وضوحا عند زهير فقد استهل معلقته بقوله: ^(١٢)

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالتملم
ديار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم في نواشر معصم

(١١) ديوانه ص ٢٨ .

(١٢) ديوان زهير ص ٤ - ٥

وعمر بن كلثوم يتذكر أيام شربه ومواضع لهوه بعلبك ودمشق
وقاصرين : (١٣)

وكأس شربت بعلبك

واخرى في دمشق وقاصرينا

أما طرفة فقد اكنفى بأن يعين اطلال خولة ببرقة نهمد : (١٤)

لخولة أطلال ببرقة نهمد

تلوح كبقاى الوشم في ظاهر اليد

لم يترك الشعراء هذه الديار والمواضع التي تذكرهم باحبتهم وأهلهم
وأيام صباهم ، دون ان يتشوقوا اليها ويذرفوا الدمع عندها ويسألوها ثم
تراهم يشبهونها بالوشم تارة وبالكتابة تارة اخرى . تذكر هذه المنازل
عادة مقرونة بذكر النساء الحبيبات ، فهم يصفونهن ظاعنات ويتابعونهن
بابصارهم ويسايرونهن بخيالهم ، فيعينون المواضع التي يمررن بها او ينزلن
فيها ، ثم يصفون هذه المواضع خاوية خالية غدت مسرحاً للوحش من
الحيوان ، ومن البدهي ان نجد ذكر الديار مرتبطاً بذكر النساء وحديثهم
اليهن بذكرياتهم عن اطلالهن ، ولا تحسب ذلك اضطراباً في اذهانهم ، بل
هو استجابة لدواعي البيئة وطبيعة الموضوع الذي يتناولون ، وان المعاني
يدعو بعضها بعضاً ، فالوقوف على الديار يذكر أهلها ، ووصف الديار
يوجب تحديدها وتبيين مواضعها وتسمية ما فيها من اودية وجبال وسهول
وانجاد وعيون للمياه ، وكان التأمل في الديار المقفرة يدعو الى ذكر آياتها
من النوى والاواري والاثافي والتمام الذي تسد به خصائص البيوت .

ويكوّن وصف المنازل والديار جزءاً من الصورة به تستكمل جوانبها
وتتم أبعادها ، فهي من خصائص الصورة العربية ، وقد كانت تجيء على

(١٣) هذا البيت سقط من معلقته بشرح التبريزي . انظر شرح الزوزني

ط السعادة ص ١٢١ .

(١٤) شرح المعلقات للتبريزي ص ٣٠

الطبيعة لانها ابرز ما في البيئة واشد ارتباطا بعواطف الشعراء وذكرياتهم .
أما في العصور اللاحقة فقد غدت من الامور المصطنعة الملققة ، التي قلما
تأتي عفواً ، واذا كانت الديار عند الجاهليين جزءاً من الفن ، فقد
أضحت في عصور التأخر جانبا من الصناعة وركنا من اركان التقليد .

- ٤ -

وكان الشاعر الجاهلي يستعين بضروب من المجاز والمحسنات المعنوية
التي تأتي عفواً ، دون تكلف او افتعال لظهور الصورة بازهى حلة
واجمل اسلوب ، فكان الشاعر يعنى باستقصاء القول في الوصف واستغراق
التشبيه واستيفاء الصورة البيانية استيفاءً يتناول دقائقها وتفصيلها . وكانت
هذه الصور والتشبيهات مستمدة من الواقع منقولة من طبيعة الحياة ، وكانت
شدة احساسه بالجمال تجمل الصورة وتخرجها بهية رائعة . فأمرؤ القيس
يستمد من حياته وما فيها من سهام الميسر وسهام الصيد ليكون هذه الصورة
البديعة : (١٥)

وما ذرفت عيناكِ الا لتضربني

بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتَل

واستمد عنتره هذه الصورة الحية الناطقة من الروض فيه الذباب
الغرد ، كشارب سكر فترنم ، وقد لاحظ حركة ذراعيه فتذكر صورة
المكب على الزناد الذي لا يوري فهو يعالجه باهتمام : (١٦)

وخللا الذباب بها فليس يسارح

غَرْداً كفضل الشارب المترنم

هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِه

قَدْحُ المَكْبِ عَنلى الزنَادِ الأَجْذَمِ

(١٥) ديوان امرؤ القيس ص ١٣ دار المعارف وفيه (الا التقدسي) .

(١٦) ديوان عنتره ص ١٩ ط بيروت

وقد كان اولَ من فتح أساليب البيان وافتنَّ في عرض الصور
وأكثر من التشبيهات امرؤ القيس الذي يرسل تشبيهات متتالية في كثير
من أبياته على شاكلة قوله في وصف جبل ثبير حين ينهمر عليه المطر: (١٧)

كأن ثبيراً في عرايين وبلية
كبير أناس في بججاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمر غدوة
من السيل والغشاء فلكة منزل
كأن مكاكى الجواء غندية
صُبحن سلافاً من رحيق مفلفل
كأن السباع فيه غرقى عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

يشبه امرؤ القيس ثبيراً حين احاط به السيل وتوالى عليه المطر بكبير
قوم قد تزل في ثياب مخططة • ثم تناول صورة أخرى حيث شبه رأس
جبل المجيمر وقد غمره السيل وفيه الغشاء والنبات بفلكة المنزل ، وصورة
أخرى هي صورة طيور المكاكى وقد فرحت بالخصب وغردت مسرورة
كأنها نشوان أسكره سلاف الخمر المفلفل • ثم تناول صورة السباع وقد
أغرق السيل آجامها ففرقت في لججه فبدت رؤوسها كأنها البصل البسرى
الذي قد نُبش •

وصور امرؤ القيس هذه صور منفصلة متتابعة موجزة كل صورة
تستقل بذاتها ولذلك فهي من الصور القديمة الاولى التي لم تتطور بعد
فتصبح كصور زهير او صور النابغة حيث يجيد في وصف المتجرده ، يعمل
خياله فيصوغ آيات من الجمال في صور زاهية تروق السمع والعين في
آن واحد ، وقد خشد هذه الصور في موضوع واحد هو وصف هذه

(١٧) ديوان امرؤ القيس ص ٢٥-٢٦ •

الغاية الفاتنة فراح يلتبس لها اسباب الجمال في حسنها وحركتها وجمال
خلقها ، يقول : (١٨)

في اثر غانية رمتك بسهمها
فأصاب قلبك غير أن لم تُفصِّدِ
غيتُ بذلك اِذ همُ لك جيرةُ
منها بمعطفِ رسالةٍ وتودُّدِ
ولقد أصابت قلبه من حبِّها
عن ظهر مرَّنانٍ بسهمٍ مُصردِ
نظرت بمقلة شادنٍ متربِّبِ
أحوى أحَمَّ المقتلين مُقلِّدِ
والنظمُ في سلكِ يُزَيْنُ نحرُها
ذهبُ توقُّدُ كالشهابِ الموقِّدِ
صفراء كالسيِّراءِ أكملَ خلقها
كالعصنِ في غُلُوئه المتأوِّدِ
والبطنُ ذو عُكْنٍ لطيفٍ طيِّبِ
والأتبُ تفجُّجهُ بشدِّى مُقعدِ
محطوطةُ المتينِ غير مُفاضةِ
ريّاً الرُّوادرِ بضَّةُ المتجرِّدِ
قسامت تراوى بين سجنى كَلَّةِ
كالشمسِ يوم طلُّوعِها بالأسعدِ
أو دُرَّةِ صدقيَّةِ عَواصِها
بَهجٍ متى يَرها يَهيلُ ويسجدِ

(١٨) ديوان النابغة ص ٣٩-٤٠ ط بيروت ١٩٦٣

أَوْ دُمَيْسَةَ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةً
بَيْتَ بَاجِرٍ نَشَادُ وَقَرْمَسِدِ
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ اسْقَاطَهُ
فَتَنَاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالسِّدِ
بِمَخْضَبِ رَاحِصٍ كَأَن بِنَانَهُ
عَنَّمْ يَكَادُ مِنَ اللَّطِيفَةِ يُعَقِّدُ
نَظَرْتَ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْمَوَدِّ
تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حِمَامَةَ أَيْكَةٍ
بَرَدًا أُسِفَ لِثَانِهِ بِالْأَسْمِدِ
كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غَيْبِ سَمَائِهِ
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى^(١٩)

فقد وفق النابغة في اظهار بهاء المتجرده وحسنها بتشبيها بالشمس يوم
طلوعها بالاسعد ، وهو برج الحمل حيث تكون الشمس بين غلائل من
السحب الشفافة فتبدو في أزهي صورة وأجمل منظر ، وكذلك المتجرده
حين تظهر بين سجفي الستر ، ثم يشبهها بالدره تتألق بين صدفتين ، أو
دمية من مرمر ابيض ناعم ، ثم يتناول وصف ثناياها البيض البراقسة
ولثائها الحمراء العاتكة كأنها البرد ، او كأنها الاقحوانه بللها الندى ،
وهكذا يرسم الشاعر الصورة بما يهيب لها من اسباب التشبيه بصورة
اخرى تظهر للقارىء جمالاً من مقارنة الصورتين وابرار الحسينين •
وإذا جئنا الى زهير نجده يعرض الصورة ثم لا يتركها حتى يستكمل
جوانبها ، يلح عليها ويفصل في انحاءها ويستوفي جوانب الحسن فيها ،

(١٩) هذا المعنى من بيت طرفه في معلقته :
وتبسم عن المي كان منوراً تخلل حر الرمل دعص له ند

نلمس ذلك في وصف هذه المرأة اذ يقول : (٢٠)

تسازعها المها شهباً ودر الـ
نُحُور وشاكهتُ فيها الظباء
فأما ما فويق العقيد منها
فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقتان فمن مهة
وللدر الملاحه والنقاء

فهير في البيت الاول يعقد الصلة بين جمال صاحبه وجمال بقسر
الوحش والظباء والدر ، ونراه في البيت الاول يقدم صورة مجملية ثم
يذهب الى تفصيلها واستيفاء محاسنها في البيتين الاخرين ، وقد اعجبت
هذه الصورة القدماء ومنهم ابن قتيبة (٢١) وما زالت تستحوذ على أعجاب
المتذوقين من المتأخرين *

واذا وصلنا الى لبيد في نهاية العصر الجاهلي ، نجد صورته متقنة
شديدة العناية كثيرة الاتقان ، نرى ذلك في هذه الايات التي يصف فيها
ثوراً تطارده كلاب صياد ضامر البطن كالذئب ، والثور يجد في قتال
هذه الكلاب ، قال القائد الذي يدود عن حماه ويحمي اصحابه ، فهو
يطعن بقرنيه المرهفين كأنهما أسنة قاطعة ، حتى تنجلي المعركة عن صرعى
مضرجة بالدماء كأنها اوعية مملوءة دماً ، والدم يتفصد من جوانبها : (٢٢)

فعدا على حذر مورث عدة
يهتز فوق جينه رمحان
حتى أشيب له ضراء مكلب
يسمى بهن أقب كالسرحان

(٢٠) ديوان زهير ص ٦١-٦٢

(٢١) الشعر والشعراء ص ٥٨ ط اوربا

(٢٢) ديوان لبيد ص ١٤٥-١٤٦

فحمى مقاتله وذاد بروقه
حمى المحارب عسورة الصحبان
شزراً على نبض القلوب ومقدما
فكأنما يخلها سنان
حتى انجلت عنه عماية نقره
فكان صرعاها ظروف دنان

هذه الصور جميعها كان عمادها التشبيه ، وجمال التشبيه وبلاغته
أنه يعرض صورتين يربطهما التماثل ، ويزداد جمال التشبيه اذا كانت
الصورتان نادرتين يتطلب استحضارهما خيال بارع وذهن خصيب .
والصور التي مرت على العموم بسيطة غير مركبة ، سهلة غير معقدة ،
ذلك أنها اتخذت التشبيه وسيلة ، والمقارنة بين شيئين أو صورتين سبيلا .
وهناك صور أخرى أكثر دقة وابعد خيالا والصق بالفن والشاعرية ،
تلك الصور التي عمادها الاستعارة والكناية . واذا كان التشبيه يمثل طور
البداية وهو اول مراحل التصوير ، فان الاستعارة تمثل مرحلة النضج
والدقة الفنية وقوة التصوير ذلك ان الاستعارة قائمة على تناسي التشبيه
ولذلك فعمادها قوة التصور والخيال البعيد . والاستعارة الجيدة لذلك
لا تتأتى لكل الشعراء ولا لكل القائلين . فقلت في الشعر الجاهلي ،
وقد ذهب ابن وكيع^(٢٣) الى ان اول استعارة جاءت في الشعر الجاهلي قول
امرىء القيس :^(٢٤)

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على أنسواع الهموم ليتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلكل

(٢٣) العمدة ١/٨٦

(٢٤) ديوانه ص ١٨ وفيه (غطى بجوزه) والرواية المشهورة (بصلبه)

والصور التي تعتمد الاستعارة اسلوباً ، تدل على رقة في الاحساس
وشعور بالجمال والحياة ، ويكفى ان ننظر في هذه الصور لتجد مدى
احساس الجاهلين بالجمال وقوة خيالهم وخصب قرائحهم ، وهي صور
ايقة تأتي وفق الفطرة السليمة والنفس الصافية ، يقول تأبط شراً واصفا
قوة صاحبه : (٢٥)

اذا هزَّه في عظمِ قِرنٍ ، تهلَّلتْ
نواجذُ أفواه المنايا الضواحك

ومثله قول الآخر :

سقاء الردى سيف اذا سلَّ أو مضت

اليه ثنايا الموت من كل مرقب

وانظر كيف جعل تأبط شراً النواجذ تهلل وتلمع لمعان البرق

ثم تضحك المنايا كأنها انسان شامت فرح •

ويقول زهير مصوراً حبه : (٢٦)

صحبا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعُسرَّى أفراس الصبا ورواحله

وهذه صورة نادرة غريبة ، اذ جعل اسباب حبه لصاحبه افراساً

ورواحل يحتطئها الى حبيته وقد عريت الان فذهب الحب وصحا قلبه

واقصر عن باطله •

اما ليبد فيحدث عن كرمه وقت الجذب والبرد وكيف دفع عن

الجياح هذه الشدة فيقول : (٢٧)

وغداة ريح قد وزعت وقرّة

اذا أصبحت بيد الشمال زمامها

(٢٥) المرزوقي - شرح ديوان الحماسة ٩٨/١ ط لجنة التأليف ١٩٥١.

(٢٦) ديوان زهير ص ١٢٤ •

(٢٧) ديوان ليبد ص ٣١٥

فانظر الى هذا التخيل وكيف جعل للعداء زماء ، وللشمال يداً تتحكم
بزماء العداة .

ويقف عند منظر غروب الشمس وحلول الظلام فيقول : (٢٨)

حتى إذا أَلقت يداً في كافرٍ
وأجنَّ عورات الثغور ظلامها

فقد أَلقت الشمس يدها في الليل وهو الذي سماه كافرأ اي ساتراً .
وصور لييد التي تقوم على الاستعارة كثيرة ، وهي من النوع الذي
يسميه البلاغيون بالاستعارة المكنية ، وهي اعز مطلباً وابعد منلاً مسن
التصريحية ، وسر الجمال فيها هذا الخيال البعيد الذي لا يتأني الا
للشعراء القادرين المبدعين .

وكذلك نجد استعارات جميلة عند فريق من الشعراء مثل أوس بن
حجر في قوله :

واني امرؤ اعددت للحرب بعدما
رأيت لها ناباً من الشر اعصلا
وعند طفيل الغنوى في وصف ناقته :
وجعلت كورى فوق ناجية
يقتات شحم سنامها الرحيل
وقول النابغة في طول الليل :

تطاول حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وغير ذلك كثير في أشعار الجاهليين .

(٢٨) الديوان ص ٣١٦ .

وكما عبروا عن الصور الجميلة بالاستعارة فقد عبروا عنها بالكناية
وهي أسلوب من التعبير يعتمد على ايجاز العبارة او ادماج اجزائها .

وهي كما يقولون : واسطة للابانة عن اللازم والملزوم جميعا باللازم
وحده . واجادة التعبير بالكناية دليل على براعة الشاعر في صياغة معانيه
باسلوب رفيع ، وعبارة موجزة دالة ، فيها ضرب من الجمال لا يتأتى
اظهاره بدونها ، يقول النابغة في رفاة الفساسة وعفتهم : (٢١) .

رقساق النعال طيَّبَ حجزاتهم
يُحَيِّوْنَ بِالرِيحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ

ويقول في وصف امرأة مخدرة مخدومة: (٢٢)

ليست من السود اعقبا اذا انصرفت
ولا تيسع بجنبى نخلة البرمما

اما لبيد فيقول في ذكر الموت: (٢٣)

وكسل أناس سوف تدخل بينهم
دويهة تصفرُ منها الأناميل

ويعبر عن كثرة فرسان قومه في بني جعفر: (٢٤)

ولقد أراني تارة من جعفر

في مثل غيث الوابل المتحلب

ويخاطب عنزة حينئذ عبله بانها هي التي جعلته يدلج في ظلام الليل
قبل ان ينشق ضوء الفجر فصر عن تكبيره بان القطا البيض لمسا تهض
بعد من عدوتى الوادى : (٢٥)

(٢٩) ديوانه ص ١٢ .

(٣٠) ديوانه ص ١٠١ .

(٣١) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٣٢) ديوانه ص ١٥٧ .

(٣٣) ديوان عنزة ص ٢٠٧ .

وانت التي كلفتني دَلَجَ السُّرَى
ويض القطبا بالجهتين جُوم
أما صورة الاعشى ففيها دقة وابداع ، يقول في سرعة ناقته وقت
الظهيرة : (٣٤)

بجَلالسة سُرُحٍ كأن بدفها
هراً اذا اتعل المطي ظلالها

وهكذا نجد الشعراء الجاهلين لم يتركوا جانباً من جوانب التعبير
الفني والتصوير البديع الا طرقوه وأفادوا منه سواء أكن ذلك باستعمالهم
وسائل التحسين البيانية المعنوية ام المحسنات البديعية اللفظية وكلها تدعم
الصورة وتملأ جوانبها حسناً وجمالاً .

يحيى الجبوري

(٣٤) ديوان الاعشى ص ٢٧ ط محمد حسين * وبيت الاعشى شبيهه بقول
عنثرة :

وكانما ينأى بجانب دفها الـ -وحشى بعد مخيلة وترغم
هر جنيب كلما عطفت له -غضبي اتقاها باليدين وبالقم

التربية وعلم النفس

دراسة تجريبية في تأثير ترتيب الظروف على تكوّن الانطباعات عن الشخصية

الدكتور ابراهيم يوسف المنصور
استاذ علم النفس التجريبي المشارك
بكلية الاداب جامعة بغداد
والمحاضر بالجامعة المستنصرية

من الموضوعات الاساسية التي نالت اهتمام علماء النفس ، بغض النظر عن المدارس الفكرية والفلسفية التي يمتون اليها بصلة ، موضوع الشخصية البشرية . ودراسة الشخصية ، بالنسبة لاي منطلق من منطلقات البحث فيها ، تعني بصورة رئيسة بمجموعة السمات والخصائص التي يتميز بها فرد من الافراد ضمن اطار اجتماعي معين .

لقد حاول الباحثون في هذا الميدان أن يصطنعوا الوسائل التي تساعدهم في التعرف على الملامح الاصلية للتركيب الشخصي وما لهذا التركيب من علاقة وظيفية بطبيعة التركيب النفسي - الاجتماعي للمجال الذي يتفاعل فيه الفرد . واذا كان الفرد يكتسب خصائصه وهو يتفاعل في الوسط الاجتماعي فأنا نستنتج بأن الوجه الاجتماعي الذي يضيفه المجال الاجتماعي المعين تناسب أبعاده في الأعم الأغلب مع الأبعاد التركيبية لذلك الوجه .

ولقد دارت حول موضوع الشخصية مجموعة من الافتراضات والنظريات عكست لنا بمجموعها تأملات الانسان في ماضيه وحاضره وهو

يحاول الكشف عن حقيقة التركيب الشخصي للفرد • تراوحت هذه المحاولات بين التأمل الفلسفي المجرد وبين الملاحظات الموضوعية التي يحاول الباحث أن يسيطر على متغيراتها ويحددها • وكان الهدف الأساسي من جميع هذه المحاولات والمساعي يكمن في إيجاد تفسير المتغيرات التي تتظاهر بأسلوب معين لتنسج لنا الشخصية كحصيله نهائية •

يمكن تقسيم هذه المحاولات الى قسمين ، القسم الاول ويعنى بالتعرف على علاقة التركيب الجسمي بنمط الشخصية ويدخل في ذلك التركيب الكيمياوي المتمثل بالافرازات الهورمونية للغدد الصم وتأثيرها في تغير بايو - كيمياوية الدم بأسلوب طابعه الاستدامة النسيية • وقد حاول أصحاب هذه النظريات (السوماتية) الجسمية ، أن يعتبروا التركيب أو البناء الجسمي منطلقا لتكوين الطابع العام لنمط الشخصية • ولهذه النظريات المتعلقة بالبناء الجسمي أعلامها من القدامى والمحدثين • فمن القدامى (أيوقراط) الذي ترجم ماكتبه الفيلسوف الاغريقي المسادي (امبادوقليس) الذي أفترض بأن الكون يتألف من أربعة عناصر هي التراب والهواء والنار والماء ، الى أربعة أمزجة جسمية اذا ما تعادلت أدت إلى وجود الشخصية المتعادلة المنسجمة • وقد صنف الطبيب الاغريقي جالينوس هذه الامزجة الى ما يعرف بالمره الصفراء والدم والمره السوداء والبلغم •

أما المحدثون فيمكن التاريخ لهم بـ (كال) الذي نادى بنظرية الفرينولوجي التي ترى بأن العقل يتكون من مجموعة من الملكات التي لها مواضعها المعينة في الدماغ • والملكات هذه تعبر عن نفسها على شكل بروز في قحف الجمجمة • وهكذا كانت قراءة الجمجمة من الوسائل المستخدمة في وصف الشخصية ، وقد كان ذلك في حوالي عام (١٨٠٠) • وفي أعقاب القرن التاسع عشر قام عالم الاجرام الايطالي (لبروزو) بوضع نظرية مؤاها أن هنالك علاقة بين السلوك الاجرامي وبين بعض

الخصائص الجسمية • ثم أن (كرتشر) طرح في عام ١٩٢٥ نظرية في البناء الجسيمي وحاول أن يربط بين بعض خصائص التركيب الجسيمي والانماط الشخصية • أما الدراسات التي نحت نحوا علميا احصائيا فأنها مجموعة الدراسات التي قام بها (شلدون) و (ستيفنز) عام ١٩٤٢ • لقد حاول هذان الباحثان ايجاد العلاقة بين التراكيب الجسمية وانماط الشخصية • وهذه العلاقة عبرت عن نفسها على شكل معاملات ارتباط عالية • أما القسم الاخر من الدراسات فقد قام على نظريات في الشخصية قوامها البناء النفسي للفرد • أن أشهر النظريات المتعلقة بالبناء النفسي هي:

(١) النظرية السلوكية لواطسون عام ١٩٢٤ : يرى واطسون وأتباع مدرسته الفكرية بأن الشخصية مجموعة من الاستجابات الشرطية المتطورة • وما الفرق بين الشخصية السوية والشاذة الا الفرق بين التكيف الشرطي السوي والشاذ • ولقد قامت في الوقت الحاضر دراسات على رأسها الدراسات التي قام بها (آيزنك) أيدت الى حد بعيد النظرية السلوكية التي تفسر الشخصية ونموها •

(٢) نظرية (فرويد) في التحليل النفسي عام ١٨٨٣ : يؤكد فرويد في نظريته على أن دافع الحياة الاساسي هو (الليدو) أو الطاقة الجنسية • وما الشخصية في توافقها الا المحصلة الناتجة عن إمكانية تحقيق اللذة وتجنب الألم (الصفة التي يمتاز بها الليدو) وبين الواقع الاجتماعي أي ان التضارب بين ما يصبو اليه (الليدو) وبين الواقع الاجتماعي هو الذي يرسم لنا المعالم الاصيلة للشخصية في سويتها وشدوذها •

(٣) نظرية الفريد أدلر في التعويض النفسي عام ١٩١٧ : يرى أدلر بأن العقل هو الالة التي يتم بواسطتها التعويض عن النقص نفسيا • وعندما يكون التعويض صعبا نرى بأن الفرد لا يستطيع مجابهة واقعه كما ينبغي • فمقياس التوافق الشخصي يرتكز على درجة التعويض ونوعه وإمكانية الفرد للقيام به •

(٤) نظرية النمط الانطوائي - الانبساطي لكارل يونك عام ١٩٠٣:

تقوم نظرية يورتك في أساسها على تصنيف الناس الى صنفين رئيسيين ،
الصنف الاطوائي والصنف الانبساطي . والنسبة للنمط الانبساطي تجد
(الطاقة النفسية) لها متفصلا في مجالات وموضوعات خارجية . أما
بالنسبة للنمط الاطوائي فإن هذه الطاقة النفسية توجه الى موضوعات داخلية
كالخالات واحلام اليقظة ويستحيل صاحب هذا النمط من الشخصية الى
مجرد تمرکز حوله الافكار .

(5) نظرية إيفين الطوبولوجية عام ١٩٣٩ : يرى إيفين بأن التفاعل بين
الفرد والظروف التثبيته في بيئته يسفر عن نسوع من التضارب ، وأن
توفيق الفرد وعدم توفيقه في حل تلك التضاربات يرسم لنا الابعاد تكوينه
الشخصي .

أن نظريات إيفين والمحدثين حاولت أن تتوغل في قلب المشككاته
بأسلوب أو باخر وتصور التاملات والتروضيات والنظريات التي حاولت
تحديد المفاهيم والاسس في دراسة الشخصية البشرية . ولكنها مع كل
هذا أو ذلك لم تلمس معالم الجانب الاجتماعي كمرجع أساسي في دراسة
الشخصية ، إذ ليس هناك في الواقع من شخصية نستطيع أن نصفها
دونما رجوع الى المجال الاجتماعي الذي يتسلم الشخصية كمواد رئيسي
في الحكم عليها .

أن أبرز الجانب الاجتماعي في تحليل الشخصية ، دع كل هذا ،
لا ينكر وجود الآثار التي تركها العوامل الاخرى . ولكننا مسع ذلك
لا نعتبرها جزءا أساسيا في التركيب الشخصي . تشمل عبارة الشخصية مادة
على جماع الخصائص التي يمتلكها الفرد خلال الخصائص المتعلقة
بالابعاد الجسمية والقيزولوجية والذهنية . أن هذه الابعاد اثلاث الاخرى
لها تأثيرها في الشخصية ولكنها ليست في الواقع الابعاد الحقيقية للشخصية .
أن دراسي الشخصية البشرية لا يقتصرون الطرف من مكونات
الشخصية التي تقرر وجودها المكونات الوراثية . ولكنهم في الواقع

يرون بأن معظم خصائص الشخصية متعلم ، وأن هذه الخصائص تنمو بنمو الخبرات التي يكتسبها الفرد وهو يتفاعل مع ظروف بيئته وخصائص الظروف الاجتماعية . ومن هذا المنطلق علينا أن ندرك إذا أردنا فهما عميقا للشخصية ، ما تلعبه العوامل الاجتماعية في صوغ ملامح الفرد الشخصية وتوجيه أختياراته الاجتماعية .

« هدف البحث »

يهدف هذا البحث بصورة أساسية إلى التعرف على الكيفية التي يتكون فيها الفرد انطباعاته عن شخصيات الأفراد الذين يحتك بهم .
توصف الشخصية بأنها تجمع من السمات التي يستتجها الفرد مسن الملاحظات التي يقوم بها عن سلوك شخص معين . ليس هنالك من شك بأن مقابلة مقتضبة لا يسكن أن تمدنا بأحكام موضوعية دقيقة عن الملامح الاصلية لشخصية فرد من الأفراد . ولكننا مع ذلك نرى بأن الكثرة الكاثرة من الناس درجوا على تكوين انطباعاتهم عن الشخصية من اتصال ضيق المدى دونما اهتمام ببلوغ دقة تلك الانطباعات .

« فرضيات البحث »

صمم هذا البحث بصورة رئيسة ليختبر فرضيتين من شأنهما تفسير تكون الانطباعات عن الشخصية .

الفرضية الاولى : تفترض هذه الفرضية بأن الصفات التي تأتي متقدمة في تسلسلها تحظى بالتأثير الواضح في تكوين الانطباعات عن الشخصية وتعتبر بمثابة مرجع الدلالة في الحكم على الشخصية من حيث كونها شخصية مفضلة (اذا كانت الصفات التي تحظى بالاولوية في تسلسلها صفات مفضلة) أو أنها شخصية غير مفضلة (اذا كانت الصفات التي تحظى بالاولوية في تسلسلها صفات غير مفضلة)

الفرضية الثانية : تفترض هذه الفرضية بأن الصفات المتأخرة في

تسلسلها أكثر تأثيراً في النفس وفقاً لمبدأ (الحدث) وعليه فإن الانطباعات تتكون تحت تأثير هذه الصفات التي تأتي متأخرة في سياقها .

« بحوث سابقة »

من الدراسات الرائدة في هذا الميدان الدراسة التي قام بها (سلومون آش) عام ١٩٤٦ . كان (آش) في دراسته يطلب من أشخاص التجربة أن يسجلوا انطباعاتهم عن شخصية اسنان افتراضي بعد أن كان يصفه لهم بواسطة أوصاف مثبتة في قائمة موحياً لهم بأن هذه الأوصاف تنطبق على هذا الشخص الافتراضي . كانت القائمة التي استخدمها (آش) تحتوي على صفات مفضلة وأخرى غير مفضلة . وكان السياق التسلسلي لقائمة الصفات معكوساً بالنسبة لمجموعتي الأفراد الذين استخدمهم في التجربة . فبالنسبة للمجموعة الأولى كانت الصفات المفضلة تقرأ أولاً وتقبها الصفات غير المفضلة . أما بالنسبة للمجموعة الأخرى فقد كان الأمر معكوساً .

وجد (آش) بأن الانطباعات التي تكونت كانت طبيعتها وثيقة الصلة بطبيعة الصفات التي قرئت أولاً ، أي أن السياق التسلسلي للقائمة الصفات أدى إلى تكوين انطباعات مفضلة عند المجموعة التي تعرضت لسماع الصفات أولاً ، بينما أدى السياق التسلسلي المعكوس لهذه القائمة إلى تكوين انطباعات غير مفضلة عند المجموعة التي تعرضت لسماع الصفات غير المفضلة أولاً . وهكذا يخلص (آش) إلى النتيجة التي ترى بأن عامل (الأولوية) عامل مهم في تكوين الانطباع .

وفي الدراسة التي قام بها (كاستنباوم) ١٩٥١ ، حيث كان الباحث يسجل عبارات موجهة نحو شخص آخر (كمنبه) ، لتسجيل الانطباعات بعد ذلك عنه ، كانت النتائج مماثلة لتلك التي حصل عليها (آش) . ومن البحوث التي أيدت النتائج التي حصل عليها آش إلى حد كبير ، الدراسات التي قام بها (لوشنر) ١٩٤٨ و (دينرشتاين) ١٩٥١ و (كولن) ١٩٥٨ .

ولقد قام (لوشنز) ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، بدراسة شاملة في هذا المجال أيدت بكل وضوح تكون الانطباعات تحت تأثير الصفات الأولى في سياقها التسلسلي ، ولكنها مع ذلك نبهت الى أهمية الظروف التيسيرية في تأثيرها على تكوّن الانطباعات . فمن الممكن أحداث تغييرات في العلاقات التي تنظم الظروف التيسيرية وبذلك يصل الباحث الى نتائج قد تكون مختلفة .

وعلى نفس المستوى قامت دراسات تجريبية (اوستراندر وشتيكر) ١٩٦٠ و (كولن) ١٩٥٨ تؤكد على أهمية الظروف التي تحدث الاحكام تحت متغيراتها .

وفي الدراسة التي قام بها (آندرسون وهيوبرت) ١٩٦٣ ، توصل الباحثان الى أن الشخص في التجربة يعبر عنها بأقل للصفات التي تأتي في آخر القائمة ، وهكذا تكون تلك الصفات الأخيرة في سياقها التسلسلي أقل تأثيراً في تكوّن الانطباعات من تلك الصفات التي تأتي متقدمة في سياقها التسلسلي . وبالرغم من الاختلاف الملحوظ في تفسير الظاهرة عند (آس) من ناحية و (آندرسون وهيوبرت) من ناحية أخرى فإن الباحثين يتفقون على أهمية (أولوية الصفات) في تكوّن الانطباعات .

ولقد وجد (آندرسون) ١٩٦٥ في دراسة أخرى ، بأن التأثيرات التي تحظى بالأولوية في تكوّن الانطباع ، وهي التأثيرات التي أحدثتها قائمة الصفات ، جاءت مؤيدة للدراسة التي قام بها (آس) ، هذا بالرغم من اختلاف وجهات نظر الباحثين في تحديد وتفسير العوامل التي تسفر عن حدوث هذه التأثيرات التي تقوم على مبدأ الأولوية . يفترض (آس) بأن معاني الصفات التي تجيء في آخر القائمة تتعرض في الواقع لتأثير وتعديل يحدثه سياق عرض الصفات الأولى على الشخص . فلو تم عرض الصفات المفضلة أولاً ، فإن هذه الصفات تجعل الكلمات غير المفضلة التي تتبعها تبدو أقل سلبية . والعكس يحدث اذا عرضت الصفات غير المفضلة

أولاً ، حيث أن هذه الصفات تؤثر في الصفات المفضلة التي وضعت في
آخر القائمة وتجعل منها صفات أقل إيجابية .
« منهج البحث وأدواته »

النموذج :

تكون نموذج هذا البحث من (٤٠) طالبة وطالبا من طلاب جامعة
بغداد وجامعة الحكمة الملتقاء ، عام ١٩٧٠-١٩٧١ . كان المستوى الدراسي
لهذه المجموعة هو السنة الثالثة من الدراسة الجامعية في قسم التربية وعلم
النفس واللغة الانكليزية . ولقد أُنقسم هذا العدد الى قسمين متساويين
خضع كل منهما لظرف تجريبي معين . فبحكم من تصميم التجربة توزعت
المتغيرات الدخيلة (العشوائية) توزيعا متعادلا نسبيا بين المجموعتين . لقد
جرت التجربة بصورة فردية ، حيث كان الشخص الاول يخضع للظرف
التجريبي الاول ، بينما يخضع الشخص الذي يأتي بعده مباشرة للظرف
التجريبي الثاني ، ويخضع الشخص الثالث للظرف الاول وهكذا .

وكان من تصميم التجربة أيضا الاستعانة بعشرة أشخاص يقومون
بتقدير الانطباعات التي كونها أشخاص التجربة مستخدمين في ذلك سلما
تقديريا يتكون من تسع نقاط يتراوح بين الصفات غير المفضلة المتطرفة
وبين الصفات المتطرفة . ولقد تكونت هذه المجموعة من طلبة السنة الاولى
في قسم الماجستير للتربية وعلم النفس في جامعة بغداد وبعض أساتذة قسم
التربية وعلم النفس وأشخاص خارج الجامعة .

« أدوات البحث »

أستخدمت في هذا البحث قائمتا الصفات اللتان وضمهما (أش)
بعد أن ترجمت إلى اللغة العربية بدقة . وهاتان القائمتان من الصفات
تصفان شخصا افتراضيا وهما موضوعتان بأسلوبين يخالف أحدهما الآخر
في تسلسله . والجدول رقم (١) يبين هاتين القائمتين من الصفات .

جدول (١)
قائمتان من الصفات معكوستان في تسلسلهما تصفان شخصا افتراضيا
(آس : ١٩٤٦)

التسلسل في الصفات (من غير المفضلة الى المفضلة)	التسلسل في الصفات (من المفضلة الى غير المفضلة)
حسود	ذكي
عنيد	مجد
نزاع الى الانتقاد	نشط
نشط	نزاع الى الانتقاد
مجد	عنيد
ذكي	حسود

« الطريقة »

قام الباحث بقراءة ما يلي على كل شخص في التجربة :

• أريد أن أعرف على أنطباعتك عن شخص غير معروف لديك ،
ولكنني سوف أقوم بوصفه لك وذلك بأن أقرأ قائمة من الصفات وضمها
بعض معارفه عنه عندما طلب اليهم أن يصفوه . أتبه جيدا لانني سوف
لا أعيد قراءة أية صفة في القائمة . وبعد ذلك سوف أسألك عن أنطباعتك
عن هذا الشخص .

كانت قائمة الصفات في الجدول (١) تقرأ بمعدل كلمة واحدة في
كل ثلاث نوان . كما أن قائمتي الصفات كانتا تقرأن على اشخاص التجربة
بصورة متناوبة (من الصفات المفضلة الى غير المفضلة مرة ومن الصفات
غير المفضلة الى المفضلة مرة أخرى) . وبعد الانتهاء من قراءة قائمة
الصفات ، كان يطلب إلى كل شخص أن يكتب فقرة قصيرة يصف فيها
انطباعاته عن هذا الشخص المجهول . وكان الاشخاص قد أخبروا بأن
لديهم متسما من الوقت لكتابة هذا الانطباع .

وبعد أنجاز هذه المهمة كان يقرأ على الشخص ما يلي :

« أريدك أن تختار رقما يتراوح بين الـ(١) (الصفة غير المفضلة المتطرفة في ذلك) والـ(٩) (الصفة المفضلة المتطرفة في ذلك) ، وأختيارك هذا يدل على طبيعة انطباعتك عن هذا الشخص » .

ولغرض تيسير مهمة التقدير أعد سلم تقديري وأعطي لكل شخص في التجربة ليضع عليه درجة الانطباع الذي تكون عنده وتراوح بسين الحدين المتطرفين من الصفات المفضلة وغير المفضلة .

جدول (٢)

السلم التقديري



« النتائج وتحليلها »

لقد هدف هذا البحث الى التعرف على التأثير الذي تتركه الصفات التي تأخذ سياقاً وترتيباً معيناً على تكون الانطباعات المتعلقة بالشخصية . كانت هنالك فرضيتان حاول هذا البحث أن يختبرهما : الفرضية الاولى ، ومؤداها أن الصفات المتقدمة في تسلسلها هي التي تحظى بالتأثير الواضح في صوغ الانطباعات عن الشخصية وتعتبر بمثابة مرجع الدلالة الذي يحكم به على الشخصية من حيث أنها شخصية ايجابية (اذا كانت الصفات التي تحظى بالاولوية في تسلسلها صفات مرضية) أو أنها شخصية سلبية (اذا كانت الصفات التي تحظى بالاولوية في تسلسلها صفات غير مرضية) والفرضية الاخرى ، ومؤداها أن الصفات الاخيرة في تسلسلها أكثر تأثيراً في النفس على أساس ما يعرف بقانون القرب - حيث الانطباعات القديمة - كما يرى كوفكا - أقل تنظيمياً وتذكراً من الانطباعات الجديدة وذلك لان الاقتفاء الحديث أقرب زمناً - وعليه فأن الانطباعات تتكون متأثرة بالصفات التي تأتي متأخرة في سياقها التسلسلي .

هياً الباحث قائمتي الصفات ، وعند اجراء التجربة كان يخضع كل شخص للطرف التجريبي الذي سبق تحديده . كانت التعليمات اللازمة تلقى على كل شخص في التجربة . وبعد أن يكون الشخص قد أستعد لان يستمع الى قائمة الصفات (الطرف التجريبي) كانت تلك الصفات تتعاقب بمعدل ثلاث ثوان للصفة الواحدة . وبعد هذا الاجراء كان الشخص في التجربة يعطي ورقة صغيرة ليسجل عليها انطباعاته المتكونة عن هذه الشخصية الافتراضية ، وكان الغرض من ذلك بلورة هذه الانطباعات . وبعد ذلك كان الشخص يعطي سلماً تقديرياً (لكل شخص في التجربة أعد سلم تقديري) ذا تسع نقاط يتراوح بين الرقم (١) ، الذي يرمز للصفات غير المفضلة المتطرفة في ذلك ، وبين الرقم (٩) ، الذي يرمز للصفات المفضلة المتطرفة في ذلك ، ليضع هذه الشخصية التي كون عنها انطباعه في المنزلة التي يراها مناسبة مع الانطباع الذي تكون عنها . قام الباحث باجراء هذه العملية على (٤٠) شخصاً ، خضع نصفهم للطرف التجريبي الذي تسلسل فيه المتغير التجريبي من الصفة المفضلة وأتتهى بالصفة غير المفضلة ، كما خضع نصفهم الاخر للطرف التجريبي الذي تسلسل فيه المتغير التجريبي من الصفة غير المفضلة وأتتهى بالصفة المفضلة . وبعد ذلك قام الباحث بقراءة كل ورقة كتبها اشخاص التجربة ، مسجلين عليها انطباعاتهم عن الشخصية الافتراضية ، على مجموعة من المحكمين تكونت من (١٠) أفراد كان يطلب من كل شخص من هؤلاء المحكمين أن يزن هذه الانطباعات من الشخصية وذلك بوضعها في المكان الذي يراه مناسباً في السلم التقديري ذي النقاط التسع . لقد أجريت هذه العملية أربعين مرة وحسبت بعد ذلك الاوساط الحسابية للتقديرات التي قامت حول كل شخص . وعندما كانت الانطباعات المسجلة تقرأ على المحكمين ، لم يكن المحكمون على بينة من الطرف التجريبي الذي تكونت الانطباعات وسجلت تحت تأثيره .

كانت النتيجة أن تم الحصول على مصفوفة من الاوساط الحسابية

(المعدلات) للتقديرات بالنسبة للانطباعات التي سجلت تحست الطرف التجريبي الذي كانت الصفات المفضلة فيه تحظى بالأولوية من حيث التسلسل ، ومصنوفة أخرى من المعدلات للتقديرات بالنسبة للانطباعات التي سجلت تحت الطرف التجريبي الذي كانت الصفات غير المرضية فيه تحظى بالأولوية من حيث تسلسلها . كما تم الحصول على مصفوفتين من التقديرات قام بها (٤٠) شخصا في التجربة ، المصنوفة الأولى تكونت من تقديرات (٢٠) شخصا وقعوا تحت تأثير الطرف التجريبي الذي كانت الصفات غير المفضلة فيه تحظى بالأولوية في تسلسلها .

لقد أستخدم (الاختبار التائي) في مقارنة متوسط الصفات (المفضلة - غير المفضلة) للمحكّمين الذين وضعوا قيمة على السلم التقديري لكل ورقة سجلت عليها الانطباعات التي قام بها أشخاص التجربة ومتوسط الصفات (غير المفضلة - المفضلة) للمحكّمين الذين وضعوا قيمة على السلم التقديري لكل ورقة سجلت عليها الانطباعات التي قام اشخاص التجربة . كانت قيمة (ت) (٦٩٦) ، وهي نسبة ذات دلالة عند مستوى ٠.٠٠١ .

جدول (٣)

متوسط التقديرات التي قام بها عشر محكمين عن الانطباعات التي كونها اربعون شخصا في التجربة

الصفات	الصفات
(المفضلة - غير المفضلة)	(المفضلة - غير المفضلة)
ن = ٢٠	ن = ٢٠
٣٧٠	متوسط التقديرات ٦٥٠
٦٩٦	
٤٤٢٠	٢٥ التباين

ت ذات دلالة عند مستوى ٠.٠٠١

وبما أن الوسط الحسابي للتقديرات التي قام بها المحكمون بالنسبة

للانطباعات التي تكونت تحت تأثير الطرف التجريبي الذي كانت الصفات المفضلة فيه تحظى بالاولوية من حيث السياق التسلسلي أعلى من الوسط الحسابي للتقديرات التي قام بها المحكمون بالنسبة للانطباعات التي تكونت تحت تأثير الطرف التجريبي الذي كانت الصفات غير المفضلة فيه تحظى بالاولوية (٦٠٥ ، ٣٧٧ على التوالي) ، فإن ذلك يدل على صحة الفرضية الاولى التي ترى بأن الصفات التي تأتي متقدمة في تسلسلها تحظى بالتأثير الواضح في تكوين الانطباعات عن الشخصية . معنى ذلك أن الصفات المفضلة سجلت قيما عالية على السلم التقديري بينما سجلت الصفات غير المفضلة قيما واطئة على نفس السلم التقديري ، أي أن هنالك اتجاهين تكونا وعكسا اتجاه المجموعتين ، الاتجاه الاول نحو الايجاب (وكان ذلك تحت تأثير المتغير التجريبي الذي هو قائمة الصفات المتسلسلة من الصفات المفضلة الى الصفات غير المفضلة) والاتجاه الاخر نحو السلب (وكسان ذلك تحت تأثير المتغير التجريبي الذي هو قائمة الصفات المتسلسلة من الصفات غير المفضلة الى الصفات المفضلة) .

وقد تم اجراء الاختبار التائي أيضا بين التقديرات التي قام بها اشخاص التجربة العشرون الذين كونوا انطباعاتهم تحت تأثير الطرف التجريبي الذي كانت فيه الصفات المفضلة أولى في سياقها التسلسلي . كانت قيمة (ت) ٤٣٣٨ ، وهي قيمة ذات دلالة عند مستوى (٠.٠٠١) .

جدول (٤)

التقديرات عن الانطباعات التي قامت بها مجموعتان كل مجموعة تتكون من عشرين شخصا

الصفات	الصفات
(المفضلة - غير المفضلة)	(المفضلة - غير المفضلة)
متوسط التقديرات ٦٠٦	٤٠٥
١٨٠٨	٧١
التباين	٤٣٣٨ ×

× ت ذات دلالة عند مستوى ٠.٠٠١

كان الوسط الحسابي للتقديرات التي قام بها اشخاص التجربة
العشرون الذين كونوا انطباعاتهم تحت تأثير الظرف التجريبي السذي
كانت الصفات المفضلة فيه أولى في تسلسلها أعلى من الوسط الحسابي
للتقديرات التي قام بها الاشخاص العشرون الآخرون الذين كونوا
انطباعاتهم عن الشخصية تحت تأثير الظرف التجريبي حيث كانت الصفات
غير المفضلة هي الأولى في تسلسلها (٦٠٦ ، ٤٠٥ على التوالي) • وهذا
يؤيد مرة أخرى صحة الفرضية الأولى وهي أن الصفات المتقدمة في
تسلسلها تؤثر تأثيراً واضحاً في تكوين الانطباعات عن الشخصية •

« مناقشة النتائج »

لقد أظهرت لنا نتائج هذا البحث ، في حدود تصميمه التجريبي ، بأن
فكرة (الأولوية) في تسلسل الصفات تلعب دوراً واضحاً في تكوين
الانطباعات عن الشخصية • فالتقدير الذي قام به أشخاص التجربة
(المتغير المتعمد) كنتيجة للانطباعات المتكونة تحت تأثير قائمة الصفات
بأسلوب تسلسلها (المتغير المستقل) يلتقي مع النتائج التي حصل عليها
(آس) و (كلستباوم) و (لوشنز) و « دينرشتاين » و « كولسن »
و (استراندر) و (شتيكر) و (أندرسون) و « هيبورت » وآخرون
غيرهم في دراساتهم التي حاولت أن تختبر نفس الفرضية •

أما بالنسبة للفرضية الثانية التي ترى بأن الصفات المتأخرة فهي
تسلسلها أكثر تأثيراً في النفوس وفقاً لمبدأ (الحدائث) أو القرب فأنها
لم تتأيد في دراستنا هذه ، كما أنها لم تتأيد أيضاً في الدراسات المماثلة •
وقد يرجع هذا إلى طبيعة تصميم التجربة وظروفها • فقد يرد الاحتمال
هنا ، بأن الشخص في التجربة إذا نبه ، كجزء من المخطط التجريبي ،
إلى أهمية الصفات المتأخرة ، فإن ذلك قد يصبح جزءاً من الظرف التجريبي
الذي يتكون الانطباع تحت تأثيره • فالامر يتعلق ، على أكثر احتمال ،
بإبراز جوانب معينة من الموقف التسيهي •

يظهر من الدراسات المماثلة لهذه الدراسة ، وبغض النظر عن الفروق القائمة في التفاصيل ، بأن الاولوية في التسلسل لها القدر العلى في تكون الانطباعات . وهذه النتيجة الاساسية لها ما يدعمها من رصيد كبير من الحجج فتحسس ابعاده في الدراسات التكوينية . فالانطباعات الاولى التي تتكون في المراحل التكوينية المبكرة من حياة الفرد تعتبر بمثابة المعجم الذي يفسر لنا الكثير من التصرفات السلوكية التي تصدر عن الفرد ومن الاحكام التي يالفها منطق تفكيرنا النفسي التنشئة الاولى والصور الاولى والنظرة الاولى والمقابلة الاولى وما الى ذلك . ولربما نستطيع أن نفسر في ضوء نتائج هذا البحث والبحوث الاخرى المماثلة الحالة التي تواجهنا بصورة متكررة وهي انا نكره شخصا أو نجه لمجرد أن نلتقي به لأول مرة . ان الاحكام والانطباعات الاولى التي اصبحت جزءا من رصيدنا اللاشعوري أصبحت هي المعيار الذي نغير به ما يجابهنا من مواقف أو اشخاص ، ومهما يكن من أمر فان دراسات تجريبية في هذا الميدان يجب أن تقوم لغرض اختبار فرضيات هذا البحث على نماذج أخرى ومن مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية وتكوينية اخرى .

ملخص البحث

كان الهدف من القيام بهذا البحث هو التعرف على الكيفية التي يتكون فيها الفرد انطباعاته عن شخصية الافراد الذين يحتك بهم . صمم هذا البحث ليختبر فرضيتين من شأنهما تفسير تكون الانطباعات عن الشخصية ، الفرضية الاولى وترى بأن الصفات التي تأتي متقدمة في تسلسلها تحظى بالتأثير الواضح في تكوين الانطباعات عن الشخصية ، والفرضية الاخرى وترى بأن الصفات المتأخرة في تسلسلها أكثر تأثيرا في تكوين الانطباعات . تكوّن نموذج هذا البحث من (٤٥) طالبة وطالبا من طلاب جامعة بغداد وجامعة الحكمة الملقاة ، ١٩٧٠-١٩٧١ . انقسم هذا النموذج الى قسمين متساويين خضع كل منهما الى ظرف تجريبي معين (الطرفان التجريبيان

هما قائمة صفات تسلسلت بأسلوبين متعاكسين) • وكان من تصميم
التجربة ايضا الاستعانة بأحكام عشرة اشخاص اصدروا احكامهم عن
الانطباعات التي كونها اشخاص التجربة • كان المحكمون من طلبة السنة
الاولى في قسم الدراسات العليا للتربية وعلم النفس (الماجستير) وبعض
اساتذة قسم التربية وعلم النفس واشخاص آخرين من مجال اختصاصي
آخر • وباستخدام (الاختبار التائي) وعند مستوى دلالة (٠٠٠١)
تأيدت الفرضية الاولى في هذا البحث ولم تأيد الفرضية الثانية •

مراجع البحث

- Anastasi, A., Differential Psychology., New york: The Macmillan Company., 1958.
- Asch, S. E., Social Psychology., New york: prentice - Hall., 1953.
- Bailey, J. & Jung, J., Contemporary psychology., New york: John Wiley & Sons, Inc., 1966.
- Eysenck, H. J., Crime and Personality., London: Routledge & Kegan Paul Ltd., 1965.
- Sarason, G. I., (ed.) Contemporary Research in Personality., New Jersey, D. Van Nostrand. Co., Inc., 1969.
- Secord, P. F. & Backman, C. W., Social Psychology., New York: McGraw-Hill Book Co., 1964.
- Semeonoff, B., (ed.), Personality Assessment., London: Penguin Books Ltd. 1966.
- Stevens, S.S., (ed.), Handbook of Experimental Psychology., New york: John Wiley & Sons, Inc., 1964.
- Wepman, J. M., & Heine, R. W., (ed.), Concepts of Personality., Chicago: Aldine Publishing Co., 1963.

آثار التلفزيون الاجتماعية والنفسية على الأطفال

احسان محمد الحسن
كلية الاداب - قسم علم الاجتماع

عندما نتكلم عن آثار التلفزيون على الأطفال يجب علينا التركيز على طبيعة كل من التلفزيون والأطفال في آن واحد فمثلا عندما نقول أن برامج التلفزيون مشوقة ونافعة ومفيدة نعني بأن لهذه البرامج صفات معينة تجلب النفع والفائدة للأطفال الذين يشاهدونها ، وعندما نقول أن البرامج مخيفة ومرعبة نعني بأن للبرامج صفات ومزايا تجلب الخوف في نفوس الأطفال الصغار . فالأطفال إذا هم العنصر النشط والفعال في دراسة العلاقة بين التلفزيون والأطفال ، فهم الذين يستعملون التلفزيون والآخر لا يمكن أن يستعملهم . أن الآثار التي يتركها التلفزيون في عقول الأطفال لا تختلف بأي شكل من الأشكال عن الآثار التي تتركها وسائل الدعاية والاعلام الأخرى التي يتعرض إليها الأطفال كالسينما والراديو والمجلات والجرائد والنخ ...

لذا فعند التكلم عن آثار التلفزيون فأننا نقصد الطريقة التي بها يستعمل الأطفال التلفزيون فالطفل له حاجات نفسية واجتماعية متعددة يروم إشباعها بشتى السبل وعند استعماله للتلفزيون يبحث ويركز على البرامج التي تسد حاجاته وتنطبق مع ميوله واتجاهاته . والأطفال يستعملون نفس التلفزيون في طرق مختلفة ومتنوعة وكل واحد منهم يستعمله في طريقة معينة تتماشى مع خبراته وتجاربه السابقة وحاجاته النفسية والاجتماعية ومقاييسه وقيمه⁽¹⁾ . فبعض الأطفال يركزون على

(1) W. Schramm "Process and Effect of Mass Communication". P.23.

مشاهدة الافلام المليئة بالعنف والجرائم واللااخلاقية ويحاولون تقليد وتطبيق حوادث هذه الافلام في حياتهم اليومية وبعضهم الآخر يشاهد هذه الافلام دون التأثر بميزاتها السيئة وذلك لان هذه المجموعة من الاطفال تمتلك القسط الكبير من العقل والذكاء الذي يسمح لها بمعرفة أسباب الجرائم والحوادث السلبية التي تعرض من شاشة التلفزيون . فمعد محاولتنا فهم آثار التلفزيون يجب علينا دراسة وفهم ظروف هذه الآثار ، ولفهم ظروف آثار التلفزيون لا بد من الحصول على معلومات كثيرة ومتنوعة حول حياة وتربية وسلوك هؤلاء الاطفال . أن حياة الاطفال الاجتماعية تزودهم بخبر وتجارب معينة وتملي عليهم مقاييس وحاجات نفسية كثيرة وتجد لهم علاقات اجتماعية وسلوكاً اجتماعياً له الفضل الكبير في بناء شخصياتهم . وعند مشاهدة الاطفال للتلفزيون يقوم بعضهم بتغيير سلوكه وقيمه ومقاييسه بينما يحافظ البعض الآخر على قيمه وسلوكه الاصلي الذي اكتسبه من بيئته الاجتماعية . فدراستنا تنصب على أهمية الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة اطفالنا من خلال الخبر والتجارب والمشاهدات التي يزودهم بها .

يمكن اعتبار جهاز التلفزيون كمرآة او مثقف في البيت الذي تتوفر فيه هذا الجهاز ، فهو يزود الأسرة بمعلومات عن الحوادث والاحبار التي تقع في دول العالم الخارجي ويسر المجال لها بالتطلع على العادات والطقوس الاجتماعية والاخلاقية الغربية الموجودة في مجتمعات انسانية متعددة ويفتح لها آفاق جديدة لما توصل اليه الانسان في ميادين الاختراعات والابتكارات العلمية والتكنولوجية ويعطيها صوراً حية عن الطبيعة الجغرافية والايكولوجية لدول العالم الخارجي على اختلاف مستوى تقدمها في عالم الحضارة والتكنيك المادي . ولكنه من ناحية ثانية أنهم التلفزيون بأنه سبب فشل الاطفال في الامتحانات والمدارس فقد اشارت البحوث الاجتماعية بأن الطلاب الضعفاء في المدارس هم الطلاب الذين يستعملون التلفزيون أكثر من غيرهم وان طالبين من مجموع خمسة طلاب ، يستعملون التلفزيون

بكثرة ، أترفوا بأن التلفزيون يعكر صفو دراستهم وواجباتهم المدرسية⁽²⁾ كما أشارت نفس البحوث بأن التلفزيون سبب تشويه طبيعة المساويء الاخلاقية والقيم التي تعلمها الاطفال من مجتمعهم وبيئتهم .

فالطفل أو الصبي المراهق يكون سريع التأثير بما يعرض اليه من شاشة التلفزيون وما يشاهده الطفل قد يتعارض مع المقاييس والقيم الاخلاقية التي تعلمها خلال مراحل تأنيسه الاجتماعي خصوصا في حالة تكرار الافلام والمشاهد التلفزيونية المتناقضة مع اخلاقية الطفل .

يقول البروفسور جوزيف كلاير ان الاطفال يصرفون معظم اوقاتهم في مشاهدة برنامج تلفزيونية تتعلق بحياة البالغين ويقول ان شؤون البالغين تخص البالغين فقط والافلام التلفزيونية التي تعرض عنهم تكشف امورهم وهم في حالة نزاع وصراع الامر الذي يترك اثاره الوخيمة على الاطفال الذين يشاهدون مثل هذه الافلام⁽³⁾ .

كما يضيف علماء النفس الطبي ان استمرار الاطفال في مشاهدة مثل هذه الافلام تسرع عندهم النضوج الذهني المبكر وبالتالي تدفعهم بعدم ثقة الكبار الامر الذي يسبب سوء التفاهم بين الكبار والصغار وفي بعض الحالات يقوم الصغار بتقليد الكبار في بعض الامور .

وهذا التقليد لا يكون معقولا او منطقيا لان ظروف ومشاكل الكبار تختلف عن ظروف ومشاكل الصغار .

ولكن هناك قسم من علماء النفس الطبي يقولون ان التلفزيون يبعث عند الطفل قابلية الشعور بمسؤولياته الاجتماعية وينمي فيه القوة العقلية والادراكية التي تساعده في تفهم حياته نتيجة مشاهدته افلاما كثيرة عن الكبار⁽⁴⁾ .

(2) C. R. Wright "Mass Communication A Sociological Perspective". P. 56.

(3) J. T. Klapper "The Effects of Mass Communication": P. 150.

(4) W. Schramm "T. V. in the Lives of our Children" pp. 14-16.

ولكن السؤال المهم الذي يتردد في عقول علماء الاجتماع والنفس ضد التلفزيون هو هل ما يعرض من شاشة التلفزيون من جرائم وعنف ولا أخلاقية يعلم الاطفال أساليب الجرائم والعنف والسلوك الا أخلاقي؟ حاول عدد كبير من علماء الاجتماع والنفس بعد أجراءهم البحوث الموضوعية والاحصائية حول آثار التلفزيون الاجابة على هذا السؤال الخطير يقول والتر ليبمان Walter Lippmann ليس هناك من شك بأن ما يعرض من الافلام التي تركز على العنف واستعمال القسوة تجلب عند المشاهدين الرغبة والاندفاع في استعمال القوة والعنف في حل المشاكل ، وهناك علاقة ايجابية بين ظهور وتكرار حوادث الاجرام في⁽⁵⁾ المجتمع وعرض افلام وبرامج تلفزيونية تعكس حالات الاجرام والعنف والقسوة . أن آثار التلفزيون على الاطفال تكون مختلفة ومتعددة فبعض هذه الآثار يكون قويا والبعض الآخر ضعيفا وسرعان ما تزول هذه الآثار اذا تعرض الطفل الى منبهات بيئة تطفي على آثار التلفزيون وتجعلها معدومة .

يقول البرفسور أيزنك Professor Eysenck هناك أسس نظرية تبرهن مقدرة التلفزيون على تغيير القواعد الاخلاقية والسلوكية التي يتصف بها الاطفال وهذه الأسس يمكن ان تسند بأدلة تجريبية وطبية⁽⁶⁾ .

فالتلفزيون دفع العائلة أن تبقى في بيتها وقت الليل لمشاهدة منهاج التلفزيون والموائل التي تمتلك التلفزيون تبقى في بيوتها ساعات أطول خلال الليل من الموائل التي لا تمتلك التلفزيون .

(5) H. D. Lasswell "Communication and the Mind" in Farber and Wilson (Eds.) "Control of the Mind".

(6) J. D. Halloran "The Effects of Mass Communication with Special Reference to Television" p. 19.

كما أن هناك أدلة قاطعة تشير أن التلفزيون سبب ثلة الكلام والمناقشة بين أفراد العائلة وقت الليل وقضى على روح الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة بينهم قبل دخول التلفزيون الى البيت⁽⁷⁾ حيث أن التلفزيون أصبح البؤرة الضوئية الرئيسية التي تجلب انظار جميع افراد العائلة وتمنعهم من إثارة الاحاديث وتبادل الافكار والنكات والخبر والحوادث التي تلازم حياتهم اليومية والعملية . ولكن مسألة آثار التلفزيون على الاستقرار البيتي والعائلي تختلف من عائلة الى أخرى ومع هذا أستطاع التلفزيون تغيير نمط الحياة العائلية وساهم في تبديل أطار شؤونها وقت الليل .

هناك إحصائيات اجتماعية حول استعمال التلفزيون من قبل الطبقات الاجتماعية في العراق تشير الى ان ثلثي العوائل العمالية التي تمتلك اجهزة تلفزيونية في العراق تفتح أجهزتها منذ بداية فترة البرنامج الى النهاية ، بينما نصف العوائل المتوسطة تفتح أجهزتها التلفزيونية باستمرار⁽⁸⁾ لذا فأبناء الطبقات العمالية يستعملون التلفزيون ويشاهدونه أكثر من أبناء الطبقات المتوسطة وهناك عوائل كثيرة تشعر بأن التلفزيون يجب أن يفتح منذ ابتداء الليل وفي بعض الحالات يترك التلفزيون مفتوحا حتى ولسم يشاهد من قبل أبناء الأسرة . فالطبقات العمالية مثلا تترك التلفزيون مفتوحا وقت أنغار أطفالها بأداء واجباتهم المدرسية البيتية ، بينما تمتنع بعض العوائل المتوسطة من استعمال التلفزيون وقت أداء أبنائهم واجباتهم المدرسية البيتية . فكلما نزلنا في السلم الاجتماعي كلما ازدادت حالات استعمال التلفزيون وقت أداء الابناء لواجباتهم المدرسية في البيت . يذكر الدكتور براين ولسون وهو عالم اجتماعي بعض الآثار التي

(7) ibid p. 47.

(8) An articale Written by I. M. Al-Hassan entitled "Television and Society" published in Al-Minar daily newspaper, Baghdad, on 8th January, 1968.

يتركها التلفزيون على المواقف والقيم الاجتماعية والنفسية للأفراد الذين يشاهدونه . فالتلفزيون كما يقول ولسون يلعب دوراً مهماً في تغيير قيم الأفراد وآرائهم حول الجرائم ويزودهم بمجموعة من القيم والمقاييس الجديدة التي بها يستطيعون تقييم الحوادث وتصنيفها وتمييز العمل السوي عن العمل الشاذ . كما يضيف ولسون قائلاً ان التلفزيون دائماً يضخم مجال وتكرار الجريمة ويركز على حوادث العنف واستعمال القوة فسيحل الامور ، ويشجع هؤلاء الافراد الذين لديهم الطاقة الكامنة بالاندفاع تجاه الجريمة والانحراف بالمضي في تيار الشذوذ والانغمار في حوادث الاجرام والانتقام لكي يشبعوا غرائزهم وشهواتهم اللا اجتماعية واللا أخلاقية .⁽⁹⁾

والتلفزيون يزود مثل هؤلاء الافراد الشاذين بالسبل والوسائل التي بها يستطيعون تنفيذ عملهم الاجرامي وينقل اليهم أساليب الاجرام والعنف من مجتمعات أجنبية الامر الذي يعكس صفو العلاقات الاجتماعية ويجلب للمجتمع شتى انواع المشاكل التي هو في غنى عنها . فبعض الافلام التلفزيونية تجعل من المجرم بطلاً وتجلب الدعاية والاسم الرفيع له وتحاول الاثبات بأن الانحراف والعصيان الاجتماعي الذي قام به المجرم والذي هو بطل الفلم ما هو الا جزء لا يتجزأ من البيئة والواقع الاجتماعي الذي يعيش في وسطه شباب المجتمع وهذا يعكس للمشاهدين شرعية العمل الاجرامي الذي قام به ممثل الفلم وهذا بالطبع سيشجع عدداً غير قليل من شباب المجتمع بالقيام بنفس العمل الامر الذي يجلب شتى انواع المتاعب والمشاكل للمجتمع ككل ويقضي أو يضيف القواعد الاخلاقية والسلوكية التي يعتقد بها المجتمع والتي تعتبر من الوسائل الأساسية للضبط الاجتماعي .

(9) J. D. Halloran "The Effects of Mass Communication with Special Reference to Television" p. 51.

ولكن يجب علينا الاعتراف بأن التلفزيون ليس هو السبب الاوحد في حدوث الجرائم والمشاكل الاجتماعية والاخلاقية التي يتعرض لها المجتمع، فهذه المشاكل كانت موجودة في معظم المجتمعات الانسانية قبل اختراع الانسان للتلفزيون وكان ينظر اليها بأنها أشياء طبيعية لا بد من حدوثها في المجتمعات المعقدة والمتشعبة، بيد ان التلفزيون في بعض الحالات يساعد على بث وانتشار روح الاجرام والانحراف بين بعض المواطنين الذين لديهم نوع معين من التربية الاخلاقية ومعرضين لتأثيرات سلبية مشتقة من الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه .

من الواجب عدم اتهام التلفزيون أو الراديو في زرع روح الانحراف الاجتماعي والعصيان بين الاطفال والمراهقين . ليس سبب السلوك الاجرامي والانحرافي لدى الطفل وجود التلفزيون او وسائل الدعاية والاعلام الاخرى التي يتعرض اليها بل ان هناك اسباباً اجتماعية ونفسية وحضارية معقدة تجعل منه شخصاً شاذاً بطبيعته وسلوكه وتصرفاته . من الاسباب التي تلور شخصية وسلوكية الفرد اكتسابه مجموعة من المعلومات والخبر والتجارب من بيئته الاجتماعية واحتكاكه مع الغير ، حصوله على صور وانطباعات عقلية ذهنية لها الاهمية في تفسير الحوادث والاشياء المحيطة به مع اعتقاده بمجموعة من القيم والمقاييس التي تعلمها من وسطه الاجتماعي كما ان طبقة الاجتماعية والجماعات والمعاهد الاجتماعية التي ينتمي اليها دائماً ما تزوده بخصائل وصفات معينة من الاخلاق والسلوك والمبادئ والغايات التي هي سبب حركته ونشاطه وأتصاله مع الآخرين .

لا بد من فحص وتمحيص هذه العوامل الاجتماعية والنفسية والتطرق الى خطورتها في تحديد طبيعة الفرد ونوعية سلوكيته ويمكن القول أن التلفزيون ما هو الا عامل واحد من العوامل المؤثرة على شخصية الفرد وطبيعة علاقته مع الآخرين . فالتلفزيون قد يكون عاملاً ثانوياً في تأييره على الفرد ، أما العوامل المباشرة فهي كما ذكرنا اعلاه العوامل الاجتماعية والنفسية والحضارية والتي سوف نشرح قسماً منها في هذا البحث . من

العوامل الداخلية التي تصب تصرف الفرد وآراءه في قالب معين نظرتة الى ذاته ونظرتة الى الآخرين . فأراء الفرد حول الآخرين هي وليسدة التخيلات والأوهام التي لا تمت الى الحقيقة والواقع بصلة ، بل يسكون معشها معلومات وتجارب نصف صحيحة او خبر تناسب مع طبيعتنا الفسيولوجية والعقلية ولا تتماشى مع الواقع الذي نعيش فيه . ومن الأسباب الأخرى التي تؤثر على شخصية الفرد ومستوى تفكيره كمية ونوعية المعلومات التي تلقاها من بيئته وواقعه الاجتماعي . من الواضح ان المعلومات والخبر التي يتعلمها الانسان لا يمكن فصلها بسهولة من مستويات الشعور التي ترافق الادراك والتفكير (10)

فالشخص يهتمون بالمواضيع التي تتصل بحياتهم الشخصية وتؤيد وتتماشى مع افكارهم ومبادئهم وتفسر موافقهم وظروفهم الحياتية . العامل الآخر الذي يؤثر على سلوك وآراء الافراد هو الجماعات والمعاهد الاجتماعية التي يشتمون اليها . ينتمي جميع افراد المجتمع الى جماعات ومعاهد اجتماعية ذات اهداف ومصالح مختلفة وغالبا ما تكون اهداف هذه الجماعات والمعاهد متضاربة الواحدة مع الأخرى فيكون الفرد تحت تأثيرات ومنبهات معقدة ومطالب مختلفة وهذه لا بد ان تترك نتائجها الخطيرة على أفكاره وسلوكه وتجعل منه في بعض الحالات شخصا غير معتمد على نفسه تعوزه الثقة والاطمئنان وعاجزا عن اتخاذ ايسر القرارات التي تهم حياته ومستقبله .

أما عامل الطبقة الاجتماعية وآثاره المتفرعة على الفرد فانه مسن العوامل الجوهرية التي تؤثر على شخصيته وتحدد طبيعة علاقته مسن الآخرين وتزوده ببعض الصفات التي تجعل منه انسانا يمكن ان يكيف اجتماعيا مع جماعة دون الجماعة الأخرى . فالطبقة الاجتماعية هي عملية

(10) M. D. Vernon "The Psychology of Perception", pp. 199—200.

يستطيع الفرد بواسطتها الانتماء الى جماعة لها وعي وأديولوجية معينة ودرجة معترف بها من المنزلة والقوة الاجتماعية.⁽¹¹⁾ ففي المجتمع الطبقي الذي يعتقد بضرورة وجود عملية ارتفاع وهبوط الأشخاص اجتماعيا تبعاً لما انجزوه من مكاسب مادية ومعنوية أو فشلوا بإنجازه نشاهد بأن الفرد الذي يرتقي اجتماعيا يحاول تقليد أبناء الطبقة التي انتقل اليها في أسلوب حياتها المتضمن عاداتها وتقاليدها وسلوكها ومظهرها الخارجي والأشياء المادية والمعنوية التي تميزها عن الطبقات الأخرى في المجتمع .

بعد شرح العوامل الاجتماعية والنفسية التي هي أساس نوعية وطبيعة الشخصية والآراء والسلوك الذي يتطبع به الفرد لا بد من الإشارة بأن هذه العوامل يجب ان ينظر اليها وتدرس دراسة مفصلة قبل التعمق بدراسة آثار التلفزيون لان العوامل الاجتماعية والنفسية هي حجر الزاوية لتركيب عناصر شخصية الفرد كما انها المعلومات الأولية التي يجب أن يتطلع عليها الباحث قبل دراسته الآثار التي يتركها التلفزيون على شخصية وسلوك الطفل المراهق . فلو كانت شخصية الفرد متبلورة اجتماعيا وحضاريا أي ان الفرد يتمسك بمجموعة من المبادئ تمسكا قويا وكان له تصرف اجتماعي ثابت اكتسبه من بيئته الاجتماعية فان التلفزيون او اي واسطة اخرى من وسائط الدعاية والاعلام لا تستطيع تغيير آرائه أو شخصيته او حتى التأثير عليها تأثيرا جزئيا . ولكن مع هذا تقول البرفسورة هملوويت Himmelwiet ان بأستطاعة التلفزيون التأثير على أفكار الفرد المشاهد اذا توفرت العوامل التالية :⁽¹²⁾

- (11) Herbert Hyman - The Value System of Different Classes: A Social Psychological Contribution to the Analysis of Stratification - An article written in the Class, Status and Power by Lipset and Benedix.
- (12) H. Himmelwiet - T. V. and the Child (U.K.) pp. 161—163.

- (١) يستطيع التلفزيون تبديل سلوك وقيم واراء الافراد اذا كانت جميع برامجه متكاملة ومكررة لنوع واحد من القيم والمقاييس .
- (٢) تعرض القيم والمقاييس المطلوب نشرها وترسيخها في عقول الافراد بصورة تثير أنفعالاتهم النفسية تجاه هذه القيم .
- (٣) يجب ان تتصل القيم والمقاييس الجديدة المطلوب ترسيخها في عقول الافراد مع حاجاتهم ومصالحهم الشخصية والآنية .
- (٤) يجب ان تكون واسطة الاعلام أي التلفزيون غير معرضة للانتقاد الهدام من قبل أي جهة أي ان برامجه لا بد ان تكون منسجمة مع رغبات ومصالح الافراد .
- (٥) جهل المشاهد للمعلومات والخبر والتجارب التي تبث من شاشة التلفزيون يجعله يتقبل هذه المعلومات والاخبار لان ليس لديه أي معلومات تتعارض وتتضارب مع ما شاهده او سمعه من جهاز التلفزيون .
- فالتلفزيون يستطيع التأثير على أذهان جميع هؤلاء الافراد الذين يفتقرون الى الخبر او المعلومات المتعلقة بالمواضيع التي تظهر على شاشة التلفزيون . فالاطفال او المراهقون مثلا لا يعرفون اسباب وظروف نتائج الجرائم على المجتمع وليس لديهم أي نوع من الخبر والتجارب حول الجرائم او القضايا الجنسية ، فهم والحالة هذه يتعلمون ويعتقدون بجميع القصص والمسلسلات الاجرامية والجنسية التي تعرض بشكل أفلام صاخبة من شاشة التلفزيون . القصة الاجرامية او الجنسية التي تؤيد وتسند بطل الفلم والذي هو مجرم حسب المعايير الاخلاقية المتعارف عليها لما قام به من سلوك شين لا يلقى بغيره وتقائده وعادات المجتمع قد تؤثر على قيم وافكار المراهق وتدفعه الى تأييده والانطواء تحت لوائه وفي بعض الحالات يقوم المراهق بنفس العمل الاجرامي الذي ارتكبه ممثل الفلم التلفزيوني وهذا ما يجلب شتى انواع المشاكل للمجتمع ككل .

في فلسفة التعليم الثانوي وتنظيمه

« عرض مقارن »

الدكتور أحمد حسن عبيد
دكتوراه الفلسفة من جامعة أكسفورد
الجامعة المستنصرية

١ - نحو تعليم ثانوي للجميع :

نعني بالتعليم الثانوي ذلك التعليم النظامي الذي يمتد من بعد المرحلة الابتدائية ، ويستهي عند مداخل التعليم العالي . معنى ذلك أننا نكتب عن المرحلة الثانوية دون التقيد بنوع معين من أنواعها . وهذه المرحلة تمتد في نظمنا من سن انتهاء الطفولة في حدود الثانية عشرة الى سن الاكتمال والنضج وتحصيل القدرة على الاسهام في نواحي النشاط الاجتماعي حوالي الثامنة عشرة . والنظرة الاولى الى هذه الفترة كفترة نجعلنا نحكم بأنها فترة الاعداد الجاد للمواطن وتحقيق الاهداف الرئيسية لتربية الجماهير . والواقع أن التعليم الثانوي يعتبر أهم مرحلة تعليمية بالنسبة لتحقيق الاهداف العامة للتربية في أي مجتمع . فالتعليم الابتدائي مهما بلغنا في رسم أهدافه فإن تقيمه يتم على أساس مدى تهيته جوا سعيدا للطفولة ، وعلى مدى نجاحه في امداد الناشئين بالعمليات الأساسية التقليدية للتعليم من قراءة وكتابة وحساب . أما التعليم الجامعي - أو التعليم فيما بعد المرحلة الثانوية أيا كان مستواه - فإننا مهما نادينا بضرورة توسيعه وفتح لكل راغب فيه من القادرين عليه فإنه سيقى قاصرا على قلة منتقاة لاتمثل الجماهير العادية في مستواها ومجريات حياتها . من هنا نجد أن التعليم الشعبي في المجتمعات المتقدمة يمتد الى المرحلة الثانوية ولو أن طول الفترة التي ينبغي أن يقضيها التلميذ اجباريا في هذه المرحلة تختلف من

مجتمع الى مجتمع وفقا للإمكانات المتاحة • وعلى الرغم من أن هذه المجتمعات تتفاوت من حيث السبق التاريخي الى تعميم التعليم الثانوي فإنها جميعها تتفق في اعتباره حيويًا لتحقيق الجانب الأكبر من أهدافها التربوية العامة •

وإذا كان لا بد لنا من اختبار هذه القضية فإننا ينبغي أن نتخير هدفًا أو بعضًا من الأهداف التربوية ذات المستويات البسيطة التي لا تثير في الغالب نوعًا من الجدل حولها كأهداف • من هذه الأهداف تربية المواطن الى الحد الذي يستطيع معه أن يساهم الى الحياة الاجتماعية في سمرزودا بقدرات ومهارات تمكنه من الاعتماد على نفسه في كسب معاشه ، وتحقيق له استقلالًا ذاتيًا • هذا هدف تكاد تجتمع عليه كل المجتمعات الحديثة • وأبسط صورة لتحقيق ذلك الهدف - بالنسبة لمن لم تنهأ لهم فرصة متابعة الدراسة في مرحلة ثالثة - أن يكون ذا حرفة يعيش ويعول من يعتمدون عليه منها ، وأن يكون على دراية بالأهمية الاجتماعية لحرفته ففي ذلك عون له على تقديرها وتقدير نفسه ، وأن يكون قادرًا على تكوين نوع من العلاقات الانسانية الطيبة مع من يعمل تحت رئاستهم ومن يعملون تحت رئاسته وكذلك مع العاملين في حرفته من أبناء مجتمعه ، ثم ان يكون على بصيرة بإمكانيات الإنتاج وبإمكانيات استيعاب الاسواق لهذا الانتاج وبمطالب المستهلكين • ومثل هذا العامل ينبغي أن يكون مزودًا بالاتجاه الى تنمية نفسه في مهنته والى متابعة جوانب النمو والتطور التي تطرأ عليها • واضح من ذلك أننا نكتب عن عامل يفهم ما يعمل ويلم بمتطلباته : فهو واع بالجانب الوظيفي المتصل بالمعرفة النظرية ، ومدرك للاسس العلمية التي تقوم عليها مهنته • ثم هو ليس مجرد أداة من أدوات الانتاج فسي المصنع أو المزرعة أو أي محل آخر يعمل فيه : انه آدمي ينمو ويتطور متكيفًا لتغيرات الحياة ومطالبها •

وإذا كانت قدرات الناشئ واستعداداته تتبلور حوالى سن الخامسة عشرة ، وإذا كان اختيار المهنة أو الحرفة أمرًا يرجع القرار النهائي فيه

إلى المتعلم نفسه باعتبار أن المستقبل مستقبله فإن ذلك يلقي ضوءاً على أهمية تضمين بعض المناشط الإنتاجية أو العملية في برامج الدراسة بالمرحلة المتوسطة - أو القسم الأول من التعليم الثانوي - وكذلك على أهمية أن تكون هذه المناشط متنوعة وأن ينظم اتصال التلاميذ بعدة أنواع منها . فهذا الاتصال يساعدهم على اختبار مجالات متعددة ، كما يساعدهم على تكوين فكرة عما يروقه وما لا يروقه منها . وتبدو هنا أهمية القسم الثاني من المرحلة الثانوية باعتباره القسم الذي يمكن أن يؤدي دوراً يتصل مباشرة بأعداد التلاميذ لمستقبلهم . وتبدو هنا كذلك أهمية عملية التوجيه التربوي والمهني في مساعدة المتعلم على الإلمام بفرص العمل المتاحة ، وعلى اختيار برامج الدراسة في ضوء قدراته واستعداداته الواقعية . انتهى على يقين من أن سياق الكلام هنا سيقود البعض إلى تصور نوع من التنظيم للتعليم الثانوي غير نوع التنظيم الشائع في المحيط العربي ، وسيثير شعوراً في البعض بضرورة إعادة تنظيم التعليم الثانوي . ونحن على أي حال سنتناول جانب التنظيم ونماذجه في موضع آخر من هذا البحث . ولكن الذي نريد تأكيده هنا هو أن أعداد الجماهير العاملة لا يمكن أن يتيسر بصورة مقبولة على الإطلاق - حتى لو كانت أكثر تواضعاً مما قدمنا - إلا في نوع من التعليم الثانوي يكون هذا الجانب بين وظائفه .

وإذا كان لا بد من اختبار هدف آخر فإننا في كل دولة من دول العالم العربي نجد ظروفًا خاصة لا نستطيع أن نعني التربية من تحمل جزء من المسؤولية الرئيسية في مواجهتها . ففي كثير من دول العالم العربي توجد فئات اجتماعية واقتصادية لا تقارب بينها ، وتوجد أقليات تنتمي إلى أصول معينة ، كما توجد تشعبات دينية ومذهبية . وحيث كانت التربية تأخذ ظروف المجتمع وطبيعته في اعتبارها عند رسم أهدافها العامة فإنها في مثل هذه الظروف ينبغي أن تقوم بنوع من التركيز على الهدف المتصل بتدعيم الوحدة الوطنية ، فذلك أمر أساسي للقضاء على عوامل التفكك ولتحسين المجتمع من آثاره الفتن . ونحن حين نحلل « الوحدة الوطنية » باعتبارها:

هدفا عاما من أهداف التربية نجد أن لهذا الهدف متطلبات كثيرة من بينها تربية المواطن على التسامح • وإذا تناولنا عنصر التسامح بدوره وجدنا له جوانب ومقتضيات كثيرة من بينها الأخذ بمبدأ حرية الرأي من أجل توفير جو من التفاهم والفهم الأعمق للمشكلات أو القضايا العامة • صحيح أننا يمكننا أن نكفل حق المواطن في ابداء رأيه عن طريق مواد القانون وسلطة الدولة ، ولكن ورود تلك النصوص القانونية لا يعني أن أجواء التفكير الحر أو أن روح النقاش الباحث عن الحقيقة والجدل الهادف الى تحقيق الصالح العام قد توفرت • ان هذا الامر يتطلب اعداد المواطن القادر على استعمال ذلك الحق • وهذا لا يمكن أن يتم دون قدر كاف من الثقافة العامة ومعرفة بالطريقة التي ينظم الفرد بها أفكاره ويعرضها عرضا يفي بما يريد ويجعلها واضحة مفهومة لدى الغير ، كما أن هذا لا يمكن أن يتم دون تدريب ودون ممارسة عملية يكون الفرد فيها مستمعا جيدا ومتحدئا جيدا ملتزما بحدود اللياقة وآداب الجدل • ونحن لا يمكننا أن نخطو خطى جادة في تحقيق مبدأ حرية الرأي - وهو مطلب من مطالب التربية على التسامح الذي هو بدوره أحد العناصر اللازمة للتربية من أجل الوحدة الوطنية - فيما قبل مرحلة الدراسة الثانوية • انها مرة أخرى مرحلة ينبغي أن يمر بها كل ناشئ •

لست أريد الاستطراد في اختبار قدرتنا على تحقيق الاهداف التربوية العامة التي تملئها طبيعة مجتمعا وثقافتنا والتزاماتنا في تربية الناشئين فهذا موضوع يطول • ولكنني أحب أن أشير الى مشكلة تكمن في أننا ورتنا طريقة للحياة تحمل ملامح من العصور القديمة وملامح من العصور الوسطى ومسحة بسيطة من التكنولوجيا المعاصرة ، وورثنا نصيبا متضخما من الامية والجهل ، كما أننا في نفس الوقت نعاني نقصا في مواردنا لدرجة تجعلنا عاجزين عن القيام باجراء علاجي سريع يمكننا من اللحاق بالعالم المتطور • ومن هنا نرسم أهدافنا التربوية العامة ، ثم نقوم بتحميل التعليم الابتدائي منها ما لا يستطيع هذا التعليم حمله • وسبب

ذلك هو أن التعليم الابتدائي يمثل بالنسبة لمعظم الدول العربية التعليم الشعبي الذي يرتبط بتعميمه طموح هذه الدول . على أنه من الأضاف أن نذكر أنه من بين المهتمين بتعليم الشعب في العالم العربي من ينظر الى التعليم الابتدائي نظرة ضيقة ، فيعتبره وسيلة لامتداد الجماهير بأاسيات معينة مثل القراءة والكتابة والحساب ، كما يعتبر أن النجاح في تحقيق ذلك كسب كبير . ولكن حتى على هذا المستوى نقرر أنه مهما مهرت المدرسة الابتدائية في تزويد الناشئين بهذه الاسيات فان ذلك لن يتم بالطريقة التي تفي بحاجات المجتمع الحديث وخاصة فيما يتعلق بالجانب اللغوي . انا نريد - من ناحية القراءة - شخصا مدربا على استعمال القراءة في تحصيل المتعة والمعرفة ومتابعة الاحداث بشكل استقلالي ، ونريده مندوقا يستطيع ان يصدر حكما موضوعيا على ما يقرأ ، ثم نريده ماهرا في اكتشاف الحيل لا ينقاد للكلمة المطبوعة مستسلما حتى لا يقع في أحاييل الدعايات الفاسدة . وهنا مرة ثالثة أقول : فلنوفر تعليما ثانويا للجميع .

اني لا أنادي بشيء غريب تماما عن مألوفنا أو ثقافتنا . وليسمح لي القاريء أن أعود به قرنا الى الوراء ، الى عام ١٨٧٢ . ففي هذا العام نشر كتاب تربوي لمفكر عربي هو رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) . ويمكننا أن نشير في سطور قليلة الى ما يعيننا في هذا السياق . قسم الطهطاوي النظام القومي للتعليم الى مراحل ثلاث : مرحلة أولية عامة مفتوحة لجميع الاطفال - من بنين وبنات - دون اعتبار لوسطهم الاجتماعي أو الاقتصادي ، ومرحلة ثانوية يتابع الدراسة فيها كل من يريد من ذوي القدرة عليها ، ثم مرحلة عليا تخصصية تنتقي لها الصفوة الذين تتوسم فيهم القدرة على دراسة جادة متعمقة تؤهلهم لان يكونوا مشاعل فكرية وقادة في مختلف الميادين . وفيما يتصل بالتعليم الثانوي يشير الطهطاوي الى أن الحكومة يجب أن تشجعه وتشره باعتباره أساسا للتطور القومي ووسيلة لتحصيل مستوى مناسب من الحضارة والثقافة . والتعليم الثانوي عنده ينبغي أن يتنوع وفقا للحاجات الاساسية للامة . وأشار الطهطاوي-

الذي كان يعيش في المجتمع المصري الزراعي - الى أن المواد التي ينشئ
أن تدرس على مستوى المرحلة الثانوية هي الرياضيات والجغرافية والتاريخ
والمنطق وعلوم الحياة والفيزياء والكيمياء والادارة المدنية والزراعة واللغة
القومية وبعض اللغات الاجنبية الهامة . وكان يرى وجوب استعجاب محتوى
التعليم مع الاطار القومي العام وكذلك مع البيئة المحلية وما تحويه من
مناشط ووسائل يتعيش منها الناس^(١) .

انا نرى أن التركيز على المرحلة الابتدائية وحدها أمر لا يغير كثيرا
من واقعا ، ولا يحقق جزءا كبيرا من طموحنا . ان كثيرا من الدول النامية
في وقتنا تجسم شعورها بالنقص ازاء حجم الامية فيها . وفي هذه الدول
ترتفع الحناجر بضرورة الاسراع في نشر التعليم الابتدائي وصار موضوع
نشر التعليم الابتدائي والقضاء على الامية في حد ذاته غاية سياسية
واجتماعية في هذه الدول ، وهي تعمل من أجل بلوغ هذه الغاية ايا كان
الثمن . انا لا نجادل في ضرورة التخلص من الامية . وليس من حق
أحد أن يعترض على رغبة أي دولة في الاسراع بتعميم التعليم الابتدائي .
ولكن المشكلة تكمن في تعليق آمال واسعة تتصل بنمو الاقتصاد القومي
كنتيجة لانتشار هذا التعليم . والواقع أن الاثر الاقتصادي لتعميم التعليم
الابتدائي أمر لا يمكننا قياسه بدقة حتى نستطيع أن نقدر عائد هذا التعليم .
ثم ان دولا غربية متعددة - وفي طليعتها بريطانيا - قد قامت فيها ثورة
صناعية قبل أن يتم تعميم التعليم الابتدائي بها . واذا كنا ننظر الى التعليم
الابتدائي كوسيلة للتثقيف وتحصيل الافكار الجديدة فان وسائل الاتصال
الحديثة كالراديو والتلفزيون أمور تفوق أهميتها أهمية المدرسة الابتدائية
في ذلك . علينا فقط أن نحسن استغلال هذه الوسائل وأن نيسر امسداد

(١) رفاعه رافع ، المرشد الامين للبنات والبنين ، (القاهرة ١٢٨٩ هـ) ،
ص ٧-٦ ، ٦٤-٦٢ ، ٦٦-٦٨ .

الجباهير بها حتى نساعدهم على التطور ثقافيا وفكريا⁽¹⁾ .

إذا كان الأمر على هذا النحو فإن علينا أن نشرع في دراسة تستهدف تصميم نوع من التعليم تطول سنواته حتى تصل بالناشئين إلى المداخل النشطة للحياة الاجتماعية . إذا اتفقنا على هذا الأساس فإن تعليم الجيل الصاعد سيتمد إلى سن الثامنة عشرة أو إلى موقع قريب منها ، أي أننا سنخرج جيلا قادرا على مواجهة الحياة ومشكلاتها . وهو جيل تتوقع من نفسه أن يحدث نوعا من التطوير والتأثير في محيطه ، لا أن يكون مستسلما أو منقادا تماما لتيار الحياة من حوله . ونحن نقدر الأعباء المالية المتزايدة المترتبة على هذا الاتجاه . وهي أعباء لا بد لنا من تحملها إن أردنا السير في نفس اتجاه الشعوب الناهضة . إننا لا بد أن نراجع توزيع ميزانية التعليم العام بحيث نأخذ في اعتبارنا أن الناشئين الذين يبلغون سن الذهاب إلى المدرسة هم جماعة سوف يمتد تعليمهم إلى ما بعد المرحلة الابتدائية . ومقتضى ذلك أنه إذا كانت هناك خطط لتعميم المدرسة الابتدائية وحدها في فترة زمنية معينة فإن هذه الخطط ستراجع وسيأخر تعميم التعليم لفترة أطول مما كان في حسابنا . والمسألة في جوهرها تتصل بمشكلة الاختيار بين الكم والكيف : أتعليم للمهارات الأساسية يصل إلى أكبر عدد ممكن من الناشئين ، أم تعليم أكثر اتساعا وعمقا يصل إلى أعداد أقل ولكنها قلة تمثل قوة منتجة فعالة ؟

٢ - من النماذج العالمية في تنظيم المرحلة لثانوية :

يمكننا أن نقول إن هناك نوعين من الضغوط يتعرض لهما النظام التعليمي : ضغط كمي يتصل بالانفجارات السكانية المطردة وتزايد عدد الناشئين الذين تتكفل الدولة بتربيتهم . والاستجابة المناسبة لذلك هسي توسع في انشاء المدارس وتوفير الاماكن ، وهذا معناه أن مزيدا من الاموال

(1) H. Myint, *Economic Theory and the Underdeveloped Countries*, (London, 1971), pp. 215-216.

ينبغي أن تخصص لهذا الغرض • والنوع الثاني من الضغوط يتصل بنوعية التربية التي تقدم للجمهور • فالطور التكنولوجي السريع يفرض على التربية واجبات تتصل باعداد الناس له وبأعباء التدريب المناسب • ان التربية اليوم تأخذ في اعتبارها تنمية قدرات المتعلم في الاتجاه الذي يجمعها تتكيف مع الظروف المتغيرة للحياة ومع مطالب الانتاج • والدور الشاق الذي ينبغي أن تقوم به التربية هو تدريب الناشئين على الاعمال التي تنتظرهم في غدمم حتى يستطيع كل منهم - وفقا لقدراته - ان يسهم اسهاما ذكيا في مناسط الحياة • ان المكتنة واستخدام الآلات أمر ينساب الى جميع مناحي حياتنا • وكل عام يمر يشهد مولد مكائن وآلات لم تشهدا الاعوام التي قبله • ومعنى ذلك أن الجيل الذي نربيه هو جيل سيشهد ويسمعل على آلات لا نعرف الآن عنها شيئا • ومن نسم كان ضروريا أن تتجه الى تنمية قدرة المتعلمين على التكيف للظروف المتغيرة : فكل ينبغي أن يزود بقسط وافر من الدراسات الاكاديمية ووكل ينبغي أن يحصل نوعا من المهارة في العمل بأدوات الانتاج • وهكذا تضيق الفجوة التي كانت تفصل بين المدارس الثانوية الاكاديمية والمدارس الثانوية الفنية •

ان المألوف في المدارس الثانوية العامة هو الاتجاه الى تسمية القدرات وتحصيل أساسيات المعرفة دون اهتمام بالتطبيقات العملية ، وأقصى ما تتصل به هذه المدارس ازاء العمل والانتاج هو معرفة بالأسس النظرية التي تساعد على فهم الظواهر وفهم العمل لا على العمل نفسه • والمألوف في المدارس الفنية هو الاتجاه بصفة رئيسة الى تحصيل المهارات والاعداد التي تساعد على الانتاج وعلى العمل نفسه دون اهتمام كبير بال نظريات التي تساعد المتعلم على فهم ما يعمل • ولكن ظروف التطور الناجمة عن تقدم العلم والتصنيع ساعدت على التقريب بين فروع المعرفة ، وجمعت المهلم

والعمل أساسيين في تربية كل ناشئ⁽¹⁾ .

ولعل أبرز نموذج نبدأ به لتوضيح هذا التقارب هو النموذج السوفيتي . وقبل أن نعرض لشكل هذا النموذج يهنا أن نقرر حقائق ثلاثاً : الحقيقة الأولى تتصل بوحدة النظام التعليمي شكلاً ومحتوىً في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي إلى الحد الذي يجعل مدارس النوع الواحد - على الرغم من اتساع البلاد وتنوع الثقافات وتعدد اللغات - نماذج متطابقة تماماً . فالمنهج والكتب وطرق التدريس موحدة في جميع أرجاء الدولة ، كما أن التلاميذ يخضعون لقوانين سلوكية واحدة ، وفرص تربوية موحدة ، ويسيرون في دراستهم بنفس السرعة أو الخطى التي يسير بها زملاؤهم في باقي المدارس . وتوجد في إطار هذه الوحدة مجالات اختلاف بسيطة محدودة تتصل بدراسة اللغة الروسية بجوار اللغة المحلية في الجهات غير الروسية ، وبالغاية التي توليها الدولة لتشجيع الثقافة القومية للأقليات وخاصة ما يتصل بالفن والموسيقى والأدب ، ثم بالاهتمام بالتاريخ المحلي للأقليم .

والحقيقة الثانية هي أن التطعيم الثانوي في الاتحاد السوفيتي مهما تنوعت أسماء مدارس وطابع أنواعه فإن كل المدارس هناك تشترك في عموميات موحدة ، فهناك منهج أو قدر من المعلومات المشتركة في جميع الأنواع يجب تحصيله ، ثم هناك مستوى معرفي محدد لجميع المدارس ينبغي أن يصل إليه التلاميذ لكي يتمكنوا من الحصول على شهادة اتمام

(1) cf. Andre Page, "Desirable Balance Between General Education and Technical and Vocational Education," in E. A. G. Robinson, (edited) *The Economics of Education*, (London, 1969), reprint, pp. 467 ff.

الدراسة الثانوية⁽¹⁾ وهذا معناه أن المدرسة الثانوية - أيا كان طابعها العام او نوعها - تقدم الى التلاميذ من جوانب المعرفة ما يصل بهم الى المستوى التحصيلي المقرر للتعليم الثانوي أو تساعدهم على تحصيل قسط منه ، كما تتيح فرصة متابعة التعليم العالي والتسابق اليه - في امتحان الدخول - مع سائر الطلاب بلا تمييز بين خريجي نوع من التعليم الثانوي وخريجي نوع آخر .

والحقيقة الثالثة هي أن جميع أنواع المدارس الثانوية مفتوحة لكل من أكملوا المرحلة المتوسطة بصرف النظر عن أي اعتبار يتصل بالذكاء أو بمستوى التحصيل . ومبدأ الشمول⁽²⁾ هذا هو مبدأ عام بالنسبة للمدارس السوفيتية فيما عدا بعض المدارس المفتوحة لذوي المواهب الخاصة ، وفيما عدا المدارس الثانوية المتخصصة التي تجري امتحان قبول . وفي داخل المدرسة يراعى مبدأ الشمول ايضاً فلا يقسم التلاميذ الى مستويات على الاطلاق سواء كان ذلك على شكل مجموعات داخل الصف أو على شكل شعب للصف الواحد . ان السوفيت يرفضون أي نوع من التمييز بين التلاميذ . فاذا كان لابد من توزيع تلاميذ الصف الواحد على شعب تم ذلك بطريقة لا تعارض مع هذا المبدأ : من الممكن مثلا توزيعهم وفقا للشوارع التي يعيشون فيها ، أو وفقا للترتيب الهجائي لاسمائهم ، أو أي وسيلة أخرى بعيدة عن التمييز . وهكذا تتوقع أن يكون في كل صف خليط من ذوي القدرات المتباينة يدرسون برنامجا موحداً . ويشجع التلاميذ المتفوقون على مساعدة زملائهم الذين يحتاجون

(1) Mrs. T. A. Ilina and Mr. V. I. Mishin, *The Training of Teachers in the Light of Diversification of Secondary Education in the USSR*, (Unesco, Meeting of Chief Technical Advisers, Paris, 27 September — 2 October 1971).

(2) Comprehensive Schooling.

الى مساعدة في عملهم • ويرتبط ذلك ببدأ التعاون : فالتدريب عمل
التعاون ومساعدة الغير - بدلا من التنافس والتركيز على الذات - يعتبر
من أساسيات المطلق الشيوعي •

ويتلقى كل التلاميذ في الاتحاد السوفيتي دراسة موحدة تمتد من
سن السابعة حتى سن الخامسة عشرة • والسنوات الاربع الاولى - أو
الصفوف الاربعة الاولى من هذه الدراسة - تعتبر فترة تعليم ابتدائي •
وفي الصف الخامس - في نفس المدرسة عادة - يبدأ تعليم ثانوي يعتبر
فيه الصفوف الممتدة من الخامس حتى نهاية الثامن من رحلة متوسطة • والذي
يلتقي نظرة على برنامج الدراسة في هذه الصفوف الاربعة يجد اهتماما
بالا بالمواد العلمية ، ويتدرج هذا الاهتمام متزايدا حتى تحتل المسواد
العلمية نصف الوقت المخصص للدراسة في الصفين السابع والثامن^(١) •
ويعتبر التدريب على العمل الاتاجي أحد المواد الرئيسة في برنامج
الدراسة ، ويعتبر الاقتصاد المنزلي بالنسبة للفتيات نوعا من هذا العمل •
وتتدرج التلاميذ عادة على أشغال المادن والخشب في ورشة ملحقه
بالمدرسة ، ومجهزة تجهيزا جيدا بالآلات والمعدات الدقيقة ، ويقضون
أسبوعين كل فصل دراسي في أحد المشروعات الصناعية • ويجوار المواد
المقررة توجد مواد اختيارية : فالتلاميذ الصف الثامن مثلا يمكنهم ان
يدرسوا - اذا شاؤوا - مواد اختيارية لمدة أربع ساعات كل أسبوع •
وتقوم المدرسة بتسيير هذه الدراسة للتلاميذ اذا توفرت لها مجموعة لا تقل
عن اثني عشر تلميذا من الراقين فيها • والمواد التي تقدم في الدراسة
الاختيارية نوعان : نوع يعتبر توسعا وتميضا لمواد موجودة في المنهج •

(١) مواد الصف الثامن في المدارس الروسية هي : اللغة الروسية ،
الادب ، الرياضيات ، التاريخ ، دراسات اجتماعية ، الجغرافيا ،
علوم الحياة ، الفيزياء ، الكيمياء ، الرسم الهندسي ، لغة اجنبية ،
الموسيقى ، التربية الرياضية ، التدريب على العمل ؛ وهناك بعد ذلك
المواد الاختيارية •

فيمكن مثلا أن تكون هناك دراسة لبعض الجوانب المعينة في الكيمياء والفيزياء والرياضيات والبيولوجي وغيرها . وهناك نوع آخر من الدراسة الاختيارية يتناول مواد غير المواد المقررة كالادب الغربي المعاصر والتكنولوجيا التطبيقية والفن بأشكاله المختلفة . وإذا كنا قد أشرنا إلى أن الاهتمام بالمواد العلمية واضح في برنامج الدراسة فإن هذا البرنامج يعكس بجوار ذلك اهتماما بالإنسانيات . وليس هناك شك في أن السوفييت يتجهون بتربيتهم إلى اعداد مواطنين لعصر التكنولوجيا الحديثة ، كما أنهم - كأبي قطر - تقوم حضارته على التصنيع - في حاجة متزايدة إلى علميين قد تدربوا نظريا وعمليا في كل الميادين .

وحين ينتهي التلميذ من الصف الثامن بنجاح يجد نفسه أمام تنوعات من المدارس تزيد عن مائة وثلاثين نوعا يمكنه ان يستكمل دراسته الثانوية في أي منها . ويمكننا تجميع هذه المدارس وتقديمها في الانواع الثلاثة الرئيسة الآتية :

1 - المدارس الثانوية العامة

Secondary general educational polytechnical schools

وفي هذه المدارس يتابع التلاميذ دراستهم لمدة عامين في صفين هما الصف التاسع والصف العاشر . وهذان الصفان يوجدان عادة في نفس المبنى الذي كانت فيه الصفوف الثمانية الأولى . ويعتبر برنامج الدراسة فيهما استمرارا لبرنامج الدراسة قبل ذلك⁽¹⁾ . معنى ذلك ان هناك مدرسة فيها صفوف عشرة تمثل الاربعة الأولى منها المرحلة الابتدائية ، وتمثل الصفوف الاربعة التالية - أي من الخامس حتى الثامن - المرحلة

(1) مواد الصف العاشر في المدارس الروسية هي : الادب ، الرياضيات التاريخ ، دراسات اجتماعية ، علوم الحياة ، الفيزياء ، علم الفلك ، الكيمياء ، اللغة الأجنبية ، التربية الرياضية ، التدريب على العمل . ثم هناك بعد ذلك المواد الاختيارية .

المتوسطة ، ويمثل الصفان التاسع والعاشر فيها مرحلة استكمال الدراسة الثانوية العامة . وفي نهاية الصف العاشر يمكن أن يحصل التلاميذ على شهادة بأكمل دراستهم الثانوية ، وتسمى شهادة الجدارة "Attestation of Maturity" وهذه الشهادة تعطي صاحبها الحق في أن يتقدم للالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا ، ولكنها لا تضمن له القبول ، فهو ينبغي أن يتقدم - مع باقي طالبي الالتحاق - الى امتحان دخول يتوقف قبوله على النجاح فيه .

ومنذ عام ١٩٥٨ كان تعليم الشعب في الاتحاد السوفيتي على سبيل الالتزام ينتهي بانهاء الصف الثامن . وفي عام ١٩٦٦ أصدر المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي هذا القرار : « ان توفير تعليم ثانوي للجميع أمر ينبغي أن يستكمل في غضون السنوات الخمس الآتية . كما ينبغي أن تناسب نوعية ومحتوى التعليم العام والمهني والبوليتيكنيكي المستويات الحديثة . ونحن ندعو المدارس الى العمل على تشرية مبادئ الاخلاق الشيوعية للتلاميذ ، والى النهوض بالتربية الجمالية والتربية الرياضية للجيل الصاعد . ثم ان علم التربية ينبغي أن يحرز مزيدا من التطور . ومن المهم توجيه العناية الى تطوير الادوات الدراسية والى امداد المدارس بالمعدات الحديثة والرقي بها » (١) .

والمدرسة الثانوية ذات الصفوف العشرة هي التي اتجه مؤتمر الحزب الى تعميمها . وقد ورد ذلك صراحة في خطاب ألقاه « ليونيد بريجنيف » في عام ١٩٦٨ ، حيث قال : « حدد المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي الاتجاه الرئيسي للتطوير الثقافي في السنوات القليلة القادمة - حيث أشار بضرورة تعميم المدارس الثانوية ذات الصفوف العشرة حتى تستوعب كل الناشئين في عام ١٩٧٠ . . . علينا الآن أن نحقق هدفنا »

«(1) 23rd Congress of the CPSU, from March 29 to April 8, 1966, (Moscow, 1966), P. 299.

الذي تتطلع اليه وهو تعميم المدارس ذات الصفوف العشرة . فذلك يعتبر ضرورة بالنسبة لزماننا حيث ان الحياة أصبحت تتطلب مستويات عالية من التدريب لمختلف المهن . وتحصيل هذا الهدف أمر ممكن بالنسبة لنا نظرا لارتفاع مستوى الحياة عندنا ، وارتفاع المستوى الثقافي لشعبنا ، وزيادة الامكانيات المتاحة للتعليم الشعبي . سيتطلب تعميم التعليم الثانوي ذي الصفوف العشرة كثيرا من الجهد والمال ، ولكننا مستعدون للبذل لاننا متحققون تماما من أن التعليم أحسن دائرة ثمر فيها الجههـود ، وتستثمر فيها الاموال لانه يأتي بأحسن نفع وأعظم عائد . وعلى المدى الطويل سيتوقف نجاح أي مشروع على الناس المزودين بالمعرفة العلمية والأفكار التقدمية»⁽¹⁾ .

ب - المدارس الثانوية المتخصصة Secondary Specialized Schools

وهي مدارس يمكن أن يلتحق بها خريجو المرحلة المتوسطة لدراسة تستغرق من ثلاث الى أربع سنوات وفقا لتخصص التلميذ . كما توجد دراسات للطلاب الذين أكملوا الصف العاشر بالمدارس الثانوية العامة مدتها سنتان . وتستمتع هذه المدارس بسعة طيبة بين الناشئين ، فهي تهيء المجال لاتصال خريجها بجميع فروع الاقتصاد والثقافة في الدولة ، وهي متنوعة التخصصات تغذي حوالسي أربعمئة ميدان من ميادين العمل والانتاج في الاتحاد السوفيتي . وهناك أنواع كثيرة من هذه المدارس ، ولكن يمكن تقديمها في نوعين رئيسيين : النوع الاول "tekhnikum" ويتجه الى تخريج ذوي المهارات العالية في أعمال الصناعة أو الاعمال الكتابية . ومن برامج الدراسة التخصصية التي تقدمها مدارس هذا النوع على سبيل المثال : الاليكترونات ، الهندسة ، الميكانيكيات الكهربائية ، النقل ، وسائل الاتصال ، البناء ، النسيج ،

(1) L. I. Brezhnev, *To Educate Our Young*, (Moscow, 1968), pp. 12-13.

التعدين ، الهندسة الكيميائية ومجموعة أخرى من التخصصات المتصلة بالصناعات الثقيلة والخفيفة . كما أن من بين البرامج التخصصية ما يتصل بالزراعة ، الغابات ، الاسماك ، علم التربة ، المواد الغذائية . ثم هناك برامج في الاقتصاد ، الادارة ، التمويل ، امسالك الدفاتر ، الاعمال الكتابية . أما النوع الثاني "Uchilishche" فهو نوع يعد خريجه للاعمال شبه المهنية . وهذا النوع يغطي ايضا ميادين واسعة ولكن أكثر أنواع التخصص رواجاً بين الجماهير هي التخصصات الطبية^(١) والتخصصات الفنية ، والتخصصات الثقافية^(٢) ، والتخصصات التربوية - ولو أن المدارس التربوية تلغى الآن تدريجياً - وهناك دراسات أخرى .

والتلاميذ الذين يرغبون في الالتحاق بهذه المدارس ممن أكملوا الصف الثامن يدخلون امتحان مسابقة في اللغة الروسية أو اللغة المحلية وفي الرياضيات ويضاف الى ذلك بالنسبة لبعض التخصصات مادة التاريخ . والاسئلة في هذه المواد تدور حول ما درسه التلاميذ في فترة دراستهم بالصفوف الثمانية . وتوجد نسبة عالية من البنات ولو أنها تتفاوت وفقاً لنوعية التخصص^(٣) . وهذه الدراسة تهدف الى ائاحة الفرصة للتلاميذ كي يستكملوا دراستهم الثانوية ، ويحصلوا معرفة ومهارات تخصصية ،

(١) من التخصصات الطبية ما يتصل بأعداد الممرضات ، والعاملين بالصيدليات ، والعاملين في الاعمال الصحية وغيرهم .

(٢) التخصصات الثقافية تخرج العاملين بالمكتبات والمنظمين الثقافيين ومن اليهم .

(٣) مع ان الاختصاصات المتصلة بذلك والمتيسرة لي الان ليست حديثة فانها تغطي فكرة واضحة عن ذلك . ففي عام ١٩٦٢-١٩٦٣ كانت نسبة البنات في مدارس الصناعة والبناء ٣٤٪ وفي المدارس الزراعية ٣٨٪ وفي المدارس التربوية ومدارس الفنون والسينمائيات ٧٩٪، وفي مدارس الصحة العامة والثقافة الرياضية ٨٦٪ .

M. Deineko, *Public Education in the USSR*, (Moscow, n. d.) p. 174.

ويكتسبوا نظرة مهنية واسعة • كما أنها تفي بحاجات الانتاج الحديث ، فالانتاج الحديث القائم على آخر ما وصل اليه العلم والتصنيع يتطلب من صغار الفنيين العاملين به مستوى عاليا من الدراسات النظرية والمعرفة التطبيقية • وتقع المواد التي يدرسها التلاميذ في ثلاث دوائر : الدراسة التربوية العامة ، والدراسة الفنية العامة ، والدراسة المتخصصة • فالدراسة التربوية العامة تتناول مواد الدراسة الثانوية العامة ويخصص لها حوالي ١٥٠٠ ساعة على طول مدة الدراسة^(١) ومثل ذلك الوقت يخصص للدراسة الفنية العامة^(٢) أما مواد الدراسة المتخصصة فانها تختلف من تخصص الى تخصص اختلافاً بينا • ومنهج معظم المدارس المتخصصة في الصناعة ، والبناء ، والنقل والزراعة يحدد فترة معينة يعمل التلاميذ في أثناءها مستقلين في المشروعات الصناعية أو محلات الانتاج أو في مزارع المدارس • ومعظم التخصصات تجعل حوالي ٥٠٪ من الوقت للتدريب على الانتاج وتطوير المهارات المهنية •

ويستطيع تلاميذ هذه المدارس في نهاية دراستهم الحصول على شهادة اتمام الدراسة الثانوية والمهنية • ومن الممكن لكل طالب - وهذا ما فعله جمهوره الطلاب - أن يتجه مباشرة الى العمل المناسب لتخصصه ، كما يمكنه أن يتجه طالبا الالتحاق بالتعليم العالي • ان دراسته التخصصية لا تجبره على البقاء في العمل • ان من ميزات هذه المدارس أنها تجعل التلميذ على الف بالحياة العملية ، وانها تسلحه بمؤهل نافع في ضمان عمل فني اذا اقتصر عليها او فشل في الالتحاق بالمعاهد العليا ، كما انها تجعل منه صاحب خبرة عملية اذا التحق بالتعليم العالي • ومعظم هذه المدارس يقع

(١) يدرس التلاميذ في هذه الدراسة تاريخ الاتحاد السوفيتي ، اللغة الروسية والادب ، الرياضيات ، الفيزياء ، الكيمياء ؛ لغة أجنبية ، تربية رياضية •

(٢) أكثر مواد الدراسة الفنية العامة شيوعا لاتصالها بعدد كبير من التخصصات الفنية المتقاربة هي الرسم الهندسي ، الاليكترونات ، الهندسة الميكانيكية ، المعادن •

الحديثة الى عمال ينبغي ان يكونوا ذوي مستوى تربوي عال . وهذا راجع بدوره الى التقدم السريع للعلم والتكنولوجيا ، والى انتشار المكتنة وآلية العمليات الانتاجية ، ثم الى تطوير فروع صناعية جديدة ، كل هذه تتطلب من العمال جهدا ذهنيا يتزايد باستمرار ، وتتطلب معرفة عامة متينة الاساس ، كما تتطلب تطوير القوى الاستدلالية والامام السريع بالطريقة التي تعمل بها الاجهزة⁽¹⁾ ،⁽²⁾ .

لعله يكون مناسباً في هذا السياق ان نعرض لخبرة دولة اخرى تختلف في نظامها الاجتماعي ومشكلاتها التعليمية . وربما يكون اختيار انكلترا أكثر ملاءمة من حيث تعرض نظام التعليم الثانوي فيها لمشكلات ربما تكون قد ورتنا بعضها . ونظام التعليم في بريطانيا يستمتع باللامركزية الادارية ، ولكن مجتمع التقاليد تنعكس حياته كثيرا على منظماته . هناك تقاليد التصقت بالنظام التعليمي تجعل محاولة التغيير في بعض مؤسساته التي أخذت طابعا معينا أمرا صعبا بل ربما تظهرها بأنها مغامرة جريئة . قد يجد القاريء في وثائق التربية في بريطانيا مثل هذه العبارة التي وردت في منشور رسمي بتاريخ ٣٠ من يونيو (حزيران) ١٩٧٠ مقرر أن الحكومة تعتقد أنه من الخطأ أن تفرض على السلطات التربوية المحلية نمودجا لتنظيم التعليم الثانوي⁽³⁾ . ولكن ذلك لا يعني أننا سنجد أنفسنا أمام تشعبات أو تنظيمات كثيرة ، فالتنظيم السائد في بريطانيا هو ان التعليم فيما قبل سن الخامسة يتم في دور الحضانة ، وأن التعليم الابتدائي يمتد

(1) Ilina and Mishin, *op.cit.*

(2) a. *Ibid.* ; b. Deineko, *op. cit.*, pp74-180 ; c- N.Grant, *Soviet Education*, (a Pelican Original, 1968), revised edition, pp. 73-108; d- V. Mallinson, *An Introduction to the Study of Comparative Education*, (London, 1966), third edition, pp. 184-186, 227-230.

(3) International Conference in Education, 1971, *Report on Developments in the United Kingdom, 1970-1971*, P. 3.

من الخامسة حتى الحادية عشرة حيث يبدأ التعليم الثانوي بأنواعه .
وبجوار هذا التنظيم السائد توجد الآن محاولات تجريبية تتصل بإنشاء
مدارس متوسطة في بعض المناطق تضم التلاميذ فيما بين سن ٨ أو ٩ الى ١٢
أو ١٣ قبل أن يذهبوا الى التعليم الثانوي ، ولكن ذلك لا يزال محدودا .

وفقا لقانون التعليم لعام ١٩٤٤ يعتبر سن الخامسة هو سن بسدء
الالزام بالذهاب الى المدرسة ويعتبر سن السماح بترك المدرسة هو الخامسة
عشرة على أن يرفع الى السادسة عشرة متى توفرت امكانيات ذلك . وقد
بقي الالزام مطبقا على التلاميذ الى الخامسة عشرة حتى عام ١٩٧١-١٩٧٢ .
وفي عام ١٩٧١ قررت الحكومة رفع سن ترك المدرسة حتى السادسة عشرة
اعتبارا من عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ . ومعنى ذلك ان كل تلميذ كان عليه وفقا
لهذا القانون ان يمضي اربع سنوات على الاقل في المرحلة الثانوية ثم
صارت خمسا ابتداء من ١٩٧٢-١٩٧٣ . وتطبيقا لذلك القانون قامت السلطات
في عام ١٩٤٥ باعادة تنظيم معاهد التعليم التي كانت قائمة قبل ذلك التاريخ ،
وقد أدى ذلك بالنسبة للتعليم الثانوي الى وجود ثلاثة أنواع : المدارس
الثانوية الاكاديمية ، والمدارس الثانوية الفنية ، والمدارس الثانوية الحديثة .
وفيما يلي نعرض لكل نوع :

١ - المدارس الثانوية الاكاديمية "Grammar Schools"
وهي أقدم أنواع المدارس الثانوية في بريطانيا ، اذ يرجع تاريخها الى
القرن السابع الميلادي . وللمدرسة الثانوية الاكاديمية مكائنها عند
الجماهير باعتبارها مدخلا الى التعليم العالي والحياة المهنية ووظائف النفوذ .
وقبل تطبيق قانون ١٩٤٤ كانت تنصرف اليها الاذهان عند التلفظ بالمدرسة
الثانوية . ووظيفتها التقليدية هي امداد تلاميذها ببرامج أكاديمية تساعدهم
على متابعة التعليم الجامعي . ويقضي التلاميذ فيها عادة سبع سنوات . وفي
السنوات الخمس الاولى تقدم اليهم برامج دراسية عامة . أما في الصف
السادس "Sixth-form" - ويستغرق عادة عامين - فيدرس
التلاميذ عددا أقل من المواد ولكن على مستوى اكثر عمقا واتساعا ، وفيه

يتدرب التلاميذ على المستوى التحليلي الناقد^(١) . ووفقا للتنظيمات التي أجريت في عام ١٩٥١ يتقدم التلاميذ لامتحان عام للحصول على الشهادة الثانوية العامة "General Certificate of Education"

بمستوياتها العادي والرفيع . وليست هناك مجموعة مواد ثابتة مقررة يمتحن فيها التلاميذ جميعا لكي يحصلوا على هذه الشهادة ، ولكن الطلبة يحصلون على هذه الشهادة في مواد مفردة . فيمكن أن يحصل الطالب على الشهادة في مادة واحدة في البداية ثم ينطلق مضيفا من المواد ما يختار . والطالب يختار عدد المواد في ضوء المتطلبات المختلفة للكليات . وهي تتمثل في حدها الأدنى في النجاح في اللغة الانكليزية وأربع أو خمس مواد أخرى منها اثنان على الأقل ينجح فيهما بمستوى رفيع . والطلاب عادة يتقدمون لهذه الامتحانات بين سن السادسة عشرة والثامنة عشرة . ويعتبر سن التاسعة عشرة هو الحد الأعلى الذي ينبغي أن يترك التلميذ عنده المدرسة .

لم تكن المدرسة الثانوية الاكاديمية - كما هو حالها الان - تسع لأكثر من ٢٠٪ من التلاميذ الذين ينتهون من المرحلة الابتدائية . وكان لا بد من اختيار التلاميذ الذين يمكن ان يكونوا أكثر نجاحا من غيرهم في متابعة هذا النوع من الدراسة . ومنذ عام ١٩٤٥ يتم ذلك عن طريق اجراء اختبار معروف باسم اختبار سن ١١ + "Eleven-plus Examination" . والاساليب المتبعة عادة

(١) المواد التي تدرس عادة في المدرسة الثانوية الاكاديمية هي اللغة الانكليزية وادابها ، اللغات الاجنبية الحديثة ، اللغات القديمة (عادة اللغة اللاتينية ونادرا اللغة اليونانية) ، التاريخ الجغرافيا ، الرياضيات المبحثة والتطبيقية ، الكيمياء ، الفيزياء الاحياء ، التربية الفنية ، الموسيقى ، اشغال النجارة واشغال المعادن للبنين ، تدبير منزلى للبنات ، تربية دينية ، تربية رياضية . وفي بعض المدارس يدرس كبار التلاميذ مادة اضافية او اكثر من مواد مثل الهندسة الميكانيكية ، الهندسة المعمارية ، الرسم الهندسي ، الاقتصاد ، الفلسفة ، وغيرها . وفي المدرسة جمعيات رياضية وثقافية واجتماعية وتنظيمات طلابية متنوعة .

وفي هذا الاختبار هي اجراء اختبار ذكاء - ويسمى حاليا بالاختبار اللفظي -
واجراء اختبارات تحصيلية تكون عادة موضوعية كما تكون مقننة في كثير
من الاحوال وتناول اللغة الانكليزية والحساب . وتراجع نتائج هذه
الاختبارات في ضوء تقارير مديري المدارس الابتدائية وكذلك سجلات
الاطفال طول مدة الدراسة الابتدائية . وتجري هذه الاختبارات على
التلاميذ حوالي شهري فبراير ومارس (شباط وآذار) في مدارسهم
وبإشراف معلميهم الذين يصححونها ويحددون المستويات وفقا للتعليمات .
ثم ترسل الاوراق والنتيجة الى دائرة التربية المحلية .

“Local Education office”

حيث تراجع ثم ترتب نتائج كل مدارس المنطقة الواقعة في هذه
الدائرة . وبعد ذلك تقوم لجنة الامتحان التي تعينها المديرية بتقرير الحد
الذي سيففون عنده في القبول بالمدارس الثانوية الاكاديمية . وليس هناك
مستوى مقرر بصفة نهائية لهذا القبول ، فهو يتقرر وفقا لعدد مدارس
المنطقة ومدى اتساعها . وعلى هذا نجد الفرصة تضيق في بعض المناطق
حيث لا تتسع المدارس الا لحوالي ١٠٪ ممن أكملوا التعليم الابتدائي ،
بينما تتسع فتصل الى ٤٠٪ في بعض جهات انكلترا ، وتتجاوز ذلك الى ٦٠٪
في بعض جهات ويلز . وهذا معناه أنه قد يكون هناك مستوى من التلاميذ
لايسح لهم بالدراسة في المدارس الثانوية الاكاديمية في جهة ما بينما يسمح
بها لمستوى أقل منهم من زملائهم في جهات أخرى يتوفر بها عدد أكثر
من هذه المدارس . والتلاميذ الذين لا يقبلون يتلمسون الطريق الى اكمال
دراساتهم في نوع آخر .

٣ - المدارس الثانوية الفنية “Secondary Technical Schools”

وهذه المدارس تهيب للاطفال الذين يلتحقون بها فرصة كانت تلي في جودتها
عند الجماهير فرصة المدارس الثانوية العامة . وهذه المدارس محدودة
العدد نسبيا ، وهي تتبع أيضا سياسة انتقاء التلاميذ ، ويمكن تقدير من يقبل
بها حاليا من التلاميذ الذين أكملوا المرحلة الابتدائية بحوالي ٤٪ . ونحن

ينبغي أن نشير إلى أن هذه المدارس ليست « فنية » بالمعنى الشائع أو المؤلف لنا : فهي مدارس لا تحاول أن تعلم حرفة أو مهنة تلاميذها للالتحاق بعمل معين ، كما أنها ليست ذات برنامج دراسي يعتبر جزء من دراسة ثانوية عامة والجزء الآخر دراسات فنية . إنها مدارس تقدم تعليماً ثانوياً جيداً لبعض التلاميذ الذين يكون لديهم نوع من الميل إلى بعض ميادين النشاط الإنساني . إن سن الحادية عشرة التي تنتهي عندها المرحلة الابتدائية تعتبر سناً مبكرة لا يمكن أن تشخص فيها ميول التلاميذ بصورة مؤكدة ، ولكننا يمكننا عن طريق ملاحظة التلاميذ ودراسة مناشطهم خارج المدرسة والتحدث إلى آبائهم أن نكون فكرة عما يجذب اهتمامهم ويتابعونه ، فالاهتمام مثلاً بالقراءة عن موضوعات التجارة ومشكلاتها ، والاهتمام باكتشاف تركيب الأشياء أو الناحية الميكانيكية فيها ، والاحساس بجمال أشغال الأبرة الدقيقة عند البنات والتميز بين ما هو مناسب وما هو غير مناسب فيها وما إلى ذلك من أمور شتى يساعد على تكوين صورة من نوع ما عن بعض الميول لدى التلاميذ ، ولو أننا في نفس الوقت نضع معهما احتمالات أن تكون دائمة أو مؤقتة ، رئيسة أو ثانوية ، وأمثلة هؤلاء التلاميذ حين يلتحقون بالمدرسة الثانوية الفنية في إنكلترا يكونون موضع اهتمام المدرسة ومدرسيها .

قد لا يبدو منهج الستين الأوليين (١١ إلى ١٣ +) من المدرسة الثانوية الفنية للزائر العابر مختلفاً عن منهج المدرسة الثانوية الأكاديمية ، هناك اهتمام بالمهارات الأساسية والآداب والعلوم وقد تكون هناك لغة أجنبية ثانية . ولكن الواقع أن الاختلاف يكمن في المهارة التي يديها المدرسون في استغلال ميول التلاميذ . انهم يديرون كثيراً من المناشط حول هذه الميول بشكل يجعل التلاميذ يحسون بأن نشاطهم المدرسي نشاط غرضي . وهم يتبعون نشاط التلاميذ العملي وأشغالهم اليدوية باعتبارها مؤشرات تساعد على التنبؤ بنوع العمل المناسب . وهؤلاء المدرسون عادة جماعة من الرجال والنساء تهيأت لهم قبل اشتغالهم

بالتدريس - فرصة الاتصال بمجموعة من الصناعات أو الميادين التجارية التي تهتم بها المدرسة .

وفي أثناء السنتين التاليتين (١٣ الى ١٥ +) يستمر استقلال ميول التلاميذ ، وتكون هناك على الأقل حصة أسبوعية تخصص للمواد التكنولوجية أو التجارية أو أي فرع آخر تهتم به المدرسة . والسبب في ذلك ما تنعكس هذه التواحي على الدراسات العلمية والفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات . وفي أثناء هذه الفترة يصير سهلا لاعضاء الهيئة التدريسية عادة أن يشخصوا بدرجة من التأكيد مجموعة المناشط التي تناسب كل فتي وكل فتاة . فإذا كانت موجودة في المدرسة تابع التلميذ دراسته بها بعد ذلك والا أرسل الى مدرسة أخرى تتوفر فيها هذه المناشط . على اننا ينبغي أن نشير الى أنه قد يحدث ألا تحوّل المدرسة أحدا من تلاميذها اما حفاظا على حجمها أو لأن هناك ميزات في بعض التلاميذ كالتفوق في النشاط الرياضي أو الاجتماعي أو الثقافي مما يجعل المدرسة حريصة على بقائهم .

وهكذا يمكن من سن ١٥ + عمل القرار النهائي فيما يتصل بمستقبل معين للناشيء يبدأ في سلوك الطريق اليه . فهو مثلا من سن ١٦ + قد يتحول الى التلمذة الصناعية "apprenticeship" في إحدى الحرف أو في مكتب له اتصال بأعمال التلمذة الصناعية مثلا كما يمكن ان يدرس للحصول على الشهادة الثانوية العامة . ويستطيع بعدها ان يتابع الدراسة في إحدى الكليات الفنية^(١) "Technical Colleges" وبعض التلاميذ قد يصل الى المستوى الذي يمكنهم من متابعة دراستهم في إحدى الجامعات . ان كثيرا من المدارس الثانوية الفنية تقدم برنامجا مماثلا للبرنامج الذي

(١) من الدراسات التي يمكن ان يتابعها الطالب للحصول على شهادة تخصصية من هذه الكليات ما يتصل بالهندسة ، الكيمياء ، الفيزياء التطبيقية ، الكيمياء التطبيقية ، التعدين ، التجارة ، النسيج ، هندسة السفن . . . وغير ذلك .

تقدمه المدرسة الثانوية العامة ، ويكمن الفرق الوحيد بين الاثنين في مزيد من الاهتمام تفضيه المدرسة الثانوية الفنية على المواد العلمية التكنولوجية .
٣ - المدارس الثانوية الحديثة "Secondary Modern Schools"

ويأوي إلى هذه المدارس حوالي ٦٧٪ من الاطفال الذين ينتهون من المرحلة الابتدائية ، ويبقون فيها حتى يكملوا فترة التعليم الالزامي ثم يتركها معظمهم . هناك أعداد من هؤلاء التلاميذ تبقى الى ما وراء سنن الالزام ، وهي قد تصل في بعض المدارس الى ٩٠٪ وقد تزيد في بعض المدارس حتى تصل أحيانا الى ٥٠٪ ، ولكن ذلك يرتبط بعوامل متغيرة متعددة ، ومنذ عام ١٩٤٥-١٩٤٦ حتى عام ١٩٧١-١٩٧٢ كان واجبا أن يبقى بها كل تلميذ من الداخلين اليها أربع سنوات حتى يصل الى سنن الخامسة عشرة . و برفع سن الالزام حتى السادسة عشرة ابتداء من ١٩٧٣-١٩٧٢ صار على كل تلميذ دخلها بعد المدرسة الابتدائية واجب البقاء خمس سنوات بها .

والمدارس الثانوية الحديثة تقدم برامج دراسية وتدرجات عملية متنوعة للغاية . وليس من الممكن ان تقدم تفصيلا وافيا أو برنامجا يعتبر نموذجا ممثلا تمثيلا صحيحا لعمل تلك المدارس . فهي تستمتع بحرية كاملة في اختيار ما تعلم وكذلك في اختيار طريقة التعليم . ويقوم مدير المدرسة الحديثة بالاشتراك مع السلطات التربوية المحلية بوضع منهج المدرسة . والحقيقة أنها عندما انشئت في عام ١٩٤٥ لم تتحدد وظيفتها بشكل يتسم بالوضوح الكافي . فقد اكتفي بالنظر اليها على أنها مدارس تقدم برنامجا تربويا يناسب نوعية الاطفال الذين يدخلونها ليقوا فيها حتى يبلغوا سن ترك المدرسة . ووفقا لحظ كل منها من هيئة التدريس كانت درجة تطورها . فهي كانت تقدم المواد التي يتوفر لها مدرسون وتهمل ما عداها . وحتى الآن قد يجد الانسان بعض هذه المدارس لا تقدم - ولا تهتم بأن تقدم - دروسا في الفيزياء او في الكيمياء بينما تكون قد طورت برنامجا في العلوم العامة يناسب مدرسيها وطلابها . وبعضها

لا يقدم دروسا في اللغات الاجنبية ولكنه يمكن ان يكون قد طور مناشط
اكاديمية أو غير اكديمية لها قيمتها وأهميتها . وعلى الرغم من حظها
المتواضع فيما يتصل بنوعية المدرسين نجد بعض هذه المدارس قد تطورت
وامتدت لدرجة أنها يوجد بها صف سادس ، وأنها تعد تلاميذها للحصول
على الشهادة الثانوية العامة ولو أن ذلك محدود للغاية .

وتلاميذ هذه المدارس يقسمون الى مستويات ، يدرس كل مستوى
ما يناسبه من المواد ، والفرق بين هذه المستويات المختلفة ليس كبيرا⁽¹⁾
ومعظم المدارس يوجد بها حوالي سبع عشرة مادة دراسية وليس معنى
ذلك أن كل مادة لها مدرستها الخاص أو أن كل مدرس له تخصص معين ،
فكثير من المدرسين يعلمون عدة مواد . وهناك مواد اختيارية ، ولكن
دائرة الاختيار تكون ضيقة في الصفوف الثلاثة الأولى ثم تتسع من الصف
الرابع . وهناك بعض من تلاميذ هذه المدارس يخرجون منها وهم يحملون
شهادة في أعمال السكرتارية أو في بعض النواحي الحرفية ، كما ان هناك
بعضا آخر يذهب للالتحاق بالتلمذة الصناعية⁽²⁾ .

كانت هذه هي الأنواع الثلاثة الرئيسة للمدارس الرسمية الثانوية

(1) في المستوى المتوسط - لتلاميذ السنة الثالثة المقسمين الى ثلاثة
مستويات بأحدى المدارس - كانت المناشط التي في جدولهم هي :
اللغة الانكليزية ، المكتبة ، اللغة الفرنسية ، التاريخ ،
الجغرافيا ، الرياضيات ، العلوم العامة ، الاحياء ، النجسارة
أشغال المعادن ، الرسم الهندسي ، التربية الدينية ، الموسيقى ،
التربية الفنية ، اشغال حرفية ، تربية رياضية ، ألعاب .

(2) a- H. C. Dent, *The Educational System of England and
Wales*, (London, 1961), pp. 101-121; b- J. D. Koerner,
Reform in Education, (London, 1968), pp. 65-75; 83-93;
c- G. A. N. Lowndes, *The English Educational System*,
(London, 1960), revised edition, pp. 30 ff; d- International
Conference in Education, 1971, *op. cit.*

في انكلترا عقب تطبيق قانون ١٩٤٤ * ولكن الظروف أدت الى تطويعر نوع رابع يحتل مكانا راسخا - بل وأحيانا مكانة - بين أنواع التعليم الثانوي * فأكبر شيء قوبل بعدم الارتياح في تنظيم التعليم الثانوي فسي انكلترا هو امتحان الحادية عشرة + * لقد سبب ذلك الامتحان شعورا بالقلق للاباء والتلاميذ معا ، انه يتضمن حكما على الذكاء والتحصيل ويحدد طريق المستقبل * وقد ساد الشعور بعدم عدالته لان هذه السن تعتبر سنا مبكرة للحكم فيها على قدرات التلاميذ ولتحديد مصيرهم * كما ان اختيار التلاميذ للمدرسة الثانوية الأكاديمية ارتبط بمقدار سعة هذه المدارس ومدى انتشارها في جهة ما ، وهكذا نجد تلاميذ حرموا من دخول هذه المدارس في احدى المناطق بينما قبل في مدارس مناطق اخرى من هم أقل من مستواهم * ومع مرور السنين تزايد الشعور بعدم دقة نتائج هذا الامتحان وعدم صلاحيته لان يكون أساسا للتنبؤ الدقيق فيما يتصل بمستقبل الناشئين ، فهناك أعداد ممن قبلوا في المدرسة الثانوية الأكاديمية ولكنهم فشلوا في أن يصلوا الى مستوى ييسر لهم القبول بالتعليم الجامعي ، بينما هناك أعداد ممن دخلوا نوعا من المدارس الثانوية غير الأكاديمية قد تهيأ لهم أن يصلوا الى مستوى أعلى ، وأن يسلكوا طريقهم الى الجامعة على الرغم من تواضع الجو المدرسي *

بدأت انعكاسات هذا القلق تظهر منذ وقت مبكر * ففي عام ١٩٤٧ أعلنت اللجنة التربوية بمجلس مقاطعة لندن اقتراحا يقضي بإنشاء (مدرسة ثانوية شاملة) يلتحق بها كل التلاميذ على مختلف مستوياتهم ، ولم يكن معنى (المدرسة الثانوية الشاملة) واضحا تمام الوضوح فسي الاوساط التربوية نفسها * وقد أخذت الدعوة الى انشاء هذه المدارس تنتشر في الاوساط السياسية والتربوية معا * كان هناك من يرتاح للاتجاه الى انشاء المدارس ويرى فيها وسيلة للتخلص من مشكلة (انتقاء الاطفال) الذي يتضمن حكما بامتياز بعض المدارس وتلاميذها على حساب الباقي وهو الكثرة * وكان هناك في نفس الوقت من يخشى أن يكون ذلك اتجاها

إلى التداني بمستوى التعليم الثانوي، وإلى القضاء على النوع الجسد منه *
أما وزارة التربية فلم تكن ترى ضرراً في أن يوضع ذلك موضع التجريب
في حدود ضيقة * وخرج تقرير وزارة التربية عن التعليم في سنة ١٩٥٣
"Education in 1953" ليعلن أنها مشغولة فعلاً بإنشاء سبع عشرة
مدرسة ثانوية شاملة، وأن عشرًا أخرى ستأخذ طريقها إلى الإنشاء^(١)
وبدأ التقدم في إنشاء هذه المدارس يسير، ولكنه تقدم بطيء لم يحل
المشكلة، وإنما أضاف نوعاً إلى أنواع التعليم الثانوي التي كانت قائمة *
ويمكننا أن نقول إن ترتيب المدارس الثانوية بين الجماهير يسير الآن تنازلياً
على هذا النحو: المدرسة الثانوية الأكاديمية، المدرسة الثانوية الشاملة،
المدرسة الثانوية الفنية، المدرسة الثانوية الحديثة *.

والمدارس الثانوية الشاملة القائمة الآن في انكثرت متنوعة تنوعاً يجعل
من غير المستطاع تقديم نموذج يعطي صورة عنها * وتكاد كل مدرسة منها
تعتبر تجربة مستقلة * غير أننا نشير هنا إلى ثلاثة أمور هي: أن حظ هذه
المدارس من ذوي القدرات العالية من التلاميذ لا يزال ضعيفاً فهي بالنسبة
للجماهير تعتبر اختياراً جيداً من المرتبة الثانية ولذلك يتجه معظم هؤلاء
بأولادهم إلى المدرسة الثانوية العامة أولاً، والأمر الثاني هو أن التلاميذ
يقسمون فيها وفقاً لمستوياتهم وقدراتهم ولو أن دراستهم ومناشطهم في
السنوات الثلاث الأولى تبدو ذات طابع موحد تضيق فيه دائرة الاختيار
والتنوع، والأمر الثالث أن هيئة التدريس بهذه المدارس من أنواع جيدة
وهكذا يمكن إدارة صف سادس وتقديم التلاميذ ذوي القدرة العالية التي
الشهادة الثانوية في سهولة ويسر * وفيما يلي نعرض مزيداً من التوضيح
لفكرة المدرسة الثانوية الشاملة *.

٣ - المدرسة الثانوية الشاملة "Comprehensive Secondary School"

تقوم فكرة المدرسة الثانوية الشاملة على استيعاب جميع الأطفال الذين

(1) I. L. Kandel, *The New Era in Education*, (London), 1961, a reprint, pp. 260-264.

يتفهمون من المرحلة الابتدائية في جهة معينة ، وتقديمهم الى برامج تربوية
تتيح الفرصة لكل منهم كي يصل في تحصيله الى أقصى ما تمكنه منه قدراته
واستعداداته . انها ليست جميعا لعدة أنواع من المدارس الثانوية ، ولكنها
كل التعليم الثانوي يقدم تحت سقف واحد . وهذه المدرسة مفتوحة لجميع
التلاميذ على مختلف بيناتهم ومستوياتهم التحصيلية . وهي لا تضع حدودا
لتحصيل تلاميذها ، ولا تفرض عليهم مناسبات ثابتة معينة . انها ترعى
الجميع ، وتهيب لكل منهم فرصة النمو الصحي جسميا وعقليا ، كما
تهيب لافراد المجتمع المدرسي فرصة تبادل الخبرات فيما بينهم ، واطهار
مواهبهم ونواحي امتيازهم . ومن أجل تحقيق ذلك تعتمد المدرسة الثانوية
الشاملة الى تقديم برامج متنوعة مختلفة المستويات بحيث تتلاءم مع
الاستعدادات المختلفة للتلاميذ ، انها تترفق بذوي الاستعدادات المحدودة
من التلاميذ ، ولكنها لا تكلمهم الى أنفسهم ، فهي تحفز همهم ، وتستثير
دوافعهم ، وتشخص نواحي ضعفهم ، وتنشئ صفوفها للتعليم العلاجي
يتردد عليها في أوقات معينة من يحتاج الى رعاية خاصة كي يتغلب على
بعض الصعوبات التي تواجهه في بعض المواد الدراسية . ثم هي ترعى
الموهوبين ، فلا تنزع بأن تقدم اليهم منهجا يؤهلهم لاجتياز امتحان عام ،
ولكنها تمكنهم من تخطي حدود المقررات المألوفة ، ومن اكمال الدراسة
الثانوية في مدة أقصر من المدة المعتادة . ويجدر بنا في هذا السياق ان نشير
إلى انه في تعليم التلاميذ ذوي القدرات المختلفة تراعى أمور ثلاثة : الاول
أنه في تعليم التلاميذ ذوي القدرات العالية يفسح لهم سبيل الانطلاق دون
محاولة اعاقه لهم أو وضع حدود يقفون عندها . والامر الثاني أن التلاميذ
ذوي القدرات المحددة تجب معاونتهم بشكل بناء على اختيار المواد المناسبة
والسير في التحصيل بدرجة مناسبة ، ويستعان في ذلك بتوجيه المرشدين
التربويين والمدرسين وبالبحث على القدوة بالتلاميذ اللامعين . والامر الثالث
هو أن ذوي القدرات العالية من التلاميذ يشتركون مع غيرهم في بعض
المناسبات ، ولكن ينبغي عدم تمكينهم من احتكار الادوار الرئيسية والمناقشات
والاستشارة بالتحدث داخل الصف .

واضح من ذلك ان المدرسة الثانوية الشاملة تضم تلاميذ يمكنهم أن ينطلقوا بنجاح في دراستهم الاكاديمية أو التكنولوجية الى الحد الذي يهيء لهم متابعة الدراسة الجامعية ، كما ان بها تلاميذ ذوي قدرات محدودة يستطيعون أن يستفيدوا من البرامج المنظمة تنظيميا مناسباً لهم ، وبين هاتين الفئتين توجد فئات أخرى من التلاميذ يختلفون في مستويات قدراتهم ، وكل فئة من هؤلاء ينبغي أن تتلقى نوعاً من التعليم المناسب لمستواها . واذا كان التلاميذ يتلقون برامج مختلفة في النوعية والمستوى فإننا ينبغي أن نشير الى حقيقتين : الاولى أن هناك برنامجاً أكاديمياً عاماً وبرنامجاً عملياً وإنتاجياً عاماً ، وهذان موجودان بالنسبة لكل تلميذ ولو أن هناك شيئاً من التنوع يتيح المجال لاختيار بعض المواد وترك البعض الآخر . والحقيقة الثانية أن هناك برنامجاً ثالثاً يتضمن مواد يمكن ان يتلقاها ذوو القدرات المختلفة من التلاميذ في نوع من التعليم الجامعي لا يتوزعون فيه الى مستويات وذلك مثل التربية الرياضية والموسيقى والتربية الفنية . ويمكن ان نسلك مثل ذلك في مواد أخرى مثل التربية الدينية . والامر بهذه الصورة يتطلب مرونة في العلاقة بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي اذ ينبغي أن تحدد كل كلية المتطلبات الرئيسية حتى يسترشد بها القادرون من التلاميذ في اختيار برنامج دراستهم . وهناك مطلب ثان يتصل بتطوير اعداد المدرسين ذوي القدرة على التعامل مع مستويات مختلفة من التلاميذ وعلى الاسهام في الكشف عن القدرات والميول المختلفة وتقرير نوع المنهج الملائم ، ثم تقرير الوقت الذي يمكن أن تستغرقه دراسة معينة بمستوى معين . ومطلب ثالث يتصل بتطوير نظرة المدرس الى عمله ، فهو ينبغي أن يرتبط بمدرسه طول اليوم الدراسي ، وأن يسهم في الاشراف على التلاميذ وفي بعض جوانب الادارة ، وأن يشترك في اجتماعات مدرسي المدرسة ، ومدرسي الصف ، وكذلك اجتماعات مدرسي مادة معينة .

وعدد تلاميذ المدرسة الثانوية الشاملة يكون في العادة كبيراً . وهذا

يعتقني توفر عدد مناسب من الموجهين والمرشدين التربويين الذين يمكنهم أن يسهموا في توجيه الطلاب وفي مساعدتهم في التغلب على الصعوبات التي تواجههم ، وكذلك في مساعدة المدرسة على التخلص من العقبات التي تعترض سيرها ، فنحن مثلا نتوقع ضغوطا من الآباء - وربما من بعض المدرسين - لكي يحصل أكبر عدد ممكن من التلاميذ المواد الأكاديمية بالذات ، وهذا ضد وظيفة المدرسة الشاملة . انها تهيئ لكل مستوى ما يصلح له . ثم ان المرشد التربوي قد يرشد التلاميذ فيما يتصل بمجريات حياتهم المستقبلية ، ويساعدهم على التحول من برنامج ثبت أنه غير ملائم إلى برنامج آخر في جو حال من التوتر والانفصالات الحادة .

وإذا كان ذلك يوضح مدى المرونة التي تسود جو المدرسة الثانوية الشاملة فإن مناه في نفس الوقت أن هناك قسما كبيرا من الحرية تتمتع به المدرسة في إدارة نفسها . والواقع ان السلطات التربوية تعهد عادة بأسر المدارس الثانوية الشاملة إلى جماعات ممتازة ذات نظرة تربوية واسعة الاق ، وذات قدرة على الاستجابة للمواقف المطارة في حكمة وسرعة . وهي تهيئ لهم فرصة التدريب على الحرية الإدارية في فترة الاعداد وممارسة العمل الميداني . ومما يساعدهم على النمو في هذا الاتجاه عقد المؤتمرات للمعلمين بالمدارس الثانوية الشاملة لتبادل الخبرات ولناقشة الصعوبات التي تواجههم . والمدرسة الشاملة لا يمكنها ان تؤدي وظيفتها بدون ان تكون مزودة بالادوات المناسبة ، فهي يجب ان تستوفي حاجتها من الاختبارات المختلفة كاختبارات الذكاء والاختبارات التحصيلية . وهي يجب ان تستوفي حاجتها من المختبرات والمعامل والورش وأدوات الهوايات المختلفة والملاعب ونحو ذلك .

هذا الاتجاه في تنظيم التعليم الثانوي يهدف الى توفير جو يستثير الدوافع الكامنة لدى كل فرد من التلاميذ لكي يتجه الى تحصيل نمو شامل متكامل ، وهو في أثناء ذلك يتدرب ويجرب ويختار ، ويكون لديه شعور بالعدالة وبأنه يستمتع بنفس الفرص التي يستمتع بها غيره ، كما يشمر

بأنه هو الذي يقرر مستقبله ، يشق طريقه في حرية تامة • كما انه يتوفر له الجو الذي يمارس فيه الأشغال المنتجة والاعمال اليدوية ويتعلم المواد النظرية ، ويدرك أهمية جوانب النشاط الانساني في حياتنا ، ويعرف ان تفضيل جانب من النشاط على جانب آخر أمر يتصل بما يستطيع الفرد ان يعمل به بنجاح ولا علاقة له بجوهر النشاط ذاته • هذا نوع من التعليم يساعد على تكوين نظرة ديمقراطية عميقة الى الحياة⁽¹⁾ •

٤ - نظرة تحليلية :

لا بد لنا من وقفة نستعرض فيها بعض المعالم البارزة للخبرات التي قدمناها ، ونختبر فيها بعض جوانب خبرتنا • فاذا بدأنا بالسن التي يتوزع عندها التلاميذ بين انواع التعليم الثانوي وجدنا أننا في كثير من أرجاء العالم العربي نمد أطفالنا بتعليم موحد حتى الخامسة عشرة ، أي حتى نهاية المرحلة المتوسطة • ونحن نلتقي في ذلك مع الاتحاد السوفيتي ، ونلتقي في ذلك أيضا مع ما تشير اليه الدراسات النفسية من أن سن الخامسة عشرة هي السن التي تبلور عندها في العادة قدرات التلاميذ واستعداداتهم • ومعنى ذلك ان التوزيع في التعليم الثانوي عند هذه السن وتوزيع التلاميذ بين الانواع المختلفة أمر له أساسه العلمي • أما سن الحادية عشرة التي يتوزع عندها الناشئون في انكلترا بين أنواع التعليم الثانوي فهي سن مبكرة للغاية • ومن القسوة أن نتحكم على مستوى الناشئين ونحدد مصيرهم نتيجة لاختبار يعقد في هذه السن • انهم لا يكونون قد حصلوا من النضج ما يساعدهم على الاختيار لانفسهم ، أو يساعدنا على التنبؤ الدقيق بنوع التعليم الذي يناسبهم •

وفي العالم العربي تعالى صيحات بعض المهتمين بالشؤون التربوية

(1) a- Elizabeth Halsall, *Becoming Comprehensive : Case Histories*, (London, 1970); b- H. W. Simmons and R. Morgan, *Inside a Comprehensive School*, (London, 1969).

بضرورة فتح باب التعليم العالي أمام كل راغب ممن أكمل الدراسة الثانوية عامة كانت أو فنية . ولكن الامر في واقعه أكثر من مجرد ربط مراحل تعليمية مختلفة بالتعليم العالي : ان هناك اساسيات ومتطلبات تحصيلية ينبغي ان تتوفر في أي طالب يريد متابعة التعليم الجامعي . وهذا القدر يمكن ان توفره المدارس المتنوعة في الاتحاد السوفيتي مباشرة كما هو الحال في المدرسة الثانوية العامة والمدرسة الثانوية المتخصصة او عن طريق تهيئة صفوف تكميلية لمتابعة الدراسة كما يحدث بالنسبة للعاملين ممن أكملوا الدراسة الثانوية الفنية ، وبعد ذلك يمكن ان يلتقي الجميع هناك في مسابقة تعقد لرأبغبي الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا . وقد رأينا كذلك أن جميع أنواع المدارس الثانوية في بريطانيا يمكن ان تهيء للتلاميذ صفا سادسا ولو ان الجو العام في غير المدارس الثانوية الاكاديمية ومستوى هيئة التدريس تشوبه مسحة من النقص ، الامر الذي يدفع الاباء والتلاميذ الى الحرص على مكان بالثانوية الاكاديمية . علينا اذن ان نحدد متطلبات الجامعة فيمن يلتحق بها أولا ، ثم نبحت الطريق الذي يساعد على تحصيل تلك المتطلبات قبل ان نقرر شيئا فيما يتصل بتحديد العلاقة بين انواع التعليم الثانوي والتعليم العالي .

غير أننا نتوقع كثيرا من المشكلات في محاولات النجاح في اجتذاب التلاميذ الى مختلف أنواع التعليم الثانوي . فالضغط في العالم العربي على التعليم الثانوي الاكاديمي الموصل الى الجامعة ضغط يبلغ درجة الاعاقة لتطوير غيره من انواع التعليم الثانوي . والمشكلة ليست مشكلة محصورة في الدول العربية ، فكثير من الدول النامية تعاني من نفس المشكلة . فالدراسات تدل على ان كثيرا من الدول النامية في افريقيا وأمريكا اللاتينية يبلغ عدد تلاميذ المدارس الثانوية الفنية فيها حوالي ١٠٪ من تلاميذ المدارس الثانوية^(١) . كما تدل الدراسات على ان نسبة التلاميذ

(1) Report of the Commission on International Development, *Partners in Development*, (London, 1970), third printing, P. 67.

الذين يدرسون دراسة فنية في القسم الثاني من المرحلة الثانوية في معظم البلاد العربية تقل عن ١٠٪ من مجموع تلاميذ القسم الثاني بالمرحلة الثانوية^(١) وبعض المهتمين بالمشكلة يتصورون أن ادخال العمل اليدوي في المدارس بجميع مراحلها ، وتنظيم مزيد من الدعاية للتعليم الفني ، وعمل التسهيلات المعاشية تحفيزا وتشجيعا للتلاميذ كي يقبلوا على التعليم الفني أمور قد تساعد على حل المشكلة . ولكن الواقع أن المشكلة أعمق من ذلك بكثير .

ويمكننا أن نعرض لعوامل أربعة ساعدت على متابعة الضغط على النوع الأكاديمي من المرحلة الثانوية : العامل الأول هو أن متابعة التعليم العالي أمر غير متيسر في العادة عن طريق هذه المدارس الفنية ، ان كثيرا من التلاميذ تتطور لديهم استعدادات ومواهب تتصل بالجوانب العملية ، ولكنهم يعزفون عن المدارس الثانوية الفنية لأنها لا تمكنهم من الالتحاق بالجامعات . ولو اتنا أعدنا تنظيم التعليم الثانوي بشكل يساعد على تزويد ذوي القدرات الممتازة من التلاميذ الذين يلتحقون بالتعليم الفني ببرامج أكاديمية تكفل لهم الوصول الى مستوى التعليم الثانوي العام لفضينا على المخاوف المتصلة بهذه الناحية . والعامل الثاني هو ان تحديد الرواتب في البلاد العربية يسير على أساس الشهادات لا على أساس نوع العمل أو الكفاءة فيه . فاذا كانت هناك جماعة من موظفي الدولة يعملون على الطابعة فان خريج الجامعة بينهم يتقاضى راتبا أعلى من الذي يتقاضاه من أتسم الدراسة الثانوية ، وهذا بدوره يتقاضى راتبا أعلى من الذي يتقاضاه خريج المرحلة المتوسطة حتى لو استطاع هذا الأخير أن يشبث بحجس

(١) تحليل البيانات الاحصائية المقارنة حول التعليم في الدول العربية ١٩٦٠/٦١ - ١٦٩٧/٦٨ ، لمؤتمر وزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط في الدول العربية - المغرب ، ١٢-٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، (المركز الاقليمي لتخطيط التربية وادارتها للبلاد العربية ، بيروت) ص ٣٤ .

انتاجه ونوعيته أنه أكفأ جماعته • وطبيعي إن يسهم ذلك في حث الجميع على التطلع الى الشهادة العليا وسلوك الطريق المؤدية اليها سواء انطلق فيها بيسر أم سار متعثرا • وهذا معناه اننا في حاجة الى معاودة دراسة فرص العمل المتاحة ، وتحديد راتب كل منها ، وكذلك تحديد نوعية الكفاءة التي لا يجوز النزول عن مستواها • وبعد ذلك يعتبر الملتحقون بالوظيفة متساوين لا تمايز بينهم على أساس الشهادات الدراسية • والعامل الثالث هو أن تحديد الراتب في كثير من الدول العربية لا يتم في ضوء دراسة للتكاليف الحقيقية للمعيشة • وقلما نجد تناسبا بين الراتب المقرر لخريج معهد ما في احدى الدول العربية وتكاليف الحياة في هذه الدول • ومن الحيل التي يسلكها الناشئون - للتخلص من أعباء الحياة او التخفيف منها - الاصرار على التعليم العالي مهما كان مستواهم ومهما استغرق من زمن • فالوظفون من ذوي المؤهلات العليا يقل نصيبهم من هموم الحياة واثقالها بعض الشيء عن نصيب غيرهم من ذوي المؤهلات المتوسطة • والامر ليس راجعا في هذه الدول الى العجز المادي بقدر ما هو راجع الى تنظيم الرواتب ، والتقريب بين فئاتها ، وكذلك تقريب البعد الذي يفصل بين الحدين الأدنى والأعلى للراتب الواحد • انها مشكلة تجب معالجتها دون ابطاء • أما الامر الرابع فيتصل بتنوع التعليم الثانوي الفني نفسه • فهذا التعليم ليس متنوعا في بلادنا تنوعا كافيا • والحقيقة أننا نقلنا منه الى بلادنا نماذج قاصرة عن ان تفي بحاجات المجتمع • هناك حرف كثيرة لها مجالها في النشاط الحر الراجح ولكن مدارسنا الفنية قاصرة عن استيعابها وعن الاعداد لها • ان صناعات الحلوى من الصناعات الراجحة فهل نجد تدريبا على صنع الحلوى - بل على صنع الاطعمة عموما - للبنين ؟ ان أغلب الذين يقومون بعمل ذلك - بل أحسن الذين يقومون به - في بلادنا هم الرجال ولكن لا تدريب لهم في مدارسنا • ثم أكثر الخياطين في بلادنا - بل أحسنهم - جماعة من الرجال اكتسبوا مهارة في حرفتهم ن طريق التقليد والممارسة المباشرة ، وربما كان لهؤلاء الناس

من العقلية الابتكارية ما يساعدهم على أن يكونوا مصممي أزياء لو أنهم
دربوا تدريبا منظما • وفي بلادنا حرف وفنون تقليدية مربحة بل ورائجة
على المستوى العالمي • وكان يمكن ان تتطور وتنال رواجاً اعظم لو أننا
ربينا جيلا يمارسها بعقلية متطورة ويد أكثر مهارة • فصناعات (خان
الخليلي) في مصر وصناعة النحاس في العراق وما الى ذلك مما اشتهر به
كل بلد عربي كان يمكن ان تكون مواد تعليمية • وليست هناك معوقات
تتصل بايجاد المعلمين اللازمين لهذه الحرف ، فحن يمكننا ان نستعين في
المراحل الاولى بنخبة من العمال الذين يشتغلون بهذه الحرف الى ان يتم
اعداد جيل من المعلمين على مستوى أفضل • وهناك حرف غير ما ذكرنا
ينبغي أن تأخذها مدارسنا الفنية في اعتبارها ، كما ينبغي ان يأتي ذلك نتيجة
مسح شامل لحاجات الزراعة والصناعة بجميع مستوياتها ، وكذلك للمناشط
التقليدية السائدة في المجتمع •

والواقع ان المرحلة الثانوية في بلادنا في حاجة الى اختبار جـسـاد
للاسس الفلسفية التي تقوم عليها • ماذا كانت وظيفة هذه المرحلة في أول
القرن وفي منتصفه ثم ماذا ينبغي أن تكون ؟ ما أهداف التعليم الثانوي في
البلاد العربية ؟ انني لست مغاليا حين أقرر أن وظيفة هذا التعليم وأهدافه
أمر ليس واضحا عند الكثيرين ومن بينهم في العالم العربي جماعة
محسوبون على التعليم الثانوي وعلى تطويره • ولست مغاليا حين أقرر ان
المهتمين بالانواع الفنية منه لا يوجد بينهم من يرتضيها - بوضعها الراهن -
لكي يلتحق بها أولاده • التعليم الفني ملجأ لذوي القصور في التحصيل
الدراسي وأحيانا للتلاميذ الذين يعانون من عجز مادي ويريدون أن
يتنهوا من أقصر طريق • وهو بشكله الحالي في البلاد العربية لا يمكن أن
يكون مصدرا للعمال الماهرين ، ولا يمكن ان يكون وسيلة لتطوير أو
تنمية الكفاءة العملية النوعية التي يتمتع بها بعض الناشئين الذين يصلحون
لمتابعة التعليم العالي • واذا كان الجانب النوعي المتصل بمحتوى التعليم
الثانوي واتجاهه في حاجة الى دراسة شاملة ، فإن الجانب المتصل بمدى

اتساع هذا التعليم العمل على انتشاره في حاجة الى مزيد من البحث والتأمل .

لقد رأينا ان كل ناشئ في الاتحاد السوفيتي وفي انكلترا يمر اجباريا بالتعليم الثانوي ويبقى فيه ست سنوات على الاقل عند السوفيت وخمس سنوات على الاقل عند الانكليز . فاذا أخذنا في اعتبارنا الجو الاجتماعي المتطور باستمرار ، والمستوى الثقافي الذي يشب فيه الناشئ في هذين البلدين - ونحوهما من البلاد المتقدمة - أدركنا السى أي حد تضافر الظروف كي تخرج جيلا متطورا قادرا على التكيف للتغيرات السريعة المتلاحقة في مجالات العلم والتصنيع وبالتالي في طريقة الحياة . أما في المحيط العربي فان نظرة سريعة في الأرقام تشير القلق ، وتسبب ضيقا نفسيا ، وتؤذن بأن الامر لا يحتمل تأجيلا أو تواتيا . والموقف فى حبل قصيرة هو انه لم يحدث حتى الان ان انتهت دولة عربية واحدة من تعميم المرحلة الابتدائية ، وان نسبة تلاميذ المرحلة المتوسطة في العالم العربي الى تلاميذ المرحلة الابتدائية فيه تبلغ ٢٥٪ تقريبا ، وتتضاءل هذه النسبة للغاية في القسم الثاني من المرحلة الثانوية فنصل الى ٣٪ تقريبا^(١) . معنى ذلك ان حياتنا بمسحتها التقليدية - ان لم تدارك الامر - ستستمر فترة أطول مما ينبغي . فلنتجه الى نشر التعليم الثانوي ، ولنغير ما بأنفسنا حتى تتغير النظرة اليانا .

٥ - في طريق الإصلاح :

ربما يكون هذا البحث قد أثار في القارىء احساسا بضرورة اعادة رسم الاطار الفلسفي للتعليم الثانوي وضرورة اعادة تنظيمه . وقد يظن القارىء ان الإصلاح يكمن في هذه الناحية التي دار البحث حولها . ولكن الواقع أن اجراء ذلك على ما بين أيدينا من معاهد التعليم الثانوي لن يزيد عن أن يكون عملية تلفيق او ترقيع . والإصلاح المجدى يكمن في نظرنا

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠

وفي إعادة البناء لا في الترميم • وهناك - بالاضافة الى ما قدمنا - أمور خمسة
بلا مفر من الدقة في تنفيذها والالتزام بها اذا اردنا القيام بمحاولة ناجحة
في اتجاه الاصلاح :

١ - ينبغي ان نبني ما نحتاج اليه من انواع المدارس الثانوية وفقا لما
يمكن الناشئين من ممارسة كل المناشط التعليمية - صفية كانت او لا
صفية - في شيء من اليسر • ثم يتم تزويد هذه المدارس بالاثاث والمكتبات
والمختبرات ، كما يتم استكمال هيئة التدريس بها قبل ان تفتح ابوابها
لقبول التلاميذ • ولنضرب صفحا عن صيحات الذين ينادون بالتواضع
او بالاقتصاد في هذا الجانب • انها صيحات - مهما وصفنا اصحابها -
بلاخلاص او بالحماس - فهي سطحية لا تدرك تماما كنه العمالية
التربوية • ان نظرة الى ما يتم في الدول المتقدمة - شرقا وغربا - يؤكد
اتجاهنا • وان نظرة اخرى الى مستوى التعليم الثانوي في المدارس
المتواضعة الاستعداد بمختلف الدول النامية يزيدنا تأييدا • وما حدث
الاقتصاد في نفقات التعليم دون أثر يهز مستواه او يتداني به •

٢ - ان تنظيم المناهج واعادة تأليف الكتب يجب ان يتم في ضوء
الاهداف التربوية وفي حدود الاطار الفلسفي العام • والامر قد يقتضى
في البداية تجريبيا وملاحظة تتبعه دقيقة يتم في ضوءها ما تقرره من
استبقاء او حذف او تغيير • وقد يستمر ذلك عدة سنوات كي نصل الى
شيء يحمل طابع الاستقرار ووضوح الوظيفة • وهنا نعود الى تأكيد ان
الانفاق في هذا الاتجاه ينبغي ان يتم مستحيا ، وان اى اقتصاد فيه لا يمكن
ان يتم الا على حساب نوعية التعليم ومستواه •

٣ - ان تدريب المدرسن للمرحلة الثانوية ينبغي ان يتم في مختلف
جوانبه على أيدي جماعة تتصل تخصصاتهم الدقيقة بما يلمون به • وفي هذا
التدريب ينبغي ان نحاول اولا احتدا العاصر الصالحة من الطسلا ب
لممارسة مهنة التعليم ، ثم نحاول امدادهم بكل ما يمكنهم من ان يكونوا

مدرسين من بين صفاتهم رسوخ قدمهم في مواد تخصصهم ، وفهمهم للمجال الذي يعملون فيه والتلاميذ الذين يتعاملون معهم ، ثم درايتهم باحسن الطرق التي يمكن ان يتبعوها في ايصال ما يعرفون الى غيرهم ، وقدرتهم على تقديم ما يعملون وما يعلمون . وليكن من بين تقاليدهم الارتباط بمدارسهم طول اليوم الدراسي للاشراف على النشاط وعلى التلاميذ والاسهام في بعض نواحي الادارة .

٤- من الاجراءات التي يساعد الاخذ بها على تطوير التعليم الثانوي وغيره العمل على تكوين هيئات فنية متخصصة تتابع مشكلات جميع مراحل التعليم وأنواعه بالبحث والدراسة من وقت الى آخر . وهذه الهيئات تستهدي في ذلك او تسترشد بما يجري في جميع انحاء العالم مع مراعاة المتطلبات النوعية للثقافة وللظروف المحلية . وليكن هناك تقويم دوري لعمل هذه الهيئات ومنجزاتها حتى تتلافى تحويلها الى هيئات استعراضية او مناصب مظهرية . ويتصل بذلك المطالبة بان تكون جميع الوظائف الفنية العليا المتصلة بالاشراف على التعليم الثانوي وظائف كفاءة ومقدرة تربوية قيادية .

٥- ان هناك نوعا خاصا من الحذر أو التحذير قد ورد متضمنا في ثنايا الامور الاربعة السابقة ، ولكن خطورته تجعلنا نتجه الى ابرازه مسرة اخرى : ينبغي ان نكون حذرين من محترفي الاصلاح الذين يظهرون في كل مناسبة ، ويتطوعون لبحث كل مشكلة تربوية . فالعالم العربي ذو حظ وافر من هؤلاء الذين يتولون الافناء في ميادين كثيرة ، ولكنهم لا يعرفون الكثير حتى في ميدان واحد .

دكتور أحمد حسن عبيد

المراجع

- Bereday, G. Z. F. (edited) *Essays on World Education*. New-York, 1969.
- Boyd, W. *The History of Western Education*. London, 1969. ninth edition.
- Deineko, M. *Public Education in the USSR*. Moscow, n.d.
- Dent, H. C. *The Educational System of England and Wales*. London, 1961.
- Grant, N. *Soviet Education*. a Pelican Original, 1968. revised edition.
- Gross, R. E. (edited) *British Secondary Education*. London, 1965.
- Halsall, E. *Becoming Comprehensive : Case Histories*. Oxford, 1970.
- Koerner, J. D. *Reform in Education*. London, 1968.
- Lowndes, G. A. N. *The English Educational System*. London, 1960. revised edition.
- Mallinson, V. *An Introduction to the Study of Comparative Education*. London, 1966. third edition.
- Myint, H. *Economic Theory and the Underdeveloped Countries*. London, 1971.
- Raubinger, F. M. and others. *The Development of Secondary Education*. London, 1969.
- Robinson, E. A. G. (edited) *The Economics of Education*. London, 1969. reprint.
- Simmons, H. W. and Morgan, R. *Inside a Comprehensive School*. London, 1969.

مفاهيم في علم النفس الاجتماعي

د. حسام الكيال

استاذ مساعد - قسم التربية وعلم النفس

كلية الآداب - جامعة بغداد ،

والمحاضر في الجامعة المستنصرية

ما هي طبيعة اتجاهات الفرد ؟
كيف تتغير الاتجاهات الفردية ؟
كيف يعمل تبادل الآراء او الافكار او المعلومات في التأثير على سلوك
الفرد ؟
هل يتأثر الفرد بقوة برأي وضغط الجماعة ؟
هل القيادة ثابتة نوعيا ؟

● ان التعريف العام لعلم النفس الاجتماعي هو :-

(دراسة لخطوات السلوك ، التي تنجم عن التفاعل بين الاراد)
يهدف هذا التعريف ، على الاغلب ، الى تمييز علم النفس الاجتماعي
من علم نفس النمو ، وعلم النفس الفيزيولوجي ، والمجالات الاخرى
الواسعة لعلم النفس ، ولكن على أية حال ، فانه لا يهيم بطريقة —
الحدود الدقيقة لعلم النفس الاجتماعي .

● هذا ويمكن أن يحدد علم النفس الاجتماعي أيضا ، على أساس
أنه دراسة للقسم الذي يتضمن عدة موضوعات خاصة مثل :- دراسة
الاتجاهات ، والقيم والثقافات ، والقيادة ، وعضوية الفرد في الجماعة ،
والتأثيرات المتبادلة في الآراء والفكر والمعلومات ، ووظائف الجماعة تكون
غالبًا البعض مما أشير اليه ، والى درجة ما ان هذه المجالات تميز علم

النفس الاجتماعي من الأقسام الأخرى لعلم النفس ، ولكن ذلك أيضا يبدو على انه طريقة غير واضحة لتحديد المجال •

● لقد حدد علم النفس الاجتماعي بمدى واسع يوصل الى الفكرة ، وان البعض من علماء النفس الاجتماعي يصلون الى دراسة التفاعل الاجتماعي من ناحية الاصول البيولوجية ، وآخرون عن طريق دراسة اللغة ، والعوامل الثقافية ، ونظريات التعلم ، ووجهات النظر المعينة للإدراك الحسي ، والتحليل النفسي ، وكل من هذه الاصول يمكن أن يهيء لنا تنظيما مختلفا ، ومدى متباينا من المجالات لعلم النفس الاجتماعي •

ان هذا التنوع من طرق الوصول الفكري يشبث التحرر ، والمدى الواسع للوصول الى هذه المجالات المعقدة والتي تكون مثمرة ، وطرق الوصول المختلفة ، توضح لنا الحقيقة أيضا ، بأن علم النفس الاجتماعي جزء مكمل ، بل متكامل مع علم النفس ومجالاته وموضوعاته المترابطة ، والمعقدة من الاصول لعدة أقسام أخرى من علم النفس •

● ان مجالين رئيسيين من علم النفس الاجتماعي سوف أهتم بتوضيحهما وهما :-

المجال الاول : - هو الأفكار والبراهين التي تهتم بالفرد على أساس أنه نتاج لقوى المجتمع •

المجال الآخر : - هو الذي يعتبر الفرد جزء من السلوك الاجتماعي ، وهذا الجزء من العمل الكلي الذي يكون فيه السلوك الفردي غير مهم ، الا على أساس أنه ينتمي الى ذلك الكل •

العوامل الفردية :

ان بعض الطرق التي يكون بها المجتمع سلوك الفرد ، تشمل الموضوعات مثل :- الاتجاهات وتغيرها ، وتأثير تبادل الآراء والدعاية ، وتأثيرات المجتمع والثقافات على الفرد ، وهذه الموضوعات لا تستنفذ بأية

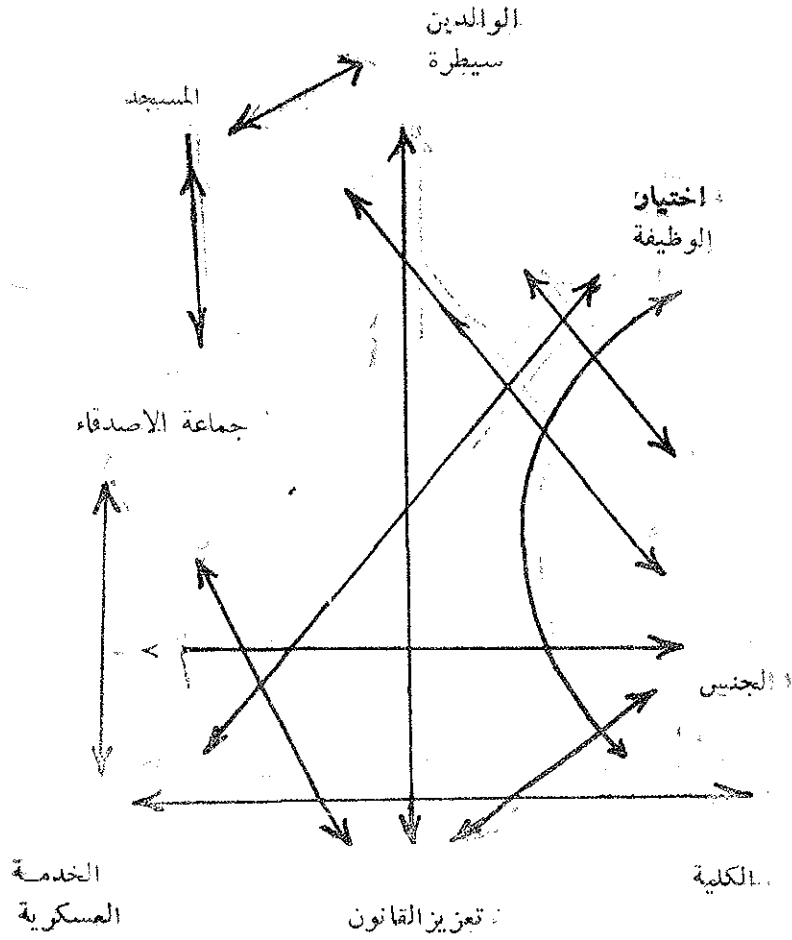
وسيلة تأثير المجتمع على الفرد ، ولكنها توضح أكثر العوامل المعتبرة في هذا القسم من علم النفس الاجتماعي *

الاتجاهات : -

ان سلوك الفرد منظم وثابت الى حد ما ، ويكون مستقرا نسبيا ، ولذا يمكن تكهنه ، وواحد من العوامل التي تلخص هذا الثبات هو الاتجاه * ويتضمن تنظيم السلوك والذي يكون له التأثير الاساسي وذلك مثل الشعور مع المعارف والادراك والميول اتجاه نماذج معينة من السلوك ، ومن جهة أخرى ان الاتجاه يصف الميل ليصبح فعلا * هذا وان موضوع الاتجاه يمكن أن يكون أي شيء يمتلك الخاصية لبقاء الفرد ويوجد كلا من الاتجاه ودرجة الشعور المصاحبة لموضوع الاتجاه ، كما يمكن أن تكون الاتجاهات مسرة أو غير مسرة وبدرجات مختلفة *

وأخيرا ان الاتجاهات لا تبقى في حالة العزل ، فان الثقافات ، أو طرق الاتجاهات تكون جاهزة على أساس انها نوع من التوازن ، والتعبير في اتجاه ما يكون عادة متوازنا مع تغيير الطريقة ، وان الاتجاهات تتفاعل ويسمى أحدها الآخر * وهذا التنظيم للاتجاهات يعكس شخصية الفرد والشكل الآتي يوضح موضوعات الاتجاه التي تكون مترابطة وذات صلة كطريقة لاتجاهات الشاب بصورة خاصة *

● ان الاتجاهات حالات عامة من الحث تعكس التنظيم للسلوك المدفع للفرد ، وتخدم الاتجاهات الحاجات الدافعة للفرد ، وسوف تتعامل مع الاتجاه على أساس أنه منتخب ، وذو هيئة وفقا لاكثر الحاجات الاساسية الدافعة ، هذا وقد وجد بأن المعلومات الجديدة ، والتي تتسجم مع اشباع الحاجة ، تدعم وتقوي الاتجاه الضعيف ، والمعلومات المتأنية من مصادر متنوعة ، تقبل وفقا لنوع الفرد وقوة حاجاته ، وما دام أن الحاجات الدافعة قد اشبعت بواسطة الاتجاه ، والتي تنتج سلوكا ، فان المعلومات الجديدة تساند هكذا اتجاهات ، وتكون مقبولة ، وبالمقابل فانها تساند الاتجاه



نموذج نظري لموضوعات الاتجاه التي تحدد نمط الاتجاهات لطلاب
 الخطوط المتصلة تعكس الاتجاهات القابلة للتغيير ، والتي تعطي تفسيراً
 واضحاً في اتجاه الفرد

مثلا :- ان الاتجاهات للجماعات التي يعود اليها الفرد ، يمكن أن تؤثر أيضا على اتجاهات الفرد ، ولقد وجد بأن هناك نوعا من الاخذ والاختيار فيما بين المعتقدات للجماعة ، فيختار ما يتلاءم مع الاتجاهات الحالية للفرد ، والدوافع الشخصية له .

وتقاس الاتجاهات عادة بمقاييس الاتجاهات والتي هي عبارة عن مجموعة من الحالات التي تشمل مصادقة الفرد عليها أو عدم مصادقته لبعض الحالات من عينة النماذج . هاك حالة لتكوين هكذا اختبارات ، وان هذه الحالات قد تم اختيارها للتضمن في مقياس الاتجاه على أساس اعتبار الحقائق حول ماضي الاستجابات لأفراد معروفين بالتمسك باتجاهات معينة .

١) القياس المباشر

١) أمثلة من الحالات لمقياس الاتجاه للفاشية (خضوع الفرد - وحقوقه خضوعا كاملا لمصلحة الدولة) وقد طورته جامعة كليفورنيا ، والاتفاق مع عدد معين من هذه الحالات التقليدية . يعني ان الشخصية فاشية .

١ - الطاعة واحترام السلطة أهم فضيلة يجب أن يتعلمها الاطفال .
٢ - ان ما يحتاجه هذا القطر أكثر من القوانين وبرامج السياسة ، هو القليل من :-

الشجاعة - عدم التعب - قادة مخلصين يمكن أن نضع بهم الثقة - التامة .

٣ - لا يوجد أصعب وأخطأ من أن الشخص لا يشعر بالحسب العظيم ، والاقرار بالفضل والاحترام للابوين .

٤ - اذا كان الناس يتكلمون أقل ، ويميلون أكثر ، فان كل فرد يكون أحسن اطلاقا .

٥ - يمكن أن يقسم الناس الى طبقتين متميزتين ، الضعفاء والاقوياء .

٦ - طبيعة الانسان تبقى كما هي ، ولذا تبقى الحروب وبقية .

الصراع .

(ب) ان مقياس الاتجاه يمكن أن تكون أيضا مع فن صحة التركيب ، والذي يعطي اسنادا غير مباشر لقيم القياس ، مع الاخذ بنظر الاعتبار الحد الذي يقيس الجماعات بواسطة الارادة ، والتي تختلف في الثبات والطريقة المتوقعة هذه المقاسات التي تم الحصول عليها بواسطة المقياس ، مثل امتلاك الاتجاهات القوية مع الدين ، ويسلك سلوكا ثابتا مع المقياس هل أمثال هذا يختلفون اختلافا جوهريا من أفراد قيسوا على أساس أنهم غير متحيزين للدين ؟

(ج) طريقة المقابلة ، تعطي أسئلة مباشرة حول الاتجاه ذات نمطين : مفتوحة - مغلقة ، ويجب أن يجهز المقابل (بكسر الباء) فيها اجابسات بكلماته الخاصة ، ويثبت الاختيار ، ويسمح باختيار واحد من عدة أجوبة والاختيارات المثبتة لها عديمة الفائدة لانها تجهز الكلمات التي تجعل جواب الفرد ممابا ، ولكن هذه الطريقة وجد أنها أكثر ثباتا لقياس الاتجاه ، وبوضوح ان الفائدة من طريقة المقابلة تعتمد على :

(١) طبيعة الكلمات المستعملة .

(٢) التفاعل مع المقابل (بكسر الباء) بما في ذلك هواياته الظاهرة .

(٣) العلاقة مع استجابات الشخص ، المقابل (بفتح الباء) ونوع

الاسئلة المثارة .

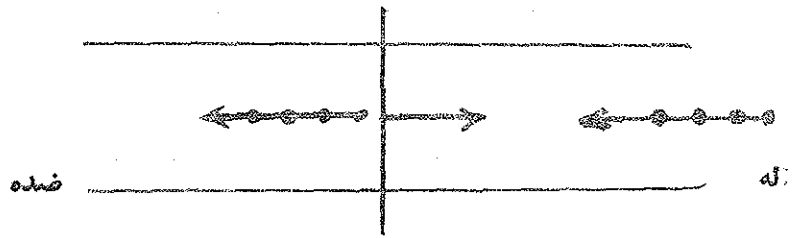
فالاسئلة الشخصية حول الاتجاهات الجنسية ، اذا ما سئلت من قبل شخص جذاب من الجنس المقابل ، والذي يظهر أن يكون متمسكا بكل كلمة ، ويستعمل عبارات مثل أنك توافق ؟ أليس كذلك ؟ هذه الحالة سوف لا تمكس نفس النتائج للاتجاهات ، اذا ما قيست في حالات معاكسة لما ذكر ، وان المقابلة يجب أن تتجنب كون الموضوع مهما ، لاستئانة الاتجاه ما لم يكن ذلك هو الغرض من الاتجاه .

٢- القياس غير المباشر : كما أن الاتجاهات يمكن أن تقاس بصورة غير مباشرة ، وذلك بعناية وتخطيط للحالة ، والتي يكون فيها السلوك الحقيقي للاستجابة لموضوعات معينة قد قيس ، فإن المقارنات يمكن أن تجري بين السلوك الحقيقي - (الاتجاه المحبر للاستئله المباشرة) ، ومقاسمات الاتجاه التي تم الحصول عليها من مقاييس الاتجاه .

وفي الخلاصة :- ان الاتجاهات تبدو في الموضوعات ، والاعتقادات الراسخة أو الادراكات ، والمشاعر والتأثيرات ، ونماذج السلوك على انها أعمال اجتماعية ، ويمكن أن تقاس الاتجاهات بواسطة مقاييس الاتجاه وبشكل غير مباشر في حالات ، أو بواسطة المقابلة المباشرة . هذا وإن نماذج الاتجاهات تكون موحدة لكل فرد ، ومعقدة على أساس طريقة التفاعل ، وهكذا فإن اتجاهات الفرد لا تظهر الى حيز الوجود بالجزلة .

تغيير الاتجاه :-

● ان نوعين من التغيير يحدثان في الاتجاه ، فالتغيير يمكن ان يكون في تكافؤ واحد مثلاً :- له - ضده . هذا ويمكن أن يكون التغيير في قوة الاتجاه تقوية أو ضعفاً لحدوث الاتجاه كما في الشكل الآتي :-



التعادل

[الحياد]

[التكافؤ]

تبدل الاتجاه →

تبدل في قوة الاتجاه →

ويحكم عليه ان يكون اسهل للاتجاه بدلا من التبدل في تكافؤ الاتجاه ، ولكنه من الصعوبة تحديد هكذا تبدل ما لم تكن وسيلة القياس من وحدات من القوة صالحة للاتجاه .

يتغير الاتجاه في القوة والتكافؤ ، ويكون الاختلاف مبدأيا تغيرا في تكافؤ الاتجاه يتطلب عبور نقطة الحجاد . ان تبدا واحدا في الاتجاه يكون في التمييز الذي يلاحظ في الشكل ، وأن الاتجاه يربح القوة مسح زيادة المعلومات المناسبة ويتوافق في ذلك الدافع والاتجاه ، وهذا يوضح التبدل في الاتجاه ذو الصلة بالمعلومات .

● ان التغير في التكافؤ للاتجاه يمكن ان يتم بعدة طرق ، فتغير التكافؤ يكون أسهل ، اذا ما كان الاتجاه الاصلي ضعيفا ، ولكن هذا التمييز يمكن أن يكون واضحا ما دام أن هكذا اتجاهات تكون أقرب إلى الخط الفاصل ويمكن أن يكون أقل تغيرا ، ومع ذلك فإن عدة عوامل لتغير الاتجاه تكون ذات علاقة وتعتمد على كون الاتجاه الفردي الاصلي ضعيفا نسبيا .

هنا وان الاتجاهات القوية تكون مركزا للشخصية الفرد ، ومن المحتمل أنها لا تبدل بطريقة ما وعلى أية حال ، وان معالجة عنيفة وقصيرة مماثلة لعمليات (غسل الدماغ) والتي تكون فيها سيطرة كلية على الحياة والمواقف للفرد .

١ - ان العامل الاول أو الطريقة لتغير تكافؤ الاتجاه ، تكون في تبدل المعلومات أو الادراك الحسي لخواص موضوع الاتجاه ، فسان التغير يمكن أن يكون من خلال تغير حقيقي في خواص الموضوع ، ومع التحسينات في التجهيز وعمليات الصفح الجوي ، فإن مقارسة الافراد للاتجاه يمكن أن تتغير ، ولكن الاتجاه يمكن أن يغير أيضا ، بواسطة تهيئة المعلومات الجديدة وقد يبرها حول موضوع الاتجاه ، فالدعاية هي طريق الاعلان بالصحافة يمكن ان تجلب الانتباه لخطوات مختلفة من السفر بالجو مثل :-

السفر ليل واحد جوا سجل أمانا أكثر وأفضل من السفر المقبول بواسطة السيارة كما أن الاتجاهات يمكن أن تتغير حول السفر جوا بكل بساطة وذلك عن طريق الإشارة بأن (المظلة) لا تحمل ، أو أن متعسفة السفر وراحته في الجو أعظم من أية واسطة أخرى للنقل ، ويمكن أن تحدث التبدلات بسبب المعلومات الجديدة حول موضوع الاتجاه ، والذي يحدث من جراء التبدل الحقيقي في الموضوع ، وهذه الطريقة أكثر ملائمة عندما تكون المعلومات حول الموضوع ضئيلة نسبيا . أما الصعوبة في التغير الكلي للاتجاه هو أن الموضوع المشهور ينتج اتجاهات بحيث أن التبدل يكون صعبا ، وذلك ببساطة يعود الى أنه لا توجد معلومات جديدة يمكن تقديمها ، فالمعروف أكثر والمشهور هو الأقل الذي يمكن جلب واحضار المعلومات حوله .

● ان فكرة الاتجاهات المركزية (الرئيسة) وهي الاتجاهات الاساسية ، وذات العلاقة العالية بشخصية الفرد تقترح أيضا بأن هذا الاتجاه يكون من الصعب تغييره ، ويكون ذلك جزئيا بسبب المعلومات الفزيرة المعروفة حول الموضوع الرئيس ، وهناك سبب آخر هو وجود الدافع المتداخل مع بلوغ الاتجاه .

وكلما عظمت خدمة الاتجاه لحاجات الفرد الدائمة ، فان المقاومة للتغير تقوى وتكثر بالنسبة لذلك الاتجاه .

٢ - ان النوع الثاني من طرق تغيير الاتجاه هو الاقناع وهو التوسط الاجتماعي لنقل المعلومات ، ويتم ذلك بالمحاولة التي يقام بها لاثبات معلومات جديدة تدعى « الرسالة » من خلال شخص آخر ، ولتنجاح الاقناع يدور حول الفكرة لمصدر الثقة ، والذي يعتمد على الادراك الحسي للمقنع والذي يكون خيرا خاليا من النقص نسبيا ، وكلما عظمت الخبرة للمصدر (والمقابل عوز الخبرة ، والانخفاض النفسي للمقدرة على الادراك العقلي للمتلسم) مع تحرر المصدر من العيوب ، يتعاضد القبول للمعلومات

فنجاح التبدل في الاتجاه حينئذ يعتمد على نوهية المعلومات ذات العلاقة
بالاتجاه .

● ان «الرسالة» نفسها يمكن ان تأخذ بالتنوع في اشكال الاستغاثة
بما في ذلك استعمال اللطف ، وروح الدعابة ، الخوف ، التحاللات
الانفعالية القوية ، والاعجاب وهكذا . . . فالرسالة يمكن أن تقدم بصورة
مباشرة ، وبطريقة ايجابية ويمكن أن تجزأ بطريقة سلبية ، أو يمكن أن
تهيأ بشكل حالة خالية من العيب هذا وان فن « الرسالة » لم يبد على أنه
مهم ، ما عدا الصلة بمصدر الثقة وطبيعة المعلومات ، انه من المهم ايضا
اخفاء المعارضة والتي تدعى « بعد الاتجاه » بين اتجاهات المتنع والمتسلم ،
وخاصة اذا كانت المعارضة كبيرة أو معقدة ، أو أن صلة الدافع للاتجاه
كانت عظيمة جدا .

٣ - والحالة الثالثة من تغيير الاتجاه أشبه « بلاقة الدعاية »

لتثبيت توجيه المعلومات ، وهي ليست فنا مختلفا ، ولكنها توضح
الغرض الخاص لتوجيه المعلومات ولقد وجد أن التبدل المؤثر في الاتجاه
يتبع الرسالة التي تتضمن معلومات جديدة ، والتي تتفق في تلبية الاسس
الدافعة للاتجاه . فرضا أن فردين لهما اتجاهات سلبية بالنسبة للسفر
جوا ، أحدهما لم يدخل ، ولا يريد الدخول الى الطائرة ، وتمسك بهذا
الاتجاه بسبب عدم الثقة بمهارة الطيارين ، ولربما اعتمد في ذلك على تهور
العرض في قيادة الطائرة التي يراد بها الاستمتاع في مشاهدة الريف ، أو
أن الصحيفة الصادرة قد غطت حادثة الهبوط الجوي .

أما الآخر فيتمسك بهذا الاتجاه بسبب توسع المطار وقد سبب له مرة
التشويش ، والضيق .

ان رسالة حقة تشير الى المستوى العالي للامن وتدريب الطيارين
من مصدر مقنع سوف تبدل اتجاه الشخص الاول نوعا ، وتترك الثاني
دون أن تمسه ، ان ثقة الرسالة بالاسس الدافعة لاتجاهات الفرد يمكن
أن تكون قوية .

مدركة لما يتمسك به الفرد الذي يتبادل الرأي ، والرموز المناسبة للمجتمع تكون مطلوبة ، ومعرفة هكذا تبادل في الرأي يكون محسدا بواسطة المحتويات التي تغذى من قبل المتسلم بشكل مشابه للكلام . أو الاشارات الاخرى .

هذا وان تبادل الرأي يخدم كضرورة على أساس أنه قسم من علاقاتنا مع الاخرين ، بالاضافة الى كونه وسيلة لنقل المعلومات ، وعلى كل ان اعتمادنا على تبادل الرأي مع الاخرين ، من أجل تلقي المعارف والمعلومات حول التجارب التي لم نستطع اختبارها ، والتي يمكن أن تكون الهدف بالنسبة لنا ، فان عمليات نقل الآراء بحد ذاتها تصبح الغرض الكلي وموضوع السلوك ، وان الحرمان من تبادل الرأي يقود الى سلوك مندفع بقوة ، واتجاه البعض من هكذا تبادل يتضح غالبا من خصام الزوجة مع زوجها « ولماذا لا تتكلم معي ؟ » مع أنه لا يوجد شيء مما حقيقي ليقول ! ويكون الجواب التقليدي :-

« حول اي شيء يا عزيزتي ؟ »

● ان الغرض من تبادل الآراء بين الكائنات الحية الاجتماعية يكون واضحا لدرجة ما ، فاللغة تؤثر في انتقال الافكار والامور الاعيادية للمجتمع ، وانها مركبة بوضوح أو أنها معان دالة لكل رمز كما في الاقتراحات الواسعة أو المعاني المضمنة الدالة ، وكلا النوعين من المعاني يستعمل في عمليات نقل الآراء ، فالمعاني الدالة تعتبر القاعدة للاعمال واللفظ العلمية . كما أن المعاني الدالة تكون الثروة ، أو التسوع في الاصطلاحات للفكرة ، أو الادراك ، أما صلتها بالتفكير فاللغة تكون الفكرة التي تكون التركيب والوسائل لعمليات التفكير ، وان الصيغة والتحديد لعمليات التفكير قد تمسك بها لتكون مصممة بصلاح اللفظ لتلك المهارة ، ومع أن الشك في كونها تامة ، فان هذه الانطباعة لها ما يدعمها في دراسات التفكير ، التي ترى بأن المشكلات تكون أسهل

حلا ، حينما تكون الرموز المناسبة لطرق الحل صالحة ، كما أن اللغة تجهز الاشارات والمواد التي تعتبر أدوات للتفكير .

● ان فكرة الدعاية بسيطة حقا ، والاصطلاح الذي نستعمله لها ، هو أن الدعاية محاولة لتبديل الاتجاهات وجهة خاصة ، وتكون عادة مثل الافئاع وذلك لان الصلات الاجتماعية بين الافراد تكون مهمة ، والدعاية عموما ذات طبيعة لغوية أيضا ، ولكن أيا من هذه ، فليس من الضروري أن يكون صحيحا ، فالدعاية يمكن أن تكون تجميعا للمعلومات المهيأة التي تبدو على أنها طريقة غير حية ، فعرض العدو المأسور كجاسوس طيار يقف كالأبكم ، كبرهان لا يتطلب الكلمات ، أو التكلم المباشر للاتصال كتأثير مقنع للآخرين ، ولكن نفس الاعتبارات في تبديل الاتجاه قد أوضحت كتطبيق لتأثير الدعاية المناسبة والذي يكون المبادئ الأساسية للإعلان .

« الكذب الكبري »

ان واحدا من فنون الدعاية يستحق الملاحظة الخاصة ، ويمكن أن يوضح تحت تبدل الاتجاه أو الاعلان للدعاية ، وهذه الطريقة تدعى من قبل البعض على أساس انها « الكذب الكبري » . والقاعدة في الفكرة تكون على أساس اعادة بعض الحقيقة أو بعض الفكرة تحت حالات متعددة قدر المستطاع ، ويمكن أن تقود الى القبول المناسب بشأن ذلك حقيقة ، أو أن الفكرة صحيحة مع أن الفكرة من أجل أن تكون مشابهة يجب أن يكون مشكوكا فيها حينما تقدم لأول مرة ، ولكن بعد الاعادة المتواصلة للفكرة ، تصبح متعلمة ، وغير مميزة عن الفكرة الاخرى التي لا يشك فيها ، ولسوء الحظ ان هذه الطريقة تعمل بشكل ما في حياتنا حتى ولو لم يكن هناك قصد أو خداع .

● ان الحقيقة الضعيفة ، أو المبادئ التي قد أعيدت بواسطة ما ، كما في الكتب المقررة ، فالحقيقة تنتقل بواسطة كاتب آخر ، وبواسطة

سعد من القراء ، وبعد فترة من الزمن ، فإن الحقيقة قد قبلت دونما
سؤال ، وقدمت . وأخيرا ان البرهان المضاد مع أنه غالبا ما يكون أكثر
ثباتا وتأكدا من تكوين الفكرة الأولى ، فذلك لا يحسب ما دام أن الفكرة
القديمة قد تمسك بها بثبات . هذه النظرة الخاطفة على واحد من
ميكانيكيات التأثير النفسي للعالم أو فرضيات العالم لماذا أن الحقائق عندما
تقدمت يجب أن لا يسأل عنها؟

ان الملاحظ العلمي ما هو الا فرد في المجتمع مع العلم أن الملاحظات
الأصلية منطقية وواقعية ، فان الشرح والنشر للمعلومات الناتجة ، قد
تأثرت بأسس التبادل للرأي والدعاية مثل أي من تعبيرات الانسان ،
وان التحرر المحض للتخلص من هكذا تأثيرات ما هو الا أسطورة .

المجتمع والثقافة :-

● ان المجتمع ، جمع منظم وتفاعل للأفراد مع الاهداف العامة
والمعتقدات العامة والاتجاهات ونماذج السلوك .

أما الثقافة ، فتعود الى تجميع لطرق العيش التي تم بناؤها بعد زمن
وفي ذلك المجتمع .

هذا وان الحد الفاصل بين المجتمعات ما هو الا حد عشوائي ، وأن
تمييزا بين المجتمعات المختلفة يمكن أن يحدد ، فيمكن للواحد أن يتحدث
عن المجتمعات الغربية والمجتمعات الشرقية من العالم ، أو أن يقارن بين
البلاد العربية وتركيا ، أو إيران ، أو بين كندا والولايات المتحدة
الأمريكية ، أو بين أية أقطار في منطقة واحدة ، فان المقارنات بين هكذا
مجتمعات محددة يمكن أن يعتبر فروقا في الاهداف والمعتقدات والاتجاهات ،
وأنماط السلوك ، والتأثير لهذه الفروق في مجتمع ما على الافراد يمكن
أن يوضح باصطلاحات ، المكانة ، الدور ، الوظيفة ، والعضوية في
الطبقة الاجتماعية لذلك الفرد .

هذا بالإضافة الى أن مكانة الفرد في المجتمع هي عضويته فسي

سلوك الفرد في الجماعة :

- ان نمطين لتأثير الجماعة على سلوك أفرادها هما :-
- (١) النمط الاول : الضغط الاجتماعي الذي يقود الى تكيف السلوك
- (٢) النمط الآخر : القيادة .

● ان نتائج التجارب التي تأخذ بنظر الاعتبار تأثيرات الضغط الاجتماعي للتكيف ، قد قام بها « آش » وان ثمانية أفراد قد أحضروا في المجموعة التجريبية ، وبصورة ظاهرية تشمل دراسة الادراك الحسي ، هذا وان ثلاثة خطوط مختلفة في الطول قد عرضت مع التعليمات لفرض اختيار واحد منها له نفس الطول لما قد عرض على كارت آخر . انه سبعة من الافراد في المجموعة يتقون بالمجرب قد اختاروا الحظ غير الصحيح ، واختيار التكيف هو أن الشخص الآخر يتبع ادراكه ويقرر ما رأى أو يتبع الجماعة على أن يكون غير مختلف عنها . حوالي ٢٥٪ من الافراد المختبرين لم يتفقوا مع الجماعة ، وقد أقروا بالخط المساوي في الطول للخط القياسي و ٧٥٪ وهم البقية قد ارتكبوا بعض الاخطاء ، وكان ذلك تكيفا لرأي الجماعة وفي انتى عشرة محاولة ومحاولتين بالتعاقب التجريبي اعتبروا الحجم وموافقة الجماعة نتيجة للضغط الاجتماعي لها ، وأكثر من ذلك ان الاغلبية لم يتأثروا بصورة خاصة بتحسين الاثر ، ولسكن حصول الاخلاص كان عاملا قويا ، وان خلافا ظاهريا آخر في الجماعة كان كل ما يتطلب للعديد من الافراد هو أن يوافقوا الجماعة ولم يرتكبوا أخطاء بالنسبة لها .

ان التكيف لرأي الاغلبية في هذا النمط يؤثر في اتجاهات الافراد كسلوك خاص والاكثر براعة هو الاختلاف بين الحالة الصحيحة والجماعة هو الذي يكون التكيف الجيد والصحيح ، وعلى أساس تجارب الخطوط للجماعة التي تم بها « آش » فانه كلما كانت الصعوبة أكبر في التمييز الحقيقي ، غالبا ما نجد أن الفرد أكثر تكيفا لاختيارات الجماعة ، والاتجاه الضعيف الذي ينحرف أو يتعد عن الجماعة هو الذي يكون من

السهل تبديله حتى يتكيف لها • هذا وان القيادة النسبية واتمامها لاتباع القائد تكون دائما وعلى وجه التقريب موجودة في الجماعة •

والقادة يمكن أن يحددوا ببساطة على أساس أنهم أولئك الافراد الذين لهم تأثير على الآخرين ، وهذه ليست النوعية التي أحضرت أولا ، وبالأحرى هي كمية الصفات التي يعبر عنها كل واحد الى درجة ما •

● ان القيادة صورة من صور التفاعل الاجتماعي للتأثير على الآخرين بطريقة ما ، ويمكن أن توجه القيادة عمل الجماعة ، كاختيار الموسيقى للجماعة أو تصميم نماذج الزي الحديث للباس الجماعة ، وان كلا من هذه الامور يمكن أنها قد عملت من قبل مختلف القادة ، فالقائد يمكن أن يكون تابعا لسلوك الجماعة بشكل أو بآخر ولقد وجد بأن القائد يناسب توقعات الجماعة ، كما أنه يرضي دوافعهم ، هذا ويجب أن يعتقد القائد بأنه عضو في الجماعة بل أحسن من في الجماعة بهذا العامل خاصة •

لقد تشبهت بعض البحوث الى تكوين القيادة في الجماعة والى النجاح النسبي لتكاتف الجماعة ، ولقد أجريت مقارنات تقليدية بين القيادة الدكتاتورية ، والديمقراطية والتكوين المحايد ، فالجماعات التي تقام قيادة ديمقراطية وجد بأنها أكثر تكاتفا ، والقيادة الديكتاتورية تكون العداوة أكثر بين أعضائها ، وأقل استقرارا ، كما قيست بالعمل البناء حينما كان القائد غائبا •

والعامل ذو الصلة هو مكانة الاعضاء بالنسبة لكل واحد مع الآخرين تكون أكثر ديمومة وجمودا ، وأقل مرونة ، والمكانة يمكن أن تتكون عن طريق السمو لبعض الافراد على الآخرين في عوامل مثل الثروة ، أو الذكاء ، أو القوة السياسية ، فالمجموعات العسكرية قد تكونت على أساس التدرج في المكانة وقد ثبتت ، وانها تؤثر بالطبع في عمل الافراد في مجموعة صغيرة ، فلقد وجد على سبيل المثال بأن مكانة الاعضاء في المجموعة

العسكرية ، تجعل جهود الجماعة لحل المشكلات أقل كفاية ، وان عمل الجماعة قد عوق بسبب الميل الى المستوى الادنى بكونه يختلف عن المستوى الاعلى ، وبدلا من القادة الطيبين الذين يسيطرون على كل فعالية متفرقة ، فان عامل المكانة ينتج الكبت للآخرين في صالح واحد على كل هو القائد .

سلوك الجماعة : -

ان بعض الامثلة على سلوك الجماعة تشمل الجمهور في المظاهرة ، أو سلوك الشغب الى حد متطرف لقبول المجتمع ، وفي الفعاليات الرياضية لفريق مع فريق آخر ، وفي هذه الحالات ان سلوك الفرد مبدأيا هو نتيجة تأثير العوامل التي تؤثر في الجماعة ، والذي لا يختلف عن الافراد الآخرين في الجماعة ، مع النظر الى كل فرد على أساس أن نموذج السلوك يكون مختلفا أكثر حينما تتوقع أن يكون الفرد لوحده .

السلوك الجماهيري (المظاهرة)

ان العوامل التي اعتقد بأنها أكثر أهمية في توجيه السلوك لكل الافراد في تظاهرة تكون الغفلة ، والانتهاز من القدرة على الاقتراح ، والانفعال الناتج ، وحرية المنع أو النهي لسلوك معين ، فان سلوك الجماهير على كل قد تكون عن طريق الادراك الحسي لكل فرد للموقف وتوقعاته لمسما سيحدث ، ويبدو أن كل فرد قد أصبح مندمجا في الجمهور ولا يعمل كفرد منعزل لوحده ، مع توفر الشعور القوي بالحماية والتستر بواسطة الجمهور ، وهكذا فان السلوك الفردي لا يلاحظ ولا يتذكر ، وهذا الاغفال يقود الى الخسران للموانع والنواهي ، وان التأثيرات الحالية التي تؤثر على سبيل المثال هي : الخسوف من الانتقام ، أو التردد للسلوك الحالي ، لان السيطرة الاعتيادية على سلوك الفرد تكون معدومة ، ويمكن أن يكون التعبير الحر للدوافع هو الذي يقترحه الجمهور ، أو الادراك الحسي للموقف ، وأيا وكيفما تكون المشاعر والدوافع الحاصلة فسي

« الجماعة ، فانها يمكن أن تعد للعمل باقتراح بسيط ، فخطبة من قبيل
«المعرض تكون أكثر تأثيراً بسبب قلة الحيلة ، وقلة الكسر للشعار لكل
«فرد من الأفراد ، وان التأثير يمكن أن يعزز أكثر في الراحة التي تنجم
«عنها الانفعالات ، بسبب الشعور بالغفلة والمنع ليعبر عن الدوافع التي تكون
«ضعيفة ، والتظاهرة يمكن أن توصل الى حالة من التوتر الانفعالي ، والعمل
«بواسطة الاقتراح الذي يقدمه المتكلم (الخطيب) ، أو الظهور لموقف مثير
«مثل النار ، أو عدم القدرة على الهروب !

ان المظاهرات يمكن أن توصف بنوع السلوك الذي يقوم به
«الأفراد ، بوجه الخطر الفردي العظيم ، والأفراد المتظاهرون وفزعهم
«والهروب كما في نار المسرح ، فان الأعمال العدوانية لا يذء الأفراد والضرر
«العام لكل ما هو موجود في طريقهم هو الذي يحدد سلوك الآخرين في
«التظاهرة .»

وأخيراً ان السلوك لهذه التظاهرة يمكن أن يوجه بتعليمات شخصية
«عن طريق التكلم والارضاء كما في الازدحام على المصرف ، وخرن
«الاطعمة ، والدخول دونما توجيه ، والاجتماع الديني .»

الخلاصة : -

«يدرس علم النفس الاجتماعي عوامل السلوك التي تنتج عن طريق
«التفاعل مع الآخرين ، كخدمات حضارية للفرد في الجماعة ، وتأثيرات
«الجماعة على الفرد يجب أن تؤخذ كلتاها بنظر الاعتبار . هذا وان
«الاتجاهات ، والمعتقدات ، والمشاعر ، ونماذج السلوك في الاستجابة
«للموضوعات ، كلها يمكن أن تقاس بمعايير الاتجاهات ، وفنون المقابلة
«المباشرة ، والمواقف المستنبطة والتي تثير نماذج من السلوك .»

وان الأفراد يمتلكون وحدة معقدة لنماذج الاتجاهات التقليدية
«فالاتجاهات يمكن أن تغير بالقوة ، أو التكافؤ ، والعوامل التي تؤثر في
«تفسير الاتجاه تشمل المعلومات المتمسك بها حول الخصائص لموضوع

الاتجاه وخصائص الافراد الذين يحاولون الاقناع ، وعلاقة الاتجاه بالمعلومات التي تدور حول موضوع الحاجات الدافعة للفرد ودرجة العمومية التي تعرض العهد والمساهمة التي ضمنها الفرد باعتبار الاتجاه .
والاساس في التفاعل الاجتماعي هو الاتصال وتبادل الآراء والمعاني والفكر ، وما الدعاية الا تبادل للآراء أو الاتصال المصمم للتأثير على تبديل الاتجاه ، وحصيلة النماذج للسلوك الاجتماعي المتوقع هي التي تقرروا مكانات الافراد وأوضاعهم ، والاحكام والطبقات الاجتماعية في مجتمع خاص .

والجماعة بساطة ما هي الا حصيلة لتفاعل الافراد الذين يمتلكون على العموم دوافع خاصة ، وان الحجم والاتجاهات وتنظيمات الجماعة كلها تؤثر في سلوك الافراد وجميعها توضح سلوك الجماعة . وأخيرا ان سلوك الظاهرة كسلوك جماهيري يوجه عادة للتعبير عن الدوافع الشخصية مع غياب الموانع الاجتماعية والمحرضين للجمهور .

REFERENCES

المراجع

1. Backman, C. W. and Secord, P. F.,
Problems in Social Psychology,
McGraw Hill, N. Y. 1966.
2. Dewey, R., and Humber, W. J., An Introduction To Social
Psychology,
The Macmillan Company N. Y., 1966.
3. Hollander, E. P. and Hunt, R. G.,
Current Perspectives in Social Psychology, (2 edition)
Oxford University Press, N. Y. 1967.
4. Krech, D. Crutchfield, R. S. and Ballachey, E. L.,
Individual in Society,
McGraw Hill, N. Y. 1962.
5. Newcomb, T. M., Turner, R. H. and Converse, P. R.,
Social Psychology
The Study of Human Interaction,
Holt, Rinehart and Winston, N. Y., 1965.
6. Prohansky, H. and Seidenberg, B.,
Basic Studies in Social Psychology,
Holt, Rinehart and Winston, N. Y., 1965.
7. Sargent, S. Stansfeld, and Williamson, C. Robert,
Social Psychology,
The Study of Human Relation,
Second Edition, The Ronald Press Company, N. Y. 1958.
8. Secord, P. E. and Backman, C. W.
Social Psychology,
McGraw Hill, N. Y., 1964.
9. Steiner, I. D. and, Fishbein, M.,
Current Studies in Social Psychology,
Holt, Rinehart and Winston,
N. Y., 1965.

التخطيط وأهميته

الدكتور طه الحاج الياس
الجامعة المستنصرية

يتطلب التخطيط بصورة عامة فيما يتطلب وجود اهداف محددة ومتفق عليها ثم يتطلب كذلك وضع التدابير اللازمة لتحقيق تلك الاهداف . فالتخطيط اذا هو مجموعة التدابير والاجراءات والوسائل والسياسات التي تتخذ وتتبع في سبيل تحقيق اهداف محددة . فالتخطيط لا يعني اصدار التوجيهات والتعليمات او مجرد تحديد الغايات والاهداف أو القيام بالتنبؤ لما ستكون عليه الامور بعد فترة من الزمن اذا ما تركت الامور تتطور تطورا عفويا^(١) . بل يعني وضع اهداف محددة واضحة واساليب مدروسة ومتفق عليها من اجل تحقيق تلك الاهداف والتدخل في الظروف والاحداث التي ترافق تطبيق الوسائل والاجراءات المؤدية الى تحقيقها .

فالدولة التي تقر مثلا اعتبار التعليم الابتدائي حدا ادنى من التعليم الذي يجب ان يتوفر للمواطنين الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ينبغي عليها ان تتخذ الاجراءات الكفيلة لتحقيق هذا الهدف وتعالج جميع المشاكل والمعوقات التي تقف في طريق تنفيذه .

فاذا ما وقفت المعوقات الاجتماعية (كرفض ابناء الريف ارسال بناتهم الى المدارس مثلا) في طريق تحقيق هدف نشر التعليم الابتدائي

(١) عبدالله عبدالدايم (التخطيط التربوي - اصوله واساليبه الفنية)
صفحة ١٩ .

كان على الدولة ان تتخذ من الاجراءات القانونية والاعلامية الكفيلة باقناع الآباء باهمية ارسال بناتهم الى المدارس •

وقد تتخذ هذه الاجراءات شكل اصدار القوانين والقيام بحملات توعية وعقد ندوات ولقاءات تستهدف الارشاد والتوجيه والاقناع •• الخ من اجل ازالة هذا المعوق الاجتماعي •

وقد تقف المعوقات الاقتصادية حائلا دون تحقيق هدف نشر التعليم الابتدائي مما يستلزم على الخطة وواضعها اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحديد مدى ونوع هذا المعوق والعمل على ازالته او التخفيف من آثاره على الخطة الموضوعة لنشر التعليم •

ويمكن ان يكون من بين هذه الاجراءات العمل على رفع مستوى الدخل القومي والقضاء على البطالة وتحسين الوضع الاقتصادي للبلد أو التقليل من تكلفة التربية او القضاء على الهدر في التربية او ايجاد مجالات تمويل جديدة او العمل على تحسين وضع الصناعة والزراعة في البلد او اعداد الكوادر البشرية اللازمة للنهوض باقتصاد البلد والتخفيف من آثار المعوقات الاقتصادية او اتباع اسلوب الاعانات والزمالات الدراسية ••• الخ من اساليب يمكن ان تزيل المعوقات الاقتصادية او تخفف من آثارها •

فيتضح مما تقدم اذا بان الخطة التي تحدد اهدافها وترسم اساليب العمل من اجل تحقيق تلك الاهداف لا تكفي بمجرد التطبيق وانتظار النتائج بل انها تسعى في كل مراحل تطبيقها وتنفيذها الى تقييم اساليبها واهدافها والتدخل من اجل ازالة المعوقات وادخال التحسينات والتحويلات على ما اختطته لنفسها من اساليب •

فالتخطيط يهدف بذاته الى احداث التغير في الظروف المحيطة وهو يتضمن نظرة الى المستقبل تهدف الى التنبؤ باحتياجات المستقبل في ضوء امکانيات الحاضر كما يتضمن العمل الهادف نحو تحقيق احتياجات المستقبل •

والتعريف الذي اوردناه للتخطيط بصورة عامة ينطبق على جميع اشكال التخطيط ومنها التخطيط التربوي الذي هو نقطة الانطلاق للاختصاصات الاخرى المتداخلة في التربية وفي تخطيط التنمية الشاملة . فالتخطيط التربوي ليس هدفا في حد ذاته بل هو وسيلة لتحقيق اهداف وهو قسوة تساعد على تلاحم وتنسيق وتوجيه مقومات النظام التربوي المختلفة وتضمن التقدير الواقعي لوسائل البلد المادية ومصادره البشرية وتكوينه التنظيمي وغير ذلك من العوامل التي تؤثر في نجاح الخطة التربوية^(٢) .

والتخطيط التربوي وسيلة لتوجيه كل المعرفة عن التربية والعلوم المتعلقة بها نحو اعداد وتنفيذ خطط تنمية تربوية قصيرة الامد وبميدته .

ويساعد التخطيط التربوي على معرفة النواقص والحاجات ويمثل على مواجهتها والعمل على تلافيها . كما يهدف الى جعل التربية منسجمة مع نمط التغيير بحيث تكون تقدمية بدرجة تضمن تحقيق نوع القيادة الاجتماعية والفنية والقوة العاملة المؤهلة المطلوبة في نفس الوقت الذي تحافظ فيه على استمرار ونمو وحدة المجتمع الثقافية .

فالتخطيط التربوي اذاً هو جزء من التخطيط الشامل (الذي هو الاسلوب العلمي او مجموعة الوسائل التي تستطيع بها الدولة ان تسكشف عن موقفها الحاضر وترسم سياستها للمستقبل بحيث تحقق الاستفادة الكاملة بما لديها من موارد وامكانيات بما يحقق الارتفاع المستمر في مستوى المعيشة لجميع المواطنين . وهو بذلك العملية المقصودة المبنية على اساس من الدراسة العملية والتفكير والتدبير التي تهدف الى الوصول الى تحقيق اهداف تنمية معينة سبق تحديدها في ضوء احتياجات المستقبل وامكانيات الحاضر^(٣) .

(٢) المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للتخطيط التربوي .

ترجمة الدكتور طه الحاج الياس - وزارة التربية العراقية ١٩٦٨ .

(٣) التخطيط التعليمي (أسسه واساليبه ومشكلاته) الدكتور محمد

سيف الدين فهمي صفحة ١١٠ .

ويعتبر التخطيط التعليمي جزءاً من التخطيط التربوي (إذ انه العملية المتصلة المنتظمة التي تتضمن اساليب البحث الاجتماعي ومبداي وطرق التربية وعلوم الادارة والاقتصاد والمالية وغايتها ان يحصل التلاميذ على تعليم كاف ذي اهداف واضحة وعلى مراحل محددة تحديدا تاما وان يمكن كل فرد من الحصول على فرصة ينمي بها قدراته وان يسهم اسهاما فعلا بكل ما يستطيع في تقدم البلاد في النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية^(٤) .

على ان من الخطأ ان نصح حدا فاصلا بين التخطيط التعليمي والتخطيط التربوي خاصة وان كلاهما يهدفان الى خدمة الفرد والمجتمع ويسعيان الى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية شاملة .

واذا ما كانت عملية التربية اكثر سعة وشمولا من عملية التعليم اذ انها تهدف الى تنمية الفرد من جميع جوانبه الروحية والخلقية والفكرية والمهارية والبدنية واعداده اعدادا سليما ليكون عضوا ناعما في المجتمع الذي يعيش فيه كما تهدف الى تنمية المجتمع وتطويره وتحسينه بما يحقق الاهداف والقيم الانسانية العليا وتقوم بكل هذه الاشمل مؤسسات عدة تعتبر المدارس واحدة منها . ومن هذه المؤسسات دور النشر والسينما والمسرح والراديو والتلفزيون والصحافة ودور المساعدة التي يطلب التخطيط لها تخطيطا للأسرة وتخطيطا للشقاة وتخطيطا للبرامج وتخطيطا لنشر الدين وتنظيم العلاقات الاجتماعية^(٥) .

فان من الخطأ اعتبار العملية التعليمية مقتصرة على الاعداد بمسواد العلمية واهمال الاهداف الاخرى التي تتوخى اشربية نموها ونسبة للفرد وللمجتمع ومن هنا كان من اللازم ان تنشق الخطط التعليمية من

(٤) UNCTAD Elements of Educational Planning, 1963.

(٥) التخطيط التعليمي - الدكتور محمد سيف الدين نهمي - صفحة ١٣

الخطط التربوية وتكون عاملا من عوامل تحقيق اهداف الخطة التربوية الشاملة *

وإذا ما كانت التربية والتعليم قادرة على تحقيق ما اسلفنا من اهداف سامية فأن من الطبيعي ان يولى امر التخطيط لها الاهتمام اللازم الذى تبرره عوامل عدة من ابرزها :

١ - حاجة التخطيط الإقتصادي الى التخطيط التربوي (٦) : -

لقد ازداد شعور العاملين في حقل التخطيط الإقتصادي بضرورة الاهتمام بالتخطيط التربوي وذلك لما يمكن ان تلعبه التربية من دور فعال في رفع كفاءة العاملين في الحقول الاقتصادية المختلفة زراعية كانت ام صناعية * كما ان للتربية الاثر الفصال في الاعداد الفني والمهني المتخصص الذى بدأت الحاجة تزداد اليه يوما بعد يوم مع تطور العلوم والتكنولوجي وحقول المعرفة المختلفة *

فالتطور الصناعي والتطور الزراعي لاي بلد من البلاد لا يمكن ان يتم بدون الاهتمام بالكوادر البشرية اللازمة له والتي بمقدورها تحقيقه * ومع تعدد متطلبات التنمية الصناعية والزراعية ظهرت الحاجة الى الاهتمام باعداد كوادر المتخصصين من فنيين وعمال ورجال ادارة ومحاسبة * الخ وبعبارة اخرى فان متطلبات التخطيط والتنظيم الإقتصادي وتحقيق النهضة الاقتصادية في البلد تفرض على القائمين بامره ضرورة العناية بالتربية والتخطيط لها ليكون بمقدورها الاستجابة لمتطلبات ذلك التخطيط وتلك النهضة عن طريق تزويدها براسمال بشرى مدرب وكفوء يستطيع تحقيق تلك المتطلبات *

والبلد الذى يفكر بانتهاج سبيل التصنيع مثلا لا بد له ان يخطط مع

(٦) يراجع كتاب الدكتور عبدالله عبدالدايم - التخطيط التربوي - الفصل الاول

سياسة التصنيع سياسة تربوية تهدف الى تحقيق تلك السياسة وذلك عن طريق تزويدها بما تتطلبه من كفاءات ومهارات بشرية .

واذا ما انتهج البلد سياسة النهوض بالزراعة وتطويرها فان على القائمين على أمر التخطيط فيه ان يرسموا كذلك سياسة تربوية كفيلة بخلق الكوادر الفنية عن طريق الاعداد والتدريب يكون بمقدورها الاستجابة لمتطلبات مكننة الزراعة وتحسينها .

ولقد وجدت دول العالم المختلفة التي اعتنت باديء ذي بدء بالتخطيط الاقتصادي بأنها لن تستطيع تحقيق اهداف ذلك التخطيط دون الاهتمام بالتخطيط التربوي الذي يضمن العناية براس المال البشري وبعده الاعداد المناسب لمتطلبات التنمية المختلفة والاقتصادية منها على وجه الخصوص . ولقد ادرك رجال الاقتصاد والمعنيين بتحسين الانتاج الاقتصادي وزيادته بان لا سبيل الى الارتفاع بالاقتصاد والانتاج الاقتصادي ما لم يهتم بالعنصر البشري الذي يسير عملية هذا الاقتصاد وبعده العنصر البشري اعدادا يستجيب لحاجات المجتمع الحديث المتزايدة من فنيين ومن علماء مبدعين وارباب البحث العلمي الذين يلعبون دورا كبيرا في تطوير الاقتصاد وقدرته على الانتاج .

فالانقلابات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية لا يمكن ان تتم دون انقلابات وتغيرات تربوية شاملة^(٧) .

اذ تلعب التربية وانظمتها دورا كبيرا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فهي ليست ظاهرة اجتماعية او اقتصادية صرفة خاصة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار بان التنمية في مفهومها الواسع تعني زيادة مجالات الاختيار امام الفرد والمجتمع لتصريف شؤون الحياة اليومية والسعي نحو اهداف معنوية محددة وتنمية انماط مختلفة من السلوك في شتى مراحل الحياة .

(٧) عبدالله عبدالدايم - نفس المصدر صفحة ٢٢

ولم تكن التنمية لتشغل بال الناس قبل عدة قرون من الزمن اذ ان جل اهتمامهم كان منصبا على دوام الحياة واستمراريتها بشكلها المألوف. واستخدمت التربية كوسيلة لادامة طرق حياة تلك المجتمعات ومؤسساتها المختلفة وقيمها الاجتماعية بدلا من تطويرها . وقد بدا مفهوم التنمية في الظهور في القرن التاسع عشر عندما حققت الاختراعات والابتكارات تغييرا في بعض أوجه الحياة وعندما اعقبت ذلك الثورة الصناعية التي احسدت ذلك التقدم الهائل في النواحي الاقتصادية مما كان له ابلغ الاثر على النواحي الاجتماعية والتربوية حيث لعبت التربية بعد ذلك دورا بارزا في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي^(١) .

٢ - **النظر الى التربية الى انها عملية استثمار وليست بالعملية الاستهلاكية**
كانت النظرة القديمة الى التربية تعتبرها عملية استهلاكية وخدمة تقدم للمجتمع كبقية الخدمات التي تقدمها الدولة . ومع ازدياد الايمان باعتبار التربية حقا لكل المواطنين لا خدمة تفضل بها السلطة عليهم وبان بمقدور التربية ان تلعب دورا فعالا في أوجه تحسين الحياة في البلد سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية بدا الادراك يتزايد بأن التربية ليست بالعملية الاستهلاكية وانما هي عملية مثمرة تعود بنتائج لا يمكن ان تقدر بـشمن . فمردودها لا يقتصر على تكوين المهارات والتدريب على الاعمال المختلفة فنية ام غير فنية بل ان لها مردودا اسمى من ذلك واهم وهو ما تكونه في الافراد من قيم واتجاهات ومثل يمكن ان تلعب دورا اساسيا في صيانة حياة المجتمع وتطويرها .

فالتربية عملية استثمار مردودها يكمن في ما تقدمه لنا من طاقات بشرية خلاقة في حقل الاقتصاد والعلوم وما تزود به المجتمع من قيادة ومواطنين يضعون خدمة المجتمع وتطوير الحياة فيه دليلا يعملون بهديه ويسعون لتحقيقه .

(١) التربية والتنمية بقلم H. M. Philips, Analysis Division, Social Sciences Division UNESCO.

فللتربية تأثير كبير على نوعية ودرجة المهارات المهنية * إذ يشكل العمل نسبة كبيرة من الانتاج الوطني والتربية مصدر رئيس لتكوين وزيادة قدرة العامل الانتاجية وهي كذلك. ذات اثر كبير على الاقتصاد وذلك عن طريق زيادة حجم المعرفة ونشرها بين افراد الشعب *

كما تساعد التربية على خلق روح المبادرة والابداع كما تحسن اساليب الاستهلاك وتشجع الحركة الاقتصادية والاجتماعية * كما ان بمقدور التربية ان تلعب دورا باذرا في تحسين اساليب اختيار المجتمع لقاداته واداريه وترفع من كفاءتهم وتحسن قدرتهم الانتاجية والقيادية (*) *

ولعل من الامثلة البارزة ما استطاع ان يحققه الاستثمار في التربية من تقدم اقتصادي واجتماعي في كل من الدانمرك واليابان حيث استطاع كل من هذين البلدين تحقيق تقدم اقتصادي هائل على الرغم من قسوة هوارده الطبيعية وذلك عن طريق الاستثمار في التربية بتطبيق التعليم الالزامي واعداد الكوادر البشرية المدربة الكفوءة التي استطاعت ان تحل من فقر البلدين في الموارد الطبيعية الى نهضة اقتصادية شاملة *

والهند بلد تكثر فيه الموارد الطبيعية الا انه يقتصر الى العناصر البشرية المدربة التي تستطيع ان تحول تلك الموارد في خدمة النهضة الاقتصادية وذلك بسبب ارتفاع نسبة الامية والجهل بين المواطنين الهنود مما يخضعهم للكثير من العادات والافكار التي تصيق تقدمهم وتمنع استفادتهم لمواردهم *

وقد عبر احد الاساتذة عن الترابط والتلازم الكاويل بين التقدم الاقتصادي في بلد من البلدان وبين التقدم التعليمي بقوله (ان البلد المتخلف اقتصاديا هو بلد متخلف تربويا) * كما اجريت دراسات وابحاث تحاول ان تعتبر مردود الاموال التي توظف في التعليم وثقافة بالرقم والعدد الارباح التي تقدمها رؤوس الاموال الموظفة في التعليم * *

(٩) الدكتور طه الحاج الياس - مقدمة في التخطيط التربوي والتنمية
صفحة ٩ - ١٠

وقد اظهرت هذه الدراسات ان مردود ما ينفق على التربية يفوق مردود رؤوس الاموال التي توظف في مجالات اخرى كالزراعة والصناعة والتجارة^(١٠) .

٣ - التقدم العلمي والصناعي وأثره في التربية : -

لقد ذكرنا فيما تقدم بان مفهوم التنمية بدا في الظهور في القرن التاسع عشر عندما حققت الاختراعات والابتكارات تغييرا في بعض اوجه الحياة . وعندما اعقت ذلك الثورة الصناعية التي احدثت ذلك التغيير والتقدم الهائل في النواحي الاقتصادية ، مما كان له ابلغ الاثر على النواحي الاجتماعية والتربوية حيث لعبت التربية بعد ذلك دورا بارزا في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . فلقد كان للاختراعات والاكتشافات ولازدياد الدور الذي تلعبه الآلة في الانتاج ولتعقد المهن والتأكيد فيها على جانب الاعداد الفني والعلمي الاثر البالغ في تغيير التأكيد على بعض جوانب التربية والعناية ببعض المجالات المهنية والفنية التي لم يكن رجال التربية قد التفقوا اليها من قبل . كما ان الانتقال السريع الذي طرأ على قطاعات العمل والشعور بضرورة احداث التوازن المطلوب بين جوانب تلك القطاعات المختلفة قد فرض على التربية ادوارا جديدة لم تكن تعني بها بصورة مناسبة من قبل . فالانتقال من قطاع الزراعة الى قطاع الخدمات والادارة والجوانب الفنية قد فرض على رجال التربية ضرورة القيام بتخطيط يتلائم وحاجات هذه القطاعات ويستجيب لمطالبها التربوية والمهنية والفنية . . . فكان ان بدا الاهتمام بالتخطيط لمطالبات الاعداد لهذه القطاعات مع الحفاظ على التوازن الذي يتلائم وحاجات المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

فالتقدم العلمي والفني السريع اذاً يخلق حاجات جديدة ويزيد من الحاجة الى العاملين من اجل الاستجابة لتلك الحاجات من علماء وفنيين .

(١٠) الدكتور عبدالله عبدالدايم - نفس المصدر صفحة ٢٥-٢٦

واداريين *** الخ كما يؤدي كذلك الى احداث التغير في توزيع العاملين في مختلف القطاعات المهنية والفنية مما يستلزم احداث التغيرات المناسبة في نوعية الاعداد التربوي للعاملين في تلك القطاعات بشكل يضمن تحقيق حاجات المجتمع المختلفة وبحيث يتكيف الاعداد التربوي مع التطور والانتقال الذي تم بين قطاعات العمل والعاملين فيها مما يفرض على العاملين في حقل التربية تخطيطا يهتم بالجوانب الكمية والنوعية لمتطلبات هذا التغير والانتقال *

٤ - ترابط جوانب العملية التربوية مع بعضها في جميع المراحل الدراسية :-

قد يفترض مجتمع من المجتمعات حدا ادنى يتمثل في التعليم الالزامى الابتدائي مثلا ويعتبر ذلك هدفا ينبغي ان يحققه خلال فترة زمنية محددة انه ان فعل ذلك يكون قد قام باجراءات تخطيطية مختلفة منها التعرف على الحاجات التربوية والمهنية المستعجلة في البلد ثم التعرف على الامكانيات البشرية والمادية المتوفرة ثم اتخاذ الاجراءات اللازمة لل تنفيذ بشكل يضمن الوصول الى الهدف خلال الفترة المحددة * ولا ينتهي الامر عند هذا الحد اذ لابد من التفكير بالخطوة التالية التي تعقب تحقيق ذلك الهدف ألا وهو الوصول الى تعميم التعليم الابتدائي في البلد * هل يكفي به كهدف تربوي واجتماعي ؟ هل يضمن هذا الهدف تحقيق البلد لمشاريعه المختلفة ويساعده على التغلب على مشاكله في المجالات الاقتصادية والاجتماعية *** الخ ؟ وهل يكفي هذا النوع من التعليم لاعداد الكوادر اللازمة لقطاعات الانتاج والعمل المختلفة ثم ماذا بعد ذلك ؟ ان الكثير من هذه الامور تطرح نفسها على المخطط الذي رسم الحد الادنى من التربية وهو يضع الاجراءات اللازمة لتطبيق مبدأ تعميم التعليم الابتدائي في البلد ان من افدح الخسائر واخطر ما يتعرض له بلد ما في هذا المجال هو تأجيل الاجابة على هذه الاسئلة والعديد غيرها حتى ظهور المشاكل وتعقدها ولن تجدي عند ذلك الاجراءات الارتجالية لمعالجة العواقب *

ان من اذبح الاخطاء التي وقع بها المسؤولون عن التربية في بعض بلادنا العربية هو اهتمامهم بالحاضر دون الاهتمام بالمستقبل . فلقد دفع المسؤولون في بعض تلك البلاد الى الاستجابة للضغط الشعبي والاقبال على المدارس دون التفكير بالمصير الذي ينتظر الطلاب ودون الاهتمام بالمستويات العلمية ودون الالتفات الى متطلبات التوسع في التعليم على مختلف المستويات . ان التوسع الذي طرأ على التعليم في بعض بلادنا العربية لم يكن توسعا مدروسا بل كان توسعا عفويا فرضته الظروف والضغوط . كانت حصيلته فقدان التوازن بين مراحل التعليم المختلفة اذ عني بالجانب الاكاديمي وأهمل الجانب المهني وتوسع التعليم الابتدائي وبقى التعليم المتوسط والثانوي عاجزا عن الاستجابة لمتطلبات ذلك التوسع كما بقي التعليم العالي عاجزا عن امداد مراحل التعليم المختلفة بالكوادر البشرية اللازمة للعمل فيها كما انه لم يستطع الاستجابة لمتطلبات قطاعات العمل الاخرى فبقيت اغلب بلادنا مثلا تعاني من النقص الهائل في عدد الفنيين من مهندسين وغيرهم ولكنها تشكو من وفرة وزيادة عدد المؤهلين في الحقول الانسانية التي اثقل كاهلها بالعديد من الشبان الذين لا يجدون مجالات مناسبة لممارسة اختصاصهم .

ان الاهتمام بالتعليم الابتدائي والسعي الى نشره يفرض على القائمين على التعليم ضرورة التفكير والتخطيط لمتطلبات هذا التعليم من معلمين وبنية ومناهج ومواد تعليمية وخدمات صحية واجتماعية . . . الخ كما يتطلب منهم كذلك التفكير بحاجات البلد والتخطيط من اجل تحقيقها كما يتطلب منهم التخطيط للمرحلة التالية وهي مرحلة التعليم الثانوي والعمل على توفير متطلباتها البشرية والمادية من مدرسين ومفتشين واداريين وبنية ومناهج ومختبرات وخدمات مختلفة ومجالات عمل ودراسة للذي ينهون تلك الدراسات . . . الخ كما يتطلب الامر التخطيط من اجل احداث التوازن بين فروع التعليم الثانوي وانواعه المختلفة من اكايمي ومهني ونسوي . . . الخ كما يتطلب الامر كذلك التخطيط لتوزيع الخدمات

التعليمية في انحاء القطر بشكل يحقق المدالة في توفير فرص التعليم المتكافئة لآبناء البلد الواحد .

ثم ان الامر يتطلب كذلك التخطيط للاستفادة من المتخرجين من هذه الدراسة في قطاعات العمل المختلفة وفي مجالات التعليم العالي التي تؤهلهم لها تلك الدراسة وذلك يعني ان التخطيط للتعليم العالي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتخطيط للتعليم الابتدائي والتعليم الثانوى وان ما يحدئنه اى من مراحل هذا التعليم من خلال سيمكس بصورة مشاكل قد يصبح امر مجالتها مستحيلا وقد يودى تر كها دون حلول الى الهدر في امكانيات البلد المادية والبشرية والى انتشار البطالة والنوضى وازدياد المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي قد تعود على البلد بافراح الضعائر .

وقد تقع بعض الدول بخطأ فادح نتيجة تغلبها الجانب الكمي على الجانب النوعي في التربية ، فهي في سعيها الى نشر التعليم بين افسراد الشعب دون أن تكون قد أعدت العدة لمواجهة مظلته قد تجد نفسها مضطرة الى التضحية بالجانب النوعي مما يؤدى الى انحسار المستوى العلمي وتفاقم مشاكل التعليم متمثلة بالاستمالة بالمدرسين غير المؤهلين والاستفادة من الابنية غير المناسبة للعملية التعليمية والتضحية بالكثير من المتطلبات التربوية والملمية التي تعتبر من اهم مقومات نجاح العملية التعليمية وتحققها لامدافها .

فالبلد الذي يفكر في تحقيق متطلبات قطاع من القطاعات للكـوادد البشرية لا بد وان يبدأ مخطوطه من القاعدة او بعارة اخرى اذا ما اراد المسؤ ورون عن الصحة مثلا تحديد حاجتهم للاطباء في ستة من السنوات كان على المخطط ان يعود في تخطيطه بدأ من المرحلة الابتدائية وانتقالا الى المراحل التي تليها :- فلنترض ان بلدا ما يسمى لاعداد الاطباء اللازمين للممل فيه سنة ١٩٨٥ فانه يبدأ أولا بالتقدير لا سيكون عليه السكان ففي تلك السنة مع الاحت نظر الاعتبار الوفيات والمواليد والهجرة واحصاه

الاطباء اللازمين للعلاج ومن سيرك الخدمة منهم بسبب الوفاة او التقاعد والذين سيتخرجون سنة ١٩٨٥ وذلك بغية معرفة العدد الاضافي والذي ستكون البلاد بحاجة اليه . ثم يدرس امر استعداد المؤسسات التعليمية الطبية لتخريج العدد المطلوب مع مراعاة الحاجة للابنية والاساتذة والمواد التعليمية الاساسية الاخرى . ويمتد امر اعداد الاطباء اللازمين السى المرحلة التي تسبق التعليم الجامعي (الابتدائي والثانوي وقدرتهما على اعداد من سيخصصون في الدراسة الجامعية الطبية) .

ولن يقتصر اثر هذه الاجراءات على الامور المتعلقة بالاطباء بل لا بد من ان تؤخذ بنظر الاعتبار حاجات البلد في القطاعات الاخرى وذلك لكي يتحقق الانسجام والتسيق بين مخططات التربية ومخططات التهيئة الاقتصادية والاجتماعية الاخرى^(١١) .

يتضح لنا مما تقدم ذكره ان هنالك ترابطا وثيقا بين مراحل التعليم المختلفة وان هنالك تكاملا بين مشكلات التربية وبين الحلول التي تقدم لمعالجتها مما يفرض على المسؤولين عن التربية ضرورة التخطيط لتحقيق ذلك الترابط الوثيق بين مراحل التعليم والاتفات الى اهمية الانسجام بين الحلول وبين المتطلبات الاساسية اللازمة .

٥ - النظرة الديموقراطية الى التربية :-

لم تعد التربية وفقا على فئة من المواطنين او امتيازا يتمتع به بعض المواطنين دون سواهم وذلك بسبب التمييز الاقتصادي او الاجتماعي . النخ بل اصبحت التربية في نظر اغلب دول العالم نحا من حقوق جميع المواطنين على الدولة ان توفره لهم بغض النظر عن الجنس او الحالة الاجتماعية او الاقتصادية . . النخ ويعني ذلك ان على الدولة ان توفر لمواطنيها كافة فرصا تعليمية تتناسب وحاجات المجتمع وامكاناته المختلفة . وحيث ان الكفاءات

(١١) اليونيسكو وتخطيط التعليم - اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو
١٩٦٥ .

والقبليات ليست وفقا على فئة من الناس دون غيرها وحيث ان من مصلحة المجتمع ان تستغل جميع الطاقات والامكانيات الكامنة لدى افراده فسي تسهيل تطوير وتحسين حياتهم وحياة مجتمعهم فقد وجد المسؤولون عن التربية ضرورة وضع الخطط لانتاج الفرص امام تلك القابليات لتتطور وتسمى وبالتالي توضع في خدمة الفرد والمجتمع وبعبارة اخرى وجد المسؤولون عن التربية بان عليهم ان ينظموا دخول المواطنين الى المدارس ويوفروا لهم من اسباب التعليم والتدريب ما يضمن تحقيق ما تتوخاه العملية التربوية من اهداف . وفي غمرة الحرص على اتاحة الفرص التعليمية للمواطنين كافة ظهرت الحاجة الى اعداد الخطط والترتيبات التي تضمن دخول اكبر الاعداد الى المدارس وتوفير افضل الفرص التعليمية لهم فكان لا بد من التخطيط ومن تقديم الاهم على المهم في رسم الخطط وفي اتاحة الفرص التعليمية الملائمة لحاجات البلد وامكانياته . وقد شعر المسؤولون ان ترك الامور تسير دون ضابط او موجه لها سيؤدي بالتالي الى احداث الخلل بين متطلبات الفرد والمجتمع وبين ما تستطيع المدرسة ان تقدمه كما انه سيؤدي الى جرمان فئة كبيرة من الناس من ان تضع امكانياتها في خدمة المجموع نظرا الى ان الفرص التربوية المناسبة لها لم تنتج بشكل يضمن تحقيق ذلك .

ولقد ازداد الشعور باهمية التخطيط لدى العاملين في القطاع التربوي نتيجة التدفق الواسع نحو المدارس وضرورة توجيه وتنسيق ذلك التدفق بشكل يتجاوب ومتطلبات التنمية الاقتصادية والتربوية والاجتماعية من جهة ويكون منسجما مع امكانيات البلد المادية والبشرية . كما ادرك المسؤولون بيان الاستمرار بالاستجابة للضغوط ومحاولة تحقيق العدالة في الترتيبات يتطلب اولا وقبل كل شيء تحديد اوضاع الخطط التي تضمن تحقيق تلك العدالة واجراءات ادارية وتربوية واقتصادية تساعد على استفادة البلد من امكانيات وقابليات ابنائه كافة بغض النظر عن امكانياتهم الاقتصادية وواتماتهم الاجتماعية .

ولعل من ابرز ما تعانيه التربية في بلادنا العربية ذلك التضارب بين ما يؤمن به المسؤولون عن التربية من ضرورة توفير الفرص التربوية لجميع المواطنين (ديموقراطية التربية) وبين ما يوفره لهم من فرص تعليمية محدودة ، تحول دون استفادة البلد من كفاءات وقابليات ابنائه بصورة كاملة بسبب بقاء نسبة كبيرة من المواطنين خارج المدارس لاسباب اقتصادية او اجتماعية او بسبب عجز الخطط التربوية عن الاستجابة لمتطلبات المواطنين من فرص تعليمية وقد حدى ذلك بالكثير من الدول العربية الى التفكير الجدى بأمر التخطيط التربوى متمثلا فيما اتخذته من دراسات واجراءات تنظيمية وادارية تتوخى تطبيق التخطيط العلمى المدرس على قطاع التربية والتعليم بدلا من ترك الامور تسير دون توجيه وتنظيم كان من ابرز مظاهره في بعض بلادنا العربية فقدان التوازن بين مراحل التعليم المختلفة والاهتمام بالجانب الاكاديمى واهمال الجانب المهني ثم تلك البطالة الظاهرة والمقنعة بالنسبة للمتخرجين من الجامعات وغيرهم من المثقفين .

الخلاصة :

لقد حاولنا فيما تقدم ابراز مفهوم التخطيط وذكر اهم المبررات لانتهاجه اسلوبا في حقل التربية والتعليم عند وضع السياسات والاهداف التربوية .

وتحسب مع تأكيدنا على اهمية التخطيط التربوى لا نفترض فيه العلاج السحري لكل مشاكل التربية والتعليم في بلادنا . تلك المشاكل التى تستمد جذورها واسبابها من مجالات وحقول تقع خارج نطاق التربية والتعليم وهي ليست بذلك مما يستطيع الخطط التربوى السيطرة عليه واخضاعه لمتطلبات التخطيط التربوى واهدافه .

ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى ضرورة قيام المخطط التربوى بالدراسات الموسعة لكل ما من شأنه ان يؤثر على العملية التربوية وعلى

التخطيط التربوي من قريب او بعيد ، فالدراسات الميدانية والعملية تساعد المخطط التربوي على تكوين منظور واضح للمجال الذي سيعمل فيه وللوضعية التي تحيط به خلال عمله . اذ سيكون بمقدوره تفسير الظواهر والعقبات والاسباب التي تجعل عملية التخطيط عاجزة عن بلوغ اهدافها . . ثم ان الحاجة ماسة كذلك الى التنسيق والتعاون ليستطيع المخطط عن طريقهما تجنيد الطاقات والامكانيات المتوفرة خارج دائرة التربية والتعليم وذلك في معالجة المشكلات والمعوقات التي تقع خارج نطاق هذه الدائرة وامكانياتها المادية والبشرية . . فهو في مثل هذه الحالة بحاجة الى عون من المؤسسات الصحية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسسات المسؤولة عن وسائل النقل والبناء . . الخ . عند التخطيط لمعالجة المشاكل الناجمة عن كل حقل من تلك الحقول والتي يكون لها الاثر البالغ في تنفيذ المخطط التربوية مما يفرض على المخطط التربوي العمل مع جهات ومؤسسات اخرى غير المؤسسات التربوية عند قيامه بوضع المخطط التربوية وتنفيذها وتقييمها .

في طريقة التربية المقارنة ومحتواها

الدكتور
عبدالله الأحمير الوائيل

سيبقى تعليم الانسان وتربيته مشكلة لا تنتهي ، فقد يضع المسؤولون البرامج والخطط التربوية لمواجهة حاجات الفرد والمجتمع المتطورة وفي اجواء وظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية متغيرة والتبدل السريع في الظروف وما قد يصاحب ذلك من عدم وضع الخطط المحكمة وعدم وضوح الاهداف والغايات التربوية ، يضيف متاعب وصراعات نفسية حادة الى الفرد والمجتمع . وبالإضافة الى ذلك فأن قصر نظر الانسان وعدم موضوعيته وتفهمه لثقافات الغير ونظمهم التربوية ومخاوفه من التقرب الى كل ما هو جديد وغريب عن ثقافته يضيف بعدا جديدا للقلق وعدم التكيف ، فقسم من متاعب الانسان راجع الى ما قد يكون فيه من جمود او تعصب يجعله شديد التمسك بما ألفه الى الجد الذي يتصور معه ان ذلك وحده هو المعقول او المقبول وان ما عداه خطأ او غير مقبول ، وكثيرا ما يصدر الحكم على طريقة الغير بالاعوجاج وعدم الواقعية . ان النظرة الايجابية المنصفة لأعمال الغير وثقافتهم وتقبل الحياة وكأنها مختبر كبير لتجارب الانسان العقلية والفكرية والاجتماعية والتربوية وغيرها ، تؤدي بطبيعية الحال الى تكيف الانسان المرن والواعي ، وان اتباعه الوسائل العلمية والموضوعية تجنبه كثيرا من الحرج النفسي والضيق العقلي والصراع الثقافي . وعليه فأن فحوى التربية المقارنة واهميتها تبدأ من البديهية التربوية المعروفة بأن أنظمة التعليم في العالم مختلفة ومتغيرة ، بل حتى النظام التربوي الواحد يتغير جزئيا حسب تطور الظروف المحلية الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية وغيرها . ومن البديهيات الاولى في التربية المقارنة ان لا يسرف الفرد فيتسرع في اصدار الاحكام مفضلا نظاما تعليميا معينا على نظام آخر ، حيث ان لكل نظام تربوي جذوره التاريخية والاقتصادية وغيرها ، أي ان لكل جهاز تربية معينة تختلف عن الاخرى وما يصلح لبلد قد لا يصلح لبلد آخر . وقد تصلح بعض التجارب التربوية لاكثر من بلد اذا تشابهت الظروف التي تنتج النظام التعليمي . وعلى الانسان ان يقلب الامور جيدا وان يتحرى العوامل التي تسبب الاختلافات بين النظم التعليمية وان يبذل الجهود الصادقة لاكتشاف حقيقة النظم التعليمية التي تكون أكثر فائدة للانسان في ظروف معينة .

وهذا الرأي يخطيء الادعاء القائل بأن هناك فلسفة تربوية معينة أو أن هناك انواعا من النظم التربوية تصلح لجميع البيئات أو تصلح للتصدير أو الاستيراد الثقافي (Culture Exportation or Importation)

لان القيمة الاساسية لاية فلسفة تربوية أو أي نظام تعليمي هو ما تقدمه تلك الفلسفة او هذا النظام من خدمات واهداف ضمن ظروف تاريخية وجغرافية واجتماعية خاصة . ان النظام التربوي الذي يصلح لمجتمع صناعي لا يصلح لمجتمع زراعي . والدولة التي تنادي بتكافؤ الفرص التعليمية لكل المواطنين قد لا يناسبها المشي السريع في التربية . ومن مشكلات المقارنة في التربية المقارنة عدم وجود مفاهيم ومفردات واصطلاحات تعليمية متفق عليها، حيث تختلف المسميات كما تختلف النظم التربوية تبعا للظروف المحلية والاقليمية والدولية المستمرة . ولكن المحاولات قائمة على قدم وساق للاتفاق على الاصطلاحات التربوية والمسميات بل وحتى تطوير بعض التجارب التربوية التي قد تناسب ثقافات متعددة واحوالا اقتصادية معينة وعادات واهدافا موحدة .

ان دراسة التربية المقارنة تعني دراسة العوامل التي تسبب التشابه والاختلاف وتساعد الوصول الى الحلول السليمة لبعض المشكلات . ويحاول قسم من المرين في بعض الدول النامية تحويل بعض التجارب التربوية للدول

المتقدمة او اقتباسها برمتها ومثل هذا الامر ينبغي ان ننظر اليه بعين الحذر.
لاختلاف الظروف اختلافا لا يكفي معه طموح الدول النامية كي تتوفر لها
النجاح .

ومن الضروري وقبل ان يعرف المرء معنى التربية المقارنة ان يدرس
معنى التربية بصورة عامة واهداف التربية وفلسفتها بصورة خاصة في ذلك
البلد الذي يريد دراسته او مقارنته ، حيث ان لكل بلد افكاره ونظراته
الاجابية والسلبية وتفهمه وطريقته في التعبير عن احزانه وافراحه . ان
احدى وظائف التربية هي المحافظة على التراث الثقافي واستمراريته ، والذي
يريد الفرد من جهازه التعليمي هو ان يكون مشتقا من فلسفته التربوية .
ويرى قسم من رجال التربية بأن المدرسة تعتبر المؤسسة الاجتماعية الوحيدة
التي تغير المجتمع وطرائقه واساليبه . ويرى القسم الآخر بأن المدرسة
تتاج من نتائج المجتمع ، فعلى المدرسة ان تنتهج النهج الذي يريده افراد
المجتمع ، ففي فرنسا مثلا يهدف رجال التربية الى خلق المواطن المفكر
Individual Thinker والطبقة الطليعية القائدة Elite

وفي الولايات المتحدة يهتم المشرفون على العملية التربوية
بالمواطنين جميعا وليس الاقتصار على فئة دون اخرى . وفي الاتحاد السوفيتي
تري الدولة وجوب الاهتمام بالافراد ما دامت التربية ذات قيمة للدولة . وفي
انكلترا يستهدف المنهج النواحي الاكاديمية الصرفة . وفي معظم الدول
النامية تبغي التربية اعداد المواطن الصالح وايجاد المهنة المناسبة للافراد
لسد الرمق .

وعلى هذا فان دراسة ظروف البلد الاقتصادية والاجتماعية والعوامل
الدينية والسياسية وغيرها شرط اساسي لمعرفة النظام التربوي معرفسنة
تحليلية حقة ، حيث يتوقف مستقبل القطر على مدى ونوعية التربية فسي
ذلك البلد . وكل قطر في العالم مهما بدا بدائيا له جهاز تعليمي خاص
به . انها لذة ومثمة تساور الانسان عند دراسته لثقافة وتربية الاقطار
الاجرى . لقد قال المرابي الانكليزي مايكل سادلر مرة عام ١٩٠٠ بأن

الاشياء التي تلعب دورها خارج المدرسة اكثر من تلك العوامل او الاشياء التي تلعب دورها داخل المدرسة⁽¹⁾ . ان النظام التعليمي يعكس آلام البلد وآماله ويركز على النقاط المهمة التي تحتاجها الامة ويعكس احيانا ضعف الامة واندحارها . فإذا اراد المرء ان يدرس طرق المقارنة في التربية فعليه ان يسير غور حياة الآخرين وان يفهم اوضاعهم الاجتماعية .

وكطريقة في البحث التربوي ، فإن التربية المقارنة تعني بتحليل ومقارنة العوامل التي تسبب الاختلاف والتشابه بين الانظمة التعليمية⁽²⁾ . فالتربية المقارنة كما يوحي اسمها تعني مقارنة التربية في مجتمعات وامم متعددة . وقد جرت في القرن التاسع عشر عدة دراسات ومقارنات بين النظم التعليمية في بريطانيا وفرنسا والمانيا . وفي مطلع القرن العشرين كانت المقارنات تعقد بين اليابان والصين . وفي الوقت الحاضر تجري المقارنات بين نظم الاتحاد السوفيتي التربوية والولايات المتحدة . وربما يهتم رجال التربية المقارنة في المستقبل بدراسة ومقارنة نظم التعليم في الدول الافريقية والاسيوية النامية ، وفي مجموعة اقطار الكتلة الشيوعية . او في الاقطار النامية الاسيوية والافريقية من جهة وقطر او اكثر من دول المعسكر الشيوعي من جهة أخرى .

لقد شجعت الحرب الباردة بين اسسكرين الغربي والشرقي كثيرا من المرين لان يقارنوا ويدرسوا الفروق التربوية بين البلدين . ومن هذه الدراسات تلك التي اجراها الكاتب الامريكاني ارثر تريس في كتابه الموسوم

(1) Michel E. Sadler, *How Far Can We Learn Anything of Practical Value from The Study of Foreign Systems of Education* Guildford Surrey ' England : Surrey Advertiser Office, 1900 .

(2) Isaac. L. Kandel, *The New Era in Education : A Comparative Study* (Boston: Houghton Mifflin, 1955), p. 8

(ماذا يعرف ايفان وما لا يعرفه جوني)⁽³⁾ ، حيث يقارن المؤلف بين المناهج والكتب في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة (ولقد رمز المؤلف باسم ايفان للدلالة على الاتحاد السوفيتي واسم جوني للدلالة على الولايات المتحدة) وهو يذكر ان مناهج الرياضيات في الاتحاد السوفيتي تفوق مثيلاتها في الولايات المتحدة وان اعداد الطلاب السوفيتي وتأهيله تأهيلاً قيادياً في العالم هو نوع من الاعداد المتفوق . ومن الكتب في التربية المقارنة كذلك الكتاب الموسوم (بتعليم الاقليات اللغوية في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) لمؤلفه ديكسي لي هاريس⁽⁴⁾ والذي يقارن فيه طريقة الاتحاد السوفيتي في الحفاظ على ثقافات الاقليات في بعض جمهورياته وكذلك افساح المجال لطلاب تلك الاقليات في مختلف فرص التعليم بطريقة الولايات المتحدة بالنسبة الى ابناء الهنود الحمر وقبائل الاسكيمو وغيرهم من الاقليات الذين لا تكافأ الفرص المتاحة لهم مع ما هو متاح لغيرهم من الاوربيين .

ومن نتائج الحرب الباردة ايضا ظهور كتب في التربية المقارنة تبحث الفروق والاختلافات بين النظم التعليمية في بعض البلدان الاوربية والاتحاد السوفيتي . ومن هذه الكتب ذلك الذي ألف من قبل نائب القائد العام للاسطول الامريكي السيد هايمن . ح . ريكوفر والذي يقارن فيه بين التربية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي⁽⁵⁾ وسويسرة⁽⁶⁾

(3) Arthur. S. Trace, *What Evan Knows That Johnny Doesn't*, (New york, Random House, 1961).

(4) Dixie Lee Harris, "Education of Linguistic Minorities in the United States and the U.S.S.R", *Comparative Education Review*, Vol. 6., No. 3, February 1963. P. 191.

(5) Hyman. G. Rickover, *Education And Freedom* (New york, E. P. Dutton And Co., Inc, 1960).

(6) Hyman. G. Rickover, *Swiss Schools And Ours : Why Theirs Are Better* (Washington, D. C., U. S.Council For Basic Education, 1962).

وبريطانيا⁽⁷⁾ حيث ينتقد بشدة طريقة التربية والمناهج في الولايات المتحدة • هذا ولا بد من ان نشير هنا الى ما نجده احيانا من بعض المقارنات السطحية التي تتناول عدد طلاب المدارس في بلدين أو أكثر أو في مرحلة دراسية معينة وعدد الساعات اليومية التي يقضيها الطالب في المدرسة والاثاث المدرسية • ان طبيعة هذه المقارنة السطحية او غير التحليلية التي يقدمها اصحابها بدون شروح او تعليقات عليها قد حدت بالمربي الشهير جيمس كونانت ان يعلق على طبيعة المقارنات هذه بقوله (ان وضع أسئلة حول اختيار وتدريب الاطباء والمحامين والمعلمين في اقطار مختلفة لا يبدو شيئا مهما لدراسة التربية المقارنة • ان السؤال الذي يمكن طرحه دائما هو فيما اذا كانت التربية في اوربا أحسن من التربية في الولايات المتحدة فهو كمن يسأل عالم التشريح فيما اذا كان الحوت أحسن اللبائن أم الفيل • ان عالم التشريح يجب ان يكتشف أوجه الشبه والاختلاف في اعضاء الحيوان والنبات والتي لها نفس الوظائف • ان عالم التشريح حذر جدا في اعطاء الخواص او الصفات في صنف معين واحد ولنفس الغرض والوظيفة لصنف آخر •⁽⁸⁾

الهدف من دراسة التربية المقارنة

ان لكل مادة دراسية فوائدها التربوية ، فكذلك هناك قواعد للتربية المقارنة •

١ - ان اول تلك الفوائد هي تعويد الفرد على بحث المواضيع بطريقة

(7) Hyman. G. Rickover, *Education For All Children, What We Can Learn From England.* (Hearing Before The Committee Appropriations House of Representatives, 87 Congress, 2nd Session) Washington, D. C; U.S. Government Printing Office, 1962.

(8) James. B. Conant, "Education In The Western World," *Atlantic Monthly* November, 1957.

علمية وبشكل موضوعي . حيث ان قسما من البشر يبالغ في اثبات صحة نظامه التعليمي وفوائده ويبخس على الاخرين انظمتهم التربوية وخدمتها لمجموع الشعب . فأن الباحث في التربية المقارنة يهدف الى دراسة الانظمة التعليمية محاولا فهمها وفهم العوامل التي ساعدت على تكوين الجهاز التربوي وعلى تحديد الاهداف التي تبغى الانظمة التعليمية تحقيقها او التوصل اليها . فقد تقرر دروس ضرورة لمجتمع معين مثل تدريس سوق السيارات في بلد مثل الولايات المتحدة ولا تعتبر ضرورية في بلد آخر مثل اليونان .

٢ - وهناك نقطة اساسية لها علاقة بالفقرة الاولى وهي ان الباحث التربوي يجب ان يتخذ من النقد والنقد الذاتي طريقا له للوصول الى الحقائق ، حيث ان باحث التربية المقارنة يجب ان يتحلى بالروح العلمية وان يتجنب المغالاة وان ينقد نظامه التربوي بروح موضوعية عند مقارنته بنظام آخر محاولا ان يجد أحسن الحلول للمشاكل التربوية وان يساعد في تكييف اجهزته التعليمية وتطويرها .

٣ - ان التربية المقارنة تفرس في الانسان حب الدراسة والتعلم والتعرف على ثقافة الدول والمجتمعات الاخرى ، فمقارنة انظم بعضها البعض الاخر يستلزم دراسة القيم الاخلاقية والاجتماعية والتقليد والاعراف والامزجة وحتى المناخ الجغرافي وغيرها . ولاشك في أن دراسة هذه الامور تزود الانسان بثروة علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها . بالاضافة الى جمع الاحصاءات ودراساتها .

٤ - ان هناك هدفا اسمى لدراسة التربية المقارنة ، وهو ايجاد الحلول والمواصفات لمشاكل تربوية معينة وعلى مستوى دولي شريطة ان تتشابه الظروف . وبالرغم من ان حلول المشاكل التربوية والقيام بالاصلاحات التربوية تستلزم شروطا مناخية واجتماعية معينة لنقلها من بلد الى آخر وانها ليست بالوصفة الطبية التي توصف لكل الناس والمجتمعات فان هناك محاولات قائمة بين المربين لايجاد بعض القواعد العامة ونوع من الاهداف التربوية

«الشاملة التي تؤدي إلى تعاون الأجهزة التعليمية في الأقطار للوصول إلى
«أهداف مشتركة».

٥ - إن الغاية من طريقة المقارنة في التربية ليست دراسة النظام
«التعليمية وحدها بل دراسة الظروف والعوامل التي ساعدت على نشوء النظام
«التعليمي أو بالأحرى دراسة الفلسفة التربوية للمجتمع وما التربية والمدارس
روا الأنظمة التعليمية الا مؤسسات اجتماعية ووسائل لتنفيذ الفلسفة الاجتماعية
«للبلد» وعلى هذا فإن روح الدراسة المقارنة هي التوصل إلى معرفة فلسفة
«التربية لمجتمع ما ومعرفة الأسباب التي جعلت الظواهر التربوية فيه على
«ما هي عليه».

٦ - إن إحدى غايات التربية المقارنة هي معرفة أوجه التشابه والاختلاف
«بين النظم التعليمية ومعرفة العوامل التي تكمن وراء هذا التشابه وذلك
«الاختلاف وبالأخير معرفة أسباب نجاح وفشل كل المحاولات الإصلاحية في
«التربية».

٧ - إن دراسة أنظمة الدول والأقطار الأخرى تجعل الباحث نفسي
«التربية المقارنة يدرس نظامه التعليمي ويحاول أن يتجنب المشاكل والعثرات
«التي جابهت أنظمة الغير» كما تساعدنا التربية المقارنة على دراسة نواحي
«الضعف والقوة في المراحل الدراسية وكذلك على تفهم الإصلاحات التي
«يجب تطبيقها لتحسين نظام تربوي معين».

٨ - ولابد من ذكر أهمية أخرى للتربية المقارنة، وهي دراسة كيفية
«سير العملية التربوية» وقد ذكر المربي المعروف براين هولمز نفس المعنى
«في إحدى محاضراته حينما قال بأن هناك هدفين للتربية المقارنة: أولهما أن
«التربية المقارنة تعلمنا دراسة كيفية سير العملية التربوية» وثانيهما انارة
«الطريق للإصلاحات التربوية»^(٩).

(9) Brian Holmes, "The Problem Approach In Comparative
Education: Some Methodological Considerations," *Comparative
Education Review*, Vol. II, No. 1, June 1958, P. 3.

وسائل التربية المقارنة

قبل التطرق الى وسائل التربية المقارنة يجدر بنا كتابة بعض التعاريف التي تلقي ضوءا على طرق ووسائل التربية المقارنة . لقد ذكر موهلمن ان التربية المقارنة تعني الفحص الاصولي للثقافات وخاصة الاجهزة التعليمية والكشف عن اوجه الاختلاف والتشابه بين هذه الانظمة⁽¹⁰⁾ . وقد اضاف فيرون مالنسن عبارة اخرى على التعريف السابق عندما قال (ان رجل التربية المقارنة يبحث الاسباب التي ادت الى هذا التشابه وذلك الاختلاف ولماذا استعملت حلول مختلفة وبأي النتائج بالنسبة الى المشاكل التي هي عامة الى عدة ثقافات وعدة اجهزة تعليمية⁽¹¹⁾)

ومن هذا يبدو بأن معظم كتاب التربية المقارنة يؤكدون ضرورة التطرق الى الثقافات والاجهزة الثقافية والتعليمية الاخرى . فرائد التربية المقارنة المعروف كاندل أكد هذا المعنى حينما قال بأن التربية المقارنة هي الخبرة المتواضعة في فهم القوى والعوامل الخارجية وكذلك معرفة الاجهزة التعليمية في الاقطار الاخرى .⁽¹²⁾

وكأسلوب ايضا (بالاضافة الى اسلوب التعرف على الثقافات والاجهزة التعليمية الاخرى) يجب على باحث التربية المقارنة ان يجمع المعلومات والبيانات حول النقاط التي يراد البحث عنها . وعند ذكر البيانات والمعلومات ، لا بد للباحث من ان يسير نحو الامور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها . ولاشك ان معرفة هذه الامور ليست بالامر البسيط ، فهو يحتاج الى وقت وصبر طويلين .

(10) A.M. Moehlman and J.S. Roucek. *Comparative Education* (New York: The Dryden Press, 1952), P.3

(11) Vernon Mallinson, *An Introduction To The Study Of Comparative Education* (New York: MacMillan, 1960), P.

(12) I. Kandel, *op, cit*; P.9.

وعند ذكر اساليب وطرق التربية المقارنة يجب ان ندون ايضا صنفين آخرين من تلك الاساليب :

أ - اسلوب الدراسة القائم على اساس المناطق • Area Study

ب - اسلوب الدراسة القائم على اساس حل المشاكل • Problem Solving

أما عن النقطة الاولى فيعلق المربي براين هولمز بأن دراسة المناطق تعني دراسة الظروف والقيم الاجتماعية والمعاهد والمؤسسات والمناخ وتوزيع السكان ومصادر الثروة •

ان المهم في اتخاذ هذا الاسلوب (اسلوب دراسة المناطق) هو الانسجام النفسي والعاطفي عند الكتابة عن ثقافة ما •

أما اتباع الاسلوب الثاني (حل المشاكل) فيتطلب دراسة الاطار الثقافي العام وان يسبقها دراسة المناطق حتى يمكن الوصول الى الخطوة الثانية • وقد وضع المربي الشهير ادموند كنج هذه الناحية عندما ذكر بأن المدلولات والاصطلاحات التربوية لا يمكن فهمها الا ضمن الاطار الثقافي العام للقطر ، حيث ان لكل بلد تسمياته الخاص التي تدل على مضامين تربوية او تعليمية معينة ، فالاصطلاح الواحد يعني معاني مختلفة لثقافتين مختلفتين • (13) وسندرج اسماء بعض المواضيع التي يمكن ان يبحث بها الفرد على طريقة حل المشاكل • ومن هذه المواضيع :

- ١ - معنى القومية •
- ٢ - علاقة التربية بالقومية •
- ٣ - علاقة الفرد بالمجتمع والدولة •
- ٤ - معنى الحرية في التربية •
- ٥ - من المسؤول عن تربية الطفل •

(13) Edmond King, "Students, Teachers and Researchers In Compative Education," *Comparative Education Review*; Vol. III, No. 1, June, 1959, pp. 34-36.

- ٦ - مدة التعليم قبل المدرسة *
- ٧ - كيف يتم اعداد المعلمين ؟ وما هي منزلتهم ؟
- ٨ - نوع المنهج لكل مرحلة *
- ٩ - من يضع المناهج *
- ١٠ - المركزية واللامركزية في التعليم *
- ١١ - ما هي العناصر الاساسية في الجهاز التعليمي *
- ١٢ - التعليم الاهلي والتعليم الاجنبي *
- ١٣ - ما مدة التعليم الابتدائي او الثانوي *
- ١٤ - ما معنى الثقافة *
- ١٥ - ما معنى تكافؤ الفرص التعليمية *
- ١٦ - ما التقييم التربوي ، وما هو دور الامتحانات المدرسية في عملية التقييم *

وهناك اسلوب آخر ، غير الذي ذكر اعلاه عند بحث التربية المقارنة . وهذه الطريقة هي :

ج - اسلوب دراسة القضية Case Study ويمكن سـلوك هذا الاسلوب اما عن طريق دراسة المناطق او حل المشاكل او بطريقة مستقلة * وتستعمل هذه الطريقة عند كتابة تاريخ حياة الاشخاص او التلاميذ او ترجمة سير حياة الكتاب انفسهم او عن الكتابة عن قسم من الاشخاص الذين يدرسون في بلدان خارج بلدانهم * وعندئذ يدرس هؤلاء الطلبة دراسة وافية فيما يخص تاريخ حياتهم وصفاتهم الثقافية والتاريخية والاجتماعية وغيرها * ويستحسن اخذ المعلومات ودراسة سير الاشخاص من عدة مصادر وافراد لتكون هناك صورة حقيقية واضحة للنظام التربوي الذي يمثلها الشخص * ويمكن الاستفادة من استعمال طريقة المناطق عند دراسة الاشخاص وسيرهم^(١٤)

(14) R. E. Belding, "Teaching By Case Method In Comparative Education," *Comparative Education Review*, Vol. II, No.1, June, 1958, pp. 31-32.

د - وهناك طريقة اخرى لدراسة التربية المقارنة وتسمى احيانا

بالطريقة السياسية او طريقة المقال Political or Editorial Approach وقد سميت بهذه التسمية بالنظر للطريقة التي يكتب فيها الكاتب بحثه ، حيث يعتمد على مصادر سياسية غايتها الدعاية السياسية للنظام التعليمي وعدم مراعاة الموضوعية والدقة في المعلومات . وتتوفر مثل هذه المعلومات غالبا عند رجال الحكم والمسؤولين في وزارات التربية والمدققين الثقافيين في السفارات . ويشك قسم من الباحثين في التربية المقارنة بأهمية وقيمة هذا النوع من الكتابات .

بعض الصعوبات في الطريقة المقارنة :

هناك صعوبات كثيرة تصادف الباحث في التربية المقارنة حيث يحتاج الى معرفة الاحوال والعوامل التاريخية والثقافية والسياسية والجغرافية وغيرها قبل دراسة النظم التعليمية ، ولا يغرب عن بال القاريء صعوبة المهمة الملقاة على عاتق الباحث . وهناك قسم آخر من الصعوبات اود ذكرها وهي كما يلي :

١ - ان اولى المشاكل التي يواجهها الباحث هي معرفته بالفترة التي تبدأ فيها التربية في قطر معين وأين تنتهي ومن الواضح - كما قدمنا - بأن دراسة ثقافة وتقاليد الناس من المستلزمات الاساسية للدخول في موضوع البحث لان ذلك يعني الالمام بالجهاز التعليمي ووظيفته ضمن الاطار الثقافي العام للقطر .

٢ - ان العقبة الثانية التي يواجهها الكاتب في التربية المقارنة هي تقرير وظيفة المدرسة الاجتماعية للقطر ويعني هذا الدور الذي تلعبه المدرسة في اعداد المواطن . ان معرفة دور المدرسة وادوار المؤسسات الاجتماعية الاخرى كالعائلة والمؤسسات الدينية والاجتماعية ليس بالامر السهل اليسير .

٣ - ويقتضي ايضا معرفة الاسس التاريخية والتطور التاريخي

للنظام التعليمي - ان دراسة تاريخ التربية في أي بلد لا امر صعب بالنظر لعدم توفر المصادر احيانا وعدم وجود المصادر الاساسية الحيادية احيانا أخرى .

٤ - وعلى الباحث في التربية المقارنة معرفة ثقافة البلد بما في هذا المفهوم من شمول وعمق من النواحي التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها وعلى الاخص معرفة الحد الفاصل بين تطور التربية وتطور بقية عناصر الثقافة الاخرى ، فالتربية جزء من الحياة الثقافية وجزء من الحياة الاجتماعية . وعلى الباحث ان يدرس الاطار الثقافي العام وكذلك تاريخ علم الاجناس .

٥ - بالرغم من محاولات المربي ان يسلك طرقا نظرية وعملية وان يكون موضوعيا في اتجاهه ودراسته فانه سوف يصادف صعوبات كثيرة عند تحليله للامور فيساوره الشك في قيمة بحثه وعلميته ، ان احدى الشكوك

تدور حول معاني الكلمات ومدلولاتها Semantics

حيث ان الكلمات تعطي معاني كثيرة وفي ثقافات متعددة ، ومثال ذلك أن كلا من الاتحاد السوفياتي وامريكا تاديان بديمقراطية التعليم ولكن مفهوم الديمقراطية يختلف في كل من البلدين .

ان المشكلة الاخرى التي يصادفها الباحث هي عدم القدرة على التنبؤ بالتائج بالنسبة للفرضيات التي فرضها قبل وصوله الى النتائج ، حيث يقتضي البحث العلمي عادة ان يفرض الكاتب بعض الفرضيات وان يستعمل وسائل او وسائل معينة للوصول الى نتيجة معينة كأصلاح مشكلة تعليمية او غيرها من الامور . ولاشك ان الصعوبة المتأتية من ذلك هو ان النتائج المتوقعة في المواضيع الانسانية كالتربية والتاريخ وعلم الاقتصاد وغيرها صعبة عسيرة وهي تغاير التنبؤات في المواضيع العلمية حيث يستطيع الباحث الضبط او السيطرة التامة على العوامل وهناك اسباب اخرى سندونها والتي تدعو الى عدم التنبؤ الصحيح في التربية المقارنة .

١ - إن الصعوبة متأنية من عدم وجود مقاييس مضبوطة على المستوى الدولي لمعرفة مردود السياسة التعليمية .

٢ - إن معظم الاهداف التربوية ذاتية وليست موضوعية ولا نعلم فيما بالذات كانت السياسة التعليمية في أي بلد قد تجعل الناس سعداء أو متكيفين أم لا .

٣ - من الصعب وضع او قياس صحة الفرضيات التعليمية لان لمقاييس الفرضيات التي توضع في بلد ما قد لا تأتي بنتائج أكيدة ومماثلة لبلد آخر .

٤ - من المحتمل الحصول على نتائج مغايرة لما هو متوقع حتى لو حاولنا ضبط الفرضيات وضبط الوسائل والطرق .

ان النقطه الثالثه والرابعه الواردة اعلاه تدعونا الى الايمان بصعوبة

مفكرة التصدير الثقافي

لان كل ثقافة وحدة متكاملة ومختير للحياة افرادها ولكل ثقافة طرقها واساليب تفكيرها وانماط حياتها ، ووجهة نظرها في الحياة ، فقد يستعمل البرود في بلد لاغراض سليمة مقلع الجبال لتعبيد الطرق والمسالك والاحتفالات في الاعياد القومية ، بينما يستعمل لاغراض حربية في بلدان أخرى .

وختاما فان موضوع التربية المقارنة من المواضيع الحيوية التي يمكن الاستفادة منها في معرفة ثقافات الامم واتجاهاتها وكذلك معرفة الاجهزة والانظمة التربوية والتعليمية واسباب اختلافها وتشابهها وما هي الطرق لاصلاحها ، حتى نصل الى نتائج تربوية ايجابية تخدم اغراض المجتمع واهدافه .

الدكتور عبدالامير الوكيل
كلية الآداب - قسم التربية وعلم النفس

مقبّل الأشراف التربوي في العراق

الدكتور عبد الرحمن الحسون
استاذ مساعد في التربية

ليس الاشراف التربوي بالجديد على الانظمة التربوية المعاصرة . فقد وضع العرب مسؤولية جانب من الاشراف التربوي على (والي الحسبة) والحسبة نظام يرجع نشوؤه الى زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد وصف (النظام بن خلدون) في مقدمته نظام الحسبة بأنه (وظيفة من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(١) . واقد أيسد الماوردي (٣٦٤-٤٥٠ هـ) في احكامه السلطانية مسؤولية والي الحسبة في التأكد من صلاح المعلمين لهنة التعليم واخذه بالمقصر منهم حيث روى (مما يؤخذ ولاية الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع في الاسواق الثلاثة اصناف ٥٠٠ منهم المعلمون ، ذلك ان للمعلمين من الطرائق التي ينشأ الصغار عليها ما يكون ثقلهم عنها بعد الكبر عسيرا فيقر منهم من توفر علمه وحسن طريفته ويمنع من قصر وساء من التصدي لما يفسد به النفوس وتخت به الآداب)^(٢) . كما نقل النزاز من كتاب (معالم القرية في احكام الحسبة) لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي ما يشير الى ان العرب قد اشتروا في المحتسب التأكد من سن مؤدبي الصبيان (المعلمين) وخلقهم

(١) الدكتور يوسف عن الدين (ادارة ولاية بغداد في القرن التاسع عشر) مجلة الاستاذ ، المجلد ٧ لسنة ١٩٥٩ الصفحة ١٨٦ .
(٢) الماوردي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية والولايات السنية ، الطبعة الاولى مصر ١٩٦٠ ، الصفحة ٢٥٥-٢٥٦ .

وطريقة تدريسهم واسلوب معاملتهم للصبيان الذين يعلمونهم^(٣) . ولقرون عديدة بقي الاشراف التربوي قاصرا على التأكد وبأسلوب تفتيشي من قيام المعلمين بالتعليم الذي يحتاجه المجتمع ودون خروج عن ادايه وتقاليده . وفي اوربا شهدت احدى مدارس زوريخ عام ١١٦٩م اول زيارة تفتيش تربوي قام بها أحد الكهنة من رجال الدين ليتأكد من حسن صفات المعلمين ومدى انسجامها مع اهداف الكنيسة وآرائها وهو أمر لا يختلف كثيرا عما كانت تجريه المحاكم العامة الاميركية في القرن السابع عشر من مراقبة المعلمين للتأكد من صفات معينة فيهم^(٤) . ولم تنحصر مهمة الاشراف التربوي بالتفتيش عن مواصفات معينة في المعلمين بل وجدناه في بعض الاقطار الاسلامية ينصرف الى معاقبة المعلمين الذين يتكبرون عن القيام بواجباتهم بالصورة التي تناسب القيم التربوية الشائعة آنذاك فقد شرح الاهواني عددا من آراء علماء المسلمين في من قصر من المعلمين بحق طلبته في التعليم الجيد . فقد اجمعت تلك الآراء على ان (مثل هذا المعلم لا يستأهل الالتزام بل يستأهل اللوم والتعنيف والغلظة والتأنيب من الامام العدل)^(٥) واغلب الظن ان المقصود بالامام العدل هنا هو والي الحسبة .

هذا المفهوم الضيق للاشراف التربوي والذي كان يسمى بحقوق (تفتيشا) هو ما توارثناه في بلادنا خلال عهود التخلف والاستغلال والاستعمار . فقد كان يتجه الى تتبع زلات المعلمين واحراجهم بابراز نواحي ضعفهم في مادتهم العلمية أو في طريقتهم في التدريس ، وكذلك بابراز ضعف أثرهم في بعض التلاميذ المتأخرين دراسيا . وكان المفتش يراجع دفاتر اعداد الدروس وكراسات التلاميذ باحثا عن هفوة املائية .

-
- (٣) حكمت عبدالله البزاز ، تقييم التفتيش الابتدائي في العراق (رسالة ماجستير) ، جامعة بغداد ١٩٦٨ ص ، ٧٦ .
(٤) البزاز ، نفس المصدر ، ص ٧٦ .
(٥) الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، التعليم في رأي القابسيين ، القاهرة ١٩٤٥ ص ٣٢٦ .

أو نخوية أفلتت من المعلم ، ونحو ذلك مما جعل المفتش يبدو شرطياً أكثر منه تربوياً . وخلال السنوات الثلاثين الماضية تعرضت عملية التفتيش في أقطار عديدة إلى تغيرات جذرية نتيجة لعوامل حضارية كثيرة . فالمجتمعات المعاصرة تسم بالاهتمامات الشديدة بايديولوجياتها وقيمتها وأهدافها ومثلها العليا ، وكذلك بأهتمامها بأختيار أفضل الأساليب التي تشد مواطنيها شداً عقلياً وثقافياً وسلوكياً إلى فلسفاتها والسياسات الناجمة عنها الأمر الذي وضع النظم التربوية والتعليمية أمام تحديات ومسؤوليات تربوية خطيرة . ولذلك وجدنا التفتيش وهو جانب هام في العمل التربوي يخرج عن الضيق والجمود في مفاهيمه وأهدافه وأساليبه . فلم يعد الغرض من التفتيش المراقبة التلصصية للمعلمين أو التأكد من هوياتهم وصفات معينة فيهم ومعاينة من يعتبر مقصراً منهم بل أصبح التفتيش عملاً فنياً تربوياً تعاونياً مسؤولاً بالدرجة الأولى عن تقييم وتطوير العملية التربوية كلها في إطار فلسفة تربوية اجتماعية نامية . هذه المسؤولية في التفتيش جعلت الأساس فيه قدرته على التوجيه والإشراف والقيادة وبذلك استحق أن يدعى (إشرافاً تربوياً) واتسعت مجالاته وأهتماماته لتشمل أموراً كثيرة في العملية التربوية التعليمية منها وأهمها في رأينا :

١ - مساعدة المعلم وتشجيعه على النظر في مناهج وكتب المواد التي يدرسها وفي الطرق والأساليب التي يستعملها في التدريس نظرة تحليلية وبنقدية بناءً في ضوء الأهداف التربوية السلوكية والعامية وفي ضوء الإمكانيات المتوفرة .

٢ - تغذية المعلم بأستمرار بأحدث ما يستجد في الحقول التربوية والسيكولوجية النظرية منها والعملية مما يهم المعلم ويفيده فيجعله أقدر على فهم ميزات وخصائص نمو طلبته وحاجاتهم وعلى مواجهة مشكلاتهم .

٣ - إثارة الحماس الموجه والتفاؤل والأخلاص بين المعلمين والمدراء والطلبة والمعاونين ليضعوا أقصى ما تسمح به قدراتهم وطاقتهم من العطاء لتحقيق الأهداف التربوية السامية .

٤ - تبيين وتقييم دور المدرسة في المجتمع وتوجيه العاملين فيها نحو ادراك اعمق لاهداف المدرسة التربوية والاجتماعية ونحو الاستثمار الجيد للمجتمع من الموارد والمصادر البشرية والمادية والمعنوية بشكل يساعد المدرسة على النجاح في اداء رسالتها .

وفي بلادنا صارت تسمية (التفتيش) تقترن بنوع من الاشمئزاز وجاءت مقررات الحلقة الدراسية لتخطيط السياسة التربوية ١٩٧٠ مرادة لمرات عديدة تسمية (الاشراف التربوي) وبالمفاهيم والمضامين الحديثة^(٦) . ولا تخلو اجتماعات ومؤتمرات المشرفين الدورية وكذلك زياراتهم لزملائهم المعلمين والاداريين من التعبير عن اهتماماتهم بالمناهج والكتب وبقية الوسائل المعنية على التدريس الناجح .

ويبدو لنا ان الاشراف التربوي في العراق سيتجه خلال السنوات القادمة نحو التأكيد على المحتوى التربوي الاجتماعي في تطوير العملية التربوية التعليمية كما ستوسع مجالاته واهتماماته لتشمل نشاطات تربوية واجتماعية اوسع في حدود الاهتمامات التي ذكرناها آنفا وكثير غيرها . وفي التأكيد على المحتوى التربوي للاشراف سيرز كثيرا العامل الانساني في العلاقات بين القائمين على الاشراف وبين العاملين في التعليم ذلك ان الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للمشرفين الذين اتسبوا الى الاشراف التربوي خلال السنوات العشر الماضية وكذلك اعدادهم المهني هي في رأينا تكون اسبابا لتخليص الاشراف التربوي مما علق فيه من مظاهر التعالي والتسلط والجفوة والكبرياء . لا بد أن تكون للماضي رواسب ، وتتوقع أن تتردد من وقت الى آخر شكايات متصلة بالاشراف ، ولكننا نتوقع أن يكون ذلك محدودا ، وأن يتناول نواحي يمكن تشخيصها وعلاجها . وهكذا نتوقع - في ضوء ظروفنا وما يجري حاليا - مزيدا من التطور

(٦) المجلس الاعلى للتخطيط التربوي ، مقررات الحلقة الدراسية لتخطيط السياسة التربوية ١٩٧٠ ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، بغداد .

ومزيداً من الوعي المهني بشكل ينعكس على عملية الاشراف التربوي- وي
ويهيئ لها اطراد النجاح • ليس من شك في ان نجاح الاشراف التربوي
يحتاج كثيراً الى ان يسود الود والتعاون والثقة والاحترام المتبادل والصفاء
والاخوة بين المشرفين وزملائهم المعلمين والاداريين • كما ان الاتجاه
الذي يتزايد في الوقت الحاضر نحو التأكيد على ضرورة جعل العمل
التربوي اداة فعالة في التغيير الاجتماعي سترك أمام الاشراف التربوي في
العراق مسؤوليات وآثاراً جسيمة^(٧).

أما اساليب الاشراف التربوي فقد توفر لنا منها خلال السنوات الثلاثين
الماضية نماذج كثيرة • ورغم ان زيارة المشرف القصيرة للمعلم وتقديمه
التقرير الذي يكون في الغالب عديم الجدوى في تطوير كفاءة المعلم المهنية
بقينا أثبت تلك الاساليب وأكثرها شيوعاً فان اشكالا أخرى وجدت
طريقها الى الاشراف التربوي منها الدروس النموذجية والدورات التربوية
القصيرة والفرق التوجيهية وبعض المقالات والمطبوعات الى جانب القليل
من الاجتماعات والمؤتمرات التربوية • وفي المستقبل سيشهد الاشراف
التربوي في العراق دفعا شديداً لتماس مباشر في تطويره لمختلف جوانب
العملية التربوية التعليمية • وفي ذلك ستزداد وسائل الاعلام التربوي
والاتصال بين المعلم وبين ما يستجد في العلم والمعرفة ونظريات التربية وعلم
النفس وتطبيقاتها التعليمية • فان الاهتمام الجديد بالتلفزيون التربوي
سيؤدي حتماً الى استعماله كأداة فعالة في تحسين العملية التربوية • وسيظهر
الى الوجود التربوي (تثقيف المعلمين بالمراسلة) لتطوير كفاءات أكبر
عدد ممكن من المعلمين والمعلمات في مختلف ارجاء الجمهورية العراقية^(٨).

(٧) للمزيد من الاطلاع على تفاصيل هذا الاتجاه يستطيع القارئ ان
يراجع (كتاب المؤتمر الاول للتعليم الجامعي في العراق) المنعقد في بغداد
في ١٤-١٨-٥-٩٧١

(٨) تولى الجامعة المستنصرية هذا المشروع في الوقت الحاضر عناية
خاصة •

كما سيظهر المشغل التربوي كوسيلة اشرافية وستزداد الندوات والمؤتمرات والحلقات التربوية التعليمية وستكثر المطبوعات التي تعالج الكثير من الموضوعات التي تهتم التربية والتعليم .

وسيزداد اهتمام نقابة المعلمين بتسمية الكفاءات المهنية لتتسببها وبالاشراف على دراسات عميقة تعالج مشكلات خاصة في التربية والتعليم . وفي اعتقادنا ان رغبة المعلمين في ان يكون المشرف التربوي ذا المام واسع في مادة أو أكثر من المواد الدراسية وانتماء ألوان مختلفة في الكفاءات مقرونة بالشهادات العالية الى الاشراف التربوي في السنوات الاخيرة ستجعل الاشراف يتجه نحو التخصص في المواد . وسيكون التخصص في الاشراف واسعا باديء الامر ثم يضيق تدريجيا أي سيكون هناك مشرف للمواد الاجتماعية وآخر للغات وثالث للمواد العلمية وهكذا كما سيتخصص آخرون في المناهج والكتب والوسائل التعليمية الأخرى . ومع ظهور هذا الاتجاه في الاشراف التربوي ستقوم الحاجة الى اسلوب جديد بين اساليبه سبقتنا اليه دول عربية واجنبية وهو اسلوب (المعلم الاول) حيث يكلف أكفأ المعلمين بمهمة الاشراف التربوي في مدرسته او مدارس مجاورة اضافة الى قيامه بالتدريس لساعات قليلة . واجل النزعة الجديدة التي بدت في تخطيطنا التربوي وهي تشكيل وحدة للاشراف التربوي في مديرية تربية كل محافظة في القطر تعتبر خطوة باتجاه الدعوة الى اساليب جديدة في الاشراف التربوي تفتت فيه حدود افاق الضيقة ومركزية الخاتمة . ومن ناحية أخرى فإنه من المؤمل ان يؤدي تكوين وحدة اشرافية في كل مديرية الى رفع مستوى الاشراف والى سد الحاجة المتزايدة الى المشرفين في مختلف ارجاء القطر والى تصحيح سوء توزيعهم فيها . اذ مع ان عدد المشرفين قد تضاعف بصورة تثير الدهشة خلال العشرين سنة الماضية حتى

(٩) مقررات الحلقة الدراسية لتخطيط السياسة التربوية ٩٧٠

ص ٥٤ .

بلغ (٢٠٦) مشرف ومشرفة حوالى نهاية عام ١٩٦٩ فما زالت الحاجة ماسة الى المزيد من المشرفين والمشرفات^(١٠) * ذلك ان معدل ما يصيب المشرف الواحد هو (٢٢٨) معلما وهو عدد يعوق كثيرا نجاح عملية الاشراف التربوي وان الـ (٧٤) مشرفا ومشرفة في محافظة بغداد يقابلهم (٦) مشرفين ومشرفات فقط في ذي قار * اتنا ينبغي أن تتيح الفرصة لمزيد من اللقاءات بين المشرفين التربويين والمعلمين ، وأن تكون هذه اللقاءات من الطول بحيث تتسع لتبادل وجهات النظر في مواد الدراسة وطرق التدريس * وينبغي أن تذكر ان المشرف لن يقتصر على زيارات بدون فيها بعض الملاحظات ، ويكون بعض الأفكار ، ويصدر بعض التوصيات ، ولكنه سيكشف بعض الصعوبات أو المشكلات الميدانية العامة ، وقد يرى أن بعض هذه المشكلات ينبغي أن تخضع لدراسة علمية ، أو تطرح للمناقشة في مؤتمر أو اجتماع يعقده المعلمون * هذه غايصة من الغايات التي تبين أن عدد المشرفين التربويين لا يمكن اختصاره دون تأثير سييء في تحقيق أهداف الاشراف^(١١) * امام هذه الحاجة الى المشرفين سيدعى مديرو ومديرات المدارس الى نوع من الحزم والجدية والتوسع في ممارسة مهامهم ومسؤولياتهم في الاشراف التربوي *

أما الناحية الادارية في الاشراف التربوي فقد كان شأنها شأن ادارة النظام التربوي في البلاد بصورة عامة حيث ترددت بين مركزية ضيقة مستقرها مركز الوزارة في بغداد وبين مناطق ثلاث للقطر كله * وفي الوقت الحاضر حيث يقوى اتجاه تربوي سليم نحو مركزية في الامور الفنية ولا مركزية في الامور الادارية نجد الاشراف التربوي يتأثر بذلك

(١٠) الدكتور صبحي خليل ومحمد مصطفى يحيى ، التفتيش التربوي نظريا وعمليا ، بغداد ١٩٧٠ ص ٢٠٣

(١١) في شباط ١٩٧٢ دار في اوساط وزارة التربية ان قائمة مستعلن قريبا بتعيين (١١٣) مشرفا ومشرفة من بين المعلمين والمعلمات الذين تخرجوا في دورة للاشراف التربوي *

الاتجاه وسيحقق له في المستقبل ما رسمته له خطة السياسة التربوية الجديدة بحيث يكون في مديرية تربية كل محافظة وحدة اشرافية تستمد التوجيه والاشراف الفنى من احدى مديريات وزارة التربية كما سيخلص من الكثير من المعوقات الروتينية وتذلل مشكلاته المادية .

هذا التطور الذى اصاب الاشراف التربوي وهذه الاتجاهات التى يتجه نحوها في المستقبل هي في رأينا نتيجة طبيعية للتطورات الحضارية المادية والمعنوية التي تعرض لها مجتمعنا خلال السنوات الثلاثين الماضية ولاسيما الوعي التربوي المبارك الذي اجتاح بلادنا بعد الحرب العالمية الثانية . وفي اعتقادنا ان الاشراف التربوي قد تأثر كثيرا في ما اصاب اهدافه واساليه ومفاهيمه من التطورات بواحد من أشد العوامل تعميقا ودفعا للوعي التربوي ذلك هو الابحاث والدراسات والمقالات التربوية الاكاديمية منها والتطبيقية التي ظهرت خلال تلك الفترة . فمنذ الاربعينات تولت (مجلة المعلم الجديد) نشر طائفة جيدة من المقالات التي تناولت جوانب مختلفة من الاشراف التربوي .^(١٢) وفي ١٩٥٨ نشرت (مجلة الاستاذ) بحثنا الموسوم بـ (من مشاكل التفتيش في العراق) والسني كان اول بحث علمي ميداني وفر لجماعة من المعلمين الحرية في ابداء رأيهم في التفتيش وموقفهم منه .^(١٣) وفي نهاية عام ١٩٦٨ قدم السيد حكمت البزاز الى القسم الجامعي للتربية وعلم النفس بجامعة بغداد رسالة ماجستير بعنوان (تقييم التفتيش الابتدائي في العراق) . وفي ١٩٧٠ صدر كتاب الدكتور صبحي خليل ومحمد مصطفى الموسوم بـ (التفتيش التربوي نظريا وعمليا) ولقد صاحب ظهور هذه البحوث والمقالات ان زاد اهتمام المؤسسات التربوية وبصورة خاصة وزارة التربية ومعاهد المعلمين ودورها وكلية التربية بجامعة بغداد والجامعة المستنصرية بالاشراف التربوي . فوزارة التربية ما فتئت تعد وتنظم دورات اشرافية خاصة وقسم

(١٢) مثال ذلك مقالات الدكتورة والسادة محمد ناصر وداود القصير ومحمد حسين آل ياسين ونعيم صرافة وحسن احمد السلطان ومجيد دمعنة ومحمود الجومرد ومحمد مصطفى ومحمود خالد الطائي وغيرهم .

(١٣) مجلة الاستاذ ، المجلد ٦ ، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٨ .

التربية وعلم النفس بكلية التربية يرعى الاشراف التربوي كواحد من الاختصاصات ولا تخلو مناهج قسم التربية وعلم النفس بالجامعة المستنصرية من مادة خاصة بالاشراف التربوي . ونتيجة لذلك فقد تسلطت اوضاع شديدة على كفاءات المشرفين حتى صار الانتماء الى الاشراف التربوي يستلزم توفر الخبرة العملية الناجحة في التعليم والشهادة العالية والتخرج بنجاح في دورة اشرافية والسمة الطيبة ، وتعرضت اهداف الاشراف الى النقد والتحليل حتى اصبحت الان اكثر وضوحا في اطار تربوي اجتماعي ووضعت اسس الاشراف التربوي واساليه امام التقييم الموضوعي حتى تركزت الدعوة الان الى ضرورة ارساء تلك الاسس على التخطيط وعلى القيادة العلمية والفنية وعلى التعاون والتصرف الديمقراطي وعلى استعمال وسائل القياس العلمية في الكشف عن مستوى الكفاءات والقدرات لغرض تطويرها في مختلف جوانب العمل التربوي . كما تعددت الاساليب بشكل خرجت فيه عن نطاق الضيق والجمود . وفي المستقبل سيزداد تأثير الاشراف التربوي بنتائج ما يستجد من البحوث والدراسات وسيتمثل المشرفون انفسهم مسؤوليات جديدة في القيام بالبحوث المطورة لنشاطاتهم وفي التعاون مع البرامج الاشرافية في المؤسسات التربوية .

والخلاصة فان ظروفنا حضارية في بلادنا قد تركت في الاشراف التربوي آثارا قوية ووضعت امام مسؤوليات جديدة . وتزداد تلك المسؤوليات ضخامة كلما ازداد ادراكنا بأن أفضل وسائل تحسين التربية والتعليم وتطويرها هو الاهتمام بتدريب المعلمين وهم في الخدمة . ولانجد في التدليل على اهتمام الدولة بالاشراف التربوي مثلا أبلغ من الرعاية الكريمة التي تفضل بها السيد رئيس الجمهورية اذ حرص على ان يلقي المشرفين بنفسه في مؤتمريهم الاول المنعقد في بغداد صباح السبت ١٢ شباط ١٩٧٣ ويوجه اليهم ارشاداته السديدة . ولكي يتم تحقيق ما حاولنا ان نترسسه هنا من المؤشرات والطموحات فان الاطراف المعنية بمستقبل التربية والتعليم في البلاد مدعوة كلها الى المزيد من البذل والعطاء والتعاون فسي تدعم الاشراف التربوي والانهاض به .

مفهوم التهيؤ بين علماء النفس في الولايات المتحدة وعلماء النفس في الاتحاد السوفياتي

الدكتور موفق الحمداني
مدير مركز البحوث التربوية والنفسية

لقد نوقش مفهوم التهيؤ من زوايا مختلفة في ادبيات علم النفس ،
كما استخدمت أسماء مختلفة للتعبير عن هذا المفهوم منها التهيؤ (Set)
والاتجاه العام (Orientation) كما استخدمه كوخ (Koch) والاستعداد
(Readiness) كما اسماء مرفي ، والتوقع (Expectancy) كما دعاه براون
واستعمله تورندايك و دورث وغيرهما .

ولكنه لم يستخدم في مكان في العالم بالاهمية والشمول التي استخدم
فيها المفهوم في جورجيا في الاتحاد السوفياتي . فقد اعتبروه حالة نفسية
تابعة عن ظاهرة فسجية توجه الفعاليات النفسية كافة وتؤدي الى تكاملها
وبالنسبة للمدرسة الجورجية يعتبر التهيؤ مفتاح فهم العلاقة بين الفرد
والبيئة ، اذ انه مصنف السلوك وعامل حاسم في توزيع الفعاليات وتشكيل
المعرفة .

مفهوم التهيؤ في الولايات المتحدة

لقد كان لمفهوم التهيؤ تاريخ حافل في ادبيات علم النفس في الغرب ،
ولقد أكد العديد من علماء النفس اهمية المفهوم . فاشار هب (Hebb)
الى ان المشكلة بالنسبة لعلم النفس هي ليست في اثبات وجود التهيؤ بل ان
تكشف الطريقة التي يعمل بها ، وقيل كل شيء كيف يتخذ التهيؤ خاصية
الفعل الانتقائي المستديم .^(١)

ولقد ظهر مفهوم التهيؤ لأول مرة بمعنى الـ (Einstellung) الذي حدده وزيرغ وماركس * ولقد اعتبرا التهيؤ مبدأ تنظيميا وتوجيهيا * كما اعتبره آس قوة دينامية منظمة وأقترض وجود علاقة بين التهيؤ والانتباه *

أما داشل (Dashell) ^(٣) فقد اعتقد ان التهيؤ هو ميل للعمل باتجاه معين ونعى على العاملين في علم النفس اهمال ما اطلق عليه اسم البعد الرابع في البحوث النفسية * وميز بين اتجاهين مختلفين نحو التهيؤ ، الاول هو اتجاه فريمان ونظريته الحركية (Motor) والاخر هو اتجاه فون كريس ^(٤) الذي اعتبر التهيؤ ذا اساس عصبي في القشرة الدماغية واطلق عليه اسم النظرية العصبية (Neural) واستنتج داشيل بأن الاتجاه الاول يستخدم اطارا لا مركزيا لتفسير التهيؤ (Peripheral) بينما يستخدم الثاني اطارا مركزيا (Central) ^(٥) *

أما يونج (Young) فقد استخدم مفهوم التهيؤ العضوي (Organic Set) وشبه تفسيره للتهيؤ بتفسير يوزنادزي الذي سنأتي على ذكره في الصفحات القادمة *

وانطلق يونج من قانون تشنر (Titchner) حول اسبقية الدخول (Prior entry) الذي يقول بأن التنبيه الذي يستعد له الفرد يستغرق زمنا أقل من تنبيه مماثل لم يسبق له ان استعد له * ^(٦) ويدرج يونج عددا من خواص التهيؤ نلخصها فيما يلي :-

- ١ - يستديم التهيؤ العضوي لفترات مختلفة من الزمن *
- ٢ - غالبا ما يأفل التهيؤ العضوي عندما يكون غرضه الواعي قد انقضى *
- ٣ - يعتمد مدى تعقيد التهيؤ على الفروق الفردية كما يعتمد على الفروق في الأعمار *
- ٤ - يمكن ان يتوفر تهيؤان او أكثر في نفس الوقت ، لدى الفرد *

٥ - يمكن احداث التهيؤ من خلال التعليمات اللفظية او من خلال الظروف الموضوعية غير اللغوية .

٦ - ان التهيؤ هو شرط من شروط التعلم^(١) .

ولقد قال داشيل بأن التهيؤات تختلف في موقعها الهرمي ، فقسم منها عام واخر خاص ، كما ان بعض التهيؤات تؤدي الى تسهيل السلوك بينما تؤدي تهيؤات اخرى الى كفه . ولخص خصائص التهيؤ باربعة أمور هي : -

الاستعداد المتباين - والعزم - والغرضية - والتوجيه

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان تشنر اعتبر التهيؤ عاملا مركزيا فتحدث عن التهيؤ القشري (Cortical Set)^(١) .

واجرى ماورر (Mowrer) دراسات تجريبية على التهيؤ اكد فيها على ان التهيؤ هو توقع ينتج عن فعالية مركزية في الدماغ^(١) .
اما جيسون (Gibson)^(١٠) فقد استعرض الدراسات

التي اجريت في موضوع التهيؤ و اشار الى ان الاختلاف حول مركزية التهيؤ ولا مركزيته امر لم يتم حله بعد .

واشار الى ان مفهوم المواقف النفسية (Attitudes) هو حل وسط بين هذين الموقفين . وحاول جيسون ان يميز بين التهيؤ والعادة ، فاستخدم مفهوم آس بشأن التهيؤ واعتبره ميلا مُحدداً على العكس من العادة التي هي ميل ارتباطي . وغني عن البيان ان مثل هذه المقارنات لا تلافى الترحيب الحار في الاوساط السلوكية ، اذ يعتبر التهيؤ نفسه عادة ناجمة عن ارتباطات سابقة .

وبعدما يزيد عن عشرة سنوات على استعراض جيسون لهذه الدراسات اجرى البورت^(١١) استعراضا اخر لمفهوم التهيؤ وتوصل الى ان مفهوم التهيؤ في الولايات المتحدة ما زال غامضا ومتناقضا . واقترح عددا من الحقائق التي يمكن ان تستلخص من دراسات التهيؤ التي اجريت ، نلخصها فيما يلي :-

١ - تتضمن ظاهرة التهيؤ - اساسا - بعض الظروف التحضيرية التي تسهل الاستجابة وتمكنها من الحدوث بسرعة وفعالية وقد تسبق هذه الظروف الاستجابة او تصاحبها *

٢ - قد يحضر التهيؤ للعملية السلوكية بكاملها او قد يساعد ببعض جوانبها فقط *

٣ - يظهر التهيؤ كعملية انتقائية دائما *

٤ - تتخذ التهيؤات مواقف متنافسة او متضادة ، اذ يسهل كل تهيؤ سلوكا معينا يختلف عن نظيره *

٥ - هنالك جوانب حسية وحركية للتهيؤات التحضيرية *

٦ - هنالك صنفان من التهيؤات التحضيرية :

اولا - التهيؤات التوقعية أي الموجهة نحو التنبؤ *

ثانيا - التهيؤات الغرضية أي الموجهة نحو الاستجابة *

٧ - تتطلب التهيؤات المختلفة فترات زمنية مختلفة لكي ترسي وتثبت *

٨ - قد يكون التهيؤ لفعالية ما اراديا او لا اراديا ، كما قد يكون

شعوريا او لا شعوريا *

٩ - قد يتدخل التهيؤ في التعلم كما يتدخل التعلم في التهيؤ *

١٠ - يمكن ان يتكون التهيؤ و « يخزن » للاستخدام *

مفهوم التهيؤ في الانحاد السوفياتي

لعل أهم من اشتهر في الانحاد السوفياتي في موضوع التهيؤ هو يوزنادزي (١٨٨٦-١٩٥٠) وهو عالم سوفياتي ومؤسس معهد جورجيا لعلم النفس والذي اطلق عليه اسمه فيما بعد . ولقد طرق هذا العالم موضوع الشخصية من باب التهيؤ . والتهيؤ من وجهة نظره حالة نفسية ، وهو يؤكد في نظريته عن الفعالية البشرية على التحولات النوعية للكائن العضوي بأجمعه لما يتعرض له من خبرات *

مفهوم التهيؤ عند يوزنادزي :

يشير يوزنادزي في كتابه الذي نشر عام ١٩٥٨ (بعد وفاته) الى ان الفرد هو الذي يدخل بعلاقات فعالة مع الواقع ، وليس افعاله المفردة والمستمدة من حياته النفسية وينظر يوزنادزي الى الشخصية ككل متكامل لانسان حقيقي فعال .^(١٢)

ويرى علماء النفس الذين يقتفون اثر يوزنادزي ان جوهر موضوع الشخصية هو التهيؤ الذي يجعل الفرد ينزع لسلوك معين او يستجيب بطريقة معينة . والتهيؤ من هذا المنطلق هو اساس العمليات النفسية المختلفة (المعرفة ، الشعور ، والارادة .. الخ) وهو الذي يمنح هذه العمليات النفسية تنظيمها وتكاملها .

وتنشأ العمليات النفسية من التهيؤ عندما يركز الفرد على جانب معين من جوانب البيئة . ويمكن اعتبار التهيؤ متغيرا فرضيا يحدد توجيه التركيز . فتحدد التنبهات التي ينتبه اليها الفرد كما تتحدد كيفية تنظيم التنبهات لكي يقدم ذلك الفرد الاستجابات المناسبة .

ولقد حمل برانكشفيلي (Prangishvili) لواء يوزنادزي بعد وفاته عام ١٩٥٠ . ويوضح برانكشفيلي الفرضيات التي تستند اليها نظرية التهيؤ بالشكل التالي :-

« بما ان الشخصية بوحدها و كليتها لا يمكن ان تختزل الى تجميع بسيط لعمليات نفسية منفردة وخواص نفسية و افعال منفصلة ، وبما ان مفهوم موضوع الفعالية (الشخصية) لا يمكن ان يكتشف أو أن يتم تشخيصه من هذا المنطلق ، لذلك فإن البحث في موضوع الشخصية كمفهوم اساس يجب ان يعالج كدراسة . لذلك المجال النفسي الواقعي قطعا الذي هو الشخصية (موضوع الفعالية) كوحدة وكل متكامل لا يمكن اختزاله الى عمليات نفسية منفردة » .^(١٣)

ويمكن ان نستخلص من هذه المقولة حقا خلاصا في موضوع الشخصية

ذلك هو التهيؤ * ويتميز هذا التهيؤ بعدد من الخواص :-

١ - ان التهيؤ هو استعداد لفعالية محددة *

٢ - ان التهيؤ هو وحدة تركيبية دينامية من الشخصية المتكاملة وتحدد الشخصية الفعالية نفسها ضمن اطار هذا التهيؤ *

٣ - ان التهيؤ هو السبب الذي يكمن وراء تحيزات الانسان في فعاليته الادراكية وتفكيره ومواقف الانسان نحو العالم *^(٤) أما عملية نشوء السلوك عن التهيؤ فتدعى التثبيؤ^(٥) (Objectification) والمقصود بذلك التمثل الذاتي للمحيط * ان انعكاس الحقيقة الخارجية هو عملية فمسالة وليست عملية سلبية * فالانسان دائم التفاعل مع بيئته * ومن خلال هذا التفاعل بين الانسان ومحيطه يتحور المحتوى النفسي للتهيؤ *

٤ - ان التهيؤ هو منظم السلوك ومبرمجه وهو الاساس الذي تتكامل عليه الفعالية *

يعتمد التركيب النظري لفلسفة يوزنادزي على رؤية الانسان ككائن فعال دينامي يتفاعل مع محيطه * فتتحرك الفرد حاجات محددة بعيدة عن التجريد ، ويكون علاقات متبادلة مع محيط محسوس يكفي حاجاته * والتحيز الغبي يؤدي إلى الفعالية هو نفسه نتاج لاستعداد او نزوع يتكامل مع شخصية الفرد *** ذلك هو تهيؤه *

وينجم عن هذه السلسلة من التغيرات تغير الحاجة نفسها فينطفئ التحيز السابق ليشأ تحيز جديد يؤدي بدوره الى ظهور تهيؤ جديد يقابل الواقع الموضوعي *

ويحدث التثبيؤ عندما يجابه السلوك الاعتيادي الذي لا يحتاج لمشاركة الوعي بعقبات تؤخره او تمنع تحقيقه ، انذاك تغدو العقبة التي تمنع تحقيق السلوك محط الانتباه والتركيز كعنصر مستقل في العالم الموضوعي * فيمي الانسان الشيء المعرقل كشيء مستقل ويفدو عنصرا مدركا ، وفي هذه

المرحلة تصبح العلاقة بين الفرد والشيء علاقة ادراكية • ويطلق يونانادزي على هذه الظاهرة اسم السلوك النظري او التهيؤ •

يعني الانسان الوضعية التي نجمت وتشيات ويوضح المقبات التسيي صادفته ثم يعيى الطاقة نحو الحركة ويظهر بسبب ذلك تهيو جديد •

وينشأ التفكير كفعالية عن عملية التسيؤ بالذات • ولكن عملية التفكير التي تفتح حينذاك لا يمكن ان تقوم خارج حدود التهيؤ المناسب • ومن خلال عملية التسيؤ يقدو ما كان مهملا مثيرا للانتباه وينمو لدى الانسان تهيو نحو العوامل الجديدة • ولذلك كان التسيؤ الناشيء عن تكويين تهيوآت جديدة اساسا لا غنى عنه لظهور الكلام والفكر • (١٥)

ويقول برانكشفييلي :-

« ان الفعالية النفسية هي عملية جزئية تنتمي الى السلوك المتكامل وتتوجه نحو توازن العلاقات بين الفرد وبيئته ، أي بما يناسب الحاجات المتغيرة أو التغيرات في الواقع الموضوعي ... وفي الوقت نفسه ان الافعال النفسية الفردية ، كالملاحظة والتشبيه والذاكرة ، والانتباه ، والتفكير والشعور والارادة هي عمليات تتضمن انعكاس الحقيقة الموضوعية ومجال الدوافع وهي لذلك شروط لتكوين العوامل التي تسمح باستبدال التهيؤ وانتاج تهيو نحو فعالية محددة ... تستهدف توازن العلاقة بين الكائن الموضوي والبيئة • لذلك كانت الفعالية النفسية هي انعكاس للوجود وفي الوقت نفسه حلقة في تنظيم السلوك » (١٦) •

ان عالم التهيؤ هذا يتميز بمزيج من كل (Einstellung) و (Weltanschauung) (١٧) ويعني ذلك ان التهيؤ هو ميل او نزوع او استعداد يحدد جوهريا تحيز الفعالية • ان الافعال الفردية والتي هي اجزاء من كل متكامل هو الشخصية تمر بتحولات ضمن حدود معينة ، ولكن تحيز الفعالية ككل يبقى كما هو •

وبالرغم من ان التهيؤ يعالج كحالة داخلية من ظواهر التكوين النفسي،

فهو يعتبر عاملاً ينجم عن تفاعل الفرد مع مجتمعه⁽¹⁴⁾ * ويمكن ان يكون التهيؤ شعوريا او لا شعوريا *

التشبيؤ :

يمتلك الانسان حاجات معينة لا يمكن سدها الا عن طريق حالة موضوعية مشخصة⁽¹⁵⁾ (Concrete) وعلى اساس هذه العلاقة بين الحاجة والحالة الموضوعية تنشأ الفعالية بتحيز محدد * ويعبر مفهوم التهيؤ عن هذه العلاقة كاستعداد للفعالية * وتغدو الحاجة مشخصة عند تنشأ الحالة الموضوعية المشخصة التي تسد هذه الحاجة *

يعبر التهيؤ اذن عن التحيز في الفعالية بحيث يستجيب الانسان لسد الحاجة عن طريق التركيز على التسيئات ، أو الحالة التي تشبع هذه الحاجة * وهكذا نجد ان التهيؤ هو منشأ فرضي وسيط يقع بين حاجة الفرد وتسيئاته والتسيئات البيئية التي تستطيع سد او اكفاء هذه الحاجة * ويوضح هذا المنشأ الفرضي الطريقة التي يعالج بها الفرد العالم الواقعي * ولكن الفعالية البشرية تسم بعلاقة خاصة * فالانسان لوحده قادر على ان يرى نفسه وهو يتفاعل مع العالم المحيط به * ان وعي الانسان لوجوده في العالم ينشأ عن ميكانيزم نفسي هو التسيؤ (Objectification) وهذه عملية تجعل الصورة الذاتية للواقع الموضوعي تتكون في وعي الانسان⁽¹⁶⁾ *

ان هذا الميكانيزم النفسي يرتبط بالتهيؤ ارتباطا لا فكاه منه ، وهو على غاية الاهمية * اذ ان عملية التسيؤ ترتبط بتطور الخصائص التي تحدد خصوصيات سلوك الانسان ، كوعي الانسان لهويته ، وتطور اللغة ونموها لدى الفرد *

ولا ينشأ التسيؤ الا اذا انقطع تحيز الفعالية نتيجة لتحول العوالم الموضوعية وتغيرها * ويؤدي هذا الانقطاع الى افول فعالية التهيؤ ، اذ لا تغدو التهيؤ مفيدا ، كما ذكرنا سابقا من ان التهيؤ هو تعبير عن التوافق بين

حاجة مشخصة وحالة مشخصة تسد الحاجة • وهكذا فإن الفعالية الناجمة عن هذا التهيؤ لتحقيق الحاجة تأفل • وذلك لان الحالة الموضوعية لم تعد موجودة ، الامر الذي يؤدي الى تلاشي التركيز الموجود سابقا نحو التسيئات البيئية فيختفي التهيؤ • ويمكن ان ينشأ التهيؤ كنتيجة للالفاظ علاوة على الحالات الحسية • اذ ان الكلام يمثل الواقع الذي تم تسيؤه ، وتمثل التربية عملية تكوين تهيؤات جديدة ويصاحب ذلك تنمية الحاجة عند الاطفال لتكوين تمييزات ادق في الواقع الموضوعي من خلال التركيز على تسيئات متميزة بدقة وعن طريق ملاحظة البيئة باناء^(٢١) • وبهذه الطريقة تنبع تهيؤات جديدة باستمرار مستمدة من الحالات المتغيرة والتي تزداد قربا من الواقع فنضع الاساس لعملية التسيؤ في الفكر والكلام •

تجارب يوزنادزي على التهيؤ :

لقد وضع مفهوم التهيؤ الحركي فخر (Fechner) ومولر (Muller) وشومان (Schumann) على توهم (Illusion) الوزن، وكان ملخص هذه التجارب اساسا هو ان اليد التي استخدمت في الماضي في رفع شيء ثقيل ، اعتادت ان ترفع الاشياء بدافع حركي اكبر ، وهكذا يكون رفع الشيء الجديد اسهل ويعطى رافع الوزن انطباعا بأنه أخف من سابقه •

قام يوزنادزي بتجارب مشابهة حول حجوم الكرات • واتخذت التجربة الشكل التالي : تغمض عيون المجرّب عليهم ثم توضع في يدي كل منهم كرتان متساويتان في الوزن ومختلفتان في الحجم ويطلب من كل منهم ان يقدر حجم الكرتين • وتكرر المحاولة عشرة مرات ويقدم المجرّب عليه كل مرة الجواب حول حجوم الكرتين • والغرض من هذه المحاولات هو تأسيس التهيؤ وتنميته • وبكلمة أخرى يراد تكوين تهيؤ لادراك الكرة الاكبر في جانب معين الايمن او الايسر • وبعد المحولات العشرة يقوم المجرّب فورا بتقديم كرتين متساويتي الحجم ويطلب منه تقدير حجميهما • فوجد يوزنادزي بان (٩٧٪) من المجرّب عليهم يدركون الكرتين

المتساويتين وكأنهما غير متساويتين في الحجم^(٢٣) . فإذا وضعت الكرة الكبرى في اليد اليسرى باستمرار ، ثم وضعت كرة مساوية للآخرى في اليد اليسرى في المحاولة الأخيرة وادرك بأنها أصغر فقد تكون لدى الفرد الوهم المقارن (Contrast Illusion) أما إذا بدت الكرة أكبر حجماً فقد تكون لدى الفرد وهماً متماثلاً (Assimilative Illusion) . وعندما يدرك الفرد بأن الكرتين متساويتان يكون ادراكه صحيحاً .

وقد أجرى يوزنادزي التجارب على الابصار والحركة . فتعرض دائرتان غير متساويتين على التاكيسكو سكوب عدد من المرات (لتكوين التهيؤ) ، ثم تعرض دائرتان متساويتان . فوجد بأن الافراد يتكون لديهم الوهم (Illusion) بنوعيه .

وقام ادامشفيلي (Admashvili)^(٢٣) بتجارب تتضمن التبيهات الصوتية المختلفة في شدتها واخرى تتضمن التبيهات اللونية المختلفة في مدى نصوص اللون وتوصل الى نفس النتائج . وقام خاجابوريدزي (Khachapuridze)^(٢٤) بتأسيس التهيؤ نحو الكمية وبالنتائج نفسها .

ويستتج يوزنادزي من هذه التجارب ان النتائج لا تدل على حدوث تهيؤ حركي او تهيؤ حسي . اذ ان التهيؤ الحسي او الحركي هو حالة سطحية . فما يحدث هو تحول اساسي في الفرد وبدرجة معينة من تبعية الفرد نحو الاستجابة مهما كانت طبيعة المنبهات والمحللات المرتبطة بها . فالسألة ليست تحول في البواعث العضلية الحركية اثناء رفع الأوزان ، بل تحول جوهري يعرض نفسه في مختلف الوسائط الحسية ولا يمكن لذلك ان يختزل الى خصائص البواعث الحركية . كما عارض يوزنادزي النظرية التوقعية والتي قالت بان عرض اوزان مختلفة على الفرد تجعله - يتوقع - ان الأوزان القادمة هي اوزان مختلفة ايضاً ، فإذا قدمت له اوزان متساوية

فهو يدرك الأوزان المتساوية مختلفة أيضا • ولكي يدحض النظرية التوقعية
أجرى التجربة على أفراد أثناء حالة النوم الاصطناعي (التنويم المغناطيسي)
حيث كان يقوم بتكوين التهيؤ أثناء النوم الاصطناعي ثم يوقظ الأفراد
ويعطيه الأوزان المتساوية • ووجد بأن النتائج لا تختلف عما ألفه فسي
التجارب الاعتيادية • ولذلك فقد عارض تفسير النظرية التوقعية على أساس
أن الأفراد لا يمكن أن يتكون لديهم توقع أثناء النوم^(٢٤)

تشمع التهيؤ :

لقد قام يوزنادزي بأجراء التجارب على إحدى الحواس ثم أجرى
الاختبارات على حاسة أخرى ووجد بأن التهيؤ ينتقل من وسط ادراكي الى
وسط آخر • فقد قام يوزنادزي بأجراء التجارب على إحدى اليدين ثم
أجرى الاختبار على اليد الأخرى واستخدم إحدى العينين في التجارب
ثم أجرى الاختبار على العين الأخرى • ووجد بأن التهيؤ ينتقل من يد الى
أخرى ومن عين الى أخرى بنسبة (٨٣.٥%) و (٧٦.٨%) • كما قدمت
كرتان غير متساويتين وضعت في يد المحرب عليهم ثم أجرى الاختبار على
دائرتين متساويتين عرضت على التاكستو سنكوب ووجد بأن ٦٠% من
المحرب عليهم افادوا بأن الدائرتين غير متساويتين •^(٢٥) وهكذا نرى بأن
التهيؤ الذي نشأ في تقدير حجوم الكرات في اليد (عضليا) انتقل الى تقدير
حجوم الدوائر (بصريا) •

ولقد أكد لذلك يوزنادزي بأن التهيؤ هو عملية مركزية وليست
سطحية • وايدت نتائج تجارب خوجافا (Khadjava)^(٢٦) استنتاجات
يوزنادزي • هذا ومما يجدر ذكره في هذا المجال بأن كنتسورا شفيلي وجد
بأن أحداث التهيؤ لادراك دائرتين غير متساويتين يؤدي الى عدم قدرة
المحرب عليهم رسم دائرتين متساويتين بعد التجربة مباشرة •

خصائص التهيؤ :

٤ - استقرار التهيؤ :

الذا تكرررت فعالية نفسية معينة عدد من المرات ، أو اذا قدم تبيه حاد

لمرة واحدة يستقر التهيؤ ويثبت • وعندما يستقر التهيؤ يفقد الفرد تكيفه
للتغيرات البيئية المحيطة لفترة من الزمن ولذلك لا يستطيع الفرد تمييز
التغيرات الطفيفة في المنبهات (تغير حجوم الكرات مثلا) وهكذا يشـوه
التهيؤ الادراك اللاحق فلا يستطيع الفرد ادراك التغير في حجوم الدوائر
مثلا •

ف عند ادراك الفرد لحالة ما ينشأ تهيؤ غير مستقر يزداد تسيته مع تكرار
المحاولات ثم يستقر ويتشعح •

ب - ظروف تكوين التهيؤ :

ينشأ التهيؤ عن طريق تفاعل عاملين ؛ اولا الحاجة (وهي تؤلف عادة -
اساس - الفعالية ومصدرها) وحلة مقابلة يمكن ان تسد الحاجة • ويمكن
اعتبار تعليمات المحرب مصدرا من مصادر تكوين الحاجة •

وقد وجد خاجابوريدزي انه من الممكن التدخل في تكوين التهيؤ عن
طريق تشتيت الانتباه باستخدام تسيهات اضافية • فعندما عرضت الدوائر
- وقد رسمت حولها اشكال اخرى - تدخلت هذه الاشكال في تكوين
التهيؤ • (٢٨)

ج - للتهيؤ اطوار :

لقد وجد يوزنادزي انه اذا استمر المحرب بتقديم تسيه الاختبار عدد
من الممرات ينطفيء التهيؤ • و اشار الى ثلاثة اطوار في الانطفاء هي المقابلة -
(Contrast) - والتمثل - (Assimilation) - والادراك المناسب •
ولقد استخدمت هذه السمة من سمات التهيؤ في دراسة خصائص الشخصية
وفي تشخيص الامراض النفسية •

د - خواص التهيؤ :

- ١ - يختلف الافراد فيما بينهم في سرعة وسهولة تكوين التهيؤ •
- ٢ - قد يكون التهيؤ استاتيكية (اذا لم يستطع الافراد الوصول الى

الإدراك المناسب) او ديناميا (اذا توصلوا للإدراك المناسب) من حيث انطفائه .

٣ - يمكن ان يكون التهيو مرنا في انطفائه أي يمر باطواره الثلاثة بسهولة ويسر ، او ان يكون متصلبا اي يتم الانطفاء بعبور طور او اكثر من اطوار الانطفاء .

٤ - يختلف الافراد فيما بينهم في مدى تشمع التهيو .

٥ - هناك فروق فردية شاسعة في مدى تعميم التهيو .

٦ - هناك فروق فردية شاسعة في تباين التهيو وثباته ايضا .

٧ - يتميز التهيو باستقرار مع الزمن . فقد وجد خاجوبوريدزي ان التهيو قد يستقر الى فترة تزيد عن ثلاثة شهور .^(٢٩)

٨ - يتميز التهيو باقترانه بمراحل النمو المختلفة للاطفال فتظهر سمات مميزة في المراحل العمرية المختلفة .

٩ - يمكن استخدام التخيل لتأسيس التهيو ولقد قام يوزنازي باستخدام التخيل في التدريب على تكوين التهيو .^(٣٠)

التهيوآت النوعية :-

سبق وان شرحنا عددا من التجارب التي استخدمت فيها السكرات والدوائر وكان الغرض هو مقارنة الاشياء من حيث حجوماها (الكم) . ولقد استخدمت الصور والكلمات لدراسة التهيو النوعي . فكتبت كلمات المانية باللاتينية ثم عرضت كلمات روسية بحروف محايدة بعد ان يتسم تأسيس التهيو لقراءة اللغة الالمانية ، ووجد بأن المجرب عليهم يقرأون الكلمات الروسية بالالمانية .^(٣١) واستخدمت اليافا^(٣٢) الصور في دراسة التهيو فقدمت على التاكستو سكوب صورا لمركب شراعي عدة مرات ثم عرضت صورة لزهرة اللوتس فوجدت ان زهرة اللوتس اكتسبت بعض خصائص السفينة الشراعية .

والخصائص النوعية للتهيؤ تشبه الخصائص الكمية * فنجد في الانطفاء مثلا ان الكلمات الروسية تقرأ اولا بالروسية ومن ثم مخلوطة بالروسية والالمانية ومن ثم بالروسية *

مقارنة بين مفهوم التهيؤ في الغرب والشرق :

يبدو من العرض السابق لوجهتي النظر حول موضوع التهيؤ في كل من الشرق والغرب ان هناك اتفاقا حول بعض الامور واختلافا حول امور اخرى *

وإذا كان لنا ان نبدأ بنقاط الالتقاء فنستطيع ان نجعلها في عدد من الامور *

يبدو ان الكل مجتمعون على ان التهيؤ هو استعداد او ميل او نزوع او تحضير للسلوك * ونجد ذلك في تعريفات يوزنادزي وبرانكشيفيلي وداشيل والبورت وجبسون *

كما يبدو بان الاجماع قائم على ان التهيؤ يمكن ان يظهر في حالة شعورية او لا شعورية * ويتفق على ذلك بوضوح كل من البورت ويوزنادزي *

وتتفق الدراسات ايضا على أن التهيؤ يتباين من حيث تعقيده مع تباين الأعمار ويظهر ذلك في دراسات يونك ويوزنادزي * وتذهب الدراسات ايضا الى ان التهيؤ يمكن ان ينشأ بناء على التعليمات اللفظية او الظروف الموضوعية للانسان *

ويبدو بان داشيل ويوزنادزي يتفقان على انه من المستطاع تفسير التهيؤ بناء على نظرية عصبية مركزية * وتجدد الاشارة هنا الى ان ذلك ليس امر تم الاتفاق الجماعي عليه بل نجد من العلماء من يخرج عن هذا القول ليؤكد بان التهيؤ هو حالة لا مركزية حركية فقط *

أما الفروق فيمكن اجمالها فيما يلي :-

ان علماء النفس في جورجيا يستخدمون مفهوم التهيؤ بشكل واضح متفق عليه . اما علماء النفس في الغرب فيستخدمون هذا المفهوم بتعريف مختلفة . ولقد احصى جيسون اثنين وسبعين تعريفا مختلفا لمفهوم التهيؤ كما استخدم في الغرب .

يميل علماء النفس في الغرب الى استخدام التهيؤ كمؤثر من المؤثرات في السلوك وهو بذلك مهما بلغت اهمية لا يعدو كونه احد المؤثرات الجانبية . أما من وجهة نظر يوزنادزي ومدرسته فهو استعداد لسلوك محدد يؤثر مركزيا في شخصية الفرد المتكاملة فهو لذلك جزء مهم من شخصية الفرد الايجابية والفاعلة .

واخيرا نجد الفارق في الاهتمام الذي يبذل لمفهوم التهيؤ . لقد جرت دراسات عدة في الغرب حول مفهوم التهيؤ ولكنها لم تعط الاهمية التي بلغتها في جورجيا . فقد اجريت دراسات موسعة حول مختلف جوانب التهيؤ ولا زالت البحوث جارية . هذا في الوقت الذي شهدت الدراسات في الغرب في هذا الميدان هبوطا واضحا في السنين الاخيرة .

الهوامش

1. Hebb, D. O. Organization of Behavior, N. Y. Wiley, 1949.
2. كلمة ألمانية بمعنى التهيؤ لامر محدد كأن ينتظر الانسنان
مكالمة هاتفية أو زيارة صديق ٠٠٠ الخ .
3. Dashiell, J. F. A Neglected Fourth Dimension to
psychological Research. Psychological Review, 1940,
47, 289.
4. Von Kries, J. Uberdie Nature Jennisser Mit Den
Psychischev Vorganigin Verkngfter Ychirnozai-
sande. Leipzig: Thieme, 1895.
5. Dashiell المصدر السابق نفسه
6. Titchner, E. B. Textbook in Psychology N. Y. Mac-
Millan, 1910.
7. Young, P. T. The Phenomenon of Organic Set. Psy-
chological Review, 1925, 32, 472.
8. Titchner المصدر السابق
9. Mowrer, O. H. Preperatory Set: An Experimental
Demonstration of its Central Loci. Journal of Expe-
rimental Psychology, 1940, 26, 357.
10. Gibson, J. J. A Critical Review of the Concept of
Set in Contemporary, Psychology, Psychological Bul-
letin 1941, 38, 781.
11. Allport, F. H. Theories of Perception and the Concept
of Structure. N. Y. Wiley, 1955.
12. Uznade, D. N. Experimental Investigation in the
Psychology of Set. Tbilisi Academy of Sciences, 1958.
13. Prangishvili, A. S. General Psychological Theory of
Set In Psychological Ssiences in the U.S.S.R. Vol. 2,
Washington, O. T. S. 1962.

14. Prangishvili, المصدر السابق
15. "قترح كلمة Object في العربية بكلمتي شيء وموضوع" ولقد اقترح الدكتور حاتم الكعبي مشكوراً استخدام التشبيؤ كمصدر لكلمة الشيء وكمقابل لكلمة Objectification. وأود أن أعرب شكري لمساعدته واهتمامه بإيجاد مقابل للكلمة Concrete استخدمتها في هذا البحث أيضاً.
16. Prangishvili, المصدر السابق
17. الكلمتان المائتان وتصبح ترجمتهما للعربية وقد سبق وأن شرحنا الأولى في الهامش رقم (٢) أما الثانية فتعني تهيؤ أوسع من الأول . انه موقف من العالم والكون والحياة . وقد فضلت الإبقاء عليهما بالنص الألماني لصعوبة إيجاد تعريب لهما. ولأن الكلمتان تستعملان في الانكليزية والفرنسية أيضاً بنفس النص .
18. Uzandze, D. N. The Psychology of Set. N. Y. Consultant Bureau, 1961..
19. "راجع الهامش ١٥ حول ترجمة Concrete: مخصصة .."
20. Uzanadze, D. N. Experimental Investigation in the Psychology of Set. Tbilisi Academy of Sciences, 1958..
21. Prangishvili, والمصدر في الهامش (١٨) نفس المصدر
22. Uzandze, المصدرين السابقين
23. Adamshvili, N. G. Certain Factors Associated with the Manifestation of a Fixed Set in Visual Perception, Sobshcheniya An Gruzsar 1953, 14, 22.
24. Khachapuridze, B. I. On the Phase Nature of a Replacement of the Set, 1938, 5, 34.
26. Uznadze, المصدرين السابقين
25. Uznadze, راجع الهامش رقم (٢٠)
27. Khodzhave, Z. I. Factor of Shape in the Functioning of Set. In A. Prangishvili (Ed.)

28. Khachapuridze, نفس المصدر السابق
29. Khachapuridze, نفس المصدر
30. Uznadze, 1958. نفس المصدر
31. راجع خوجافا، في دراسات في علم النفس من الاقطار الاشتراكية للجؤلف . مطبعة الحكومة ، دار الحرية للنشر بغداد ١٩٧١ .
32. Eliava, N. L. A contribution to the Problem of the Role of Set in Preceptual Processes . Voprosy Psichologii 1961, 1, 73.

عدوقة طرفه تربفة الاطفال (١) ببعض ظواهر الطفل السلوكفة (٢)

اعداد
نسرفن العوسر

مقدمة

لاظف المفكرون والفلاسة منذ قديم الزمان أهمية الطفولة في تكوين شخصية الانسان الاجتماعية وحياته العقلية . الا ان دراسة الاطفال دراسة علمية لم تبدأ الا بعد ظهور فرويد في القرن العشرين . اذ أكد هذا العالم النفسي على أهمية الطفولة في التأثير على الشخصية من جميع نواحيها . فالتجارب التي يمر بها الطفل في المرحلة الفمية^(١) والمرحلة الشرجية^(٢) لها أكبر الاثر في تكوين شخصيته في المستقبل . اذ يتوجب على الام في المرحلة الفمية أن ترضع الطفل من الثدي حسب طلبه^(٣) وفي حالة احباطه وعدم ارضاء رغباته تضطرب شخصيته في المستقبل . أما بالنسبة الى الفطام^(٤) فيؤكد فرويد على أهمية الفطام المتأخر وذلك لغرض ارضاء رغبات الطفل في الرضاعة والمص^(٥) كما يؤكد على خطورة الفطام الحاسم^(٦) المصحوب بطرق وأساليب قاسية كالضرب وابعاد الطفل عن الام لينسى الثدي اذ تتكون في هذه الحالة شخصية الطفل بصورة غير سوية .

Child Rearing Patterns	(١)
Behavioral Manifestation	(٢)
Oral stage of Development	(٣)
Anal Stage of Development	(٤)
Demand feeding	(٥)
Weaning	(٦)
Sucking	(٧)
Decisive Weaning	(٨)

عملية السيطرة على النظافة (٩)

يعتقد فرويد بضرورة اكتمال النضج الفسلجي عند الطفل قبل البدء في تدريبه على عملية السيطرة على النظافة ولذلك أهمية خاصة لبدء هذه العملية في وقت متأخر . كذلك يرى أهمية استخدام طرق غير قاسية أو عنيفة في تدريب الطفل على هذه العملية والأفان شخصيته تتأثر وتضطرب الى درجة كبيرة .

وقد أدت فرضيات فرويد الانفة الذكر الى نشاط كبير في البحث في ميدان الطفولة من قبل عدد كبير من العلماء أمثال (Sears et. al) الذي درس طرق تربية الاطفال في الولايات المتحدة وبروترو Prothro الذي درس تربية الاطفال في لبنان وذلك لغرض التأكد من صحتها وقد جاءت دراسات سيرز وبروترو بنوعين من النتائج : القسم الاول يساند فرضيات فرويد والقسم الثاني يفندها . ومن هذه النتائج :-
١ - تجارب الرضاعة (١٠)

بينت نتائج سيرز (١٠ ، ص ٩٦) عدم وجود علاقة بين طرق الرضاعة (الثدي او القنينة)^(١١) او طول فترة الرضاعة وبعض المظاهر السلوكية عند الاطفال مثل مشاكل الاطعام^(١٢) والاضطراب الانفعالي^(١٣) عند تدريب الطفل على عملية السيطرة على النظافة . بالإضافة الى ذلك ظهر عدم وجود علاقة بين الرضاعة غير المنظمة زمنياً^(١٤) وبين الرضاعة المنظمة زمنياً^(١٥) ومشاكل الاطعام عنده في فترة الطفولة .

(٩) Toilet Training	المقصود بهذه العملية تدريب الطفل
	السيطرة على عملية التبرز .
Feeding experiences	(١٠)
Breast or Bottle Feeding	(١١)
Feeding problems	(١٢)
Emotional upset	(١٣)
Demand feeding	(١٤)
Schedule feeding	(١٥)

أما دراسة بروثرو في لبنان فقد اوضحت ما توصل اليه سيرز مسن عدم وجود أي علاقة بين عملية الرضاعة (الرضاعة غير المنظمة زمنياً والرضاعة المنظمة زمنياً) وبين مشاكل الاطعام عند الاطفال (V ص - ٨٣) .

تجارب الفطام :

بينت نتائج سيرز ان استخدام طرق قاسية في فطام الطفل كالضرب وابعاده عن الأم لفترة طويلة من الزمن يؤدي الى اضطراب انفعالي لديه (IΔ ، ص ٩٢) ووجد ايضا ان الامهات اللواتي بدأن في هذه العملية في وقت متأخر تمكنوا من اكمالها في فترة قصيرة من الزمن (VI ، ص ٨١) .

وبالإضافة الى ما ذكرنا سابقاً فقد جاء كل من سيرز وبروثرو بنتائج تفند الاعتقاد السائد بوجود علاقة مباشرة بين طرق التربية التي تستخدمها الامهات وبين المظاهر السلوكية عند الاطفال . وكمثال على ذلك ان نتائج كل من سيرز (VI ، ص ٩٢) وبروثرو (V ، ص : ٧٧-٩٩) اوضحت من ان الفطام المبكر^(١٦) وكذلك الفطام الحاسم الذي يحدث بدون تردد يولد اضطراباً انفعالياً اقل بكثير من الاضطراب الانفعالي الذي يحدث عند الفطام المتأخر^(١٧) والمتردد^(١٨) كذلك وجد كل منهما ان لا علاقة بين مشاكل الاطعام وبين عمر الطفل عند الفطام^(١٩) وكذلك بين مشاكل الاطعام وبين الصعوبة في الفطام^(٢٠) (، ص ٩٦) وبالإضافة الى ذلك بين بروثرو ان الرضاعة غير المنظمة زمنياً تؤدي الى صعوبة

Early weaning	(١٦)
Late weaning	(١٧)
undecisive weaning	(١٨)
Age at weaning	(١٩)
Difficulty at weaning	(٢٠)

القطام (V ، ص ٧٨) كما ان الاضطراب اثناء القطام غير ذي علاقة بصعوبة تعليم الطفل السيطرة على النظافة .

السيطرة على النظافة :

بينت نتائج سيرز ان من يبدأ متأخرا في تعليم الطفل السيطرة على النظافة يتم هذه العملية في وقت أقصر بكثير مما لو بدأ مبكرا (VI ، ص ١١٠) بالإضافة الى ذلك وجد ان استعمال الطرق القاسية كالضرب في تعليم الطفل هذه العملية لا يؤدي الى الاسراع في اكمالها او في الانتهاء منها بوقت أقصر بكثير من الذين يستخدمون طرق غير قاسية (ص-١١٢) وبين ايضا ان هناك علاقة قوية بين استخدام طرق قاسية في تعليم الطفل السيطرة على النظافة وبين الاضطراب الانفعالي عند الاطفال(ص-١٢٣) .

ان بعض نتائج سيرز وبروثرو تدحض نظرية التحليل النفسي عند فرويد وكمثال على ذلك وجد سيرز ان من يبدأ في تعليم الطفل السيطرة على النظافة بين الشهر ١٥- الى ١٩ يؤدي به الى اضطرابات انفعالية كمثل الذي يبدأ في وقت مبكر جدا قبل الشهر الخامس . ان اقل اضطراب يحدث عندما تبدأ هذه العملية اما بين الشهر ٥-١٤ او بعد الشهر العشرين (VI ، ص - ١١٣) .

وقد بين بروثرو كذلك ان الاطفال الذين يبدأ تدريبهم على السيطرة على النظافة قبل الشهر الخامس او بعد الشهر الرابع عشر لا يظهرون أي اضطراب انفعالي عكس الذين يبدأ تدريبهم بين الشهر الخامس والرابع عشر (V ، ص - ٨٨) .

نلاحظ مما سبق تناقض النتائج حول العلاقة المباشرة بين طرق التربية والمظاهر السلوكية عند الاطفال اذ تؤكد على عدم وجود علاقة مباشرة بين تجارب الطفولة عند الاطفال وبين مظاهر التصرف عندهم وقد أكد على ذلك اورلانسكي (Orlansky) (IV) بعد ان راجع بحوث عدد كبير من العلماء في هذا الحقل .

أما في العراق فالبحث في ميدان الطفولة على أهميته البالغة لم يحض
بدراسات علمية توضح أهمية ذلك في حياة الطفل .

الفرض

إن الفرض من دراستنا هذه ما يلي :-

- ١ - بحث علاقة طرق تربية الاطفال بالعراق ببعض نماذج التصرف
عند الاطفال كما روتها امهاتهم .
- ٢ - مقارنة نتائج هذا البحث بنتائج دراسة كل من سيرز في الولايات
المتحدة وبروثرو في لبنان .

العينة وطريقة البحث

تحتوي عينة هذا البحث على مائة أم عراقية (٥٠٠) من طبقة متوسطة
أو (٥٠ من طبقة فقيرة) من مواطنات مدينة البصرة . ولكل أم من افراد
العينة طفل بين سن الرابعة والسادسة يكون موضوعا للبحث . ولم
يتوجه اسئلة للامهات حول الاطفال الكبار (اكبر من ست سنين) والصغار
(اصغر من اربع سنين) .

وقد حذف التوام واطفال البيوت المحطمة (الطلاق ، الانفصال ،
الموت) وكذلك الاطفال من ذوي العاهات الجسدية والعقلية والاطفال
من عوائل غير بصرية او من أب متعدد الزوجات .

أما بالنسبة إلى توزيع العائلات حسب الطبقة الاجتماعية فقد تم
حسب عمل الاب ، شكل البيت ، ثقافة الاب ، الدخل ، والمظهر الخارجي
للبيت .

أما بالنسبة إلى ثقافة الامهات فجميعهن لم يتعدن من الناحية الدرامسية
الثمانية سنوات وليس لديهن أي عمل يقمن به خارج البيت .

ان اطفال الطبقة الفقيرة قسموا إلى (٢٥) ذكرا و (٢٥) انثى .
أما اطفال الطبقة المتوسطة فقد كان عددهم (٢٣) انثى و (٢٧) ذكرا .

أما متوسط عمر امهات الطبقة الفقيرة فقد كان ٢٦ و ٩ سنة وامهات الطبقة المتوسطة ٣٣ و ١ سنة .

طريقة البحث :

أن الطريقة التي استخدمت في هذا البحث هي المقابلة^(٢١) أما مجموعة الاسئلة التي استخدمت في المقابلة فقد كانت نفس المجموعة التي استخدمت في دراسة بروثرو في لبنان مع بعض التعديل وهي ترجمة الى اللغة العربية للمقابلة التي وضعت واستخدمت من قبل سيرز في الولايات المتحدة .

ان المقابلة التي استخدمت في هذا البحث تكون من ٣٨ سؤالاً قد استهدفت بعض الاسئلة معلومات عامة عن العائلة كعدد الاطفال ، مساحة الدار ، عدد الغرف ، ثقافة الوالدين ، عمر الوالدين ، الخ . ولكن الجزء الأكبر من الاسئلة استهدفت الحصول على معلومات حول طرق ارضاع الطفل وطاقمه وتدريبه على السيطرة على النظافة . بالإضافة الى طرق الثواب والعقاب التي يستخدمها الوالدان .

النتائج والتحليل

المرحلة القمية

الرضاعة :

يعتقد فرويد كما ذكرنا سابقاً ان قصر فترة الرضاعة من السدي وكذلك الاخطاء عند الفطام يؤدي بالطفل الى مشاكل انفعالية وخيمة العواقب وكذلك الى انحراف في الشخصية . وقد جاءت نتيجة هذا البحث كنتاج سيرز وبروثرو على نوعين اولاهما يؤيد اعتقادات فرويد والآخر يفتد هذه الاعتقادات ويؤكد على الرأي القائل بعدم وجود علاقة مباشرة بين تجارب الطفولة والشخصية . وقد درست اولاً العلاقة بين طول فترة الرضاعة من الثدي ويسن

Interview

(٢١)

المشاكل الانفعالية اثناء الفطام ووجد ان (٦) اطفال من مجموع (٣٣) طفلا فطموا قبل الشهر الحادي عشر مروا بصعوبة انفعالية كبيرة اثناء الفطام بينما لم تظهر على (٢٧) من هؤلاء اثار صعوبة انفعالية . ومن ناحية اخرى فقد وجد ان (١٧) طفلا فطموا بعد الشهر الحادي عشر من اصل (٣٩) طفلا ظهرت عليهم مشاكل انفعالية اثناء عملية الفطام بينما (٢٢) منهم لم يمروا بأي صعوبة انفعالية اثناء هذه العملية . وكانت النتيجة ذات دلالة احصائية وعند مستوى (٠.٠٥) ×
 $(x^2 = 4.20, df = 1)$

يستتج من ذلك كلما طالت فترة الرضاعة كلما ازدادت الاضطرابات الانفعالية عند الفطام . وفيما يلي جدول رقم (١) الذي يبين العلاقة بين طول فترة الرضاعة والاضطرابات الانفعالية اثناء الفطام .

العلاقة بين طول فترة الرضاعة وبين المشاكل الانفعالية اثناء الفطام

الفطام قبل الشهر الفطام بعد الشهر	الحادي عشر	الحادي عشر
٦	١٧	
٢٧	٢٢	
٣٣	٣٩	

الاطفال الذين اظهروا مشاكل انفعالية شديدة
الاطفال الذين لم يمروا بمشاكل انفعالية اثناء الفطام

ان هذه النتيجة قد جاءت مشابهة لكل من نتائج سيرز وبروثرو .
اذ بين كل منهما كما ذكرنا سابقا انه كلما طالت فترة الرضاعة كلما

* استخرجت الدلالة الاحصائية للنتائج باستعمال اختبار كاي (مربع كاي) .

ازداد الاضطراب الانفعالي عند الفطام (VI ص ٩٢ - VII) (٧)
ص ٧٧ - ٧٩) .

وقد جرى ايضا بحث حول العلاقة بين الرضاعة المنظمة زمنيا او غير المنظمة زمنيا والمشاكل الانفعالية عند الفطام . يرى بروثرو ان الرضاعة غير المنظمة تؤدي بالطفل الى اللجوء الى الثدي كتعويض عن كثير من الاحباطات التي تواجهه (٧ ص ٧٨) عكس الطفل الذي يتبع الرضاعة المنظمة فهو يتعلم التعويض عن الاحباطات في مجالات أخرى غير ندي الام (٧ ص ٧٨) .

لهذا يتوقع من الاطفال الذين يرضعون في اوقات غير منظمة مشاكل انفعالية عند الفطام أقوى بكثير من الاطفال الذين يرضعون في اوقات منظمة .

ان من بين الـ (٥٣) طفلا من الذين لم يواجهوا أي صعوبة أثناء الفطام لم يسر (٤١) طفلا حسب نظام معين أثناء فترة الرضاعة و (١٢) طفلا منهم رضعوا باوقات منظمة ومحددة ومن بين الـ (٣٢) طفلا الذين ظهر عليهم كثير من المشاكل الانفعالية عند الفطام ارضع (٢٥) منهم في اوقات غير منظمة زمنيا أما الـ (٧) اطفال الباقين فقد تبعوا نظاما معيناً . ولدى اختبار النتائج احصائيا تبين انها لا تحمل دلالة احصائية وهكذا فإن الاسباب التي ذكرها بروثرو لم تتأكد بشكل كاف في هذا البحث . وبالنسبة الى العلاقة بين استخدام طرق الفطام القاسية وبين المشاكل الانفعالية عند الطفل أثناء الفطام وجد ان العلاقة كانت غير ذات دلالة احصائية عكس نتيجة سيرز التي دلت على ان استخدام طرق قاسية فسي الفطام يؤدي الى اضطراب انفعالي لدى الطفل (VI ص ٩٢) . وقد درست ايضا العلاقة بين الفطام الذي يتم بصورة حاسمة - خلال مدة ثلاثة ايام - والفطام المتردد - الفطام الذي يستمر لفترة تزيد عن ثلاثة ايام - وبين المشاكل الانفعالية عند الفطام . من بين (١٤) طفلا

ثم نظامهم بصورة حاسمة بدا على (٥) منهم صعوبات انفعالية • أما
ال (٩) الباقون فلم تظهر عليهم أي اثار انفعالية • ومن بين (٤٠)
فطموا بصورة مترددة (٢٠) لم تظهر عليهم أي اثار انفعالية و (٢٠)
ظهرت عليهم اثار المشاكل الانفعالية • أما العلاقة فكانت غير ذات دلالة
احصائية • وباختصار وجد ان لا علاقة بين طريقة الفطام وبين المشاكل
الانفعالية اثنائه بينما وجد كل من سيرز وبروثرو كما ذكرنا سابقاً ان
الفطام الحاسم يولد اضطراب انفعالي أقل بكثير من الاضطراب الانفعالي
الذي يحدث عند الفطام المتردد (VI ، ص ٩٢) (V ص ٧٧-٩٧)
وبالنسبة الى علاقة الخبرات التي يمر بها الطفل اثناء الفطام
وتصرفات الاطفال كمشاكل الاطعام والاضطراب الانفعالي عند تعليم
الطفل السيطرة على النظافة وجد ان لا علاقة بين مشاكل الاطعام وعمر
الطفل عند بدء الفطام كذلك وجد ان الصعوبة اثناء الفطام هي غير ذات
علاقة مع مشاكل الاطعام عند الاطفال كما جاء في نتائج كل من سيرز
وبروثرو (VI ، ص ٩٦) •

أما العلاقة بين الصعوبة التي يلاقيها الطفل عند الفطام وبين الصعوبة
عند تعليم الطفل السيطرة على النظافة فهي ذات دلالة احصائية وعند
مستوى البينة ٠١ ر ($x^2 = 8.18, df = 1$) بمكس نتيجة بروثرو (ص
٧٨) التي لم تبن أي علاقة بين الاضطراب الانفعالي اثناء الفطام وبين
صعوبة تعليم الطفل السيطرة على النظافة •

وباختصار ان هذه النتائج المتناقضة تؤكد مرة اخرى ما توصل عليه
اورلانسكي من ان لا علاقة مباشرة بين خبرات الطفولة وبين تصرفات
الاطفال •

السيطرة على النظافة :

يعتقد فرويد ان من الضروري بدء تدريب الطفل على عملية السيطرة
على النظافة في وقت متأخر وذلك لضمان اكتمال النضج الفلسجي عنده •

وبالإضافة الى ذلك يؤكد على اهمية استخدام طرق غير قاسية في تدريبه
والا تضطرب شخصيته .
لقد وصف (٧١٪) من العينة عملية السيطرة على النظافة على أساس
انها كانت عملية بسيطة وسهلة .

وبالنسبة الى العلاقة بين الاضطراب الانفعالي اثناء العملية وبين عمر
الطفل عند بدئها وجد ان العلاقة غير ذات دلالة احصائية عكس ما جاء في
نتيجة كل من سيرز وبروثرو اذ وجد كليهما ان هناك علاقة بين الاضطراب
الانفعالي اثناء عملية السيطرة على النظافة وبين عمر الطفل اثناء بدأها .
ولكن جاءت نتائجها بصورة معاكسة لفرضيات فرويد كما اوضحنا
سابقا (VI ، ص ١١٣) (٧ ص ١٨٨) .
نرى هذه العلاقة بوضوح في جدول رقم (٢)

العلاقة بين عمر الطفل عند بدء عملية السيطرة على النظافة وبين عدد الاطفال
اللذين مروا باضطراب انفعالي اثناء هذه العملية

عمر الطفل بالاشهر					درجة الاضطراب الانفعالي
١٣ <	١٣-١١	١٠-٨	٧-٥	٥ >	لا اضطراب
٢	٢	١٠	٢٦	٣١	
١	٢	٢	٤	٧	كثير من الاضطراب

أما العلاقة بين الاضطراب الانفعالي اثناء تعلم الطفل السيطرة على
النظافة وبين القسوة في تعليمه هذه العملية فقد وجد انها غير ذات دلالة
احصائية بعكس ما جاء به سيرز (VI ص ١٢٣) .
وكما ذكرنا سابقا وجد ان لا علاقة بين القسوة عند تعليم الطفل
السيطرة على النظافة وبين مشاكل الاطعام عنده وعلى العكس من ذلك وجد
ان الاضطراب الانفعالي عند الفطام ذو علاقة قوية وذات دلالة احصائية مع
الصعوبة عند تدريب الطفل السيطرة على النظافة .

وباختصار تدل النتائج المذكورة اعلاه وتؤكد على ما توصل اليه اورلانسكي من ان لا علاقة مباشرة بين طرق تربية الاطفال وبين المظاهر السلوكية عندهم .

الخلاصة

كان الغرض من هذا البحث : -

اولا - دراسة العلاقة بين طرق تربية الاطفال ونماذج التصرف عندهم كما روتها امهاتهم .

ثانيا - مقارنة نتائج هذا البحث بنتائج دراسة كل من سيرز في الولايات المتحدة وبروتر في لبنان .

اما العينة فقد كانت تحتوي على مائة ام عراقية (٥٠ من طبقة متوسطة و ٥٠ من طبقة فقيرة) من مواطنات مدينة البصرة . ولكل ام من امهات العينة طفل بين سن الرابعة والسادسة اتخذ موضوعا للبحث . لم توجه الاسئلة الى الامهات حول الاطفال الكبار (اكبر من ست سنين) والصغار (اصغر من اربع سنين) .

لقد اتبعت طريقة المقابلة في هذا البحث مع بعض التحوير للمقابلة التي استخدمها بروثرو في لبنان والتي كانت ترجمة الى اللغة العربية للمقابلة التي استخدمها سيرز في الولايات المتحدة .

وقد تأكد قسم قليل من فرضيات فرويد في هذا البحث بينما القسم الاكبر من هذه الفرضيات قد دحض . اما العلاقات ذات الدلالة الاحصائية بين طرق التربية والنماذج السلوكية فكانت كما يلي : -

١ - كلما طالت فترة الرضاعة من الثدي كلما عظم الاضطراب الانفعالي عند الفطام .

٢ - ان الاضطراب الانفعالي اثناء الفطام ذو علاقة قوية بالصعوبة التي يلاقيها الطفل اثناء تدريبه على السيطرة على النظافة كما ظهر عدم وجود علاقة بين النتائج التالية : -

١ - لا علاقة بين الرضاعة غير المنظمة زمنيا او المنظمة زمنيا
والاضطراب الانفعالي اثناء الفطام *

٢ - لا علاقة بين استعمال القسوة اثناء الفطام والاضطراب الانفعالي
اثناء هذه العملية *

٣ - لا علاقة بين الفطام المتردد وبين الاضطراب الانفعالي عند الفطام *
٤ - ان مشاكل الاطعام هي غير ذات علاقة مع عمر الطفل عند بدء
الفطام والصعوبة اثناء الفطام والقسوة اثناء تعليم الطفل والسيطرة على
النظافة *

٥ - لا علاقة بين الاضطراب الانفعالي عند تعليم الطفل السيطرة
على النظافة وبين عمر الطفل عند بدء العملية وكذلك بين الاضطراب
الانفعالي والطرق القاسية المستخدمة في تعليمه السيطرة على النظافة *

اما بالنسبة الى اوجه الشبه والاختلاف بين نتائج هذا البحث ونتائج
كل من سيرز في الولايات المتحدة وبروثرو في لبنان فقد تبين ان بعضها
تشابه النتائج التي توصل اليها العالمين المذكورين بينما البعض الاخر يختلف
عنها اختلافا كبيرا ويقدر تعلق الامر باوجه الشبه فقد وجد ان اطفال كل
من العراق واميركا يظهران كثيرا من الاضطرابات الانفعالية عندما يبدأ
فطامهم بعد الشهر الحادى عشر عكس الاطفال الذين يبدأ فطامهم قبل
الشهر الحادى عشر اذ لا يبدأ هؤلاء اى اضطراب انفعالي شديد *

ولقد وجد بروثرو (ص ٧٨) ان الاطفال الذين يرضعون في
اوقات غير منظمة يظهران اضطرابا عند الفطام اكثر بكثير من الاطفال
الذين يرضعون في اوقات منظمة * اما نتائج هذا البحث فقد اوضحت ان
لا علاقة بين الرضاعة المنظمة او غير المنظمة وبين الاضطراب الانفعالي
عند الفطام *

وعندما درست العلاقة بين استعمال القسوة اثناء الفطام وبين
الاضطراب الانفعالي عند الفطام جاءت نتائج هذا البحث على العكس من

نتائج هذا البحث على العكس من نتائج سيرز في الولايات المتحدة اذ وجد سيرز ان القسوة عند الفطام تؤدي الى اضطراب انفعالي شديد عند القيام بهذه العملية (VI ص ٩٢) وقد ظهر في بحث سيرز (ص ١٥٥) وبروثرو (ص ص ٧٨-٧٩) ان التردد في عملية الفطام ذو علاقة قوية بالاضطراب الانفعالي عند الفطام ولكن نتائج هذا البحث لم تؤكد اى علاقة بين التردد في عملية الفطام وبين الاضطراب الانفعالي اثناء هذه العملية . ويستخلص من البحوث الثلاثة ان ليس هناك علاقة بين مشاكل الاطعام وبين عمر الطفل عند الفطام . كما ظهر ان لا علاقة بين الصعوبة عند الفطام وبين مشاكل الاطعام اثناء الطفولة ولكن وجدت علاقة بين الصعوبة عند الفطام وبين الاضطراب الانفعالي عند تعليم الطفل السيطرة على النظافة في هذا البحث بينما جاءت نتائج كل من سيرز وبروثرو عكس هذه النتيجة .

وقد توصل البحث في البنان واميركا والعراق بانه لا يوجد علاقة بين مشاكل الاطعام في الطفولة وبين استعمال القسوة في تعليم الطفل السيطرة على النظافة بينما اظهر البحث على اطفال البصرة ان لا علاقة بين الاضطراب الانفعالي عند تعليم الطفل السيطرة على النظافة وبين عمر الطفل اثناء بدء التدريب على النظافة وكذلك بين الاضطراب الانفعالي عند التدريب على السيطرة على النظافة والقسوة في هذا التدريب . ولقد جاءت هذه النتيجة عكس نتائج كل من سيرز وبروثرو لان كل منهما وجد ان هناك علاقة بين الاضطراب الانفعالي عند التدريب على السيطرة على النظافة وبين كل من عمر الطفل عند بدء التدريب والقسوة اثناء التدريب . ويمكننا القول باختصار بانه لم يتوصل البحث في الوقت الحاضر الى وجود علاقة مباشرة بين طرق تربية الاطفال والنماذج السلوكية في الطفولة كما هو واضح في كل من دراسة سيرز وبروثرو ونتائج هذا البحث وهذا يؤيد ما توصل اليه اولانسكي في عدم وجود علاقة مباشرة بين طرق التربية والمظاهر السلوكية عند الاطفال .

BIBLIOGRAPHY

1. Hall, Clavin S. *Aprimer of Freudian Psychology*.
New York : *The New American Library of World Literature*.
Inc., 1954.
2. Munroe, Ruth L. *Schools of Psychoanalytic*.
Thought. New York : Henry Holt and Co., Inc., 1955.
3. Mussen , P . and Conger , J . *Child Development and*
Personality. New York Harpers and Brothers., 1956.
4. Orlansky, Harold. *Infant Care and Personality*.
Psychological Bulletin. 1949, 46, 1-48.
5. Prothro, Edwin Terry. *Child Rearing in the Lebanon*.
Massachusetts : Harvard University Press 1961.
6. Sears, R. R. Maccoby, E. E. and Levin, H. *Potterns of Child*.
Rearing. New York : Peterson and Company, 1957.

القانون والسياسة

الاثبات بالقرائن في الشريعة الاسلامية

الدكتور
احمد عبيد الكبيسي
جامعة بغداد
ومحاضر في قسم القانون
بالجامعة المستنصرية

تعريف القرينة :

القرينة مؤنث القرين ، فعيلة بمعنى مفعولة من الاقتران . وقد اقترن الشيء بغيره وقارنته قرانا : صاحبه^(١) .
ويطلقها علماء اللغة على الامر الذي يشير الى المقصود ، او يدل على الشيء : من غير الاستعمال فيه ، يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود او من سابقه .

والقرينة : قد تكون قوية الدلالة ، او ضعيفة الدلالة وذلك بحسب قوة المصاحبة . وحيانا ترتقي الى درجة القطع او تهبط الى درجة الاحتمال البعيد . والمرجع في ذلك الى قوة الذهن والفتنة^(٢) .

والفقهاء عندما يتكلمون عنها . فأنما يعنون القوية منها التي تفيد الظن القوي^(٣) . وتعريفها عندهم : « ما يصير الامر في حيز المقطوع به . او

(١) لسان العرب ١٣/٣٣١

(٢) طرق الاثبات في الشريعة الاسلامية . احمد عبد المنعم البهي ص ٤٣

(٣) انظر : شرح الخرشني ٥٦/٨

« الامارة البالغة حد اليقين »^(٤) .

وعرفها العلامة العطار^(٥) في حواشيه على السمرقندية بانها « ما يفصح عن المراد لا بالوضع » وقيدها بعدم الوضع . لانه لم يمهد ان اطلق على ما يوضع بازائه شيء : أنه قرينة .

والذى يظهر من مراد الفقهاء من اشتراط اليقين او القطع في حد القرينة انما هو ما يشتمل الظن الغالب لا خصوص اليقين القطعي . وذلك لان دلالة طرق الاثبات مهما قويت لا تخلو من ظن فلا يتوقف العمل بها على اليقين الذى يقطع الاحتمال .

حكم القضاء بالقرينة :

عند استقراء مسائل الفقه نرى : ان الفقهاء اتفقوا على القضاء بالقرائن في مسائل كثيرة منها : قبول دعوى المرأة في الاستكراه على الزنا اذا كانت متعلقة بالمدعى عليه او بها اثر اماره تدل على ذلك كالصياح وما اشبه ذلك . واعتبروا ذلك قرينة يدرأ عنها الحد لأجلها^(٦) . الا انهم اختلفوا في جواز القضاء بالقرينة في اثبات جرائم الحدود على النحو التالي :

الرأى الاول :

ذهب الشافعية والحنفية والحنابلة - فيما عدا رواية عن الامام احمد - الى عدم قبول القرائن دليلا لاثبات الحدود . وحصروا طرق اثباتها فسي الاقرار والشهادة ولم يعولوا على غيرها - والى هذا ذهب ابن القاسم من المالكية . وعلى هذا فانهم لم يحكموا بالحد على من وجدت حبله ولا

(٤) الفواكه البديريه لابن الغرس ص ٨٣

(٥) هو حسن بن محمد بن محمود العطار من علماء مصر . اصله من المغرب مولده في القاهرة ووفاته بها سنة ١٢٥٠ هـ انظر الاعلام ٢/٢٣٦

(٦) تبصرة الاحكام لابن فرحون ٢/٢٨٣ وانظر معين الحكام لابي الحسن علي بن خليل الطرابلسي ص ١٦١ - ١٦٢ فقد جمع فيه مؤلفه اربعا وعشرين مسألة مما اتفق الفقهاء على الحكم بها بالقرائن .

زوج لها ولا سيد • لاحتمال اكرامها او علوقها بغير زنا • ولا على من
يشم منه رائحة الخمر ، او تقيأها • لاحتمال انه شربها ولم يعلم انها خمر ،
او اكره على شربها •

ولا على من وجد المال المسروق في بيته • لاحتمال انه قد وصل اليه
عن طريق شرعي او ان غيره خبأه فيه • كما في قصة طعمة بن ابيرق •
وقد أهدر اصحاب هذا الرأي القرائن في هذه الانواع من الجرائم
للاحتياط الواجب في الدماء والحدود • قال محمد بن القاسم : « اذا اخرج
المتاع والقتيل بانفراده لم يواخذ به الا ان ينضاف الى ذلك من اخبصاره
ما يدل على صحة ذلك • مثل ان يقول : اجترت وفعلت كذا وعلى
صفة كذا » (٧) •

الادلة :

استدل القائلون بعدم جواز القضاء بالقرينة بما يلي :

اولا : بما رواه ابن ماجه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال « لو كنت راجما احدا بغير بينة لرجمت فلانة فقد ظهر منها
الريبة في منطقتها وهيتها ومن يدخل عليها » (٨) •

وجه الاستدلال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذ
بالقرينة طريقا لاثبات الحد • والا لاقام الحد على المرأة بعد توافر القرائن
على جرمها • ولا يقال بان القرينة لم تكن قوية الى الحد الذي ثبت به
الجريمة • لانه عليه الصلاة والسلام - ذكر : ان الريبة ظهرت منها في
منطقها ، وهيتها ، ومن يدخل عليها • ولم يمنعه من اقامة الحد عليها
الا عدم البينة بالرغم من قوة القرينة •

(٧) انظر : تبصرة الحكام ٣٥٣/٢

(٨) انظر : سنن ابن ماجه ٨٥٥/٢ • وقال في الزوائد : اسناده صحيح
ورجاله ثقات ١ هـ واخرجه مسلم به عن ابن عباس • انظر :
التلخيص الخبير ٤٠٥/٢

ثانيا : بما رواه احمد وابو داود عن ابن عباس قال « شرب رجل الخمر فسكر فلقى يميل في الفجح (اى الطريق) فانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما حاذى بدار العباس : انفلت ، فدخل على العباس ، فالتزمه . فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فضحك وقال : افعلها ؟ ولم يأمر فيه بشيء .^(٩)

وجه الاستدلال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد عليه على الرغم من وجود قرينة قوية على شربه الخمر : وهي السكر . فدل هذا على : ان القرينة ليست طريقا من طرق الاثبات .

ثالثا : بما ورد عن الصحابة من آثار .

فقد روى عن هاشم ان امرأة رفعت الى عمر بن الخطاب ليس لها زوج وقد حملت فسألها . فقالت : اني امرأة ثقيلة الرأس ، وقد وقع على رجل - وانا نائمة - فما استيقظت حتى فرغ . فدرأ عنها الحد .

وروى عن البراء عن صبرة عن عمر رضى الله عنه : انه اتى بامرأة فأدعت انها اكرهت فقال : خل سيلها . وكتب الى امراء الاجناد الا يقتل احد الا باذنه .

رابعا : ومن المعقول : ان الحدود تدرأ بالشبهات . ومن المسلم به ان القرائن عرضة لشبهات كثيرة : لا تجعلها سالحة لبناء الحكم عليهما والعمل بمقتضاها . ولعل الذين ذهبوا الى تضيق العمل بالقرائن ، ومنع العمل بها في الدماء والحدود . يرون : انها تختلف قوة وضعفا ، وانها ليست مطردة الدلالة ، وليست منضبطة . فلا يثبت بها حكم . خصوصا فيما يندرىء بالشبهة . . حيث ان القرائن كثيرا ما تبدو قاطعة فلا تلبث ان تهين وتضعف . حتى يتلاشى امرها ، ويظهر الواقع قلى خلافها .

(٩) انظر : معالم السنن ٣٣٧/٣ مشكلة المصابيح ٣٠٦/٢ ذخائر
المواريث ٦٣/٢

الرأي الثاني :

ذهب ابن القيم ، وابن تيمية - من الحنابلة - وابن الغريسي^(١٠) من الحنفية - وابن فرحون^(١١) وابن جزى^(١٢) من المالكية : - الى جواز القضاء بالقرائن في الحدود^(١٣) وهو مذهب المالكية عموما ورواية عن الامام احمد في اقامة حد الشرب بالرائحة ومقتضى ذلك اقامة الحد بالقيء عنده^(١٤) .

وقد اعتبر هؤلاء ظهور الحمل قرينة يقام بها الحد على من وجدت كذلك ولم يكن لها زوج ولا سيد مقر بوطئها ولم تقم قرينة على دعواها للغصب في ذلك . واعتبروا ظهور رائحة الخمر في الفم او قيئها قرينة يقام بها الحد . كما اعتبروا ايضا ان وجود المال المسروق في بيت السارق قرينة على انه هو سارقها^(١٥) .

الادلة :

استدل هؤلاء على جواز القضاء بالقرينة في الحدود بما يلي :

(١٠) هو محمد بن محمد بن محمد بن خليل بدرالدين المعروف بابن الغريسي المصري الحنفي وهو بفتح الغين وسكون الراء توفي في مصر سنة ٨٩٤ هـ .

(١١) هو القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ابي القاسم بن محمد بن فرحون المالكي توفي سنة ٧٩٩ هـ .

(١٢) هو محمد بن احمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن بن يوسف بن جزى ، الكلبي ابو القاسم من اهل غرناطة توفي سنة ٧٤١ هـ له مصنفات كثيرة منها وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

(١٣) اعلام الموقعين ١/١٠٣ الفواكه البديرية ص ٨٣ تبصرة الحكام ٢/٢٨٠-٢٨٣ القوانين الفقهية ص ٣٦٢

(١٤) انظر : المنتقى بشرح الموطأ ٧/١٤٠ طرح التثريب في شرح التقریب ٢٧/٨ .

(١٥) انظر : اعلام الموقعين ١/١٠٣

اولا : بقوله تعالى في قصة يوسف : وجاءوا على قميصه بدم كذب^(١٦) .
قال القرطبي في تفسير الآية : « قال علماؤنا : لما ارادوا ان يجعلوا الدم
علامة صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهي سلامة القميص
من التيبب - اي التخريق - واجمعوا على ان يعقوب استدل على كذبهم
بصحة القميص وروى انه قال : متى كان الذئب حليما يأكل يوسف ولا
يخرق قميصه^(١٧) . »

ثانيا : بما رواه احمد عن علقمة ، قال^(١٨) : « كنت يحمص فقرا ابن
مسعود سورة يوسف فقال رجل يا هكذا انزلت فدنا منه عبد الله فوجد
منه رائحة الخمر فقال : انكذب بالحق وتشرب الرجس ؟ لا ادعك
حتى اجلدك حدا ، فضربه الحد وقال والله لهكذا اقرانها رسول الله
صلى الله عليه وسلم^(١٩) . »

ثانيا : بما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد
انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال : « انى وجدت من فلان
ربيع شواب . وانا سائل عما شرب . فان كان يسكر جلده . فجلده
الحد تاما^(٢٠) . »

ثالثا : بالاجماع . فان الآثار ظاهرة المعنى فيما عمل فيه الصحابة
بالقرينة لاثبات الحدود ، فبهم تقضى وعلى مناهجهم سير وبهذا جرى
العمل في المدينة . وكانت قضاياهم تشتهر وتذاع ولم يظهر لهم في عصرهم
مخالف فيكون ذلك اجماعا على العمل بالقرائن .
رابعا : ومن المقول ما قاله ابن القيم : « فالتسارع لم يبلغ القرائن . »

(١٦) سورة يوسف / ١٨

(١٧) تفسير القرطبي ١٤٩/٩

(١٨) انظر : مسند الامام احمد ٢٦٦/٥

(١٩) اتفق عليه الشيخان والنسائي من طريق الاعمش عن ابراهيم عتيق

علقمة عن ابن مسعود ، انظر : طرح التثريب ٣٧/٨

(٢٠) انظر : المنتقى بشرح الموطأ ١٤١/٣

والامارات ودلائل الاحوال • بل من استقرى الشرع في مصادره وموارده •
وجده شاهدا لها بالاعتبار مرتبا عليها الاحكام • (٢١) •

ويقول في مكان اخر • والمقصود : ان الشارع لم يقف الحكم في
حفظ الحقوق على شهادة ذكرين لا في الدماء ولا في الاموال ولا في
الفروج • بل قد حد الخلفاء الراشدون والصحابه - رضی اللہ عنہم - في
الزنا : بالحبيل • وفي الخمر : بالرائحة ، والقىء • وكذلك اذا وجد
المسروق عند السارق : كان اولى بالحد ، من ظهور الحبيل والرائحة في
الخمر • (٢٢) • وعلى هذا فان القرينة عند هؤلاء طريق من طرق الاثبات في
جرائم الحدود • كما نص على ذلك ابن الغرس وهو بصدد تعريف الحجية
فقال : والحجة : اما اليقينة ، او الاقرار ، ثم عطف عليها القرائن ، فقال :
• او القرائن الدالة على ما يطلب الحكم به دلالة واضحة • بحيث يصير
في حيز المقطوع به • • (٢٣)

ولما كان ابن الغرس لم يفصل القول : بين ما يقضي فيه بالقرائن ،
وما لا يقضي فيه بها • فان ذلك يدل على ان مراده : تعميم العمل بالقرائن
لايثبات جميع الحقوق سواء كانت حدا او غير حد • والذي يظهر من
تفكير اصحاب الرأي الثاني انهم يرون : انه لا متمع في الوصول الى
الحق في الواقع بيقين - في اكثر الوقائع - ولا يتوقف الحكم عليه والا
لضاعت اكثر الحقوق • فان اقوى الحجج الشرعية فيما يرى العلماء هي :
الاقرار والشهادة • وقد ايدت الحوادث ان كثيرا من الاقرارات قد تقع
تحت رغبة او رهبة • وان كثيرا من الشهود يبدو صدقهم ، ولا يرى عليهم
امر الباطل والشرور • ثم تسفر الحقيقة عن كذبهم الفاضح • فليس ما يقوى
القرينة من احتمال الضعف باكثر مما يعثرى الشهادة والاقرار •
يقول ابن القيم • ولم يزل الائمة والخلفاء يحكمون بالقطع اذا وجد

(٢١) انظر : الطرق الكمية في السياسة الشرعية ص ١١-١٢

(٢٢) انظر : اعلام الموقعين ١/١٠٣

(٢٣) انظر : الفواكه البديرية ص ٨٠ - ٨٢

المال المسروق مع المتهم • وهذه القرينة أقوى من البينة والاقرار فانهمسا
خبران يتطرق اليهما الصدق والكذب • ووجود المال معه نص صريح
لا يتطرق اليه شبهة « (٢٤) » •

الترجيح :

بعد ما تقدم من ادلة الفريقين نرى ان مذهب القائلين بعدم جواز
القضاء بالقرائن في اثبات الحدود ارجح من مذهب المجوزين • لصحة
ادلتهم من جهة ولانها تتفق وقصد الشارع الحكيم في هذا المجال من جهة
اخرى •

فحديث ابن عباس الاول اخرج ابن ماجه ومسلم ورجاله رجال
الصحيح « (٢٥) » • وعلى هذا فلا اعتراض على الحديث من ناحية السند • وهو
ظاهر الدلالة على ما ذهبوا اليه • وكذلك الحديث الثاني •

وما استدلوا به من المعقول واضح الدلالة على المراد لانه مبني على
اصل متفق عليه وهو درء الحد بالشبهة وهو مقصد الشارع وروح
التشريع • واذا كان ما استدلوا به من آثار الصحابة : معارض بمثله
والاحتجاج به : غير متفق عليه • فان في الادلة السابقة ما يكفى ويغنى •
أما أدلة المخالفين • • فمنطق ابن القيم ومسلكه في الاستدلال
بعمومات الكتاب والسنة : فانها - ان تكن وجهة في غير الحدود - فليست
كذلك فيما يدرأ بالشبهة • • وليس في قوله تعالى « وجاءوا على قميصه
يدم كذب » ما يشير الى جواز العمل بالقرينة من قريب او بعيد • خاصة
في جرائم الحدود •

وعلى فرض تسليم دعوى العموم له فأن هذا الاستدلال مخصص بما
استدل به أصحاب الرأي الاول • وأما استدلاله بالمعقول فهو قياس في
مقابلة النص • اضافة الى ما في هذا المعقول من التعنت • لانه على فرض

« (٢٤) انظر : الطرق الحكيمية ص ٦

« (٢٥) انظر : التلخيص الحبير ٢/٤٠٥

ان الشاهد ربما وهم او كذب • فأن هذا نادر ، لا يوجد في كل شاهد •
خصوصا واننا نشترط في الشاهد : العدالة والحفظ •
أما دعوى الاجماع فغير مسلم بها لوجود المخالف كما رأينا^(٢٦) •
وكون القرينة غير سالحة للاثبات في جرائم الحدود لا يمنع من ان تكون
سالحة للاثبات في حقوق الأدميين مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية ويتفق
ومقصد الشارع الحكيم من اقامة العدل بين الناس • وهو ما ينصرف اليه
حجاج المخالفين •

الاثبات الجرائم في القانون :

ان طرق اثبات الدعاوى الجنائية في القانون الوضعي : اوسع بكثير
منها في الشريعة الاسلامية • فالوضعيون لا يحددون طرق اثباتها بدليل
معين • بل يتركون للقاضي تكليف الواقعة ، والاخذ بما يراه مقنعا من
الطرق^(٢٧) فاتفقوا بذلك مع ابن القيم ومن وافقه • الا اننا عند المقارنة
لا نجد فرقا بين ما ذهب اليه الشريعة الاسلامية وبين ما قرره الوضعيون •
لان الشريعة : انما ضيقت من دائرة طرق اثبات السرقة مثلا في حالسة
كونها موجبة للمقطع فقط • وليس هناك ما يمنع من استعمال كل طرق
الاثبات الممكنة في سبيل اثبات السرقة على وجه يستوجب ضمان المال
المسروق ، اورده أن كان موجودا • مع توقيع عقوبة تعزيرية اخرى قد
لا تقل عن أى عقوبة قانونية على السرقة •

الاثبات بالقرينة في القانون :

عرف الوضعيون القرينة بانها : « الصلة التي قد توجد بين بعض
الأفعال او بعض الظروف الثابتة ، وبين أفعال وظروف اخرى يجب
اثباتها » • فيترتب على ذلك استنتاج الواقعة - المراد اثباتها - مع وقائع
اخرى ثابتة ، تتركز على ظروف فعلية يجب تفسيرها • وثبتت الوقائع

(٢٦) انظر : من طرق الاثبات للدكتور احمد عبدالمنعم البهي ص ٩٦
(٢٧) انظر : عبدالرحمن خضر • شرح قانون اصول المحاكمات الجزائية
البغدادى ٢٢٧/٤

التي تعتبر قرائن بكافة طرق الاثبات العادية • وفي هذه الحالة يكون اثبات ليس واردا على الجريمة نفسها بل على وقائع اخرى توجد بينها وبين الجريمة علاقة منطقية^(٢٨) •

والوَضُعيون يَجِيزون اثبات جريمة السرقة بالقرائن فاتفقوا بذلك مع فقهاء الشريعة القائلين بذلك •

ومنطق الوَضُعيين قريب من منطق ابن القيم • فهم يفضلون الاثبات بالقرائن المعتمدة على الوقائع : على طرق الاثبات بالشهادة • قائلين : أن الوقائع لا تكذب بينما الشهادة تحتل ذلك^(٢٩) •

والحقيقة : انه اذا كانت اليقينة الناتجة عن بعض الامارات لا يمكن الاشتباه بكذبها فإن الامارات نفسها يمكن تهيتها زورا واصطناعها وتزويتها • فإذا كانت الظروف التي يبنى عليها الاستنتاج : بعيدة عن شبهة الكذب • فإن الصلة التي تربط الفعل المجهول بالفعل المعلوم : فرضية صرفة لانها لا يمكن ان تثبت الا طريق الاستنباط الفعلي وفي هذا نقص غير موجود في الشهادة • لانه متى ثبتت عدالة الشاهد نتج راسـا وبالبداهة - صدق قوله وصحة وقوع الفعل الذي شهد به •

(٢٨) عبد الرحمن خضر : ٢٣٧/٣

(٢٩) المصدر السابق •

نظرة الشريعة الإسلامية الى دور الجمهور في منع الاضرار وقايتها للمجتمع

الدكتور حميد عبيد الكبيسي
عميد كلية القانون والسياسة وكالة
ورئيس قسم القانون بالجامعة المستنصرية

مقدمة

لما عني الاسلام - منذ فجره الاول - ببناء مجتمع سليم ، كقاعدة لقيام الدولة التي جاء لاقامتها ، ولما كانت اقامة المجتمع السليم لا تتحقق بدون اعداد اللبنة الاولى منه ، وهم الافراد . فقد كان للفرد النصيب الاوفى من مهمة البناء والاعداد ، فكان مدار عملية مركزة ومحكمة للاصلاح والتهديب والتربية ، على اساس ان الفرد الصالح هو اساس المجتمع الصالح .

وللفرد - في التصور الاسلامي - شخصيتان : شخصية مستقلة يسأل عن نفسه في روحه وعمله وعقله وماله ، واليها تتجه التكاليف الفردية . وشخصية عامة باعتباره جزءا من البناء الاجتماعي ، يسأل بها - بالتضامن مع الآخرين - عن صلاح هذا المجتمع ، ومدى ما يقدم له من خدمات .

(X) بحث مقدم الى المعلقة الدراسية الخاصة بدور الجمهور في منع الجريمة والوقاية منها . المنعقدة بطرابلس - ليبيا - في الفترة من ١١ الى ١٥ تشرين الاول ١٩٧١ تمثيلا للجامعة المستنصرية بالجمهورية العراقية .

والى هذه الشخصية تتجه التكاليف الجماعية ، وما لذلك من أثر نفسي .
ابراز دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع .

وبقدر نصيب الفرد من ادراك الحقائق والشعور بالمسؤولية ، وقوة الخلق والارادة ، وسمو الروح وشرف الغاية ، يكون نصيب المجتمع من الصلاح والقوة والنقاء . فصلاح المجتمع بصلاح افراده ، وفساده واضطرابه من فساده واضطرابه ، ومن هنا كانت العناية بتربية الفرد تربية قويمة يقوم عليها المجتمع الفاضل على اساس من تعاليم الاسلام ، التي سنتكلم عنها بشيء من الايجاز قبل الدخول في الكلام عن دور هذا الفرد متضامنا مع الآخرين - الذين نطلق عليهم اسم الجمهور - في منع الانحراف ووقاية المجتمع .

علما بأن اهمية تكوين الفرد تكويننا خاصا ، ناتجة عن كون الفرد ذا مسؤولية جماعية مفروضة عليه لا يملك التملص منها أو التخلي عنها . فهو ان فعل ذلك تعرض للحساب . ومن هنا كان لابد لهذه المسؤولية من أن تترتب على ما تترتب عليه بقيمة التكاليف من مواصفات خاصة . لهذا المكلف . وهذه المواصفات منها ما هو حق على الفرد لابد وان يؤديه ، ومنها ما هو حق له لابد وان يؤدي له . وقيام الفرد بالحقوق التي عليه وحصوله على الحقوق التي هي له ، تولد الشخصية الفردية التي هي مادة بناء الشخصية الجماعية القادرة على اداء دورها في منسج الانحراف ووقاية المجتمع . ومن اجل هذا سنقسم هذا البحث الى قسمين . تتكلم في القسم الاول منه عن تكوين الفرد الفاضل ، واثره في تكوين الجماعة الفاضلة ، ثم تتكلم في القسم الثاني عن دور هذه الجماعة « الجمهور » في منع الانحراف ووقاية المجتمع .

القسم الاول

تكوين الفرد الفاضل واثره في تكوين الجماعة الفاضلة

يتكون الفرد الفاضل - في نظر الاسلام - عبر سلسلة من الغرس النقي في نفسه وجوارحه ، ثم يكمل بناؤه بحصوله على حقوقه التي هي المرتكز لقيامه بواجباته .

وفي سبيل ذلك خطت الشريعة الاسلامية خطوتين :-

الخطوة الاولى - تربية الضمير الديني في الفرد -

بحيث يتحكم في باطنه وظاهره . فالضمير الديني هو الذي يربط الفرد بالرقيب الذي لا ينام ، وبالعالم الذي لا يجهل ، وحينئذ لن يكون من اليسير على هذا الفرد - وهو بهذا الموقع - ان يكون على السبيل المتعرج ما دام قد نصب من ضميره رقيباً وحسيباً وبهذه الرقابة يكون الفرد قد وجد نفسه ، وسلمت له الحياة بهذا المدد الذي جعله الله اساساً لحياة الانسان منذ أن خلقه وعلق به عمارة الكون : « قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فاما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١)

وللضمير الديني عند الفرد سلطان قوي واثر فعال يفوق سلطان القانون بكثير ، من حيث ان الضمير حاضر لا يغيب ، أما القوانين فقد جبلت النفوس على الخروج عليها . لانها مفروضة من سلطة خارجية عنها ، ومن اجل هذا كانت القوانين المتسمة بالافناع والحجة اكثر تقبلاً واستجابة . (٢)

(١) سورة البقرة - ٣٨

(٢) تكوين الضمير الديني عند الفرد . الدكتور عبدالعظيم شرف الدين . مجلة الازهر ، الجزء السادس السنة الرابعة والثلاثون .

والضمير الديني سلطة ذاتية نابعة من داخل الفرد ، تهيمن على شؤونه ، وتشرف على تصرفاته .

ولقد عبر القرآن الكريم عما نسميه الضمير الديني بـ « تقوى الله » فندب المؤمنين اليها ، وناداهم بوصف الايمان ليحملهم حملا قويا على تنفيذ ما ندبهم اليه : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون »^(٣) ونظرا لاهمية التقوى في تحديد علاقة الفرد بالآخرين نرى الانبياء جميعا قد اتفقوا على هذا المبدأ . فما من نبي الا وقد دعا الى تقوى الله من اجل أن يكون هناك ضمير ديني مؤثر : « والى عاد اخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون »^(٤) . « كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون »^(٥) والامثلة على ذلك كثيرة .

ومن اجل هذا شرع الله من الاسباب ما يوصل الفرد الى هذا المكان المرسوم . ومن بين تلك الاسباب (العبادات) التي هي في ظاهرها علاقة العبد بربه ، وهي في معناها تربية الضمير الديني لدى الفرد الذي يجعله مشدودا الى الجماعة بقوة روحية تحكم ميوله وازادته ، وتوجه سلوكه ، فتحقق الرابطة الاجتماعية في نفسه قبل ان تتدخل القوانين لرسم الطريق .

فمن صلاة تقي الفرد مواقع السقوط الى صيام يربي العقل ويهذب الروح ويعف اليد واللسان ، الى زكاة تغرس في الفرد حب التساوي والشعور بالمسؤولية ، والتضحية في سبيل الآخرين ، الى حج يربي في الفكر المسحة الاجتماعية الواسعة . وهكذا نجد ان العبادات الاسلامية تتجه الى تهذيب ضمير الفرد ليكون مستعدا للتلاحم مع المجتمع الفاضل

(٣) سورة آل عمران - ١٠٣

(٤) سورة هود - ٥

(٥) سورة الشعراء - ١٤١-١٤٢

في غاياته الفاضلة ، فان القلوب اذا طلعت واستقامت فأنتهـ اتحسين مقاصدها الاجتماعية ، ولا حياة لتكافل اجتماعي لا يقوم على اساس من العلاقات الروحية القلبية . والمجتمعات لا تقوم على التكافل المادي وحده . « ان الله لا ينظر الى صوركم واماوكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » .^(٦) ثم ان الجريمة تبدأ اول ما تبدأ في ضمير الانسان وفكره قبل ان تأخذ طريقها الى حيز التنفيذ « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى »^(٧) . « الاثم ما حاك في الصدور كرهت ان يطلع عليه الناس »^(٨)

وحقيقة ينبغي ان تكون ساطعة ، هي ان الضمير الديني اذا ما تربى على هذا النحو الذي رسمه الاسلام فانه يتوفر لدينا بعد ذلك أقوى الاسباب لوقاية المجتمع ومنع الانحراف في كافة المجالات حيث تخفي الأناية وتتلب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، حتى ولو كان في ذلك هلاك الفرد نفسه . ولعل في هذه القصة التي ذكرها ابن القيم خير دليل على ذلك ، فانه يروي ان رجلا وجد في خربة بيده سكين متلطخة بالدم ، وبين يديه رجل يتسخط في دمه ، فساءله علي رضي الله عنه فقال: أنا قتلته ، فقال علي : اذهبوا فقتلوه ، فلما ذهب به جاء رجل مسرعاً ، فقال : يا قوم لا تعجلوا به . ردوه الى عسي ، فردوه ، فقال : يا امير المؤمنين ما هذا صاحبه ، انا قتلته ، فقال علي للاول ما حملك علي ان قتل ما قلت ، ولم تقتله ؟ قال يا امير المؤمنين : وما استطع ان افعل . وقد وقف العسس على الرجل يتسخط في دمه ، وانا واقف وفي يدي سكيني ، وفيها اثر الدم وقد اخذت في خربة ، فثقت الا يقبل منسي

(٦) انظر فيض القدير - ٢- ٢٧٧ ورواه مسلم بلفظ . . . الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكي ينظر الى قلوبكم .
(٧) جزء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور الذي رواه احمد واصحاب الكتب الستة . انظر فيض القدير - ١- ٣٦ .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووي - ١٦- ١١١

فأعترفت بما لم أصنع واحتسبت نفسي عند الله فقال : بئسما صنعت .
فكيف كان حديثك ؟ قال : اني رجل قصاب خرجت الى حانوتي فسي
الغلس فذبحت بقرة وسلختها فينما انا اسلختها والسكين في يدي اخذني
البول فانيت خربة كانت بقربي فدخلتها فقضيت حاجتي ، وعدت اريد
حانوتي فاذا انا بهذا القتل يتسحط بدمه فراغني امره ، فوفت انظر
والسكين في يدي فلم اشعر الا باصحابك قد وقفوا علي فاخذوني فقال
الناس : هذا مثل هذا ، ماله قاتل سواه . فايقتت انك لاترك قولهم
لقولي فاعترفت بما لم اجنه .

فقال علي للمتهم الثاني : فانت كيف كانت قصتك ؟ فقال : اغواني
ابليس فقتلت الرجل طمعا في ماله ، ثم سمعت حسن العسس فخرجت
من الخربة واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف . فاستترت منه
بعض الخربة حتى اتى العسس فاخذوه وآتوك به فأمرت بقتله ، وعلمت
اتي سابوء بدمه ايضا فاعترفت بالحق .^(٩) وهكذا نرى ان بقية الضمير
الديني عند هذا القاتل كانت من القوة بحيث لم تفارقه حتى وهو ينحدر
الى درك الجريمة . فآثرت فيه تأثيرا ايجابيا عبر عنه القاتل بقوله : فعلمت
اني سابوء باثمه ايضا ، فكان هذا الضمير الديني على إختلاله مانعا من
وقوع الظلم من الحاكم والمحكوم . ان هذا التكوين للضمير الديني عند
الفرد ، يقوم عوج الحياة ويرد كل فرد في المجتمع البشري الى موضعه
لا يقصر عنه ، حتى لتصبح الهيئة الاجتماعية باقة زهر لا شوك فيها ،
ويصبح الناس اسرة واحدة ابوهم آدم ، وآدم من تراب .

الخطوة الثانية - حصول الفرد على حقوقه .

فبعد تكوين الضمير الديني لدى الفرد ، واستعداده لان يكون
فردا فاضلا في بناء الجماعة ، لابد من حصوله على حقوقه المشروعة التي
تساعده على رفع مستواه ، وتمكنه من المشاركة في العمل لخير الجماعة .

(٩) الطرق الحكمية ، ٦٢

واسعادها ، وتحفظ له كرامته الانسانية ، وتسمي فيه المواهب التي تؤهله
لاستغلال قواه العقلية والجسمانية .

وأهم الحقوق التي قررها الاسلام للفرد ، هي : المساواة ، والحرية .
اولا - المساواة :

قرر الاسلام المساواة بين الافراد جميعا ، وفرضها على المسلمين
فرضا بقوله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)^(١٠) وبقوله عليه الصلاة
والسلام : (ان الله قد اذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بأبائهم .
لان الناس من آدم وآدم من تراب ، واكمكم عند الله اتقاكم) .^(١١)

ولعلنا قد لاحظنا ان هذه النصوص قد فرضت المساواة بين الافراد
بصورة مطلقة ، فلا قيود ولا استثناءات ، وبهذا تكون المساواة مفروضة
على العالم كله ، فلا فضل لفرد على فرد باعتبار الجنس او اللسان او
السيادة او الحكم .

وهنا يأتي دور الضمير الديني لدى الفرد في تنفيذ ما اقره الاسلام
من مبدأ المساواة بين الناس ، هذا التنفيذ الذي لا يمكن صدوره عن قسر
واجبار . بل عن اقتناع تابع من ضمير يؤمن فيطيع ، يشهد لذلك ما روى
من ان رسول الله (ص) سمع ابا ذر الغفاري يقول لرجل اغضبه : يا ابن
السوداء ، فغضب رسول الله وقال : « طف الصاع طف الصاع - أي
تجاوز الامر حده - ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا
بالقوى » وهنسا تدخل الضمير الديني في حسن التنفيذ ، فوضع ابو ذر
خده على الارض وقال للاسود : قم فطأ خدي^(١٢)

ويسوى الاسلام بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الاسلامية

(١٠) سورة الحجرات - ١٣

(١١) رواه ابو داود في كتاب الادب

(١٢) صحيح البخارى ١-١٥

في كل ما كانوا فيه متساوين تحقيقا للوحدة الاجتماعية • ولا يختلف الفرد المسلم عن غير المسلم الا فيما يتصل بالعقيدة ، فكل ما يتصل بالعقيدة لا مساواة فيه • لان معنى المساواة في ذلك هو حمل غير المسلم على غير ما يتفق وعقيدته • والقاعدة في الاسلام : ان لهم مالنا وعليهم ما علينا مع تركهم وما يدينون به حيث : لا اكراه في الدين •

ثانيا : الحرية : فلا يمكن تصور الفرد المؤثر في المجتمع المؤثر الا اذا كان هذا الفرد حرا بالقدر الذي يجعله عزيزا لا يذل ، وشجاعا لا يهاب ، وقويا لا يضعف • وعندها يمكن لهذا الفرد أن يكون قادرا على اداء دوره في اتمام البناء وارساء قواعده •

والحرية في الاسلام ليست انطلاقا من القيود ، بل هي معنى لا يتحقق في الوجود الا مقيدا • وعلى هذا فإن الحر حقا هو : الفرد الذي تتجلى فيه المعاني الانسانية العالية ، والذي يجد القدرة على ضبط نفسه ويتوجه بها الى معالي الامور • والحر هو الذي يسيطر على ارادته ولا تسيطر عليه شهواته واهوائه وانما هو سيد نفسه الى الحد الذي يعرف مالها وما عليها • وان هذه السيادة النفسية التي يتسم بها الحر هي العنصر الاول في تكوين معنى الحرية في نفسه ، وهو القوي حقا • وفي التمييز بين الارادة والهوى يقول عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » • (١٣) لانه عند الغضب يملكه الهوى • فاذا ملك نفسه في هذه الحالة فهو الحر حقا لانه حرر نفسه من ربة الهوى •

والحرية : معنى اجتماعي لا يتصور وجوده الا في مجتمع متكامل يأخذ الافراد منه ويمطون ، واذا كانت كذلك فلا بد ان تكون في حدود يرسمها المجتمع الفاضل من غير ارهاق نفسي •
وان الذين يفهمون الحرية انطلاقا من كل القيود هم عميد الاهواء الذين لا يراعون حق انفسهم ولا حق المجتمع •

(١٣) متفق عليه • انظر المشكاة - ٢ - ٦٣٤

ان الحرية الحقيقية لا تتصور كذلك • لان الانطلاق تقييد نفسي
جانب آخر يجعلها اعتداء يدفع بالآخرين الى رد فعل مبغته الخصومة •
على ان القيود الضابطة للحرية هي في اصلها قيود نفسية وليست قيودا
خارجية ابتداء •

وهذه القيود تتكون من حقيقتين :

الاولى : هي السيطرة على النفس والخضوع لحكم العقل لا لحكم
الهوى •

والثانية : الاحساس الدقيق بحق الناس على الفرد ، والا كانت
الانانية ، والحرية والانانية : تقبضان لا يجتمعان •

ومما لاشك فيه ، ان الناس ليسوا سواء في مراعاة حرية الغير •
ومن ثم فان الناس منهم الحر ومنهم غير الحر ، وان ادعى الحرية •
لذلك كان لا بد ان تقيد حرية بعض الناس بقيود خارجية عن النفس
بحكم القانون • وحينئذ تكون هذه حماية للحرية وليست قيودا فيها •
وبهذا فقط يمكن الفرد من ان ينال قسطه من الحرية التي تبنى فيسه
الصلاحية للانتماء الى المجتمع الفاضل • والحرريات التي منحها الاسلام
للفرد من اجل ان يكون لبنة قوية في البناء الاجتماعي هي : حرية
التفكير ، وحرية الاعتقاد ، وحرية القول ، وحرية العلم ، وحرية
التملك •

فحرية التفكير الفردي تتجلى في تحرير عقله من الاوهام والخرافات
والتقاليد ، ونبذ كل مالا يقبله العقل • ولقد قامت الدعوة الاسلامية
نفسها على اساس من العقل • فالقرآن يعتمد في اثبات وجود الله ، ويعتمد
في اقناع الناس بالاسلام على استشارة تفكيرهم ، وايقاظ عقولهم ، ويدعوهم
الى التفكير في خلق السموات والارض ، وفي خلق انفسهم •
ويعيب القرآن على الناس ان يلغوا عقولهم ويعطلوا تفكيرهم ،
ويقلدوا غيرهم ويصف من كانوا كذلك بانهم كالانعام بل اضل سبيلا •

ويترجم القرآن لهذا الاحوال فيقول : « او لم يتفكروا في انفسهم »^(١٤)
وقوله « وما يذكر الا اولو الالباب »^(١٥) وقوله : « واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
ولا يهتدون »^(١٦) . والنصوص من القرآن والسنة على مثل ذلك كثيرة
متوافرة مما يحث على حرية التفكير وتحرير العقل من قيود التبعية
والتقليد والجمود . لينطلق العقل في مجالات الحقيقة التي تجعل الفرد
مخلوقاً مفكراً بعد ان ربي فيه الاسلام التربة الصالحة بالعبادات

قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا .

أما حرية الاعتقاد : فان الاسلام هو اول شريعة اباحت حرية
الاعتقاد للفرد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها الى اخر الحدود .
فلكل فرد - طبقاً للشريعة الاسلامية - ان يعتقد من العقائد ماشاء وليس
لاحد ان يحمله على ترك عقيدته او اعتناق غيرها . الا اذا صاحب ذلك
اعتداء بشكل من الاشكال . ولم تكن الشريعة الاسلامية باعلان حرية
العقيدة للفرد ، وانما اتخذت لحماية ذلك طريقين :-

احدهما : الزام الناس ان يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء
وفي تركه يعمل طبقاً لعقيدته ، فان كان ثمة معارضة فلتكن بالحسنى
ولبيان وجه الخطأ فان قبل صاحب العقيدة ان يغيرها عن اقتناع فلا حرج
وان امتنع فلا يجوز اكراهه ولا تهديده « ولو شاء ربك لامن من في
الارض كلهم جميعاً . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .^(١٧)

الثاني : الزام صاحب العقيدة ان يعمل على حماية عقيدته وان لا
يقف موقفاً سلبياً . فاذا عجز عن حماية نفسه كان عليه ان يهاجر الى

(١٤) سورة الروم - ٨

(١٥) سورة البقرة - ٢٦٩

(١٦) سورة البقرة - ١٧٠

(١٧) سورة سبأ - ٤٦

(١٨) سورة يونس - ٩٩

ببلد آخر يحترم اهله العقيدة ويتمكن فيه من اعلان ما يعتقد « ان الذين
ترتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في
الارض • قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها » (١٦)

أما حرية القول : فقد جعلتها الشريعة الاسلامية حقا لكل فرد •
وبل جعلت القول واجبا على المسلم في كل ما يمه من الاخلاق • والمصالح
العامة والنظام العام • واذا كانت الشريعة الاسلامية قد قررت حرية القول
من يوم نزولها ، فانها قيدت هذه الحرية بالقيود التي تمنع من العدوان
بواسطة الاستعمال • وهو مبدأ عام في كل الحريات الممنوحة للفرد كما
ذكرنا • والنصوص على ذلك كثيرة مثل قوله تعالى : « ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » (١٧) وقوله :
« خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » (١٨) وقوله : « لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » (١٩) وقوله : « ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله (٢٠) » •

أما حرية التملك : فقد قررها الاسلام للفرد ضمن حدود مرسومة
تتدور بين ثلاثة امور هي اولا : ان تكون الملكية في دائرة منع الضرر ،
ثانيا : انه ليس كل شيء قابلا للامتلاك الفردي ، وثالثا : تقرير بعض
الحقوق المفروضة للدولة او للجماعة على الملكية الخاصة • (٢١)

كما ان لولي الامر العادل ان يتدخل لتقرير القيود على حرية
الملكية الخاصة اذا اصطدمت تلك الحرية بمصالح الآخرين ، او كانت
بحرية معتدية • كما روى انه كان لسبيرة بن جندب نخل في حائط

(١٦) سورة النساء - ٩٧

(٢٠) سورة الانعام - ١٠٨

(٢١) سورة النخل - ١٢٥

(٢٢) سورة النساء - ١٤٨

(٢٣) سورة الاعراف - ١٩٩

(٢٤) ابورزقة - التكافل الاجتماعي - ص ١٢

رجل من الانصار وكان يدخل هو واهله فيؤذيه . فشكا الانصاري ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله لصاحب النخل :
بعه فابى . فقال الرسول : فاقطعه فابى . قال فبهه ولك مثله في الجنة .
فابى . فالتفت الرسول اليه وقال : انت مضار ، ثم التفت الى الانصاري
وقال : اذهب فاقطع نخله^(٢٥) وهكذا نرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يحترم تلك الملكية المعتدية . ومع ذلك فان حرية التملك من حيث
الاصل مكفولة للافراد في الشريعة الاسلامية .

هذا هو الفرد الصالح الذي اراده الاسلام لينة صلابة في البناء
الاجتماعي المؤثر . لان الظاهرة الاجتماعية تحدث نتيجة عدد كبير من
الضمانات الفردية . أي ان الفرد بطريقة ما ممثل في هذا المجتمع تمثيلا
ايجابيا له ضفته ووزنه ودفعه للحياة ومن هنا كان لطبيعة الضمير الفردي
اثره في طبيعة الضمير الاجتماعي . لان الاخضاع الذي يفرضه المجتمع
على الفرد ليس الاحالة من حالتين :-

فأما انه اخضاع صالح ، ناتج عن اجتماع عدد كبير من الضمانات
الفردية الصالحة التي تفرض سلطانها على الفرد المنحرف ، وتلزمه بعدم
الخروج عن الحدود المرسومة .

وأما انه اخضاع فاسد ، ناتج عن اجتماع عدد كبير من الضمانات
الفردية الفاسدة والمنحرفة التي تفرض سلطانها على الفرد الصالح . فهور
اما أن يسير معها او تبعده عن الطريق . وهذا ما حذرت منه الشريعة
الاسلامية ونذبت الفرد الى الصمود والمقاومة بقوله عليه الصلاة والسلام :
« لا يكن احدكم امعة يقول : ان احسن الناس احسنت وان اسوأ
اشأت . ووطنوا انفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اسوأ
تنجبوا اسأفتهم . »^(٢٦)

(٢٥) رواه ابو داود في الاقضية .

(٢٦) انظر المشكاة ٢٠٢-٢٣٩ .

وبهذا الفرد الفاضل يتحقق المجتمع الفاضل الذي نلتقي على ملامحه
بعض الاضواء فنقول :

المجتمع المتكافل -

يسمى الاسلام لايجاد مجتمع متكافل تتعاون فيه كل القوى الانسانية
بحيث تلتقي على المحافظة على مصلحة الفرد اولا ، ثم يتدرج الامر بهم
الى مرحلة صيانة البناء الاجتماعي والعمل على ارساء قواعده المترابطة
التي لا ينفذ الدخن من اجرائها .

ويتحقق ذلك بالالتزام بمصالح الاخرين والقيام بها . لان في
الاخلاق بذلك يكمن انهيار المجتمع . ويترجم رسول الله (ص) لهذه
المعاني بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا »^(٢٧) مثل
المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »^(٢٨) وهذا هو المجتمع المتكافل
الذي يؤمن افراد بمسؤولية بعضهم تجاه البعض الآخر . هذه هي
المسؤولية التي هي اول عناصر الحياة الطبيعية للمجتمعات الفاضلة . وفي
سبيل هذا التكافل الاجتماعي والمسؤولية الجماعية كان الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ،
والنساء صالحات قانتات حافظات للغيب ، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وكان كل فرد راعيا ومسؤولا عن رعيته بالمعنى الذي يشمل الحاكم في
رعيته ، والرجل في اهله ، والمرأة في بيت زوجها ، والخادم في مال
سيده ، والفلاح في ما في يده من الارض والاجر في ما في يده من العمل .
وهكذا يكون المجتمع الفاضل الرشيد .

الرأى العام الفاضل -

وعندما يتحقق المجتمع المتكافل فانه بالضرورة يتسج رأيا عاما

(٢٧) متفق عليه

(٢٨) متفق عليه

فاضلا هو اول مظهر من مظاهر هذا المجتمع * وللرأي العام الفاضل رقابة نفسية تجعل الشر ينطوي على نفسه فلا يظهر ، وتجعل الخير في موقع الاعلان والظهور *

وبالرأي العام الفاضل تسمر الجماعة بقوة خفية تعينها على المحافظة على واجهة المجتمع تقية ناصعة * وهذه القوة هي رد الفعل الاجتماعي العام الذي يجعل من الحياء سدا بين الجريمة وبين أن تظهر وتبرز * فالحياء ، هو : خلق الرأي العام الفاضل * لانه يؤلف بين الناس ويجعل الفرد يحس بسلطان الرأي العام على نفسه ، وان الرذيلة التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة وتعودها انما هي انطلاق من القيود الاجتماعية ، والحياء هو الاحساس القوي بالقيود النفسية التي تجعل للجماعة وما يرضيها مكانا في نفس المجرم *^(٢٩) ولذلك حث الاسلام على خلق الحياء ، فدعا اليه النبي (ص) واكثر من الدعوة * فقال ، مينا ان الحياء هو القيد الخلقي الاجتماعي : « ان مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت »^(٣٠) واعتبر الرسول الحياء خلق الاسلام الذي يتميز به فقال : « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » *^(٣١)

ولاشك اننا اذا عالجت النفوس التي اصابتها آفة الجريمة بث روح الحياء فيها نكون قد قربنا بينها وبين الجمهور ، وجعلناها قريبة مما يألف الناس * فلا يكون منها ما تكره الجماعة ، وبالتالي لا يكون منها اجرام * وان لم تذهب من النفس نوازعه ، قل وندر * ولعل ما نراه في بعض السجون من هتك حجب الحياء في نفس المسجونين من الاسباب التي تدفع الى الجريمة ، او على ان تفقد الفضيلة قوة من قواها الفعالة التي تبني في النفس قواعدها وتعطيها حصانة دافعة * ولكي يكون الرأي العام طاهرا تقيا لا تظهر فيه الاخباث التي تشذ

(٢٩) ابو زهرة - فلسفة العقوبة - ص ٣٠ وما بعدها

(٣٠) رواه البخارى . انظر المشكاة - ٢ - ٦٢٨

(٣١) رواه مالك مرسلا . انظر المشكاة - ٢ - ٦٣١

بها العيون والمآثم التي تخرج النفوس : منع الإسلام من اعلان الجريمة ،
وعد الجريمة المعلنة جريمتين ، جريمة الفعل وجريمة الاعلان . ولذا
يقول عليه الصلاة والسلام^(٣٢) : « يا ايها الناس من ارتكب شيئا من هذه
الفاذورات فاستتر ، فهو في ستر الله ، ومن ابدى صفحته اقمنا عليه
الحد^(٣٣) » ويقول : « ان من ابد الناس منازل عن الله يوم القيامة المجاهرين ،
قيل ومن هم يارسول الله ؟ قال : ذلك الذي يعمل عملا بالليل ، وقد
ستره الله ، فيصبح يقول : فعلت كذا وكذا ، يكشف ستر الله » .^(٣٤)
فاعلان الجرائم دعوة اليها وتحريض عليها بالاعلان ، وقد عد الله
المعلنين مشيعين للفاحشة فقال : « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة » .
وبهذا يكون الاسلام قد بنى جمهورا قويا متماسكا هو اهل لان تناط
به مهمات القيادة والسير بالمجتمع الى غايته المنشودة ، وذلك بمباشرته
لدوره في منع الانحراف ووقاية المجتمع على النحو الذي سنتناوله في
القسم التالي .

(٣٢) سنن النسائي - ٧-٢٥٧

(٣٣) متفق عليه . انظر المشكاة - ٢-٥٨٠

(٣٤) سورة النور - ١٩

الفساد بعض اجزائها سرى الى الاجزاء الاخرى ما لم يقبر الفساد في مهده قبل ان يستفحل ويستشري ، فاسند الى الجماعة مهمة الرقابة التي جعل لها عنوانا هو « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

وهذه الضرورة ناتجة ايضا عن التزام الاسلام بتقرير حقوق خمسة لكل مواطن حيث لا تتم كرامة الانسان وسعادته بفقدان واحد منها ، وهي :
١- حفظ الدين ، ٢- حفظ النفس ، ٣- حفظ النسل ، ٤- حفظ المال ، ٥- حفظ العقل^(٣٧) ثم عاد الاسلام فنظر الى الذين قد تصطنع الموانع دونهم للحيلولة بينهم وبين تمتعهم بهذه الحقوق ، وحين لا يملكون من القوة ما يمكنهم من انتزاع تلك الحقوق ، فأمر الجماعة بان تكون في مواقع العون ، واسند اليها المسؤولية كاملة في منع الانحراف ايا كان شكله ، وفي حماية المجتمع ايا كان الخطر الذي يتهده ، وعلى هذا فان الجماعة حين تحارب الجريمة فانها بذلك تمهد الطريق أمام الآخرين للتمتع بحقوقهم كاملة غير منقوصة ، ولا يمكن ان تتصور مجتمعا سليما يختفي منه مبدأ الرقابة الجماعية على كافة شؤونه .

٢ - مسؤولية الجمهور عن الرقابة :

قلنا ان الجمهور الاسلامي ليس مخيرا في اداء واجب الرقابة على المجتمع ، وانما هي مسؤوليته التي انيطت به لغرض الارشاد العام لتقويم المعوج وتشجيع المستقيم واعانته على الاستمرار ، وكانت فرضا عليهم بقوله تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »^(٣٨)

فعلى جماعة المسلمين ان تأخذ على يد الظالم وان تحارب الجريمة والانحراف قبل ان يستفحل خطرهما ويشتد امرهما ، والا كانت مسؤولة

(٣٧) انظر شفاء الغليل للامام الغزالي - ١٦١ والموافقات للشاطبي

٨-٢ .

(٣٨) سورة آل عمران - ١٠٤

دون ان يدخل في مفهومه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكن سياق الآية يدل على ان الاهتداء يراد به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك لان الآية تخاطب المؤمنين . فأى فائدة في تقييد الحكم بالايمان مع ان المفروض انهم يؤمنون ؟ وانما تظهر الفائدة في تقييد الحكم بامر آخر أكثر من مجرد الايمان ، وهو ما يكمل به الايمان من امر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وغير هذا من صفات المؤمنين الذين كمل ايمانهم وصدقست عزائمهم ، وعلى هذا فان الآية تهيب بالمؤمنين ان يتعهدوا انفسهم بالاصلاح باداء ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويكملوا ايمانهم بغير هذا من الصفات التي تسمو بالارواح ، ولا يضيرهم بعد هذا ما يصادفونه من اصرار من يدعونهم على الضلال ما داموا قد اهدوا وادوا ما يتطلبه اهتدائهم من الرقابة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعلى هذا فان الآية لا تعفي الناس من المسؤولية كما قد يتبادر الى الذهن .^(٤٤)

وقد بينت السنة - وهي الشارحة للقرآن - هذه المسألة فيما روى عن ابي بكر انه قام خطيبا فحمد الله واتى عليه ثم قال : « يا ايها الناس انكم تقرأون هذه الآية : يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم » وانا سمعنا رسول الله (ص) يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك الله ان يعذبهم بهذاب من عنده » .^(٤٥)

وواجب الرقابة على المجتمع والاخذ على يد الفساد ليس انتقاما من المفسدين بقدر ما هو دفاع عنهم ، ورعاية لشأنهم ، واهتمام بأمرهم . لان الاسلام الذي حرم حمية الجاهلية ، وقيد ذلك التناحر السذي جرت الجاهلية العربية على الالتزام المطلق به حين قالوا : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » قد غير من مفهوم هذا التناحر حين قال عليه الصلاة والسلام : من نصر قومه على غير الحق فهو كالبير السذي ردى فهو ينزع يذنبه^(٤٦) فتغيرت بذلك نفسية العربي وعقليته ، حتى اصبح ذوق العربي

(٤٤) انظر تفسير القرطبي ٦-٣٤٢

(٤٥) ابن ماجه ، ٢-١٣٢٧ والقرطبي ، ٦-٣٤٣

المسلم لا يستسبح ذلك المثل العربي السائر . فلما قال النبي صلى الله عليه
 وسلم مرة : انصر اخاك ظلما او مظلوما ، لم يملك العربي نفسه ان قال :
 يا رسول الله ، انصره مظلوما ، فكيف انصره ظلما ؟ فقال : تمنعه من الظلم
 ، فذلك نصرك اياه»^(٤٧) .

٣ - ترك الرقابة يؤدي الى الهلاك :

ان وقوف الجماعة موقف المتفرج مما يدور امام سمعها وبصرها من
 فساد وانحراف يؤدي بالضرورة الى هلاك المجتمع ، ولا ينفع الصالح
 صلاحه بعد ذلك لأن صلاح فئة من الناس لا يستقيم الا اذا دافعت
 عنه بواجب الرقابة على الآخرين . والا كانت العقبة واحدة ، وفي ذلك
 يقول تعالى : « واقفوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »^(٤٨) .
 واذا كان لا بد لكل عقوبة من جريمة ، فان العقاب ينزل باهل المنكر
 على ما اقتضوه من الفساد ، وينزل - ايضا - بغيرهم لان جرمهم -
 حيثئذ - هي عدم النهي عن المنكر ، ومن ثم تفرطهم بمسؤولية الرقابة
 على المجتمع . وقد روى ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن رسول
 الله قوله « ان الناس اذا رأوا المنكر لا يغيرونه اوشك الله ان يعذبهم
 بعقابهم »^(٤٩) . وحاشا لله ان يعاقب بريئا . ومثل ذلك قوله عليه الصلاة
 والسلام : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، يقدرون على
 ان يغيروا عليه ولا يغيرون الا اصابهم الله منه بعقاب »^(٥٠) . وقد أخبر
 رسول الله عن بعض عوائل الأنهار في الامم السابقة ، فكان من اهمها
 ، وامضاها هو تقاعس الجمهور عن الرقابة واتانة العليل . فيقول : « انما
 هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق
 فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد »^(٥١) .

(٤٦) المشكاة ٢-٥٩٥

(٤٧) المشكاة ٣-٦٠٦

(٤٨) سورة الانفال - ٣٥

(٤٩) المشكاة ٢-٦٤٣

(٥٠) المشكاة ٢-٦٤٤

(٥١) نيل الاوطار ٧-٣٠٥

٤ - مبدأ الرقابة التزام وسلوك

ان واجب الرقابة لا يقف عند حد الاداء والتبليغ وانما هو التزام وسلوك ، أي ان على الجماعة ان تلتزم به وتكيف سلوكها بما ينسجم والغاية منه ، ويظهر اثر ذلك في طبيعة سلوك الجماعة من المنحرفين . . . حيث طلب الاسلام ان يأخذوهم بالشدة والحزم ، مع تحديد المواقف منهم فيما يتعلق بالمجالسة والمعاملة . . . وكأن الاسلام اراد ان يتوصل الى اصلاح هؤلاء - ان استعصى الامر - بنبذهم من المجتمع واطهار روح المعارضة وعدم الرضا . فقد يكون ذلك سبيلا الى عودتهم الى حظيرة المجتمع الخيرة بدافع من شعورهم بالحاجة اليه وتعذر الانزعال عنه . وفي ذلك يقول تعالى : « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره »^(٥٢)

وعن ابي عبيدة قال . قال رسول الله (ص) : « ان بني اسرائيل لما وقع فيهم القاص ، كان الرجل يرى اخاه على الذنب ، فينهاه عنه . فاذا كان الغد ، لم يمنعه ما رأى منه ان يكون اكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض »^(٥٣) وبهذا فان الاسلام يطالب الجماعة بأن يلتزموا بالرقابة قولاً وعملاً وسلوكاً . لكي يكون دورهم في حماية المجتمع اكاملاً ومؤثراً .

٥ - نظرات الاسلام المتعددة الى الرقابة

ونظرة الاسلام للمسؤولية الجماعية عن الرقابة متعددة متنوعة فهو تارة ينظر اليها على انها جهاد يرضي نزعة العبادة ونداء الرجولة . بل هي من أعلى مراتب الجهاد اذا ما اقترنت باحتمال الاذى والعذاب . فيقول رسول الله (ص) : افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر^(٥٤) . وقد اكد رسول الله هذا المعنى فيما روى عن ابي امامة قال : عرض لرسول الله (ص) رجل عند الجمره الاولى ، فقال . يارسول الله : أي الجهاد

(٥٢) سورة الانعام - ٦٨

(٥٣) ابن ماجه - ٢-١٣٢٩

(٥٤) المشكاة - ٢-٣٢٥

افضل؟ فسكت عنه ، فلما رمى الجمرة الثانية سأله ، فسكت عنه ، فلما رمى جمره العقبة ، وضع رجله في الغرز ليركب قال : اين السائل؟ فقال : انا يا رسول الله قال : « كلمة حق عندي ذي سلطان جائر »^(٥٥) . وينظر الاسلام الى الرقابة تارة اخرى على انها انتصار لكرامة الجماعة وتلبية لنداء الفضيلة والرجولة . فان التهاون عنها يتنافى والكرامة التي تدفع اصحابها الى اثبات وجودهم وفرض شخصيتهم ، وتتنافى مع الفضيلة التي تدفع اصحابها الى الدفاع عنها والفضب من اجلها والثأر لها . وتتنافى مع الرجولة التي تدفع اصحابها الى ارتياد مواطن الاقدام والشجاعة والبعد عن الجبن والخور .

وقد روى عن ابي سعيد الخدري انه قال : « قال رسول الله (ص) : لا يحقر احدكم نفسه » قالوا : يا رسول الله : كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : « يرى امرأه عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه »^(٥٦) . وهذا كذا فان الموقف السلبي هذا يؤدي الى احتقار النفس ، وهو ما لا يرضى به حر كريم .

وينظر الاسلام تارة ثالثة الى الرقابة على انها عنصر من عناصر احترام المجتمع وتقديسه ، وعامل من عوامل انتعاش الامة وتماسكها ، ومظهر من مظاهر المجتمع الفاضل الذي يكسب احترام الآخرين عن طريق احترامه لنفسه . . ولا تقدر امة لا يؤخذ من شديدتهم لضعيفهم .

٦ - المسؤولية على قدر المستطاع

ولما كانت الواقعية هي سمة الاسلام الغالبة عليه في كل ما جاء به من احكام فانه لم يصل بالامر في اسناد مسؤولية الرقابة على المجتمع الى حد الاعجاز والاهلاك ، وانما هي واجبة في حدود الطاقة البشرية . فان تجاوزت ذلك كان للامر تكيف آخر . وهذا على المبدأ الاسلامي لا يكلف

(٥٥) مسند احمد ٣-١٩ و٦١٤-٤ و٣١٤ و٣١٥ . وابن ماجه في الفتن - والنسائي في البيعة .

(٥٦) مسند احمد ٣-١٠ و٤٧ و٧٣ و٩١

(٥٧) سورة البقرة ٢٨٦

الله نفسا إلا وسعها^(٥٧) ومع هذا، فإن الباب يبقى مفتوحا لمن يختار التضحية والفتوة وبيع نفسه لله ، أن يلج على الشر معاقلة الحصينة ويلقى في سبيل ذلك حتفه . وانفسه حينئذ موقف من مواقف خاصة المجاهدين . ومن هذا القيل ما روى عن أبي أمية الشعماني ، قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني ، فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ؟ قال : أية آية ؟ قلت : يا أيها الذي آمنوا عليكم انفسكم . قال : أما والله سألت عنها خيرا ، سألت عنها رسول الله (ص) . فقال : بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطلقا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة . فإن من ورائكم أيام الصلوات فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون بمثل عملكم .^(٥٨)

٧ - حقيقة الرقابة في الفقه الاسلامي

يطلق الفقهاء على مبدأ الرقابة الجماهيرية على المجتمع اسم «الحسبة» وهي الحكم بين الناس في النوع الذي لا يتوقف على الدعوى . وقاعدة الحسبة وأصلها هو « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهي صفة وصف الله بها هذه الأمة ، وفصلها من أجل ذلك على سائر الأمم التي أخرجت للناس « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .^(٥٩)

ويقول الفقهاء^(٦٠) انها واجبة على كل مسلم قادر ، وعلى وجه التحديد . . قالوا : انها فرض كفاية وتصير فرض عين على القادرين الذين لم يقم بها غيرهم . وعلى هذا فإن مناط الوجوب هو « القدرة » حيث يجب على القادر مالا يجب على العاجز ، يقول الله عز وجل : « فاتقوا

(٥٨) القرطبي ٦-٧٤٣

(٥٩) سورة آل عمران - ١١٠

(٦٠) الطرق الحكيمية ص ٢٥٧

الله ما استطعتم» (٦١) ويقول عليه الصلاة والسلام: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (٦٢)

وإذا كانت الرقابة الجماهيرية تتناول كل ما لا يدخل في نطاق القضاء ولا يتوقف على الدعوى فهي تتناول ما يتوقف عليه صلاح المجتمع ونقاؤه ودفع الظلم عنه، مثل أداء الأمانة والنهي عن الخيابة وتطبيق المكيال والميزان والغش في الصناعات والبيوع، وتفقد احوال المكاييل والموازين، و احوال الصناعات الذين يصنعون الاطعمة والملابس والالات. فواجب الجمهور - في هذا - العمل على منع وقوع المظالم في مثل ذلك ويذكر ابن القيم بغضا مما يدخل تحت سلطة الجمهور الذين لهم حق الرقابة على المجتمع فيقول: ومنعظم ولاية صاحب الحسبة وقاعدتها. الانكار على هؤلاء الزغلية، وارباب الغش في المطاعم والمشارب والملابس وغيرها فان هؤلاء يفسدون مصالح الامة، والضرر بهم عام لا يمكن الاحتراز منه. فعليه «أي صاحب الحسبة سواء كان متبرعا او ذا ولاية» الا يهمل امرهم، وان ينكل بهم وامثالهم، ولا يرفع عنهم عقوبته، فان البلية بهم عظيمة، والمضرة بهم شاملة ولاسيما هؤلاء الكيماويين الذين يفسدون النقود والجواهر والعطر والطيب وغيرها. ويدخل في المنكرات: ما نهى الله عنه ورسوله من العقود المحرمة، مثل عقود الربا، صريحا واحتياالا وعقود الميسر كبيوع الفرر والملامسة والمناينة والتجشس.

ويختتم ابن القيم كلامه هذا بقوله: «فعلى والي الحسبة انكار ذلك جميعا، والنهي عنه، وعقوبة فاعله، ولا يتوقف ذلك على دعوى ومدعى عليه» (٦٣) مؤكدا منه على ان ذلك داخل ضمن صلاحية الجمهور وواجبه في الرقابة على المجتمع وحمايته من الانحراف والظلم.

(٦١) الثغابين-١٦

(٦٢) مسند احمد ٢٠-٢٤٧ و٢٥٨

(٦٣) الطرق الحكيمة ص ٢٦٠

٨ - المندى الذى تصل اليه الرقابة الجماعية

لا يقتصر دور الجمهور في الرقابة على المجتمع على مجرد التنبيه والتحذير • وانما لهم من الصلاحيات مايمكنهم من تنفيذ الردع والزجر - في بعض الحالات - مما يجعل للرقابة اثرا فعلا ومباشرا ، فيرى بعض الفقهاء ان للجمهور - على وجه الاجمال - الحق في ايقاع العقوبة على بعض المخالفين • • اذا كانت تلك المخالفات داخلة ضمن حدود الرقابة على المجتمع • وهو ما يعبر عنه « بازالة المنكر » ومن الامثلة على ذلك : المنكرات من الاعيان والصور فان للجمهوراتلاف محلها تبعاً لها • كالاصنام المعبودة من دون الله • فانه لما كانت صورها منكراً جاز اتلاف مادتها ، فاذا كانت حجرا او خشبا ونحو ذلك جاز تكسيرها وتحريقها • وكذلك آلات الملاهي يجوز اتلافها عند اكثر الفقهاء - وهو مذهب مالك واشهر الروايين عن احمد .^(١٤)

قال الاثرم : سمعت أبا عبدالله يسأل عن رجل كسر عودا كان مع أمة لانسان فهل يغرمه أو يصلحه ؟ قال : لا أرى عليه بأسا ان يكسره ولا يغرمه ولا يصلحه ، قيل له : فطاعتها ؟ قال : ليس عليها طاعة في ذلك •

وقال ابو داود : سمعت احمد يسأل عن قوم يلعبون بالشطرنج ، فنهاهم فلم ينتهوا ، فاخذ الشطرنج فرمى به ؟ قال : قد احسن • قيل : فليس عليه شيء ؟ قال : لا • قيل له وكذلك ان كسر عودا او طنبورا ؟ قال نعم •

وفي رواية اسحاق بن منصور - في الرجل يرى الطنبور والطبل والقينة ، قال : اذا كان طنبور او طبل ، وفي القينة مسكر فاكسره • قال ابن القيم : « وهذا قول ابي يوسف ومحمد بن الحسن واسحاق بن راهوية ، واهل الظاهر ، وطائفة من اهل الحديث ، وجماعة السلف »

(٦٤) الطرق الحكمية ص ٢٩١

وهو قول قضاة العدل،^(٦٥) وعلى هذا كانت رقابة الجمهور على المجتمع رقابة شرعية ومباشرة ولهم من الصلاحيات في ذلك ما يصل إلى حد ائتلاف الاموال على وجه العقوبة التعزيرية وقياسا على ذلك فانه ليس هناك في الشريعة الاسلامية ما يمنع من ان يقوم الجمهور انطلاقا من واجب الرقابة بازالة المنكر مباشرة . كأرارة الطعام المشوش ، وتمزيق الصور العارية وائتلاف محلات بيع الخمر ، واغلاق بيوت الميسر والبغاء ، وائتلاف ما بها من ادوات ونحو ذلك من كل ما يساهم في المحافظة على واجهة المجتمع الحقيقية ناصعة .

فهذه المنكرات وامثالها تدخل ازلتها ضمن صلاحية الجمهور ، انطلاقا من مبدأ الرقابة على المجتمع . ومن التطبيقات الاسلامية في ذلك فنقتطف هذه الاخبار .

١ - على الجمهور ائتلاف الكتب الفاسدة ولا ضمان في ائتلاف هذه الكتب المضلة . فان كل ما يكتب من الكتب مخالفا للقرآن والسنة ، مما يضر بعقيدة المجتمع واخلاقه ، مأذون في ائتلافه . قال المروزي فليس للاحمد : استعرت كتابا فيه اشياء رديئة ترى ان احرقه ؟ قال : نعم فأحرقه . وقال ابن القيم : « ان هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب ائتلافها واعدامها ، وهي اولى بذلك من ائتلاف آلات اللهو والمعارف ، وائتلاف آنية الخمر فان ضررها اعظم من ضرر هذه ، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في تكسر اواني الخمر وشق رقاقها »^(٦٦) ويقاس على ذلك كل هذا السيل من المجلات الخليعة والصحف المفسدة ذات الهدف الهدام لبناء الامة القائم على سلامة اخلاقها .

٢ - اغلاق دور الدعارة والفساد . فقد روى ابن القاسم ان مالكا رحمه الله سئل عن فاسق يأوى اليه أهل الفسق والخمر : ما يصنع به ؟

(٦٥) الطرق الحكمية ص ٢٩٢

(٦٦) الطرق الحكمية ص ٢٩٨

قال: يخرج من منزله ويكرى عليه الدان وايوت، قال: فقلت: ألا تباع؟ قال: لا، لعله يتوب فيرجع الى منزله، قال ابن القاسم: يتقدم اليه مرة او مرتين او ثلاثا، فان لم ينته اخرج واكرت عليه^(٦٧).

٣- ان للجمهور ان يخولوا دون بلوغ مرحلة الشهاد من اختلاط النساء بالرجال قل مالك: اذئ ان لا تترك المرأة الشابة تجلس الى الصياغ فاما المرأة المتجالة والخدام الدون التي لا تنهم على القعود ولا يتهم من تقعد عنده فاني لا ارى بذلك بأسا^(٦٨) وقال ابن القيم: «يجب منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والزقاق، وتكون عقوبة هؤلاء بما ذكره ابن القيم ايضا من ان لولي الامر ان يفسد على المرأة اذا تجملت وتزينت وخزجت - ثيابها بجبر ونحوه، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء».

٤- وللجمهور ان يمنع الاعمى بالحمام على رؤوس الناس، فانهم يتوسلون بذلك الى الاشراف عليهم، والتطلع الى عوراتهم، وقد روى ابو داود في سننه من حديث ابي هريرة عن النبي (ص) «ان رجلا يتبع حمامة فقال: شيطان يتبع شيطانة» وكان شريح لا يجيز شهادة صاحب حمام^(٦٩).

وإذا كانت هذه النصوص والروايات تعطينا الدليل على وجوب مشاركة الجمهور في حماية المجتمع ووقايته من كل ما يسيء اليه، فانهم بلا أدنى شك لا تلزمنا في أسلوب تنفيذها او منهجها في العمل، وانما لسلك عصر اساليبه التي تلائم والعرف السائد فيه، وليس هناك ما يمنع من اتخاذ أي أسلوب آخر يحقق الغاية المنشودة تبعاً للاصلاح والانطب، وعلى ان كثيرا من اساليب الرقابة القديمة قد ثبتت صلاحيتها، ففي عصرنا الحاضر،

(٦٧) الطرق الحكمية - ٣٠٠

(٦٨) الطرق الحكمية ص ٣٠١

(٦٩) الطرق الحكمية ص ٣٠٣ ومشكاة المصابيح ٢-٥٠٧

والمثال على ذلك ما تمت تجريبته في العراق من ائتلاف زبقة النساء اللواتي يخدمن الحياة العام بمفالاتهن في التبرج ، فكن يتعرضن لتلوين ارجلهن بالطلاء الاسود او الحبر تحت اشراف السلطة ، وهذا عين ما قاله ابن القيم . على اننا هنا بصدد البحث في طريقة تنفيذ رقابة الجمهور على المجتمع بقدر ما يعيننا من القاء الضوء على حقيقة دور الجمهور هذا في الشريعة الاسلامية .

٩ - دور الجمهور في رعاية مصالح المجتمع

لا يقتصر دور الجمهور - في الاسلام - على منع الجريمة والانحراف وحماية المجتمع من الضرر والفساد ، وانما يتعدى ذلك الى وجوب مشاركة الجمهور في رعاية مصالح المجتمع والالتزام المباشر ببذل الجهد والمال من اجل بنائه واستدامته ، ومن هنا ذهب الفقهاء الى ان الجماعة مسؤولة عن البلد اذا تعطل شربه ، او استهدم سوره او وقع مستجده وليس في بيت المال ما يكفي لاقامة ذلك . وفي ذلك يقول الماوردي (٧٠) « فاما اذا اعوز بيت المال كان الامر ببناء سورههم واصلاح شربهم وعمارة مساجدهم وجوامعهم متوجها الى ذوى المكنة منهم ولا يتعين احدهم في الامر بهم » .

ومسؤولية الجماعة مباشرة ايضا عن ذوي الحاجات من ابناء السبيل ان تعطلت بهم السبل وليس في مقدور الحكومة ان تلبي كافة حاجاتهم الضرورية فالامر حينئذ يناط بالجمهور من حيث وجوب اعانتهم واغاثتهم . وفي اسطر قليلة لخص الماوردي مبادئ جلية من مبادئ المشاركة الجماهيرية في حماية المجتمع ورعاية مصالحه . فقال : « اذا كف ذوو المكنة عن بناء ما استهدم وعمارة ما استترم ، فان كان المقام في البلد ممكنا وكان الشرب - وان قل - مقننا تاركهم واياء . وان تعذر المقام في البلد لتعطيل شربه واندحاض سوره نظر : فان كان البلد تقرا يضر بسداد

(٧٠) الاحكام السلطانية ص ٢٤٥ .

الاسلام تعطيله لم يجز لولي الامر ان يفسح في الانتقال عنه ، وكان حكمه بحكم النوازل اذا حدثت في قيام كافة ذوي المكنة به وكان تأثير المحتسب في مثل هذا اعلام السلطان به وترغيب اهل المكنة في عمله * وان لسياسي يمكن هذا البلد مضرا بدار الاسلام كان امره أيسر وحكمه اخف ، ولم يكن للمحتسب ان يأخذ اهله جبرا بعمارة ، لان السلطان احق ان يقوم به * ولو اعوزه المال فاهله مخيرون بين الانتقال عنه او التزام ما يصرف في مصالحة التي يمكن معها دوام استيطانه ، فان اجابوه الى التزام ذلك كلف جماعتهم ما تسمح به نفوسهم ، ولم يجز ان يأخذ كل واحد منهم في عينه ان يلتزم جبرا مالا تسمح به نفسه من قليل او كثير ، ومن اعوزه المال اعان بالعمل » * (٧١)

ومن هذا النص الموجز نستخلص القواعد التالية في مبدأ المشاركة الجماهيرية *

اولا (ان الجماعة ليست حرة في الانتقال من محل سكنها اذا كان هذا الانتقال يؤدي الى خطر على الامة * * كأن يكون ذلك البلد نفرا في مواجهة عدو وحيث ان على اهله المكوث فيه وليس عدم صلاحه للسكنى عذرا لهم في الانتقال * لان الامر - حيثئذ - يأخذ طابع المشاركة الواجبة في حفظ المجتمع وخصايته *

ثانيا (ان الامة اذا ما تعرضت لنازلة عامة كمرض كاسح او فيضان مدمر فان المسؤولية لا تقتصر على الحكومة وانما تشملها والجمهور - و مشاركة الجمهور - حيثئذ - واجبة على الكفاية ولو أدى ذلك الى نزع الملكيات ومصادرة الاموال من اجل درء هذا الخطر *

ثالثا (اذا كانت المصلحة المراد اقامتها لا يصاحبها ، خطر عام ولا ضرر شامل ، فان الجمهور ليس بملتزم بشيء بعينه ، وانما هو مخير بين ما يحقق مصلحته الفردية والجماعية *

(٧١) الاحكام السلطانية - ص ٢٤٦

رابعا) ان المسؤولية الجماعية تعني ان لا يقصر فرد بعينه على شيء ، وانما تفرض الواجبات على الجماعة ، ويقوم بها الافراد بالتساوي او كل قدر مكنته ، ومن لم يستطع المشاركة بالمال امكنه المشاركة بالعمل والجهد .

وبعد ، فهذه بعض الجوانب من تصور الاسلام لمشاركة الجمهور في الرقابة على المجتمع ، وهي مشاركة تنص الشريعة على انها الزامية . أي انها واجبة على وجه الكفاية ، ولا فرق بعد ذلك بين ان يكون المتصدون لمهمة الرقابة ممن تتديهم الدولة لذلك وهم اولياء الحسبة ، أو ان يكونوا من المتطوعين بذلك من تلقاء انفسهم . والامر - في كلا الحالتين - داخل ضمن دور الجمهور في وقاية المجتمع ومنع الانحراف .

وهذا الدور - في الرقابة - يبدأ من الاسفل أي انه من واجب الجمهور ابتداء . وبالتالي فان على ولاة الامر ان يأخذوه بعين الاعتبار . وهناك دور آخر للجمهور يبدأ من الاعلى - أي انه واجب على الدولة ان تتيح للجمهور فرصة اداء دوره في منع الانحراف ووقاية المجتمع . وعلى الجمهور - حينئذ - ان يضطلع بهذا الدور كاملا . وهذا النوع من الادوار يسمى في الشريعة الاسلامية بـ « الشورى » وهذا ما تتكلم عنه الآن .

المبدأ الثاني : الشورى .

١ - اهمية الشورى .

خاطب الله عز وجل رسوله الكريم قائلا : « فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » (٧٢) .

وهكذا شرع الاسلام الشورى في الامور التي لم ينزل فيها وحى ، ولم تمض فيها سنة صحيحة وجعلها قاعدة من قواعد الاسلام ، وحث عليها

(٧٢) آل عمران - ١٥٩

ومدح المطبقين لها . وقد أكد علي تطبيقها رسول الله والخلفاء الراشدون من بعده ، تحقيقاً لفوائد الشورى من قلب لوجهات النظر ، واستعراض للإراء ، وبالتالي إتاحة الفرصة للجمهور لإداء دوره في توجيه المجتمع والعمل على حسن قيادته وسياسته ، ومنعه من الانحراف او التلف . وقد جعلها الله سبحانه وتعالى مزية للمؤمنين تصاف الى مزاياهم الأخرى ، وهو الذي أفرد لها سورة قال فيها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم »^(٧٣) فجعلها نائلة الدعائم بعد الإيمان والصلاة . فهي لازمة لإيمان المسلم لا يكمل إيمانه إلا بها ، وما دامت كذلك ، فهي إذن فريضة إسلامية واجبة على الحاكمين والمحكومين ، فعلى الحاكم ان يستشير الجمهور في كل أمور الإدارة والحكم والسياسة والتشريع ، وكل ما يتعلق بمصلحة الأفراد او المصلحة العامة ، وعلى الجمهور ان يشيروا على الحاكم حتى ولو لم يستشروهم هو ، وهم بذلك انما يؤدون دوراً اوجبه الله عليهم حاكمين ومحكومين . وقد روى انه لما نزل قوله تعالى : وشاورهم في الامر ، قال رسول الله (ص) : أما ان الله ورسوله لفتيان عنها . ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعمد رشداً ، ومن تركها لم يعمد غيا . ومن هذه النصوص استقى كثير من الفقهاء رأيهم في ان الشورى من اصول الشريعة الإسلامية وقواعدها ومن عزائم الاحكام التي لا بد من نفاذها ، ورتبوا على ذلك ان من ترك الشورى من الحكام فعزله واجب .^(٧٤)

٢ - مدى سلطة الجمهور في الشورى .

كل ما لم يرد به نص فان للجمهور ان يقرروا بشأنه رأياً يلزمون الحاكم بتنفيذه والحاكم يلزم في اكثر الاحيان بتنفيذ ما تستقر عليه الجماعة . أما ما جاء فيه نص فقد خرج من اختصاص البشر فلا صلاحية لهم

(٧٣) الشورى - ٢٨

(٧٤) تفسير القرطبي - ٤ - ٢٤٩ . مفاتيح الغيب للرازي ٢ - ١٢٠

في التشاور من اجله . وهذا يعني ان الشورى مفيدة بالاسلام تسير في نطاقه ، وتماشي مبادئه في كل الاحوال . وهو اذا اخرج النصوص من نطاق الشورى فانما اخرج من يد البشر ما لا يحسنون القيام به . ولا يستطيعون الاتيان به على وجهه . وحال بينهم وبين ان يتسلطوا على الاسس التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي ، مخافة ان يؤدي ترددهم حينا الى ترددها احيانا . لذا ترك لهم ما عدا ذلك مما لا يخشى منه فساد الاصل والاساس . وجعل الشورى لهم طريقا للوصول الى المجرى الذي يريده الاسلام تقنيا ظاهرا . (٧٥)

٣ - الشورى اول الطريق الى وقاية المجتمع .

حين قرر الاسلام الشورى والزام الناس بها ، لم يكن ذلك انطلاقا من واقع المجتمع حينذاك ولا نتيجة لرقية وتقدمه ، فقد جاء الاسلام والمجتمع العربي الذي خاطبه الله بالشورى يشكو من انحراف في المعرفة واضطراب في السلوك وانما قرر الاسلام نظرية الشورى لانها اول الطريق الى رقي المجتمع وتقدمه وضمان سلامة مسيرته ، وبالتالي الى حمايته من كل ما يهدده .

يتجلى دور الجمهور في الارتباط المسؤول بالمجتمع كنتيجة حتمية لما تتطلبه الشورى من تفكير في المسائل العامة والاهتمام بها ، والنظر الى مستقبل الامة نظرة جدية ، والاشتراك في الحكم بطريق غير مباشر .
فنظرية الشورى اذن مقرررة لتوجيه الجماعة الى طريق وقاية المجتمع ورفع مستواه . وللجمهور بعد ذلك ان يقرر الاسلوب الذي يحقق به مبدأ الشورى بما لظروفه وما يتمشى مع طبيعة العصر الذي هو فيه . وهنا يبرز اثر التربية الفردية التي تكلمنا عنها في مقدمة هذا البحث ، فان اعداد الفرد الصالح في المجتمع الصالح هو الذي يحقق للشورى معناها الصحيح وغاياتها المرجوة فلاجل ان يكون الشخص من اهل الشورى لابد

(٧٥) راجع احكام القرآن لابن العربي ٢٩٧-١

ان تتوفر فيه بعض الصفات الخاصة ومن جملتها ما يلي :-

- ١ - العدالة * فلا بد فيمن يصلح للشورى من ان يكون عسديلا بالتخلي بالفرائض والفضائل والتخلي عن الرذائل وما يخل بالمروءة *
- ٢ - العلم * المقصود به هو العلم بمعناه الواسع الذي يدخل فيه علم الدين والسياسة والاجتماع وغير ذلك من العلوم *
- ٣ - الرأي والحكمة * بان يكون ممن عرف بجودة الرأي والحكمة * لان اساس الشورى هو الرأي الصحيح الحكيم المتفق مع الشريعة الاسلامية المجرد من الهوى والعصية * (٧٦)
- ٤ - الشورى سلطة الجمهور :

اذا تقرر ما ذكرناه من ان الشورى فريضة على الحاكم والمحكومين * فقد وجب ان يكون لاهل الشورى السمع والطاعة على كل افراد الامة من حاكمين ومحكومين * وهذه السلطة التي تعطىها الشورى للجمهور هي سلطة الامة كلها * اذ ان اهل الشورى ليسوا في الواقع سوى نواب الامة واصحاب الرأي فيها * ويستدل بعض الفقهاء على سلطة الامة هنا : بان الله امر بطاعة اولي الامر * وهؤلاء لا يطاعون الا بتأييد الجماعة لهم * على ان كثيرا من المفسرين يقولون : ان المقصود بقوله تعالى : « واولي الامر » هم اهل الحل والعقد من المسلمين بالمعنى الذي يشمل العلماء والرؤساء عامة والزعماء الذين يرجع اليهم في الحاجات والمصالح * ويقولون : ان هؤلاء اذا اجتمعوا على امر وجب ان يطاعوا فيه * (٧٧)

وعلى هذا فان اولي الامر لا يقتصر معناها على الحكام وحدهم، وانما يتعداهم الى المحكومين من اهل الرأي والحكمة على اختلاف القابهم ومناصبهم *

(٧٦) الاحكام السلطانية / ص ١٥

(٧٧) راجع احكام القرآن للقرطبي ٢٥٩/٥

هذا ملخص لدور الجمهور الاجتماعي العام الذي لا يختص بمسألة معينة وإنما يشمل الحياة بكل زواياها ونواحيها ، وهو دور لو احسن القيام به فإنه سوف يؤدي - بلا شك - الى خلق المجتمع الصالح المتسم بالقيم المميزة والشمائل المانعة من الانحراف بحكم التزامه بالمقومات التي تكون - عادة - الاسس التي يرتكز عليها الاصلاح والتهديب *
بعد هذا نتكلم عن نظرة الشريعة الاسلامية الى الادوار الخاصة التي يتحتم على الجمهور القيام بها بالنسبة لبعض المسائل المحددة *

دور الجمهور الاجتماعي الخاص

حدد الاسلام - على وجه الاجمال - طبيعة الدور الذي يجب على الجمهور القيام به بالنسبة لبعض المسائل الخاصة * وباختصار شديد نذكر بعض الامثلة على ذلك *

اولا (دور الجمهور في حماية المجتمع من الجريمة :

للجمهور - في التصور الاسلامي - دور في محاربة الجريمة قبل وقوعها من اجل منعها من الوقوع ، كما ان له دورا في محاربة الجريمة بعد وقوعها من اجل قطع الطريق على غيرها من تأديب الجاني وزجره عما هو بصدده *

أما دور الجمهور في محاربة الجريمة قبل وقوعها فهو يدور حول ما تكلمنا عنه من واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * وقد فرغ الفقهاء على قاعدة « النهي عن المنكر » تفريمات كثيرة ، منها : انه اذا شوهد الجاني وهو يرتكب جريمة او يهيم بارتكابها كان لاي شخص ان يمنعه بالقوة من ارتكاب الجريمة ، وله ان يستعمل القوة اللازمة لذلك ، سواء كانت الجريمة اعتداء على حق الافراد كالسرقة مثلا ، او اعتداء على حق الجماعة كسرب الخمر والزنا وهذا ما يسمى بـ « حق الدفاع الشرعي العام » * (٢١)

(٧٨) التشريع الجنائي ٦٨/١

وقد ذهب الكثير من الفقهاء الى ان للمتحسس ان يتجسس على الجريمة اذا غلب على الظن استمرار قوم بها لامارات دلت عليها ، وكان في ذلك انتهاك حرمة يفوت استدراكها ، مثل ان يخبره من يثق بصدقه ان رجلا اختلى بامرأة ليزني بها ، او برجل ليقتله . . فقي مثل هذه الاحوال يجوز التجسس من اجل الكشف والبحث : حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المخازم ، وارتكاب المخطورات ، كالذي كان من شأن المقيرة بن شعبة حيث لم يحاسب الشهود على التجسس ، وانما حوسبوا على عدم حصول الشهادة على شروطها التي تثبت الجريمة .

ويقول الماوردي^(٧٩) : « وهكذا لو عرف ذلك قوم من المتطوعة جاز لهم الاقدام على الكشف في ذلك والانكار ، علما بان هذا الاسلوب يجب الا يتم الا في الجرائم الخطيرة التي تهون الى جانبها عملية التجسس هذه بالرغم مما بها من تسلط منهي عنه شرعا . »

أما الجرائم الاقل خطورة فان التجسس عليها غير وارد اصلا ، بل هو منهي عنه اطلاقا ، وقد حكى ان عمر بن الخطاب (رض) دخل على قوم يتعاقرون على شراب ويوقدون في اخصاص ، فقال : نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم ، ونهيتكم عن الايقاد في الاخصاص فاقدمتم ، فقالوا : يا امير المؤمنين ، قد نهاك الله عن التجسس فتجسست ، ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت ، فقال عمر : هاتان بهاتين وانصرف ولم يتعرض لهم .^(٨٠) وفي هذه لحالة يتبع اسلوب الانكار من الخارج ولا يجوز التجسس والهجوم بغير اذن بالدخول . لان على الجمهور مجاربة المنكر الظاهر وليس لهم ان يكشفوا عما سواه من الباطن .

وأما دور الجمهور في وقاية المجتمع من الجريمة فقد وقعها فانه يتجلى في الاساليب التالية :-

(٧٩) الاحكام السلطانية ص ٢٥٢

(٨٠) الاحكام السلطانية ص ٢٥٣

١ - وجوب اداء الشهادة على الجريفة ، لغرض اخلاء المجتمع من الفساد عن طريق زجر المجرم بالعقوبة المترتبة على تلك الشهادة . وقد ذهب اكثر الفقهاء الى وجوب اداء الشهادة على الجريمة اذا كان كتمانها يؤدي الى تشجيع الاجرام والمجرمين . بل قد اوجبوها في حالة الخوف من فوات حقي من الحقوق ايضا .^(٨١) فقد حذر الله من كتمانها في هذه الحالة فقال : « ولا تكتموا الشهادة . ومن يكتمها فانه آثم قلبه » .^(٨٢)

وقد اتى رسول الله على اولئك الذين يبادرون بالشهادة على الجريمة ، مقطوعين من اجل احتماق الحق وازهاق الباطل فقال : « الا اخبركم بخير ، الشهادة . . . هو الذي يأتي بالشهادة قبل ان يسألها »^(٨٣) . وقد ذهب ابن حزم الى وجوب اداء الشهادة على كل من علمها الا اذا كان عليه في ذلك حرج . . . كبعده عن السلطة او خوف الهلاك . . . وحتى في هذه الحالة فان عليه واجب الاعلان والاخبار في حالة عدم تمكنه من الاداء .^(٨٤)

٢ - بالمشاركة في تنفيذ العقوبة . . . اذا كانت القاعدة العامة ان اقامة العقوبة هي من صلاحيات الحاكم او نائبه . فان الفقهاء المعوا الى صلاحية الجمهور المعنية في ذلك فقالوا او ان أي واحد من الجمهور قام بتنفيذ العقوبة على المحكوم عليه بها فانه لا يسأل عن اقامته اذا كانت العقوبة متلفة للنفس او للطرف .^(٨٥) وانما يسأل باعتباره مقتنا على السلطة العامة على ان للجمهور صلاحية المشاركة الفعلية في بعض الجرائم كحد الزنا وشرب الخمر . فقد شارك جمهور المسلمين الاول في تنفيذ العقوبة على معز «والغا مدية لجريمة الزنا» كما شاركوا في تنفيذ العقوبة على شارب الخمر كما في الاثر : « فمنا الضارب بيده ، والضارب بطنه والضارب بيده »^(٨٦)

(٨١) المبسوط للسرخسي ١١١/٩

(٨٢) البقرة / ٢٨٣

(٨٣) ذخائر المواريث ١/٢٢٦

(٨٤) المحامى ٩/٢٤٩

(٨٥) الاقناع ٤/٢٤٥

(٨٦) شفاء القليل ٢١٣ ، ونيل الاوطار ٧/٣١٤

ويرى المالكية - كما ذكرنا - ان للجمهور ان يخرجوا من بأوى .
اليه اهل الفجور من بيته بعد ان ينذر مرتين او ثلاثا . ولهم ايضا أن
يحرقوا محلات الخمر والدعارة . وقد احرق عمر بن الخطاب بيت
رويشد الثقفي لانه كان يبيع الخمر فيه وقال له : انت فويسق ولسنت
برويشد^(٨٧) .

٣ - بمقاطعة المجرم . . اذا تعذر استيفاء العقوبة منه لامر طاري . . .
كمن يرتكب جريمة ثم يلجأ الى الحرم الآمن . فان على الجمهور حينئذ
واجب المشاركة بمحاربة هذه الجريمة عن طريق مقاطعة المجرم مقاطعة
كاملة ، فلا يطعم ولا يجالس ولا يعامل حتى يضطر للخروج من الحرم
فتقام عليه العقوبة . ولقد عاقب الله الثلاثة الذين خلفوا بمقاطعة الجمهور
لهم ، حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم ، وظنوا
ان لا ملجأ من الله الا اليه .^(٨٨)

واخيرا نقول : ان مسؤولية المشاركة في منع الجريمة من الوقوع ،
هي مسؤولية الجمهور مباشرة . لان الجمهور يسأل عن تفشي وقوع
هذه الجريمة من حيث تهاونه في الاخذ على يد المجرم ، وعلى هذا فانهم
يحملون قسطا من وزر الجاني . وهذا المعنى هو المشار اليه من كون
العاقلة تحمل قسطا من دية القتل اذا كان القاتل احد افرادها . لان العاقلة
انما تحمل الدية في جرائم الخطأ وشبه العمد ، واساس هذا النوع من
الجرائم هو الاهمال وعدم الاحتياط . وهذان سيئهما سوء التوجيه وسوء
التربية ، والمسؤول عن تربية الفرد وتوجيهه هم المتصلون به بصلة الدم .
كما ان الفرد ينقل دائما عن اسرته ويتشبه باقاربه ، فكان الاهمال وعدم
الاحتياط هو - في الغالب - ميراث الاسرة ولما كانت الاسرة تأخذ عن البيئة
والجماعة فيكون الاهمال وعدم الاحتياط - في النهاية - ميراث الجماعة .

(٨٧) الطرق الحكمية ص ٣٠١

(٨٨) تفسير القرطبي ٨/٢٨١-٢٨٨

فوجب لهذا ان تتحمل اولا عاقلة الجاني نتيجة خطئه ، وان تتحمل الجماعة
اخيرا هذا الخطأ كلما عجزت العاقلة عن حمله .

وتتجلى مسؤولية الجماهير عن وقوع الجرائم وبالتالي محاسبتهم عن
ذلك بتحميلهم شيئا من عقوباتها ، في نظام القسامة المعروف في الشريعة
الاسلامية تفريعا على قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يطل دم في الاسلام »
ولهذا شرعت القسامة لحفظ الدماء وصيانتها . ولما كان القتل يكثر وتقل
الشهادة عليه كانت القسامة من اجل ان لا يهدر دم في الاسلام .^(٨٩)

والقسامة عند ابي حنيفة شرعت لعلاج تقصير الجمهور في النصره
وحفظ الموقع الذي وجد فيه القتل ممن وجب عليه النصره والحفظ . لانه
اذا وجب عليه الحفظ فلم يحفظ مع القدرة عليه صار مقصرا بترك الحفظ .
الواجب فيؤخذ بالتقصير زجرا عن ذلك وحملا على تحصيل الواجب .
وكل من كان اخص بالنصره والحفظ كان اولى يتحمل القسامة والدية .
لانه اولى بالحفظ . فكان التقصير منه ابلغ . ولهذا يرى ابو حنيفة ان القتل
اذا وجد في موقع اختص به واحد او جماعة اما بالملك او بالسيد فيتهمون
بانهم قتلوه وعليهم شرعا القسامة دفعا بالثمة ، والدية لوجود القتل بين
اظهرهم .^(٩٠)

ثانياً (دور الجمهور في وقاية المجتمع من الظلم والتردي السياسي :

ان قمة السلطة تنعقد في الشريعة الاسلامية بناء على عقد يختار فيه
الشعب حاكمه الاعلى ويلتزم له بالطاعة في مقابل التزام الحاكم بالاشراف
على شؤون الامة وقيادتها ، وعلى ذلك فان لهذا الحاكم السمع والطاعة
ما دام يقوم بمهمته في الحدود المقررة له . فان اخل بذلك فليس له ان
ينتظر من الامة سمعا ولا طاعة ، وحينئذ عليه ان يتنحى عن مكانه لمن هو
اقدر منه على الحكم ، فان امتنع نحاه الشعب مكرها واختار غيره حينئذ

(٨٩) بداية المجتهد ٣٥٨/٢ ونيل الاوطار ١٨٣/٧

(٩٠) بدائع الصنائع ٢٩٠/٧

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق • ويقول رسول الله « لا طاعة في معصية،
انما الطاعة في المعروف » • (٩١)

وعلى صعيد التطبيق الواقعي فان اول ما قاله ابو بكر الصديق بهسد
اختياره حاكما كان منسجما مع هذا المبدأ الذي هو من بديهيات الاسلام
فقال : « يا ايها الناس ، اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ان احسنت
فأعينوني وان اسأت فقوموني ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فان عصيت
الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » • (٩٢)

وللجمهور - ايضا - ان يتدخل لمنع ظلم القضاة وولاية الامر • فقد
ذكر الفقهاء ان القاضي اذا تهاون في النظر في قضايا الناس وكان ممن
يحبب الخصوم اذا قصده بحيث تقف الاحكام ويستتسر الخصوم كان
لاي فرد ان يأخذه مع عدم العذر ، ولا يمنع علو رتبته من انكار ما قد
قصر فيه ، وقد روى ان ابراهيم بن بطحاء قد مر بدار ابي عمر بن حماد
وهو يومئذ قاضي القضاة في بغداد ، فرأى الخصوم جلوسا على بابسه
ينتظرون جلوسه المنظر فيهم وقد تعالى النهار وهجرت الشمس ، فوقف
واستدعى حاجبه وقال : تقول لقاضي القضاة : الخصوم جلوس على الباب
وقد بلغت الشمس وتأذوا بالانتظار ، فاما جلست لهم او عرفتهم عذرك
فينصرفوا ويعودوا • (٩٣)

ثالثا ، دور الجمهور في وقاية المجتمع من الاعسار :

لعل النظام الاسلامي هو ابرز النظم في اسناد مهمة تحقيق المطالب
المعيشية للفئات المحتاجة الى الجهود بالمعنى الشامل لكل جوانب الحياة ، ولم
يكل أمر ذلك الى الدولة فقط • وانما جعل على الجماعة مسؤولية استمرار
الحياة اليومية ، وفرض في اموالهم موردا مستديما لا ينقطع ، وهو ثمرة من

(٩١) متفق عليه • انظر مشكاة المصابيح ٣١٧/٢

(٩٢) تاريخ الطبري ٢٢٤/٣

(٩٣) الاحكام السلطانية ص ٢٥٧

نموات التكافل الاجتماعي الذي هو دعامة من دعومات التشريع الاسلامي
وقد جاء الاسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة •
وتلك التشريعات تنقسم الى قسمين :-

القسم الاول : تشريعات تنص على الفئات التي تستحق التكافل وعلى
احكامها •

القسم الثاني : تشريعات تعين الموارد المالية التي التبت على عاتق
الجمهور والتي توفر التكافل المعيشي لكل هذه الفئات •
والفئات التي تستحق التكافل الاجتماعي نوعان :-

أ - فئات يتميز اكثرها بالعجز والفاقة ، وقد وضعت لها التشريعات
التي تبين احكامها ، وهي : تشريعات الفقراء ، والمساكن ، والمرضى ،
والمكفوفين ، والمقعدين ، والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى •
والاسرى •

ب - وفئات قد لا تتصف بالفقر ولا بالعجز ولكنها تحتاج الى
المساعدات المالية وغيرها ، ونذكر من تشريعاتها :

١ - تشريع المساعدة : ويشمل المدين ، وانعام ، واليتيم ، والقاتل
خطأ ، والمنقطع في بلد غير بلده وهو : « ابن السبيل » والجار • وفي ذلك
يقول تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ، والصاحب
بالجنب^(٩٤) ويقول عليه الصلاة والسلام : « مازال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه »^(٩٥) ويقول : « ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره
جائع الى جنبه »^(٩٦) •

(٩٤) سورة النساء / ٣٦

(٩٥) متفق عليه ، المشكاة / ٢ / ٦٠٧

(٩٦) المشكاة / ٢ / ٦١٢

٢ - تشريع المشاركة في القوت : وذلك عندما يحين قوت المواسم الزراعية وفي ذلك يقول تعالى : « كلوا من ثمره اذا اثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده »^(٩٧) وكذلك عند تقسيم التركة بين الوارثين « واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا »^(٩٨).

٣ - تشريع الضيافة : وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام ، وما بعد ذلك صدقة ، ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يخرجه »^(٩٩).

وهناك تشريعات اخرى للتكافل المعيشي في الحالات الطارئة ، ومنها:-

١ - تشريعات الاسعاف . في حالات الجوع والعطش المهلكة ، وفي حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والحرائق وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة^(١٠٠) .

٢ - تشريعات الطوارئ . مثل ان تتعرض البلاد لهجوم عدو او وباء كاسح . وفي هذه الحالة تلتفى الملكيات الخاصة من أجل المواجهة .

ولما كانت هذه التشريعات التي وضعها الاسلام للتكافل الاجتماعي بين المواطنين تستلزم تنظيما ماليا مستمرا ينظم مساهمة الجمهور في هذا التكافل ، لضمان تنفيذها والا اصبحت نظرية بحتة : ففسد رسم الاسلام الطريق أمام الجمهور من اجل مشاركتهم في وقاية المجتمع من الفقر والسرقة . ومن هذه التشريعات :

(٩٧) سورة الانعام / ١٤١

(٩٨) سورة النساء / ٨

(٩٩) متفق عليه ، المشكاة / ٤٥٥/٢

(١٠٠) صحيح البخاري : ١٥٩/٣ ، ومسند احمد : ٩١/٢ و ٢٥٢

١ - الزكاة • وتؤخذ من ملكيات الجمهور الخاصة بنسبة محددة
• من التقدين : « الذهب والفضة » وعروض التجارة ، والزروع ، والثمار ،
وكل ما يستنبت من الارض ، وتصرف لفئات معينة ، وهي تؤخذ ممن
• اموال الجمهور لا على سبيل الصدقة والمنة ، وانما على سبيل الوجوب
• تؤخذ منهم بالقوة ان امتنعوا عن ادائها ، وهي حق لتلك الفئات التي عينها
• الله .

٢ - تشريع الوقف ، سواء أكان ذريا أم خيريا •

٣ - تشريع الانفاق البراءة عن الحاجة • « لينفق ذو سعة من
سعته » (١٠١)

٤ - تشريع الوصية • « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ، ان
تترك خيرا ، الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف ، حقا على المتقين » (١٠٢)

٥ - تشريع الغنائم • « واعلموا انما غنمتم من شيء فسان الله خمسه
• وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٠٣) •

٦ - تشريع الركاك • « وفي الركاك الخمس » والركاك كل ما عثر
• عليه في باطن الارض •

٧ - تشريع النذور • « وليوفوا نذورهم » (١٠٤) •

٨ - تشريع الكفارات عن الذنوب والايمان والظهار ، ومخالفات
الحج والصوم •

٩ - تشريع الاضاحي • « يا ايها الناس على اهل كل بيت » في كل
• عام ، اضحية » (١٠٥) •

(١٠١) - سورة الطلاق / ٧٠

(١٠٢) سورة البقرة / ١٨٠

(١٠٣) سورة الانفال / ٤١٠

(١٠٤) سورة الحج / ٢٩

(١٠٥) نصيب الرأية / ٤٠ / ٢١٠

١٥ - تشريع صدقة الفطر : « فرض رسول الله صلى عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر ، او صاعا من شعير على العبد ، والحر ، والذكر ، والانس والصفير والكبير من المسلمين » (١٠٦) .

رابعا) دور الجمهور في وقاية المجتمع من الجهل : ان للجهل دورين في وقاية المجتمع من الجهل ، احدهما ايجابي وهو باشاعة العلم في المجتمع ، وثانيهما سلبي ، وهو محاربة معقل الجهل والقضاء عليها .

أما الدور الايجابي فهو تلبية لما اوجبه الاسلام على كل رجل ان يتعلم ، وعلى كل امرأة ان تتعلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١٠٧) . ولما انكره الاسلام من التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

ومن هنا قرر القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى لا يرضى باحتكار العلم وكتمانه ، وانه سبحانه اخدميثاق الذين اتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه كما يقرر لعنة الله والناس على كاتمي العلم الا ان يتوبوا فبينوا : « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا واصلحوا وينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم » (١٠٨) .

والفقه الاسلامي يقرر احكاما كثيرة على اساس ان العلم حق لسائر انسان ، وان على كل من يعلم ان يعلم من لا يعلم انطلاقا من قوله عليه الصلاة والسلام : « من تعلم علما وكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة » (١٠٩) .

وقد حدد الفقهاء دور الجمهور الواجب في وقاية المجتمع من الجهل حين قالوا : ان المعلم لا يحق له ان يأخذ الاجر من الناس على تعليمهم اذ لنا

(١٠٦) نيل الاوطار / ٤ / ٢٤٤٩

(١٠٧) المشكاة / ١ / ٧٦

(١٠٨) سورة البقرة / ١٥٩

(١٠٩) فيض القدير / ٣ / ١٤٥

لم يكن هناك غيره • معنى ذلك ان تعليم الجاهل فرض كفاية على الجمهور
فان لم يتوفر في المكان غير واحد • كان التعليم حينئذ فرض عين ولا يحق
له اخذ الاجر عليه • ويقول علي بن ابي طالب (رض) : « لا يسأل الجاهل
لم لم يتعلموا حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا » فالتعليم اذن هو مسؤولية
العلماء فان اخلوا بهذه المسؤولية سئلوا وحوسبوا •

أما الدور السلبي ، فهو يتمثل - كما قلنا - في محاربة ينابيع الجهل
والقضاء عليها • وفي ذلك يقرر الفقهاء ان على كل فرد ان يحرق الكتب
المضلة اينما وجدها ولاي تعود ولا ضمان في ذلك •

قال المروزي : قلت لاحمد : استعرت كتابا فيه اشياء رديئة ، ترى ان
اخرقه او احرقه ؟ قال : نعم فاحرقه • (١١٠)

ويرى ابن القيم ان جميع الكتب الضارة في عقيدة الامة واخلاقيها
مأذون في اتلافها ومحقتها • بل انه يرى ان اتلاف هذه الكتب اولى من
اتلاف آلات اللهو والمعازف واتلاف آنية الخمر ، لان ضررها اعظم من
ضرر هذه ، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر اواني الخمر وشق
زقاقها • (١١١)

ويرى الماوردي ان على الجمهور ان يتصدى بالتكبير والزجر لكل
من يتصدى لعلم الشرع وليس من اهله اذا لم يؤمن من اغترار الناس به
في سوء تأويل او تحريف جواب • (١١٢)

وتأكيدا لوجوب التزام الجمهور بذلك يرى الماوردي ايضا ضرورة
المبالاة في هذا الامر حتى ان من اشكل امره على الناس بين العلم والجهل
لا يقدم عليه بالانكار حتى يختبر علمه • وقد مر علي بن ابي طالب بالحسن

(١١٠) الطرق الكمية / ٢٩٧

(١١١) الطرق الحكمية / ٢٩٨

(١١٢) الاحكام السلطانية / ٢٤٨

«البصري وهو يتكلم على الناس فاختبره ، فقال له : ما عماد الدين ؟ فقال :
الورع . قال فما آفته : قال : الطمع . قال : تكلم الآن ان شئت»^(١١٣) .
ومن واجب الجمهور - ايضا - التعرض لاهل الآراء الفاسدة
والاشاعات الكاذبة التي تعود على عقلية الامة بالفساد والانحراف .
خامسا) دور الجمهور في منع انهيار الاسرة : تأكيد اهمية الدور
الذي يقوم به الجمهور في وقاية المجتمع من الانهيار ، فان الاسلام اسند
اليه مهمة منع الاسرة - التي هي عماد المجتمع - من الانهيار قبل ان يصل
الزوجان الى القضاء ، فقال تعالى مؤكدا هذا الدور : « وان خفتن شقاق
بينهما فابسوا حكما من امله وحكما من اهلها »^(١١٤) وهكذا فان للجمهور
دورا حتى في اخص خصوصيات الانسان وهي صيانة الزوجية .
وجلي انا انما تعرضنا لدور الجمهور في وقاية المجتمع من الاعسار
والجهل وانهيار الاسرة : لان هذه العوامل الثلاثة من اخطر المسارب
والمسالك التي تؤدي الى الجريمة ، وفي درئها والوقاية منها درء للجريمة
ووقاية من الفساد .

أما بعد فلتك لمحة موجزة قدمتها عن تنظيم الاسلام للمجتمع
الاسلامي ، وعن دور الجمهور في حماية هذا المجتمع من الانحراف ،
بالتكافل بين افراده . وهي في تفصيلها تحوي اسسا ثابتة وقواعد متينة
لبناء الكيان الاجتماعي ، على الشكل الذي يسعد به كل من ينتمي اليه ،
كما انها في مجموعها بيان مجمل لمنهج الاسلام في الحياة التي يريد ما حرة
كريمة ، لا يدنسها فساد ، ولا ينفصها قهر .

(١١٣) الاحكام السلطانية / ٢٤٩

(١١٤) سورة النساء / ٣٥

القانون الدستوري في الدولة النامية

الدكتور نوري لطيف
مدرس القانون الدستوري
في الجامعة المستنصرية

مقدمة :

تجري الآن في الاقطار النامية عملية واسعة لاقامة نظام قانوني وطني وهو أحد مظاهر السيادة للدولة القومية الجديدة . ومن أولى اهداف حركة التحرر الوطني بلوغ الاستقلال السياسي او تحقيق السلطة القومية التي تخلق المهدات لحل مهام التحرر الاجتماعي في الدول الفتية ابتداء من الصفر تقريبا . وان المهمة الرئيسة للبناء السياسي هي تأمين التطور الاقتصادي الاجتماعي السريع .

وبعد نيل الاستقلال السياسي وهو الخطوة الاولى من ثورة التحرر الوطني والقومي تطرق الدول النامية احدى طريقين ، اما سبيل التطور الرأسمالي على نهج الدولة المستعمرة (كساحل العاج والسنغال وتونس . . الخ واما طريق التطور اللارسمالي ، كالعراق . الجزائر . مصر . سورية . غينيا . ترانيبا . الكونغو - برازافيل - الخ . . .)

وفي كلا المجموعتين تجري عملية وضع قانون دستوري يختلف بطبيعته التطبيقية . ففي المجموعة الاولى يأخذ الشكل الرأسمالي وفي الثانية طراز انتقالي نحو الشكل الاشتراكي .

ومن الواضح ان للقانون الدستوري في المجموعتين المذكورتين سمات واتجاهات مختلف في تطوره .

فهذا الفرع القانوني لم يتوقف في الدول النامية عند تخصيص سباب لحقوق الافراد وحررياتهم الاساسية ومبدأ الفصل بين السلطات . . . الخ

وهو ما كان متعارفا عليه في الدساتير الليبرالية بل تمداها الى تنظيم اسس البناء الاقتصادي الاجتماعي والتنظيم السياسي للمجتمع .

ومن هذا التحديد العام لا يمكن الخروج باستنتاج بوجود قانون دستوري واحد بالنسبة لجميع الدول النامية . فان مثل هذا القانون لا وجود له . وجوه الامر ان كل دولة تملك دستورها الذي يعكس سماتها الخاصة . ففي الوقت الحاضر يمكن ملاحظة مجموعتين من البلدان الناشئة في الاولى تقف على رأس السلطة الطبقة البرجوازية الوطنية وفي جزء أخرى منها البرجوازية الكبرادور البروقراطية وتجد هذه السلطة نفسها فسي بعض الاحيان في تآلف مع الاقطاع ومع الاقطاعيين المتبرجين مثل اقطار جنوب وجنوب شرقي آسيا وبعض اقطار الشرق الاوسط والمغرب . ومن سماتها قيام مجتمع يحمل كل صفات المجتمع البرجوازي وخاصة في المدن الى جانب مجتمع شبه اقطاعي انتقالي نحو الرأسمالية في الريف .

أما المجموعة الثانية فيتولى السلطة فيها القوى المناوئة للاستعمار والامبريالية .

لذا سنحاول في البحث التالي الكشف عن الاتجاهات المختلفة في كلا المجموعتين وتحليل عملية اقامة القانون الوطني في الدول الفتية بشكل عام ودوره في تأمين التقدم الاجتماعي . وسيتركز اهتمامنا على تتبع الاتجاهات العامة لتطور القانون الدستوري السذي سيعطينا انطبعا واضحا عن تلك العمليات الجديدة التي تجري في البناء القانوني للدول النامية .

مراحل تطور القانون الدستوري :

تعتبر العلاقات التي تنشأ من خلال عملية تحقيق سلطة السدولة وسيادتها نواة للعلاقات الاجتماعية التي ينظمها القانون الدستوري . ولهذا بالذات اصبح ظهور القانون الدستوري في البلدان النامية ممكنا فقط بعد قيامها كدول . أما فروع القانون الاخرى (كالجنائي ، المدني ، الخ) فتكونت اساسا قبل نيل الاستقلال وكانت تشكل جزء من النظام القانوني

الاستعماري • ولذلك فإن تحويلها الى فروع للقانون الوطني (او بعبارة أدق تجاوزها كمخلفات استعمارية) يعني القيام بعملية طويلة معقدة • والقانون الدستوري هو الآخر لا يكون بعيدا عن مؤثرات التركة الاستعمارية وعن تأثير المؤسسات الدستورية للمتروبولات السابقة •

وهذا الفرع الحديث الظهور بالنسبة للدول النامية هو احد أكثر الفروع حركة وهي الصفة الملازمة للتجديد السريع والواسع للتشريعات (بما في ذلك الالغاء الجزئي للقوانين الدستورية الرئيسة) •

وان عدم استقرار الدساتير في البلدان النامية يعود بالدرجة الاولى الى كون الدستور يعكس ميزان القوى الطبقة في الكفاح السياسي والتبديل السريع في هذا المجال • وكصفة ملازمة للبلدان النامية هي عدم الاستقرار في ميزان القوى الطبقة وجود ديناميكية عالية في العمليات الاجتماعية السياسية •

وبالطبع تبدي تأثيرا كبيرا على اقامة وتطور القانون الدستوري العوامل الاخرى كطرق واساليب كسب الاستقلال القومي (كفاح مسلح • سلمى) والعوامل النفسية (سيكولوجية) للادارة الاستعمارية وخواص البناء الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع والتكوين الخلفي للسكان والتقاليد التاريخية ••• الخ •

الا ان العوامل الحاسمة في تحديد اتجاه وتطور القانون الدستوري ومحتواه الدقيق هي توزيع القوى الطبقة في مختلف مراحل ثورة التحرر الوطني والقومي • وانطلاقا من هذا المفهوم تتمكن من تقسيم مراحل تطور القانون الدستوري في البلدان النامية الى مرحلتين اساسيتين :

١ - مرحلة نيل الاستقلال السياسي واقامة الدول القومية • ويتوقف تطور القانون الدستوري في هذه المرحلة الى درجة كبيرة على ميزان القوى بين حركة التحرر الوطني والاستعمار المتقهقر • ولا يقل عن ذلك اهمية توزيع القوى داخل حركة التحرر الوطني نفسها •

٢ - مرحلة الكفاح من اجل توطيد الاستقلال السياسي وتحقيقه.
الاستقلال الاقتصادي ، وتبرز اهمية هذه المرحلة من اجل اختيار طريق.
التطور اللاحق الاجتماعي الاقتصادي والسياسي *

وهنا يتوقف اتجاه ومضمون القانن الدستوري على تناسب القوى في هذا
الكفاح (على المستوى القومي والوطني) * وعبر هذا الكفاح تتضح أكثر
فاكثر الاتجاهات المتعارضة في التطور الدستوري للاتطار ذات الاتجاهات
المختلفة * (رأسمالي * لا رأسمالي) *

ان دراسة القانون الدستوري على شكل مراحل يسهل الى حد ما
الواقع المعقد المتناقض للدول النامية * وهي تساعد لادراكه بصورة اعمق *
ولذلك فقبل الدخول في دراسة اتجاهات القانون الدستوري في الدول
النامية ينبغي القاء الضوء على المراحل الاساسية المذكورة لتطور القانون
الدستوري *

لقد ذكرنا سابقا ان القانون الدستوري يظهر في وقت واحد مع ظهور
الدولة القومية * الا ان هذا لا يعني مطلقا وبخلاف الفروع الاخرى للقانون
انه بمجرد ظهوره يكون (نظيفا) من تأثير المؤسسات الدستورية للدول
الاستعمارية * وقوة هذا التأثير تبدو جلية على الخصوص في مرحلة وضع
الدستور * وبالطبع ان درجة التأثير واشكاله تختلف من بلد لاخر باختلاف
الظروف الموضوعية والذاتية * ففي بعض الدول تؤثر الدول الاستعمارية
تأثيرا مباشرا على دساتيرها كما في دول افريقيا الاستوائية * وفي حالات
اخرى بصورة غير مباشرة *

فبأي شكل يظهر هذا التأثير على وجه التحديد ؟ قبل كل شيء يظهر
في اعطاء (وصفات) من الطراز الدستوري الغربي الى الدول النامية وجعله
منسجما الى حد ما مع الظروف المحلية ومن تلك الصفات « ويستمنستر
موديل » و « النظام البرلماني المحسن » و « البرلمانية الكلاسيكية » * الخ
وقد لاحظ هذا جميع الباحثين فقد أكد الذين اشتركوا في الدورة ٣٣
للمعهد الدولي للحضارات المختلفة الذي عقد في ايطاليا عام ١٩٦٣ على ان

« الاتجاه العام في المرحلة الأولى يتلخص في اتخاذ موديلات الدساتير الغربية »^(١) .

والسبب الرئيس في هذا يكمن في تأثير الدول الاستعمارية المباشر حيث ان عملية انتقال كثير من البلدان من الوضع القانوني الاستعماري الى الاستقلال تجري كقاعدة عامة تحت اشراف المستعمرين . واحدى وسائل التأثير لهذا الاشراف هي المساهمة في وضع دساتير الدول الناشئة كما حصل بالنسبة للقانون الاساسي العراقي لسنة ١٩٢٥ .

وكانت تناقش الاحكام الاساسية للدساتير الاولى في المستعمرات البريطانية سابقا في مؤتمرات خاصة يشترك فيها ممثلون عن الاحزاب السياسية المؤتلفة والادارة الاستعمارية ووزارة المستعمرات وتصدر بأمر من الملكة^(٢) . أما في المستعمرات الفرنسية فكانت تقر من قبل السلطات المستقلة كما حصل في الجزائر وغينيا ومالي^(٣) .

(٢) راجع التقارير حول المؤتمرات الدستورية لكينيا وأوغندا وغامبيا "Kenya Independence Conference 1963" London 1963 Cmnd. "Report of the Uganda Independence Conference 1962" London 1964 Cmnd. 2435 .

ويتضح ذلك بجلاء في عملية وضع وقرار دستور الكونغو . فقد نوقشت المبادئ الاساسية للدستور المقبل في مؤتمر للمائدة المستديرة وبمساهمة ممثلين عن الحكومة البلجيكية والاحزاب السياسية الكونغولية أما القوانين فقد أقرها برلمان الكونغو . (زيادة في التفصيل راجع فينو كوروف (الكونغو . طريق شاق نحو الاستقلال) موسكو ١٩٦٧ ص ١٥٠-١٥٧ . (بالروسية) (٣) حول نظام اقرار هذه الدساتير راجع انتين (الدولة القومية لشعوب غرب ووسط أفريقيا) موسكو ١٩٦٧ ص ١٦٦-١٦٧ . (بالروسية)

ولا أهمية تذكر للجانب الشكلي من وضع الدساتير وأقرارها لان الخبراء والمستشارين الاجانب ساهموا في جميع الحالات باعداد مشاريعها واعتبر البعض مثل هذه « المعونة » القانونية بمثابة « حسنة » لشعوب الدول الفتية . فبعد ان اشار جيننجز الفقيه الانجليزي الى ان اعداد مشاريع الدساتير عمل تكتيكي (فني) يتطلب تجربة كبيرة لم يخف سروره بان « » أكثر المختصين من اصحاب الخبرة هم من حقوقيي وزارة المستعمرات الذين يضعون خدماتهم تحت تصرف المستعمرات السائرة على طريق الاستقلال . . . »⁽⁴⁾

وبالطبع ان « الدساتير (الام) من الدوائر البريطانية والفرنسية والبلجيكية استخدمت بالدرجة الاولى دساتير بلدانها كنماذج للدساتير . واحيانا تشير دساتير الدول الفتية بصورة مباشرة الى مصدر اقتباس هذه القواعد او تلك . فمثلا نص دستور غانا لسنة ١٩٥٧ على ان الحاكم العام ملزم بممارسة صلاحياته « وفقا للاتفاقيات الدستورية التي تتخذ عند تنفيذ مثل هذه الصلاحيات او الوظائف من قبل جلالته في المملكة المتحدة » .⁽⁵⁾ ومن الامثلة الاخرى احد قرارات مؤتمر مناقشة مشروع دستور لاوغندا وجاء فيه « الدستور سينص على تعيين زعيم المعارضة على نفس النمط المنصوص عليه لتعيين زعيم المعارضة في المملكة المتحدة بموجب قانون عام ١٩٣٧ حول وزارة التاج » .⁽⁶⁾

ان الدساتير الغربية كانت ذات مغزى بالنسبة لخبراء القانـون الدستوري الذين ساهموا في وضع النماذج الاولى لدساتير الدول الفتية بحسب تعبير وزير الشؤون الدستورية لحكومة مستعمرة تنجانيقا سابقا

4. Jennings, Democracy in Africa, Cambridge, 1963 p. 75.

5. "The Ghana Order in Council, 1957, No. 277"

"Statutory Instruments 1957" London, 1958.

6. "Report of the Uganda Independence Conference 1962" Cmnd. 1779 p.6.

كوك ان « ويستمنستر موديل » هـيو « مجموعة كاملة من الافكار والمؤسسات الدستورية وضعها الغرب وعلى وجه التحديد نظام الادارة البريطاني فالى جانب الديمقراطية التمثيلية تتحرك بمفهوم واسع كلمة نظام الحزبين وهذه المجموعة تحيل في طياتها اعتقادا في سيادة القانون و استقلال القضاء واحترام الحريات الجامعية والاعتراف بالملكية الخاصة» (١)

الا انه من الخطأ تفسير « وصفة » نماذج الدستورية الغربية ، بمسعى الاستعماريين لتوجيه البلدان المتحررة في طريق الدولة الرأسمالية فقط بل ويوجب الاخذ بنظر الاعتبار الوعي القانوني للزعماء السياسيين والقانونيين في هذه البلدان . فكثير منهم مشايخين « للديمقراطية الغربية » على الطراز الانجليزي او الفرنسي ووجدوا في « ويستمنستر موديل » أكثر النماذج قبولاً للنظام السياسي .

فقبل اعلان استقلال نيجيريا بفترة قصيرة صرح ازيكيوي احسنه الساسة في هذا البلد وزعيم حزب المجلس الوطني « انا نعتقد بان نظام الادارة البوزاري على غرار ويستمنستر يمكن ان يخلق نجوا سياسيا صحيا في نيجيريا » . وفي مجال تعديده لمبادئ الديمقراطية البرلمانية « على الطراز الانجليزي » اشار الى ضرورة وجود « وزارة الفل » (٢) .

ومرجع هذا ان تربيتهم القانونية اكتملت بتأثير القانون البرجوازي والفكر القانوني البرجوازي ، وانهم اطلعوا فقط على أنظمة التروبولات او « الدول الرأسمالية الأخرى » .

ورغم ذلك فهناك بين الزعماء السياسيين في البلدان النامية اشخاص يحملون اتجاهات تقدمية يسارية ابروا في وضع دساتيرهم كالجزائر والعراق

7. J. Fletcher: "Cook, Parliament as an Export" London, 1966. p.143-144.

(١) أكاديمية العلوم السوفيتية (القانون في الاقطار الإفريقية المستقلة) - موسكو ١٩٦٩ ، ص ٦٧ (بالروسية) .

وسورية وغينيا عام ١٩٥٨ ومالي سنة ١٩٦٠ والصومال ١٩٦١ وهذه الاخيرة متأثرة بدستور فرنسا لعام ١٩٤٦ وايطاليا سنة ١٩٤٧ وتعتبر هذه الدساتير من بين اكثر الدساتير ديمقراطية في الاقطار الرأسمالية ، لانها وضعت في اعقاب الحرب العالمية الثانية وفي فترة نهوض ثوري وبمساهمة القسوى التقدمية . وقد اقتبست دساتير بعض البلدان النامية عددا من القواعد الديمقراطية في الدستورين الفرنسي والاطالي المشار اليهما . كالمسواد المتعلقة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين فمثلا تنص م ٣٦ من الدستور الايطالي « لكل عامل الحق في اجر يتناسب مع كمية ونوع عمله » وان يكون هذا الاجر على أية حال كافيا لان يكفل له ويكفل لعائلته حياة حرة كريمة » .

ويحدد القانون الحد الأقصى لفترة العمل اليومي .
وللعامل الحق في راحة اسبوعية واجازات سنوية باجر ولا يجوز له ان يتنازل عنها .

وفي المقابل تنص المادة ٣٦ من الدستور الصومالي وهي تحت عنوان « حماية العمل » على ما يلي :

- ١ - تحمي الدولة العمل كما تشجعه في كل اشكاله وتطبيقاته .
 - ٢ - السخرة والعمل الجبري في أي شكل من الاشكال محظوران .
..... الخ .
 - ٣ - لجميع العمال دون تمييز اجر متساو عن العمل المتساوي القيمة ،
وبما يحقق حياة لائقة بالكرامة الانسانية .
 - ٤ - لجميع العمال الحق في راحة اسبوعية واجازة سنوية باجر ولا يجوز الزامهم بالنزول عنها .
 - ٥ - يحدد القانون الحد الاقصر لساعات العمل اليومي الخ .
 - ٦ - تضمن الدولة الحماية المادية والمعنوية للعمال .
- واذا ذهبنا أبعد من ذلك في تحليل الدساتير المذكورة نلمس التطابق

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق و تصدیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

۱۳۰۳ قیامی ۱۸۲۱ سال کی تحقیق کے لئے لکھی گئی تھی۔

البلدان حيث كانت حركة التحرر الوطني منقسمة على نفسها أما الرجعية الاقتصادية التي ترى في الاتحاد وسيلة لحماية مواقعها السياسية والاقتصادية فكانت قوية بما فيه الكفاية كما في اوغندا . أما في المناطق التي كأن فيها ميزان القوى الى جانب الجناح التقدمي من حركة التحرر الوطني فقد منيت الخطط الاتحادية بالفشل الذريع كما في غانا على عهد نكروما . الا ان القوى التقدمية كانت مضطرة هنا للقبول بحلول وسط معروفة انعكست في خلق ما يسمى بالحكم المحلي .

ونفس الاتجاه طبق بالنسبة للمؤسسات الدستورية التقليدية ففسي بعض الاقطار تم الحفاظ على هذه المؤسسات في مستوى الادارة المحلية وفي الاخرى طبق نظام المركزية في هيئات السلطة (التمثيل في البرلمان ، الملكية الورانية ...) (٩) .

ولم يكن واحدا الدور الفعلي للمؤسسات الدستورية التقليدية فسي الحياة السياسية في مختلف البلدان الا ان الاعتراف بهذه المؤسسات واقامة الضمانات لحقوق وامتيازات الزعماء هي السمة المميزة لساتير مجموعة كبيرة من الدول الفتية .

فحول طبيعة هذه الضمانات تعطي انطبعا واضحا المادة (١٢٤) من دستور اوغندا لسنة ١٩٦٢ وبموجبها يعفى الحكام الملكيين ورؤساء الوحدات المحلية من ضريبة النفوس المباشرة ولايجوز ان تتخذ ضدهم أية اجراءات مدنية ولايجوز ان تكون اموالهم الخاصة مكانا للبيع الاجباري او وضع اليد عليها . (١٠)

(٩) نص دستور نيجيريا لعام ١٩٦٠ في مسادته ٣٧ على التمثيل البرلماني لزعماء القبائل على المستوى الفيدرالي وعلى مستوى المجالس المحلية .

10. The Uganda (Independence) Order in Council 1962, No. 2175.

وكقاعدة عامة لا يجوز إلغاء المواد المتعلقة بامتيازات وحقوق الزعماء
او ادخال اية تعديلات عليها الا بموجب اجراءات معقدة جدا ومن هنا
يفهم فرض جمود خاص عليها . فعلى سبيل المثال تنص م ٤٣ وم ٤٤ من
دستور سيراليون على ان مشاريع القوانين التي تتعرض الى الغاء مناصب
الزعيم الاعلى لا يمكن ان تقدم الى الحاكم العام الا في حالة اقرارها من
قبل مجلس النواب في دورتين متتاليتين على ان يتخللها حل البرلمان .^(١٢)
وخلافا لدساتير الاقطار الناطقة بالفرنسية والتي لم تتضمن سوى
احكاما عامة حول جهاز الدولة وملاكاته^(١٣) ، نرى ان الدساتير التي وضعها
الخبراء الانجليز انطوت على احكام مفصلة ادخلت فيها قواعد لا صلة لها
بالدستور بل لها صلة اوثق بالقانون الاداري ويقر ذلك الفقهاء
البرجوازيين .^(١٤)

ولا يعدو ادخال هذه القواعد في دساتير البلدان الفتية الحفاظ قسدا
الامكان على الهيكل والملاكات في الجهاز القديم . وجاء على لسان نكروما
ان « تلك الاحكام التي احتواها دستورنا الاول والتي تتعلق بالتعيين والترقية
ونقل وفصل الموظفين من الخدمة هي عقبة كأداء اشد من مؤسسات الزعماء .
ان هذه الاحكام هي غير مريحة بالنسبة لنا الى حد بعيد فقد ضرب نسوع
من الحصار حول كل موظف لا يمكن اختراقه من قبل الحكومة الا
بصعوبات شاقة جدا » .^(١٥)

(١٢) سار القانون الاساسي العراقي في العهد الملكي بنفس الاتجاه .
فقد تطلب تعديله أغلبية خاصة يعقبها حل مجلس النواب وحده
واجراء انتخابات جديدة واعادة بحث تعديله مجددا وضرورة
حصوله على الاغلبية المطلوبة (٧/١٠) في كلا المجلسين .

(١٣) كقاعدة عامة ان رئيس الجمهورية هو الرئيس الاداري وعليه فانه
يعين كبار المسؤولين في المناصب المدنية والعسكرية (انظر المادة
١٧ من دستور ساحل العاج لسنة ١٩٦٠)

D. Lavroff et Ct. Peiser, Les Constitutions Africaines
t. II, Etats anglophones, Paris, 1964, P. 25.

نقلا عن كتاب القانون في الاقطار الافريقية المستقلة المذكور اعلاه
(١٥) كوامي نكروما (افريقيا يجب ان تتحد) موسكو ١٩٦٤ ص ١٢٩
باللغة الروسية .

وفي الواقع ان اشياء الاساسي في كل دستور من هذه الدساتير هو « الخدمة في جهاز الدولة » والتي تتضمن قواعد مفصلة حول تعيين واقضاء مختلف الاشخاص من المسؤولية وحول الضمانات الحقوقية . الخ » (١٦) .

بالاضافة الى ذلك ان الاوامر الملحقة بالدساتير انشأت ما يسمى بالمنصب الدائم (عدم الانقطاع عن الخدمة المدنية) وصدر اوامر التعيين والضمانات مقدما .

واستمرت الكثير من القوانين الاستعمارية سارية المفعول حتى بعد قيام الحكم الوطني بما في ذلك القوانين التي تتضمن قواعد دستورية « قوانين الانتخاب ، والنظم البرلمانية الخ »

لقد القينا نظرة عامة على بعض الجوانب الجوهرية لتأثير المتروبولات السابقة في وضع الدساتير للدول الفتية . وتتميز دساتير البلدان النامية في المرحلة الاولى من تطورها باتباع وصفة « الموديلات الدستورية الغربية » وتثبيت العديد من المؤسسات المناهضة للديمقراطية والتي كانت تمارس نشاطها في ظل الادارة الاستعمارية او التي فرضت في ساعة اعلان الاستقلال .

وفي المرحلة الثانية من ثورة التحرر الوطني يصبح تناسب القوى التطبيقية في الكفاح من اجل اختيار طريق التطور اللاحق هو العامل الحاسم الذي يحدد جوهر وطبيعة القانون الدستوري .

ولا بد من الاشارة الى ظاهرة عدم استقرار الدساتير في هذه البلدان واستبدالها باستمرار .

ففي (٣٨) دولة ظهرت في افريقيا خلال ١٩٥١-١٩٦٨ اقرت (١٠) منها دستورين غانا ، غابون ، الكامرون ، الكونغو - برازافيل - ملاوي . نيجيريا ، السنغال ، السودان ، توغو ، افريقيا الوسطى . و (٤) منها

(١٦) راجع الفصل الثامن من دستور غامبيا لسنة ١٩٦٥ .

وفي بعض الحالات، تعدل الدساتير لأغراض دعائية صرنية، عاكسة بذلك التقلبات في الصراع السياسي، مثل التعديلات التي أدخلت على دستور كينيا بسبب انشقاق حزب اتحاد الشعب الكيني المعارض ولقوتته من جانب حكومة الاتحاد الوطني الأفريقي الحاكم وكذلك للكفاح من أجل منصب رئاسة الجمهورية.

إلا أن أغلب حالات عدم استقرار الدساتير تعود إلى أسباب أعمق بكثير مما هو معروف وهو يعكس التغيير السريع في ميزان القوى في الصراع السياسي داخل البلدان النامية.

وتظهر بجلاء بهذا الشأن الانقلابات العسكرية التي أصبحت أسلوباً قائماً بذاته المتطورات السياسية في بلدان «العالم الثالث» وخاصة في أفريقيا فقد حدث فيها ما يزيد على (٢٤) انقلاباً ابتداءً من عام ١٩٦٣.

وبين تحليل بواعت وطبيعة الانقلابات^(١٧) أنه يجري الحديث في بعض الحالات عن تغيير طبيعة السلطة ونيتها الاجتماعية^(١٨) وفي حالات أخرى حول طرق تحقيقها فقط مثل الانقلابات التي جرت في (فولتسا، العليا، داهومي، توغو، الخ)، إلا أن جميع حالات الانقلاب تقريباً تعقبها إلغاء الدساتير المعمول بها وإصدار دساتير جديدة مما يعني التحول إلى إدارة عسكرية ومراسيم تضيف الشرعية على الدكتاتورية العسكرية^(١٩).

(١٧) حول الانقلابات العسكرية راجع يوردانسكي (حول طبيعة الانقلابات العسكرية) في أفريقيا الاستوائية (مقالة منشورة في مجلة شعوب آسيا وأفريقيا) رقم ٤ لسنة ١٩٦٧. وستارشينكو (الامة والدولة في الاقطار المتحررة) موسكو ١٩٦٧، ص ٢٢١-٢٣٠.

(١٨) كما حصل في انقلابات ذات الاتجاه التقدمي (الكونغو، برازافيل، زنجبار) أو باتجاه رجعي (غانسا).

(١٩) بموجب المادة الأولى من البيان الذي أصدره الانقلابيون في غانسا تم إعلان تشكيل مجلس التحرير الوطني الذي اعتبر حكومة لغانسا إلى حين وضع دستور جديد. ومنحت المادة الثالثة من البيان الحق للمجلس بأصدار المراسيم التي لها قوة القانون.

وفي ظل عدم الاستقرار الدستوري نشاهد في العديد من البلدان ان القانون الدستوري يبقى متخلفا في تطوره عن التحولات في البنية الاقتصادية والاجتماعية . ويظهر هذا جليا في العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تحتاج بطبيعتها وجوهرها الى تنظيم دستوري والتي تنظم شكليا بالقواعد الدستورية او لا يكون لها بشكل عام انعكاس في التشريع في الوقت المناسب وبصورة متساوية . ولهذا السبب تكتسب بعض الامور اهمية دستورية الا انها تبقى من الناحية الشكلية لا دستورية . وكذلك تكتسب هذه الاهمية برامج ووثائق الاحزاب السياسية التي تحدد بشكل تام ودقيق اسس البناء الاجتماعي والاقتصادي والنظام السياسي للمجتمع وابتعد من هذا كثيرا ما تأخذ هذه الوثائق في بعض البلدان طابعا قانونيا الى جانب طابعها السياسي^(٢٠) .

ان عدم الاستقرار والتخلف الملموس في القانون الدستوري لا يعني بأي حال من الاحوال ان الدساتير في الدول النامية تحمل اهمية ثانوية . ان هذه السمة للتطور الدستوري لا تدل الا على عدم انتهاء عملية اقامة العلاقات الاجتماعية المتطورة بعد احراز الاستقلال الوطني وغياب الثبات في ميزان القوى الطبقية في كثير من هذه الدول . ورغم كل ذلك فان القانون الدستوري يلعب دورا هاما في حماية وتثبيت وتطوير العلاقات الاجتماعية الجديدة (في بعض البلدان علاقات رأسمالية وفي أخرى انتقالية نحو الاشتراكية) . والدستور لا يثبت نتائج الصراع السياسي في هذه المرحلة او تلك من مراحل ثورة التحرير القومي والوطني فحسب بل ويحدد ايضا برنامج التطور اللاحق وبالطبع ان اهمية وطبيعة الاحكام التي تتضمنها هذه البرامج والتي تنطوي عليها دساتير البلدان تختلف من بلد لآخر .

وتعتبر هذه المرحلة طبيعية بالنسبة للقانون الدستوري أما الانجساح الآخر فهو التخلص تدريجيا من استعارة (الموديلات الغربية للدساتير)

(٢٠) راجع أبواب مشروع الميثاق الوطني في القطر العراقي .

أو على أقل تقدير ادخال تعديلات جوهرية على هذه الدساتير المقتبسة لجعلها منسجمة واطواع البلدان النامية ، كالاصلاحات الدستورية التي ادخلت في عدد من البلدان وخاصة التي كانت خاضعة للسيطرة البريطانية . وينبغي التوجه نحو تصفية المؤسسات الدستورية الاستعمارية ، كالنظام الملكي والاقطاع والحكم المحلي ، وبالطبع لهذا الاخير مضمون ديمقراطي عندما يساعد على تعزيز الاستقلال الوطني (بتصفية الوضع القانوني الاستعماري) وتوطيد وحدة الدولة (بتصفية الانقسامات القبلية والنعرات الطائفية والتعصب الشوفيني ... الخ) والى جانب هذا ينبغي رفض الوصفات الدستورية الغربية . . .

لقد تحدثوا كثيرا في الغرب عن أزمة (الدستورية الغربية) في الدول النامية فنرى اليوم ان الفقهاء الغربيين ان الذين الحوا في البداية (فترة ظهور الدول الفتية) على فرض الدساتير من الطراز الغربي اضطروا الآن الى الاعتراف بان الدول الجديدة ستفتش عاجلا عن حل خاص يتناسب واطواعها لتجاوز المخلفات والصعوبات بدلا من محاكات الدساتير الغربية او بتعبير ادق دساتير المتروبولات السابقة .

ويرجع الباحثون الغربيون اسباب أزمة « الدستورية الغربية » في البلدان النامية الى عوامل متباينة . فالبعض منهم يتحدث عن المستوى الوطني للتطور الاجتماعي والاقتصادي^(٢١) . واخرون يعزونها الى غياب الممهدات الايديولوجية^(٢٢) المناسبة وفئة ثالثة ترجعها الى قوة تقاليد المجتمع

M. Duverger, Institutions Politiques et droit

Constitutionnel, Paris, 1968. p.394-395.

نقلا عن كتاب القانون في الاقطار الافريقية المستقلة المذكور
(٢٢) يقول فردريك ان (الديمقراطية الدستورية الغربية تنطلق من ... النظريات اللاهوتية والفلسفية التي لا وجود لها في البلدان النامية) الحديث يجري هنا حول المسيحية والقانون الروماني والفلسفة الاغريقية .

C. Friedrich, Some Reflections on Constitutionalism for Emergent Political Orders p. 9.

القبلي^(٢٣) .

ورغم اعتراف الغالبية الساحقة منهم بعدم جدوى مبادئ الدستورية الغربية ومؤسساتها الأساسية في الظروف الراهنة للدول النامية فإنهم يعتبرون الالتزام بها يفتح آفاقا لتطور دستوري لاحق لهذه الدول .

وتتقد الآن الغالبية العظمى من رجال السياسة والقانون من مختلف الاتجاهات « الديمقراطية الليبرالية » ونظام تعدد الأحزاب وعلوية البرلمان والفصل بين السلطات ويدعوا بعضهم الى اقامة « ديمقراطية قوية » ونظام الحزب الواحد وتركيز السلطة بيد فرد (رؤساء الدول) والتوجه نحو الادارة المركزية .

ولا يسع المجال هنا لتحليل النظريات القانونية والسياسية مع مختلف المواقف الطبقية التي تعكس في الواقع اتجاهين متضادين في تطور القانون الدستوري في البلدان النامية^(٢٤) .

فبالنسبة لممثلي الديمقراطية الثورية في اقطار طريق التطور اللارأسمالي اضحي طريق التطور « الدستوري الغربي » غير مقبول لانه وقبل كل شيء قانون غربي . وانطلاقا من المواقف الطبقية ينتقد ويرفض هؤلاء المؤسسات والمبادئ « الدستورية الغربية » وبذلك يفضحون خدعة الديمقراطية والبرلمانية البرجوازية . فعلى سبيل المثال يقول سيكوتوري ان الادبولوجية البرجوازية التي تعلن البرلمانية البرجوازية نظاما يعنسي

J. Fletcher. Cook, Parliament, the Executive and the Civil Service p. 161.

ويقول هذا الكاتب ان موديلات الدساتير التي ظهرت الان في الدول الافريقية وضعت على اساس وطني استنادا الى المبادئ الرئيسية للنظام القبلي الافريقي .

(٢٤) حول تحليل هذه النظريات راجع (طريق التطور اللارأسمالي ... للاقطار الافريقية من ٣٩ الى ٤٨ من ١٥٩ - ١٦٦ . وأنظر أيضا مجموعة (النظريات الاشتراكية المعاصرة من الطراز القومي) موسكو ١٩٦٧ (باللغة الروسية) .

في أعلى مراحل بحرية الرأي وحرية الكلمة وحرية الاجتماع . . .
يعني انها اكبر خدعة لتغطية حقيقة اشد انواع الصراع السياسي بين كتلتين
رئيسيتين (البرجوازية والعمال) .

ويجري في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي تجاوز الدستور
العربية وتبثق مبادئ ومؤسسات دستورية ذات مضمون خاص يتفق
ونظام الدولة الانتقالي والاشتراكي ، مثل مبدأ السيادة الشعبية التي تعكس
في المرحلة الراهنة ان الجماهير الشعبية هي مصدر السلطة والالتزام
بالديمقراطية الثورية وتعزيز الدور القيادي للملكية الجماعية لوسائل
الاتاج وضمان المساواة والحقوق الديمقراطية وحرية المواطنين (في
حدود الامكانيات المادية المتوفرة) .

اشراك اوسع الجماهير في ادارة شؤون الدولة وتحويل الهيئات
التمثيلية الى خلايا عمل فعلي ومنح الدور القيادي في التنظيم السياسي
للمجتمع الى الاحزاب الثورية .

ان ظهور هذه المبادئ يشهد على التأثير المتنامي « للدستورية
الاشتراكية » على القانون الدستوري للبلدان النامية التي تعمل من اجل
التطور في الطريق الاشتراكي . وبالإضافة الى ذلك لابد من الاشارة الى
ان القانون الدستوري في هذه البلدان يتميز الى حد ما بعدم التوافق بين
الناخيتين القانونية والواقعية . فليس كل ما يعلن دائما هو دستوري
فالمبادئ التي تطبق فعلا تتفق والتنظيم الواقعي للسلطة التي من سماتها
على سبيل المثال التركيز المفرط للسلطة بيد الزعيم السياسي والهبوط بدور
المؤسسات التمثيلية والتي لا تقر في الكثير من الحالات تقييد حقوقها
الديمقراطية .

كل هذه المظاهر السلبية مرتبطة بالعوامل الموضوعية والذاتية الى حد
كبير والتي تحمل طابعا انتقاليا ولا تغير جوهر الاتجاه السياسي للقانون
الدستوري لبلدان الاتجاه الاشتراكي التي بدأت بتأكيد مبادئ ومؤسسات
ديمقراطية ومتابعة تطويرها .

وتتحدث الغالبية الساحقة من الزعماء السياسيين في البلدان التي تقف على طريق التطور الرأسمالي عن عدم ملائمة « الموديلات الدستورية الغربية » . الا ان الحديث هنا لا يجري حول رفض الدساتير البرجوازية بشكل عام وانما فقط رفض شكل واحد منها وهي الديمقراطية الليبرالية والمبادئ والمؤسسات الاساسية التي اعلنوا انها لا تتسجم والظروف الخاصة او تقاليد المجتمع .

وفي مثل هذه البلدان يجري الغاء بعض المبادئ الدستورية الديمقراطية والمؤسسات الليبرالية التي اقترنها « الموديلات الغربية » وفي الوقت ذاته اقتباس المبادئ والمؤسسات ذات الجوهر الرجعي في دستورية الدول الامبريالية (تلك العناصر الدستورية الملائمة لمتطلبات النخبة الحاكمة) مما يؤدي الى اقامة أنظمة الاوليغارشية البرجوازية واشكالها المتطرفة هي الدكتاتوريات العسكرية .

وعليه فان اتجاهات تطور القانون الدستوري تحمل طابعا متباينا تماما في بلدان ذات الاتجاه الاجتماعي المختلف رغم ان هذه الاتجاهات تدل على ازمة الدستورية الغربية في الدول النامية بشكل عام .

وبهذا الصدد من المهم التأكيد على ان رفض (الوصفات) الغربية للدساتير او تغييرها بشكل جوهري لا يمكن ان يشكل دليلا على تقدمية الاتجاه المعين لان المسألة لا تكمن في الشكل وانما في الجوهر والمضمون .

ومن الاتجاهات الملموسة للقانون الدستوري في الدول الفتية هو توسيع مجالات تنظيم العلاقات الاجتماعية ، ويمكن تحديد مجموعة من اساسيتين من هذه العلاقات والتي تتعرض اكثر فأكثر لتنظيم القانوني الدستوري وهي :-

- ١ - العلاقات الاجتماعية التي تحدد اسس النظام الاجتماعي الاقتصادي .
- ٢ - العلاقات السياسية التي تحدد اسس التنظيم السياسي للمجتمع .

وبالنسبة للمجموعة الاولى يدل توسيع ميدان تنظيم العلاقات الاجتماعية على ظهور قواعد دستورية تنظم علاقات الملكية (اشكال الملكية شروط تحديد الملكية الخاصة) التي تثبت مبدأ تخطيط الاقتصاد الوطني وبناء وتنظيم اجهزة ادارة الاقتصاد وبالطبع ان مضمون هذه القواعد واهميتها الواقعية ليست واحدة في دول التطور اللارأسمالي والرأسمالي . ومع ذلك تعكس هذه القواعد بهذا القدر او ذاك العمليات الموضوعية الاجتماعية الاقتصادية الجارية في كافة الدول الفتية .

أما بشأن المجموعة الثانية فان توسيع مجال التنظيم القانوني الدستوري للعلاقة الاجتماعية يجد تعبيرا له في اصدار قوانين كثيرة تثبت ليس فقط الاسس القانونية لنشاط الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية (كالشريعات التي تقرر نظام الحزب الواحد) بل وبناءها التنظيمي ونظام العلاقات المتبادلة بين اعضائها وهيئاتها القيادية . . . الخ وبعبارة أخرى بواسطة التشريع تنظم تلك العلاقات الاجتماعية التي تتعلق بحياة ونشاط الاحزاب الداخلية والمنظمات الاجتماعية ويتحتم تنظيمها بموجب المواثيق المقررة من قبل الدولة .

فمثلا تنص المادة الخامسة من دستور تنزانيا المؤقت عام ١٩٦٥ على ان « كل مواطن تنزاني بلغ سن الـ ١٨ عاما ووافق على مبادئ واهداف الحزب التي حددها الميثاق يصبح عضوا في الحزب بعد دفع بدل الانتساب والاشتراكات الاخرى التي ينص عليها ميثاق الحزب » .

وبالطبع ان ما يتميز به التنظيم القانوني الدستوري لمثل هذه العلاقات السياسية هي الطبيعة الطبقيّة للسلطة والاحزاب السياسية . الا ان توسيع مجالات تنظيم العلاقات في كل الظروف يدل على التقييدات المعروفة للديمقراطية . وهذه خطرة الى درجة كبيرة في البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي لانها تعرقل تطور المبادرات الابداعية للجماهير ونشاطها . لقد تناولنا الاتجاهات العامة وبرزت سمات تطور القانون الدستوري

في الدول النامية في مختلف مراحل ثورة التحرر الوطني •

ومن خلال ذلك لاحظنا الخلاف العميق بين القانون الدستوري في البلدان النامية ذات الاتجاه الاشتراكي والقانون الدستوري في البلدان السائرة في طريق التطور الرأسمالي • وهذا الخلاف يظهر بصورة جلية عند تحليل المبادئ الدستورية الرئيسة التي تحتويها دساتير كلا المجموعتين وبالدرجة الاولى تلك التي ثبتت اساس النظام الاقتصادي الاجتماعي والتنظيم السياسي للمجتمع وسنحاول في بحوث لاحقة لقاء الضوء على هاتين المسألتين •



من حركات المعارضة في العصر الاموي

بقلم الدكتور عبدالامير عبد دكسن
المدرس بقسم التاريخ - كلية الاداب

لقد كان أبو الاشرس عبيدالله بن الحر بن عمرو الجعفي واحداً من الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً خلال السنوات الاولى من الحكم الاموي وبالرغم من نشاطاته التي استغرقت اكثر من عشر سنوات ، فقد أهمل من قبل المؤرخين المحدثين . ولعل سبب هذا الاهمال يعود الى عدم ارتباط ابن الحر باي من الاحزاب السياسية او الفرق الدينية التي كانت سائدة في زمانه . ان هذه المقالة محاولة للقاء بعض الضوء على شخصيته ، وعلى طبيعة حركته ، وكلاهما ضروري لدراسة الفترة الاموية واستكمال جوانبها .

انا لا نعرف عن حياته الاولى كثيراً ، فقد ولد في الكوفة^(١) في احدى عوائل « الاشراف » ، واشترك في معركة القادسية ١٤ هـ / ٦٣٥ م مع خاليه زهير ومرثد^(٢) . وعندما قتل الخليفة عثمان بن عفان (ر) كان هذا الحادث بمثابة صدمة عنيفة « للرجل الورع » عبيدالله بن الحر ، فاذا به يترك الكوفة ويذهب الى سوريا حيث ينضم الى معاوية بن ابي سفيان محارباً معه ضد الخليفة علي بن ابي طالب (ر) في معركة صفين ٧٣ هـ / ٦٥٧ م^(٣) . وبين يدينا روايات مختلفة عن تلك العلاقة التي قامت بين ابن الحر ومعاوية . فالبلاذري وابن اعثم الكوفي يذكران انه ترك

المال والسلاح ذهب الى البصرة حيث كان مصعب بن الزبير واليا لآخيه
عبدالله . وهناك بقي مع مصعب وحارب معه المختار^(١٤) .

لكن مثل هذه العلاقة مع مصعب لم تستمر طويلا ايضا . فقد حذر
مصعب منه ، بأنه كان قد خرج ضد عدد من الولاة ، وانه من المحتمل جدا
« ان يصنع في سلطانتك ما كان يصنع في سلطان من كان قبلك » مما دفع
بمصعب الى سجنه ، وابقائه زمنا ، ولم يطلق سراحه الا بعد وساطة بذلها
بعض وجوه مذحج ، فأطلقه ومنحه خراج كسكر ابوزعه بين اتباعه^(١٥) .
لكن ذلك لم يكن ليرضي ابن الحر ، فاذا هو يستمر في غاراته على
الكور جامعا اموال الخراج . وكان نتيجة ذلك أن أرسل مصعب ضده
جيشا بقيادة الأبرد بن قره التميمي فهزمه ابن الحر . فأرسل مصعب
جيشا اخر على رأسه حريث بن زيد الخيل الطائي ، ولم يكن حظ القائد
الجديد بأحسن من سابقه . ثم ارسل اليه مصعب بالحجاج بن حارثة
الخنعمي وبسطام بن مصقلة التميمي والي عين التمر ، على رأس جيشين
ولكنهما هزما ايضا . ثم زحف ابن الحر الى شهرزور واستولى على ما
كان في بيت مالها^(١٦) .

وفي خلال هذا الوقت اعلن ابن الحر مبايعته لعبدالمملك بن مروان
نكاية بمصعب ابن الزبير وكرها له ، لا رغبة في طاعة الخليفة .

ولقد كان نتيجة لهذه الانتصارات العسكرية ، التي حققها ابن الحر
على جيوش مصعب ، ان زاد عدد اتباعه ، مما اظهر خطره الشديد فكان
ان أرسل المهلب بن ابي صفرة - والي مصعب على الموصل والجزيرة -
عبدالله بن يزيد بن المفضل الأردني على رأس جيش لقتاله ، كما أرسل
مصعب جيشا آخر بقيادة الأبرد بن قره التميمي والجنون الهمداني لسمحه
ولم يستطع - نتيجة لذلك - أن يواجه ابن الحر هذين الجيشين ، فكان
ان جرح أثناء القتال وهرب معظم اتباعه . وعندما وجد نفسه اخيرا مع
عدد قليل من الرجال لا يتجاوز الخمسين من اتباعه ، انسحب انساء
الليل الى الكوفة ، فبعث اليه مصعب جيشا بقيادة حجار بن ابجر الذي اجبر

ان مصادرنا العربية غير متفقة في هذا الشأن ، فرواية ابي مخنف ، كما جاءت عند البلاذري^(٢٠) تعتبره رجلا يحارب من اجل السلب والقتل دون أي دافع ديني ، وكأنه ولد نائرا ، متمردا على كل سلطنة . بينما يرى المدائني وابن اعثم ان ابن الحر كان ضد سلطة قريش غير العادلة في نظره ، وانه استغل الاضطراب السياسي الذي اعقب وفاة الخليفة يزيد ابن معاوية لتحقيق مآربه^(٢١) . الا انه مع ذلك ، كما يبدو لنا ، لم يكن شيعيا او خارجيا بصورة واضحة او مؤكدة ، ولعل خير ما يثبت وجهة نظرنا دراسة علاقته بأي من هاتين الفرقتين . فهو لم ينضم الى الخليفة علي (ر) في حروبه ، ولا الى ابنه الحسين (ر) او المختار بن ابي عبيد الثقفي في ثورتيهما^(٢٢) . وكذلك فإن عدم تأييده لحركة الخوارج المستمرة يتوضح في محاربه لجماعة منهم ممن كان في ساباط المدائن^(٢٣) .

ومع ذلك كله فإن ابن الحر - كما يبدو لنا - لم يكن رجلا ساخطا بدون فكرة . فقد كان يعتقد ان الخلفاء الراشدين هم الخلفاء الشرعيون حسب . لذا نراه يرفض ان يدين بالطاعة لجميع من اعقبهم ، بأعتبارهم لا يطيعون الله ، ولذلك فهم لا يستحقون اى احترام^(٢٤) . كذلك فقد كان يعتقد ان قريشا كانت قد اغتصبت السلطة السياسية والقيء لنفسها . على ان مما يجدر ذكره هنا ان ابن الحر لم يكن يحمل فكرة المساواة بين العرب والموالي كما يظهر ذلك بوضوح من نصيحته لمصعب بن الزبير بقتل جميع الموالى الذين اشتركوا في ثورة المختار^(٢٥) . وانه لمن المهم ايضا ان نرى مصادرنا خالية من اية اشارة لاي تأييد له من قبل الموالى . واخيرا تجدر الاشارة بشكل واضح الى اهتمام ابن الحر ، وفي جميع غاراته واعماله الحربية ، باموال الخراج دون غيرها ، ودون التعرض الى اموال التجار وممتلكاتهم^(٢٦) . ولذلك كله ، فإنه من العسير جدا أن نفسر حركته وكأنها ممثلة لنشاط طبقة معينة ، او بأعتبارها ثورة لتجميع اولئك « الضعفاء » للوقوف بوجه « الاشراف » .

ويبقى الرأي القائل بأن حركة ابن الحر تمثل ثورة عراقية ضد

قريش واستئثارها ، بالحكم وابعاد العراقيين عن الاشتراك في أمور الخلافة»^(٢٧) . وهو رأي يصعب اثباته . اذ ان عدم مشاركة ابن الحر في حروب علي (ر) وفي ثورة الحسين (ر) ، والمختار من بعده لدليل على ما نذهب اليه .

ونضيف الى ذلك كله ان ابن الحر كان قد رفض عرض مصعب بن الزبير بتولي اي قطر يرغب فيه^(٢٨) . وهكذا نجد ان ليس هناك بين هذين الحقائق ما يؤكد كون نشاطه الحربي حركة عراقية اقليمية .
واذا كانت حركة ابن الحر خالية من اية دوافع دينية او اجتماعية او اقليمية فيجدر بنا ان نسائل اذا : هل كان ابن الحر خارجا دونما هدف ؟

ان الأستنتاج الذي قد يبدو أكثر اقناعا هو أن الرجل كان (ثائرا رجيا) ان صح التعبير ، ثورة ضد عصره . فقد كان معارضا لجميع انواع السلطان القائمة آنذاك . وقد تبني فكرة الخروج ضد الخلفاء غير العادلين ، غير المترمين بالدين ، ليرر عدم رضاه هذا . وكانت طريقة عمله تعتمد على جمع الساخطين الآخرين في معركة هدفها شن الغارات على اموال الخراج فقط . وكان نجاحه في هذا المضمار قد زاد في قوته العسكرية مما جعله يظهر في تلك السنوات ، شخصية مهمة يراد كسبها او الحصول على تأييدها ، بل يعد شخصا خطرا يجب ان يوضع حد لنشاطه المخرب ، من قبل الحكام المتنافسين آنذاك . ولكنه - كما مر منا - لم يكن مرتبطا بأية جماعة تذكر او هدف محدد . ويمكن القول ان طبيعة حركته كانت ضد التنظيم والمركزية في السلطة حين كان الصراع في الأمبراطورية الاسلامية ، في هذه الفترة ، مظهرا من مظاهر النمو نحو نظام اداري متطور يطبق فيسه القانون . ان نمو فكرة النظام السياسي الاسلامي بترك القيادة الفردية القبلية ليعد من ابرز الاسباب والاعراض التي اثاره ابن الحر ، ذلك الرجل الساخط في العصر الأموي واطهاد رغبته وتمرده في خروجات متكررة على السلطة السياسية آنذاك .

المحاشي :

- (١) الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ١٩ ب .
- (٢) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٠ .
- (٣) الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج٢ ص ٧٦٥ - ٦٦ . وبالرغم من ان ابن اعثم يوافق الاخرين بانضمام ابن الحرالي معاوية ، لكنه يذكر امتناعه عن محاربة الخليفة علي (ر) . انظر : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ١٩ ب - ٢٠ أ .
- (٤) أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٠-٩١ ، كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ١٢٠ - ٢٠ ب .
- (٥) ج ٢ ، ص ٧٦٦ .
- (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج٤ ، ص ٢٨٧ .
- (٧) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩١ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ٢٠ ب-٢١ أ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج٤ ، ص ٢٨٨ .
- (٨) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩١-٩٢ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ١٢١ .
-
- (٩) الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج٢ ، ص ٧٦٦ .
- (١٠) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج٥ ، ص ٢٩٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج٤ ، ص ٢٩٠ .
- (١١) كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ٢١ ب .
- (١٢) المصدر السابق - ج٢ ، ورقة ٢١ ب-٢٢ أ .
- (١٣) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج٥ ، ص ٢٩٣-٩٤ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج٢ ، ص ٧٦٧ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ٢٢ أ - ٢٢ ب ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج٤ ، ص ٢٨٩ .
- (١٤) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج٥ ، ص ٢٩٤ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج٢ ، ورقة ١٢٢-٢٣ ب .

- (١٥) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٥ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٧٠-٧٧١ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٣٤ - ٣٤ ، ابن الأثير الكامل في التاريخ - ج ٤ ، ص ٢٩٠-٢٩١ .
- (١٦) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٥-٢٩٦ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٧٣-٧٧٤ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٣٧ ب ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٤ ، ص ٢٩١-٢٩٢ .
- (١٧) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٦ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٧٥-٧٧٦ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٣٨ ب - ٣٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٤ ، ص ٢٩٢ .
- (١٨) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٦ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٧٧ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٤١ ب ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
- (١٩) ابن حبيب (محمد) : أسماء المقاتلين من الأشراف - ص ٢٨٦ ، البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٧ - ٩٨ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٧٧ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٤١ ب - ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٤ ، ص ٢٩٤-٢٩٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية - ج ٨ ، ص ٢٩٤ ، النووي : بلوغ الأرب - ج ١٩ ، ورقة ٥٤-٥٥ .
- (٢٠) أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩١ .
- (٢١) الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٦٦ ، كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٣٧ .
- (٢٢) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٣ ، الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ، ص ٧٦٥ - ٦٧ ، الكوفي (ابن اعثم) : كتاب الفتوح - ج ٢ ، ورقة ٢٢ ب - ٢٢ .
- (٢٣) البلاذري (احمد بن يحيى) : أنساب الأشراف - ج ٥ ، ص ٢٩٣ .

٤ - كان كتابه وثيقة صادقة في تثبيت اسماء المؤلفين من ادباء وشعراء
وفلاسفة ورجال دين تفيد الباحث والمكتبي في تحقيق هويات المؤلفين
الشخصية Authority Authors

٥ - رتبت موادها ترتيبا موضوعيا اذ قسم الموضوعات الى عشر مقالات
رئيسية وقسم المقالات الى فنون تختلف عدا واعتمد في تقسيماته على
التسلسل الزمني والترتيب المنطقي والاسلوب العلمي الذي ابعده عن كل
حشو ولفو في الكلام .

٦ - اثبت الكثير من رؤوس الموضوعات - تصلح ان تكون منطلقا
للمكتبيين في اختيار رؤوس المواضيع Subject Headings لجامعنا
العربية .^(١)

ومن الطريف ان اذكر ان ملفل ديوي - صاحب التصنيف العشري
هو الاخر قسم المعرفة البشرية الى عشرة اقسام رئيسية يتفرع كل منها
الى عشرة مواضيع تنقسم هي بدورها الى اخرى فرعية وهكذا فهل كان
هذا مجرد توارد خواطر ؟! ورغم الزمن الطويل الذي يفصل بين
عصري الرجلين امتازت تقسيمات ابن التديم في كونها الاولى من نوعها
وانها تغطي في المقالة الواحدة وفنونها الموضوع الواحد في مكان واحد
ومواضيعه واسعة لاسيما في العلوم الدينية . . . يضاف الى ذلك امتيازه
بالترتيب المنطقي والتسلسل الزمني في حين لم يكن الامر كذلك في
تصنيف ديوي العشري فقد اعطى ديوي الاووية لكل ما هو اميريكي
وسبق مواضيع الدين المسيحي كاسرا في كل ذلك النظام المنطقي والتسلسل
الزمني ولم يفصل في مواضيع الدين الاسلامي سقت هذه المقدمة لادل
على ان صناعة الضهرة واليبوغرافية مألوفة لابائنا بل انها كانت اول
الصناعات التي نضجت على ايديهم .

تعويضها :

تعريفها ان كلمة بيبليوغرافيا Bibliography تعني قديما كسل

٦ - مجلة الاقلام بغداد العدد ٦ شباط / ١٩٦٩ ص (٤٣-٥٥)

ما يتصل بصناعة الكتب - تشمل تأليفها ونسخها وتسهيل فهمها...
 والبibliوغرافي Bibliographier هو من احترف كتابة الكتب... غير
 ان معناها تحدد في القرن التاسع عشر فصارت تعنى الكتابة عن الكتب...
 فهي تجميع للمطبوعات وغير المطبوعات من وسائل الاعلام والتعلم والبحث
 في قوائم ذات نظام موحد تربط بين موادها صلة او صفة مشتركة من حيث
 التجميع ووحدة التنظيم... وصار البibliوغرافي من يصنع هذا العمل
 الفكري^(٧) وتمتاز البibliوغرافيا عن الفهرست في ان الاخير يمثل مجموعة
 ثقافية في مكان ما او في مكتبة معينة بينما البibliوغرافيا تشمل لمواد ثقافية
 تجمعها صفة مشتركة ليست شرطا ان تكون في مكتبة واحدة او اكثر انما
 هي تغطية شاملة لتلك الصلة او الصفة^(٨).

اهدافها :

اهدافها ان اول هدف تتوخاه البibliوغرافيا في كل اوتنه الوطنية
 والعالمية والموضوعية هو ان تسهل للانسان - عند حاجته - سبيل الوصول
 الى المؤلفات في كل ميادين المعرفة كلها وهي وسيلة فعالة في تبادل المعرفة
 بين شعوب الدنيا كلها وعامل حاسم في التفاهم العالمي والتقارب الثقافي
 الذي تكون من نتاجه حل المشاكل محليا وعالميا^(٩) ولا اشك ان عمل مثل

7. Elizabeth. A L A Glosory Library terms p. 11. Hook.
 The Research Parper. 3d ed. P. 43. Knud Larson On The
 Teaching of Bibliography P. 4.

احمد نور عمر • البibliوغرافيا ص ٣

8. Elizabeth. Op. cit P. 11-12. Barton Reference Books
 6th ed. P. 44. Larson. Thes's Writing —
 Martin. Using Your High School Library P. 81 =
 Edward. A Style Manual for Students. P 63.
 Erland. Aguide to Dan'ish bibliography. P 5.

٩ - احمد نور عمر • المصدر نفسه ص ٦
 احمد انور عمر • المصدر نفسه ص ٧

هذا سيسهل عملية البحث والدراسة ويخفف عن كاهل الباحث والمتعلم الكثير من عناء البحث والوقت ومن هنا كان اسهام المكتبات في تنظيم واصدار البيبلوغرافيات ضرورة وحاجة ملحة في تقدم المعرفة وانجاز البحوث العلمية الاكاديمية الناجحة .

الثقافة لا تعرف حدودا لن يستطيع باحث الاعتماد على مجموعة ثقافية تضمها مكتبة واحدة كما انه لا يكفي بالمواد التي تمثل ثقافة بلد او المكتوبة بلغته فقط فهو يحتاج الى ثقافات اخرى وهو الى هذا كسله غير قادر ان يسيطر على كل مواد البحث التي يحتاجها لان الانبياء العلمية والمكتشفات والدراسات الكثيرة الواسعة التي تحدث في العالم اليوم - حيث ينشر الكثير منها كتبا ومقالات في الدوريات او في وسائل ثقافية اخرى . . لا يمكن السيطرة عليها كلها او متابعتها حتى ولو كانت في موضوع واحد فما لنا في المواضيع الاخرى وليست هناك مكتبة واحدة . مهما اوتيت القدرة في المال والعمل - نستطيع تجميع كل المواد الثقافية في العالم . . ومن هنا يأتي دور البيبلوغرافيات في سد هذا العجز ومحاولة التغلب على المشكلة فتحاول هذه المكتبات اصدار البيبلوغرافيات الموضوعية والاخرى الخاصة بالمؤلفين كما تحاول تجميع البيبلوغرافيات الوطنية والعالمية التي تصدرها مكتبات قطرية او عالمية لتجعلها تحت تصرف الباحث والدارس ليفحصها ويختار منها مصادر بحثه ودراسته فضلا عن هذا كله تحاول تلك المكتبات اعداد الفهرس الموحد الذي يمثل مجاميع مكتبات قطرية او مناطق جغرافية معينة او مكتبات ذات تخصص واحد . . وتوضع عادة هذه البيبلوغرافيات المختلفة في رفوف قرب فهارس المكتبة ليستعملها القاريء وتسمى هذه المكتبات ان توصل المواد الثقافية التي تنفرد بها مكتبة عن طريق استعارتها حسب قوانين التعاون والاستعارة بسين المكتبات . . وهكذا عن طريق البيبلوغرافيات المنظمة الخالية من التكرار والتداخل نستطيع ان نمد الباحث والقاريء بمواد ثقافية لا يستطيع الحصول عليها منفردا وتكون الى حد كبير شاملة متكاملة . .

ومن نافلة القول ان اقرر ان حاجتنا نحن العرب الى بيبليوغرافيات موضوعية او اخرى خاصة بالوثائق تمثل مجاميع مكتبتنا - على الاقل - ليستطيع الباحث طالبا واستادا الحصول على المواد الثقافية من اية مكتبة عربية في أي قطر عربي وان يجري تبادل البيبليوغرافيات بين كل مكتبتنا بصورة دورية منتظمة وفق خطة من التعاون البيبليوغرافي النافع . . .

فلو ان وارجو ألا تكون (لو) هنا حرف امتناع لامتناع كما ارادها اخواننا النحويون وانما امنيات تأخذ طريقها للعمل لو ان مكبات جامعاتنا العربية اصدرت هذه البيبليوغرافيات الموضوعية - ليس مهماً ان تكون كلا منها في حقل خاص اذ ان تشابهها قد يغطي مواضيعها - لكان بإمكاننا اعداد بيبليوغرافية موضوعية متكاملة يستطيع الباحث السيطرة على موضوعه من خلالها . . . لو ان مكتبة جامعة بغداد اصدرت بيبليوغرافيا عن الخليج العربي ومثل هذا فملت مكبات الجامعات العربية الاخرى وتبادلت بينها هذه البيبليوغرافيات لكان لنا بيبليوغرافية عن الخليج العربي متكاملة شاملة نسبيا - تمثل كل المطبوعات والمواد الثقافية الموجودة في كل مكتبتنا العربية الجامعة . . . وهكذا في المواضيع الاخرى . . . ولا يستطيع ان اقرر اية بيبليوغرافية موضوعية او خاصة بالوثائق نحتاجها فان حاجة البحث الجامعي وخبرة المكتبي واستمرارية اشتغاله مع استاذ الجامعة - وطالبها اضافة الى الحاجة الابنية والتطورات العلمية ومجريات الاحداث تجعلنا قادرين سلوك الطريق الافضل في أي البيبليوغرافيات بجدد ان تقدم قبل غيرها . . . وعلى أية حال فنحن نحتاج الى اصدار البيبليوغرافيات العامة التي ليست في موضوع تكون صلتها المشتركة معلومتها او تأريخها او لغتها او ندرتها . . . او البيبليوغرافيات الخاصة بالوثائق واعمالهم الفكرية وما كتب عنهم . . . او بيبليوغرافيات تشمل البيبليوغرافيات او الاخرى المختارة شاملة عامة او خاصة ويجري تجميعها اعتمادا على :-

١ - الزمان كان تكون البيبليوغرافية تمثل عصرا بذاته او فترة محددة ولدينا امثلة على ذلك منها كتاب :

- سركيس يوسف اليان • معجم المطبوعات العربية والمعربة • بيروت
 از مثل الكتب المطبوعة منذ ابتداء الطباعة وحتى عام ١٩١٩ •
 ٢ - على اساس المكان •• او الاقليم ٣ - على اساس المادة •• كتب ،
 مقالات ووريات •• خرائط •• افلام •• وهكذا
 ٤ - على اساس الترتيب •• مواضيع •• مؤلفين
 ٥ - على اساس الشمول •• او الاختيار
 ٦ - على اساس اللغة •• او على اساس المصادر الاولية ••
 الثانوية او الكتب النادرة Out of date او الاخرى ذات التجليد
 الخاص او الخط المميز بالنقش^(١٠) •

البيبلوغرافيات الوطنية National Bibliographies

هي ولاشك ذات اهمية كبيرة في تسجيل تراث البلد الفكري فسي
 ميادين المعرفة الانسانية وهي احصاء ثقافي عام لما انتجته امة من الامم خلال
 فترة محددة •• ونحن نحتاجها قطريا كما نحتاجها امة عربية واحدة ••
 وبيبلوغرافيتنا الوطنية الاقليمية تكون رافدا يعصب في بيبليوغرافيتنا العربية
 الموحدة وكلتاهما ضرورة تتطلبها ثقافتنا العربية واهدافنا في الوحدة بل
 البيبلوغرافيات الوطنية التي تصدرها دول العالم ستكون سجلا دقيقا
 واحصاء ثقافيا لكل الانتاج الفكري العالمي واذا كان من الصعوبة اعداد
 البيبلوغرافية العالمية فان انجاز هذا العمل يتم من خلال البيبلوغرافيات
 الوطنية فيكون لنا من تجميعها بيبليوغرافية عالمية تمثل انتاج العالم الفكري
 في فترات زمنية معينة •• واذا انشئت هذه المصالح البيبلوغرافية الوطنية
 وكانت حسنة التنظيم صار بالامكان تبادل منافع ثقافية بين شعوب العالم
 وكانت هذه بحد ذاتها اكبر عامل في تقارب الشعوب وتفاهمها^(١١) واذا كان
 هذا على النطاق العالمي فلا اشك ان منافعه ستكون اكثر فائدة على النطاق

١٠ - احمد انور عمر • المصدر نفسه ص ٦

احمد انور عمر • المصدر نفسه ص ٧

١١ - كنود لارسن • مصالحي البيبلوغرافية الوطنية ٩٥٦ ص ١٩

العربي ، حيث تكون البيلوغرافيا العربية الموحدة المثلثة لما اتجهت الاقطار العربية من مؤلفات في كل ميادين المعرفة ووسيلة حاسمة في تعاوننا ووجدتنا واهدافنا المشتركة .

وإذا كانت اميركا اعدت Cumulative Book Index^(١) ليمثل كسل الكتب المؤلفة في اللغة الانكليزية في أي قطر من اقطار العالم ولم تسكن هناك صلة لهذا التجميع غير اللغة فما احرانا ونحن امة واحدة فرقسا الاستعمار الى دول واقطار متعددة ويجمع بيننا تاريخ واحد وروابط الدم واواصر القربى بل يجمعنا مصير مشترك واحد ما احرانا ان نصدر بيلوغرافية عربية موحدة تضم انتاجنا العربي في كل الميادين .

ولقد فطنت جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتوثيق والاعلام الى هذه الحاجة الملحة فقررت اصدار بيلوغرافية عربية موحدة ابتداء من عام ١٩٧٠ كلنا امل ورجاء فسي ان يتحقق هذا المشروع الحيوي النافع الذي ستكون من نتائجه سيطرتنا على انتاجنا العربي . . .

عوامل في نجاح هذه البيلوغرافيا العربية الموحدة

ولكي تنجح هذه المصلحة البيلوغرافية العربية الموحدة والسكي تضمن الاستمرارية في العمل وتكون موادها شاملة جامعة لكل انتاجنا الثقافي لا بد ان نأخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية اقدمها كمقترحات وارجو ان تنال عنايتكم :-

- ١ - يؤسس في كل قطر عربي مركز للبيلوغرافيا الوطنية تكون مسؤوليته تجميع المواد الثقافية المنتجة في ذلك القطر وتنظيمها تنظيمًا بيلوغرافيا واصدارها في نشرات دورية تحدد مواعيد صدورها اعتمادا على حجم وضخامة تلك المطبوعات .
- ٢ - تشريع قوانين تلزم اصحاب المطابع ودور النشر والمؤلفين

١٢ - المصدر نفسه ص ٤٥

والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية بتزويد مراكز البليبوغرافيا والايدياع بالنسخ اللازمة من تلك المواد المطبوعة وغير المطبوعة مع ايضاح تام عن نوعية تلك المواد التي توجب القوانين شمولها والاخرى المستبعدة او المستثناة وتحديد الاماكن التي ترسل اليها وتحديد الغرامات والعقوبات التي يعاقب بها من يمتنع عن تنفيذ تلك القوانين خلال مدة يحددها القانون وغيرها من امور لازمة لتطبيقه وضمانه والذي اعتقده ان اغلب اقطارنا تصدر النشرات الوطنية للمطبوعات كما ان لها قوانين وتشريعات تنظم عمليات الايداع والتجميع والتنظيم . . . فنحن مثلاً في العراق ومنذ عام ١٩٦٣ تصدر النشرة العراقية للمطبوعات في نشرة نصف سنوية^(١٣) تجمع كل خمس سنوات في تجميع موحد كما اصدرنا قوانين المطبوعات رقم ٧١ لسنة ١٩٦٣ ورقم ١٨٩ لسنة ١٩٦٩^(١٤) وقانون الايداع رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٠^(١٥) وقد الزم القانون الاخير مسؤوليئة الايداع والبليبوغرافيا المثلة لموادنا الثقافية منذ البداية وحتى اليوم المكتبة المركزية لجامعة بغداد لتوفر امكاناتها الفنية والمالية . . . ومن هنا لابد ان اقترح ان تؤلف لجنة تبتثق من امناء المكتبات في الدول العربية كلها تكون مسؤوليتها النظر في تلك القوانين ودراستها وتوحيدها واصدار قانون عربي تكون مواده متشابهة لتيسير العمل فيه على ان ينص فيه الزام هذه الدول العربية بتزويد المركز العربي البليبوغرافي ببطاقة مفهرسة لكل كتاب ذات نموذج متعارف عليه لتكون هذه البطاقات مصمماًد البليبوغرافية العربية الموحدة اضافة الى تزويد المركز بالنشرات البليبوغرافية الوطنية الدورية التي تصدرها تلك المصالح في الاقطار العربية المختلفة

- ١٣ - النشرة العراقية المبيعة للمطبوعات من عام ١٩٦٣-١٩٦٧ .
١٤ - قانون المطبوعات العراقي رقم ٧١ لسنة ١٩٦٣ ورقم ١٨٩ لسنة ١٩٦٩ .
١٥ - الايداع رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٠ الوقائم العراقية العدد ١٨٤٧ اذار ١٩٧٠

٢ - لابد من اعداد الكادر الفني وتهيئة الموظفين الذين سيتحملون مسؤولية اعداد وتنظيم واصدار البيلبوغرافيات الوطنية سواء في التجميع او الفهرسة او التنظيم والنشر او غيرها من امور يجب ادراكها والاحاطة بها واتقانها ويجري هذا الاعداد في دورات تدريسية تمام في بعض العواصم العربية يشارك فيها البيلبوغرافيون العرب يتعلمون خلالها احداث اساليب التنظيم البيلبوغرافي على ان تأخذ الدورة بنظر الاعتبار مواجهة المشاكل الخاصة بالتنظيم البيلبوغرافي العربي الموحد ادرج بعضها هنا لتكون منطلقا في توحيد المصطلحات والمحتوى

آ - ليس في كل مكتبتنا القطرية المحلية او العربية قاعدة في تثبيت اسماء المؤلفين في المداخل فبعض مكتبتنا ثبت اسماءهم الاولى متبوعا بأسمائهم الاخرى وبعضها الاخر تتبع قاعدة غربية - فثبت القابهم او اسماءهم الاخيرة مشفوعة بأسمائهم الاولى تفصل بينهما فاصلة

ليست هناك قاعدة تسري على مكتبتنا ونحتاج الى قاعدة واحدة نلتزم بها في الفهرسة ولقد اختطت نشرة الايداع المصرية ، ان ثبتت اسماء المؤلفين العرب الذين عاشوا قبل ١٨٠٠ حسب شهرتهم اما الذين عاشوا بعد ذلك التاريخ فثبتت اسماءهم كما هي مبتدئة بالاسم الاول مقلدناي باعتبار انه ليست هناك قاعدة في استعمال الاسماء الحديثة^(٦)

ليس في الامر مشكلة اذا اجمع المكتبيون والبيلبوغرافيون امرهم في تبنى قاعدة واحدة يعملون على اذاعتها واشاعة استعمالها غير انني أود ان أشير الى مشكلة قد تواجهنا في تطبيق تلك القاعدة انه بعض الاسماء مؤلفينا اشتهروا بألقابهم امثال الزهاوي الرصافي - الكاظمي - الجواهري - الحصري - الرافعي - العقاد - الحكيم - الجادرجي السنهوري وغيرهم وحينذاك نلجأ الى استعمال الكثير من الاحالات لتوجيه انتباه القارئ الى الاسم المستعمل في الفهرست او البيلبوغرافية ومن هنا يجاز لي ان اتقدم بالاقتراح التالي :

١٦ - نشرة الايداع الشهرية ديسمبر ١٩٧٠ دار الكتب - المقدمة

ان كل اسم من اسمائنا العربية قديما كان أم حديثا أما ان يكون
١ - له لقب يعرف به ٢ - او كنية يدعى بها ٣ - مجرد من الكنية
واللقب وحينذاك ان كان لمؤلفنا لقب او كنية يعرف بها فتثبت كنيته اولقبه
اولا يأتي بعدها اسمه الاول منفصلا بناصلة - دون اعتبار للعصر او القرن
الذي عاش فيه وستكون الاسماء التالية التي اشتهرت بألقابها او كناهها
كما يلي :

المعري ، ابو العلاء احمد بن عبدالله ٠٠٠ ٣٦٣-٤٤٩ هـ
المتنبي ، احمد بن الحسين ٠٠٠ ٣٠٣-٣٥٤ هـ
الرافعي ، مصطفى صادق ٠٠ الكاظمي ، عبد المحسن ٠٠ الحكيم ،
توفيق *

أما الاسماء المعروفة بالكنى فتثبت كما يلي : ابن الرومي ، ابوالحسن
علي بن عباس ، ٢٢٢ - ٢٨٤ هـ *
ابن ابي اصيبعة موفق الدين ٠٠٠ ٥٩٦-٦٦٨ هـ
ابو عبيدة ، مصر بن المثنى ٠٠٠ ١١٠-٢٠٩ هـ

وإذا شئنا ان نمايز بعض الاسماء بالصور فقد ندرج سني ميلادهم
ووفياتهم * او القرن الذي عاشوا فيه اذا تعذر تحديد سنة الميلاد او
الوفاة * * * اما كيفية معرفة شهرة هؤلاء الاعلام فأن الرجوع الى المراجع
والتراجم وكتب التراث تحقق لنا هذه المعرفة * * * اما بالنسبة للاسماء
المجردة من الالقاب والكنى فتثبت كما هي امثال : طه حسين * * * زكي
نجيب - محمد مندور - احمد امين - زكي مبارك - احمد مطلوب * * *
وعلى اية حال لا اريد ان افرض رأيا وانما اطرحه للمناقشة لعلنا نصل
الى قاعدة ثابتة موحدة * * *

٢ - تبني نظاما تصنيفيا واحدا تعتمد مصالحن البيليوغرافية الوطنية
الاقليمية والعربية * * * هل سيكون تصنيف ديوي العشري * * او العشري
المالبي او مكتبة الكونكرس * * او كولون * * او بلست او غيرها ليكون

تصنيفا واحدا تستعمله الببليوغرافيات ... وفي حالة اختيارنا واحدا من نظم التصنيف سنحتاج الى ان نعالج امرين مهمين :-

آ - لا بد من اتفاق موحد في تبني ارقام تصنيف تكون ضمن هيكل النظام التصنيفي المعتمد تكون ملائمة لمجايينا العربية التي لم تعطها تلك التصنيفات الاهتمام والتفصيل لاسيما في مواضيع : الفلسفة الاسلامية والعربية والدين الاسلامي وعلومه واللغة العربية والادب العربي والتاريخ العربي والاسلامي ويحتاج هذا العمل الى لجان مؤهلة ذات كفاءة وثقافة تكون قادرة على تقسيم تلك الموضوعات وتفرعاتها وعلاقة بعضها ببعض الاخر لتستطيع اعداد الهيكل التصنيفي الذي يغطي مواضيعها لاستعمالها واشاعتها في كل مكتباتنا العربية وفي النشرات الببليوغرافيات الاقليمية والعربية الموحدة .

ب - وحين يثبت رقم التصنيف في الببليوغرافيات لكي يستطيع القاريء طلب الكتاب من المركز الذي يحتويه لا بد من تثبيت رقم الكتاب Book Number الذي يشكل مع رقم التصنيف الـ Call No.

لكي يمايز مطبوعا عن اخر في الموضوع الواحد وليس لنا في كسل مكتباتنا العربية قاعدة في الترقيم فبعضنا يستعمل الحروف او الارقام بأشكال مختلفة قد يكون من النافع ان اتقدم بالاقترح التالي يمكننا استعمالها في ترقيم الكتب ويتلخص هذا الاقتراح في أن :

الحروف العربية تحمل ارقاما استعملها شعراؤنا وادباؤنا فسي التاريخ الشعري اذ يؤرخون الاحداث بجملته او كلمة تكون حروفها العام الذي وقعت فيه تلك المناسبة والحروف وارقامها كما هي في الجدول التالي :

الحروف الابجدية وارقامها :

أ = ١ ب = ٢ ج = ٣ د = ٤ هـ = ٥ و = ٦
ز = ٧ ح = ٨ ط = ٩ ي = ١٠ ك = ٢٠ ل = ٣٠
م = ٤٠ ن = ٥٠ س = ٦٠ ع = ٧٠ ف = ٨٠
ص = ٩٠ ق = ١٠٠ ر = ٢٠٠ ش = ٣٠٠ ت = ٤٠٠
ث = ٥٠٠ خ = ٦٠٠ ذ = ٧٠٠ ض = ٨٠٠ ظ = ٩٠٠
غ = ١٠٠٠

وطريقة الاستعمال ان ثبت الحرف الاول لاسم المؤلف ثم ندرج مجموع ارقام الحرفين التاليين للحرف الاول فيكون رقم القاد ع ١٠١ الزهاوي ز ٦ أحمد أمين أ ٤٨ على أن نسقط ال التعريف ان كانت في البداية^(١٧) . . . ولي دراسة مفصلة تظهر قواعدها وتنظم استعمالها يكون لي الشرف ان اضعها امامكم لدراستها ومناقشتها .

٣ - توحيد اساليب العمل البيبليوغرافي في اسلوب موحد يؤخذ فيه بنظر الاعتبار الملاحظات التالية :-

أ - اختيار قواعد موحدة في اعداد البطاقة الرئيسة عند فهرسة المطبوعات والبطاقات الاضافية الاخرى ومن الجدير ان نذكر ان بطاقتة البيبليوغرافية يضاف الى معلوماتها اسعار الكتب وعناوين الناشرين ووصف حالة الكتاب كالتجليد ونوعية الجلد لان البيبليوغرافية ولاسيما الوطنية تهدف الى ناحية تجارية - تسويق الكتب وبيعها ان تبني قواعد في الفهرسة وتسيح استعمالها يسهل عملية البيبليوغرافية الوطنية الاقليمية والعربية الموحدة ويقربها من البيبليوغرافيات الوطنية العالمية الاخرى . . . وتوجد قواعد وانظمة للفهرسة مختلفة قد تكون اغلبها متقاربة من حيث درج المعلومات ولكنها تختلف قليلا في تحديد المسافات والفواصل والنقاط وتثبيت المداخل الرئيسة ومن هذه النظم فهرسة مكتبة الكونكرس التي اصدرت بطاقتها المفهرسة وفهرسة مكتبة الفاتيكان وفهارس البيبليوغرافية الوطنية البريطانية وفهرسة البيبليوغرافية البروسية او الالمانية^(١٨) .

ب - لا بد من ذكر المعلومات الواجب ادراجها في بطاقة الفهرسة الخاصة بالكتب - بمقالات الدوريات - بمقالات دوائر المعارف . . . الخاصة بفصول الكتب والبطاقات التحليلية وفي المجاميع المختارة التي اخذت عنوانا جديدا لها جامع او محرر . . . في الافلام . . . في الخرائط مطبوعات

١٨ - كتود لارسن نفس المصدر ص ٦٥-١٧ . الامين . استعمال ارقام الحروف العربية في ترقيم الكتب .

المؤسسات الحكومية - والمسلسلات ... او القواعد الخاصة بالمداخل في الاعمال الفكرية التي يتحمل مسؤولية التأليف فيها مؤلف واحد - مؤلفان - او ثلاثة او اكثر او الاخرى التي ليست لها مؤلف معروف او التي لها محقق - جامع - محرر او التي وقعت بأسماء مستعارة مشهورة في عالم التأليف او غير مشهورة او انها بأسم هيئة فهل ستدرج تحت عنوانها كما تفعل البيليوغرافية الالمانية .. أم تحت اسم الهيئة التي اصدرته مسبقا بأسم القطر كما تفعل البيليوغرافيات الاميركية وغيرها *

٤ - تحديد الطريقة التي ستنظم هذه المواد التي ستضمها البيليوغرافيات بأشكالها المختلفة آخذين بنظر الاعتبار ان البيليوغرافيات لا بد ان تسهل للقاري الحصول على مطبوع او مادة ثقافية

آ - يعرف اسم مؤلفها دون ان يعرف عنوانها

ب - يعرف اسم عنوانها دون ان يعرف اسم مؤلفها

د - تجميع مواد في موضوع واحد ليس شرطا ان يكون معروفا مؤلفها او عناوينها ولا بد ان يوضح هل ستنظم هذه البيليوغرافيات في تنظيم مصنف مبوب ثم تضع لها كشافات هجائية ترتب قاموسيا تضم اسماء المؤلفين والمترجمين والمحررين والجامعين والشارحين والمحققين والمصورين والناشرين وعناوين تلك الكتب ورؤوس مواضيعها في مرد هجائي واحد Dictionay index ان هذا النوع من التنظيم البيليوغرافي رائج الاستعمال في المكتبات الاوربية .. ام ان تلك البيليوغرافيات ستنظم في فهرس قاموسي يضم كل تلك المداخل في سرد هجائي واحد Dictionary Catalog

وفي الحالتين نحتاج الى تثبيت رؤوس المواضيع وتثبيتها يحتاج الى تضلع في اللغة العربية والاحاطة بالترادفات اللغوية والمتشابهات ومتابعة المصطلحات العلمية التي تقرها مجامعا اللغوية في تسميات العلوم والمخترعات وتبني الاكثر شيوعا واستعمالا مع الاحالات التي ترشد الى رأس الموضوع المستعمل في الفهرست .. ليس في مكتبتنا قوائم ثابتة

متعارف عليها لرؤوس المواضيع وتكاد تكون كل مكتبة لها رؤوس مواضيع خاصة بها وقد تختلف تسمياتها في كل مكتبة عن الاخرى .. ومن هنا فإن الحاجة ماسة الى انجاز هذا العمل والذي يجب ألا يكون عمل فرد او مكتبة وانما عمل جماعي مشترك تسهم فيه مؤسساتنا العلمية ومجامعنا اللغوية وامناء المكتبات على ان تؤلف في قوائم مطبوعة لتسد حاجتنا ولقد وضعت مكتبة الكونكرس لائحة بأسماء الموضوعات باللغة الانكليزية بالعنوان التالي :

Subject Headings used in the Dictionary Catalog

وهو شامل جامع قد يكون مفيدا ترجمته الى العربية ليكون اساسا ومنطلقا لرؤوس مواضيع عربية غير انها وعلى الرغم من فائدتها لا تحل مشكلتنا لاختلاف الصيغ وتراكيب الجمل عند ترجمتها الى العربية ولاختلاف طبيعة مواضيع مجامعنا ونحن نحتاج الى رؤوس مواضيع عربية تلائم مواضيعنا غير ان تلك اللائحة ولاشك تصلح ان تكون مرجعا نستعين به في اعداد القائمة العربية لرؤوس المواضيع ومن هنا ادعو الى المبادرة الى هذا المشروع .. .

٥ - ويجدر ان توضح أي المواد الثقافية ستضمها البيبليوغرافيات ومع ان هذه المواد ينص عليها قانون الايداع او قوانين البيبليوغرافيات الوطنية سأدرجها هنا لتكون اساسا لتشريعات بعض الدول العربية التسي ليست لها قوانين ايداع او انها لم تصدر بيبليوغرافيات وطنية .

ليس للبيبليوغرافي الحق في استبعاد بعض المواد الثقافية المنتجة في بلد بحجة انها ليست ذات فائدة او قيمة علمية لانه جامع وليس ناقدا ولان البيبليوغرافية الوطنية احصاء ثقافي لانتاج البلد الفكري وتضم هذه البيبليوغرافيا الوطنية جميع الكتب والكتيبات المعروضة للبيع وغير المعروضة وجميع المطبوعات الحكومية الا ما كان لها طابع السرية على ان

ينص على استثنائها القانون وتنظم هي الاخرى في بيبليوغرافيا خاصة فقد تزول سريتها فتأخذ مكانها في البيبليوغرافية الوطنية الرجعية ٥٥٥٥ جميع الرسائل الجامعية سواء قدمت لجامعات عربية او عالمية او محلية كانت بأقلام مواطنين في ذلك البلد وكل المطبوعات او المواد الشبيهة بالمطبوعة كنقل الكتب والمواد الثقافية عن طريق التصوير ثم المنشورات المتسلسلة الدارجة والدوريات والمجلات والحواليات والوقائع والوثائق والخرائط والنوتات الموسيقية وكل الادوات السمعية والبصرية ٥٥ (٢٠)

ولعل السؤال الذي يفرض نفسه كيف ستصدر هذه البيبليوغرافيا العربية الموحدة والوطنية الاقليمية ؟ ومن خلال تجربتي في العمل البيبليوغرافي الموضوعي والوطني اتقدم بالاقتراح التالي :- من المفيد ان تكون البيبليوغرافية مرتبة حسب نظام مصنف ويكون نظام ديوي العشري على ان تفصل من حيث الشكل فقهرس الكتب في وحدة مستقلة ثم الرسائل الجامعية فالمطبوعات الحكومية فالافلام والخرائط والصور وهكذا ثم يضع لها كشف عام في وحدة هجائية واحدة يضم اسماء المؤلفين والمترجمين والشارحين والناشرين والمحققين والمحررين والجامعيين والمصورين وكل من له علاقة بالتأليف وعاوين الكتب والسلاسل ورؤوس المواضيع وتوضع امامها ارقام الصفحات للرجوع اليها في التقاط تلك الكتب او اية معلومات أخرى وليس هذا العمل ملائما للبيبليوغرافيات الوطنية وحسب بل لكل انواعها .

٦ - ولا بد ان يشرع في اصدار البيبليوغرافية العربية الموحدة الدارجة The Current bibliography لأسباب منها انها تهتم القاريء المعاصر ولان بعض الدول العربية ليست لديها بيبليوغرافيات وطنية ثم ليس من المعقول ان تبدأ البيبليوغرافية الوطنية بما هو قديم وتمرك النتاج المعاصر ٥٥ ومن هنا يجدر تحديد الفترة الزمنية لتكون

منطلقا للتجميع •• وعندي ان الفترة المناسبة قد تكون بداية عام ١٩٧١ •
وليس معنى شروعا في اصدار الببليوغرافيات العربية الموحدة الدارجة
اهمال الببليوغرافية الوطنية الرجعية فهي الاخرى مهمة وضرورية ايضا
وتنظيم الببليوغرافية الرجعية يتطلب ان يمد كل اقليم ببليوغرافية
وطنية رجعية •• غير ان المشكلة التي تواجه الببليوغرافية الوطنية الرجعية
ان ليس بالامكان ان تكون شاملة مغطية لكل ما اصدرته او ما صدر في
دولة في كل الفترات وحينذاك يلجأ بأن تفهرس مجاميع مكتبة قديمة
تتاز بأن مجاميعها مثلت اكثر منشورات ذلك البلد ثم تغطي من خلال
الفهارس المطبوعة في فترات مختلفة مافات تلك المكتبة من مطبوعات البلد
ومشوراته كما ان الفهرس الموحد الذي تصدره بعض المكتبات يكون هو
الآخر عاملا مساعدا في الببليوغرافيا الوطنية الرجعية بعدها تجمع هذه
الببليوغرافيات الوطنية الرجعية في ببليوغرافية عربية موحدة تمثل الى
حد كبير اتانجا الفكري العربي منذ بداية الطباعة وحتى يومنا هذا ••

٧ - واخيرا فأننا نحتاج الى الفهارس الموحدة والتي يمكن تعريفها
بأنه الفهرس الذي يضم في سياق تسلسلي واحد محتويات مكتبتين أو
اكثر •• وتأتي اهمية هذا الفهرس الموحد وفائدته بعد اهمية الببليوغرافية
الوطنية فهو الى كونه مشتملا على المواد الثقافية الموجودة في المكتبات
المشاركة فيه وقد يمتد فيمثل المواد الثقافية الموجودة في مكتبات كل القطر
مع تحديد اماكنها في المكتبات المختلفة والفهرس الموحد مرجع مهم لتنظيم
الببليوغرافية الوطنية الرجعية ومن هنا كانت مسؤولية تنظيمه تقع على
كاهل الببليوغرافية الوطنية •••

وتوجد بعض المشاكل التي تواجه اعداد الفهرس الموحد منها :
ليست جميع المكتبات ذات نظام فهرسة موحد وهذا الاختلاف يجعل من
الصعوبة اعداد الفهرس الموحد •• وللتغلب على هذه المشكلة يمكن اعداد
فهرس موحد يشتمل على اسماء المؤلفين وعناوين الكتب مع بعض
الموضوعات على ان يشرع في تجميع بطاقات فهرسة الكتب الحديثة بحيث

تغطي المؤلفين والمؤلفين والواضيع تكون ذات نموذج ومحتوية على معلومات ومواضيع موحدة.***

ويكون مركز الفهرس الموحد في مكتبة مركزية يمثل محتويات المكتبات المشاركة فيه وهو اما ان يكون مستقلا عن فهرست تلك المكتبة او ان يكون ضمن فهرسها العام والحالة الاولى هي الغالبة *** والفهرس الموحدة انواع فمنها ما يكون :-

- أ - فهرسا موحدا يمثل موجودات مكتبات البلد الواحد
- ب - فهرسا موحدا يمثل موجودات مكتبات منطقة او اقاليم جغرافية
- ج - فهرسا موحدا يمثل موجودات مكتبات متخصصة في حقل معين سواء في البلد كله او في منطقة معينة او مساهم ومؤسسات لها طابع واحد في الاغراض التي توضح تلك المكتبات تحقيقها *** ولا بد ان يبدأ الفهرس الموحد في نطاق ضيق ثم يتسع مجال عمله *** ولا يجب طموحه في فهرس مطبوع ليظل ممثلا لما يضاف اليه من نطاقات مفهومة لكتيب حديثة تضاف الى تلك المكتبات المشاركة فيه ويكون بمقدور مكتبات اخرى المشاركة فيه غير انه بالامكان ان تطلع جوارب منه على هيئة كتاب يشمل الاشتريات الاجنبية او اخر يمثل موضوعات معينة وفي هذه الحالة يحتاج الى متابعة في اصدار الملاحق التي تغطي ما استجد حديثا *** ويشترط في تكوين الفهرس الموحد ان تكون المكتبات المشاركة فيه مكتبات تفتح مجاميعها في خدمة القراء وان يبين نوع المكتبة المشاركة ومنطقتها الجغرافية اضافة الى ذلك لا بد ان ينظر في اهمية المجموعة التي احتوتها المكتبة ويفضل ان تكون المكتبات المتمثلة في الفهرس الموحد مكتبات بحث *** ويشتمل الفهرس الموحد جميع الكتب والمكتبات والشرائح والمسلسلات والواد الثقافية الاخرى وان يكون الاستناد - اذا اقتضت الضرورة - وفق دراسة وتقييم دقيقين تعتمدا على مدى الحاجة اليها في البحث والدراسة (٢١) *

ومن خلال ما تقدم استطيع ان اقترح اننا بحاجة الى فهرس موحدة

تمثل :-

أ - مكتبات الكليات المختلفة المرتبطة في مكتبة الجامعة المركزية
يكون مكانه تلك المكتبة المركزية يشار فيه الى مكان الكتاب او المادة
الثقافية لتكون بهذا العمل قد اقتصدت الكثير من النفقات واكتسبت
طريقة حسنة في الاختيار ولو تحقق هذا الفهرس الموحد المثل لمجاميع
مكتبات الكليات والمكتبة المركزية لكل جامعة عربية لاصبح لدينا فهرس
موحد يمثل جميع مجاميع مكتبات الجامعات الفرعية والمركزية . . .

ب - مجاميع المكتبات المتخصصة في منظمة جغرافية معينة او مكتبات
متخصصة في كل القطر ويكون مكان ذلك الفهرس الموحد في اكبر تلك
المكتبات .

ج - ولا بد لنا من ان نعد فهرسا موحدا يمثل مخطوطاتنا العربية
المبعثرة في مكتباتنا العربية والاجنبية ليكون ممثلا لتراثنا الفكري . . . ولعل
خير وسيلة نحقق بها هذا المشروع ان تتبع الخطوات التالية :

أ - ان تعد اكبر مكتبة في القطر تضي بالمخطوطات الفهرس الموحد
الممثل لمخطوطات مكتبات ذلك القطر وفق اسلوب منسق وموحد .

ب - تجمع تلك الفهارس الموحدة القطرية المشتملة لمخطوطات تلك
الاقطار في فهرس عربي موحد .

ج - تضاف اليه المخطوطات التي تضمها مكتبات اجنبية سواء من
خلال تجميعها من فهارس مخطوطاتها او من صنع فهارس مخطوطات
لمكتبات ليست لها فهارس مطبوعة .

انا بهذا العمل نكون قد سيطرنا على مخطوطاتنا المبعثرة وخدمنا
تراثنا الفكري خدمة طيبة . . .

واخيرا ارجو ألا اكون قد اقلت عليكم كما ارجو الا تكونوا قد
اضعتم وقتكم دون فائدة وشكرا لكم .

عبد الكريم الامين

بغداد - العراق

قائمة المراجع

أ - العربية

- ١ - ابن النجار . ذيل تاريخ بغداد - مخطوط
- ٢ - ابن النديم الفهرست . القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، بلا تاريخ
- ٣ - احمد انور عمر . الجيولوجيا تعريفها - أنواعها - استعمالها .
بغداد - المكتبة المركزية ، ١٩٦٧ (تقرير مطبوع بالرونيمو) .
- ٤ - الامين ، عبدالريم . استعمال ارقام الحروف العربية في ترقيم الكتب
بغداد ، ١٩٦٩ (تقرير مطبوع بالرونيمو) .
- ٥ - ابن النديم في كتاب الفهرست الرائد الاول للبيبليوغرافيات في
التراث العربي والاسلامي . مجلة الاقلام . العدد ٦ / شباط / ١٩٦٩
ص ٤٣ - ٥٥
- ٦ - الحموي ، ياقوت . معجم الادبياء . القاهرة ، دار المأمون ،
ح ١٨ / ص ١٧
- ٧ - داغر ، يوسف اسعد دليل الاعراب الى علم الكتب وفق المكتبات
بيروت ١٩٤٧
- ٨ - سركيسي ، يوسف اليان . معجم المطبوعات العربية والمعربة .
بيروت .
- ٩ - العراق . وزارة الاعلام قانون المطبوعات رقم ٧١ لسنة ١٩٦٣ . بغداد
- ١٠ - العراق . وزارة الاعلام قانون المطبوعات رقم ١٨٩ لسنة ٦٩ . بغداد
- ١١ - العراق . وزارة الاعلام قانون الابداع رقم ٣٧ لسنة ١٩٧٠ جريدة
الوقائع العراقية رقم ١٨٤٧ / ١٤ اذار / ١٩٧٠
- ١٢ - لارسن ، كنود . مصالح الجيولوجيا احداثها وكيفية ادارتها .
اليونسكو ١٩٥٦ .
- ١٣ - النشرة العراقية الموجهة للمطبوعات من ٦٣ / ١٩٦٧ . بغداد ،
المكتبة المركزية ، ١٩٦٨ .
- ١٤ - النشرة العراقية الموجهة للمطبوعات - انقسم الاول والثاني للاعوام
١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ . بغداد ، المكتبة المركزية .
- ١٥ - النشرة المصرية - نشرة الابداع الشهرية ديسمبر / ١٩٧٠ القاهرة
دار الكتب . - (المقدمة) .

LIST OF ENGLISH REFERENCES

1. ALDRICH, ELLA V., *Using Books And Libraries*. 4th ed. Cleo. Prentice. Hall, Inc., 1960.
2. BARTON, MARY NEIL, *Reference Books; A brief Guide For Students And Other Users Of The Library*. Sixth ed. Baltimore, 1966
3. HOOK, LUCYLE and GAVER, MARY VIRGINIA. *The ORGANIZING And PREPAING The MANUSCRIPT*. Chiao, PRENTICEHALL Inc., 1962.
4. LARSON KNUD, *ON The TEACHING of BIBLIOGRAPHY, With A SURVEY of its AIMS And METHODS*. COPENHAGEN, 1961.
5. ——— *Thesis WRITING*. UNESCO COURSE FOR TEACHERS of LIBRARIANSHIP, COPTNHAGEN, 1968.
6. MUNCH - PETERSON, ERLAND, *A GUIDE TO DANISH BIBLIOGRPHY*, Copenhagen, THE Royal School of LIBRARIANSHIP, 1965.
7. SEEBER, EDWARD. *A STYLE MANUAL FOR STUDENTS ; based on The MLA . STYLE Sheet*. Bloomington IND. Univ., 1964.
8. THOMPSON, SLIZABETH H. ALA. *GLOSERY of LIBRARY TERMS*. Chicago, ALA., 1943.
9. UNESCO. *NATIONAL LIBRARITS, Their PROBLEMS and PROSPECTS ; SYMPESIUM on NATIONAL LIBRARIES in EUROPE*, FRANCE UNESCO, 1960.

ديوان الطرماح الجديد

عزيمى الصالحى
الجامعة المستنصرية

عمران والطرماح ، من شعراء الخوارج ، خلفا ديوانا . ولم يصلنا غير ديوان الثاني^(١) . ويرجع الدكتور احسان عباس سبب عدم وجود دواوين شعر عند الشعراء الخوارج ، الى أنهم لم يكونوا محترفين . ولا تريد أن تناقض هذا الرأي . الا أننا نحب أن نشير الى ما لقيه الحزب الخارجى من اضطهاد ومضايقة كأية فئة خارجة على السلطة . كما نشير الى خشية السلطان أدب هذا الحزب ، بحيث أن عبد الملك بن مروان يقرر حبس أحد الخوارج خوف أن يفسد كلامه الرعية ، قائلا : « لولا أن تفسد بالفاظك أكثر رعتي ما حبستك »^(٢) .

لقد قيض لديوان الطرماح أن ينشر مرتين ، نشره في المرة الاولى ، محققا ، مع ديوان طفيل بن عوف الغنوي ، المستشرق فريتش كرنكو ، عام ١٩٢٧ ، في سلسلة تذكاري ، في مدينة لندن . وقد اعتمد فسي نشره نسخة خطية وحيدة محفوظة في القسم الشرقي من مكتبة المتحف البريطاني ، تحت رقم و.ر. ٦٧٧١ والنسخة كتبها فسي اسبانيا عام (٤٣٠ هـ) ناسخ جيد الخط ، اعتمد في كتابتها نسخة جيدة ، كما يتصور الناشر^(٣) . ونص ديوان الطرماح ، كما يصفه كرنكو ،

(١) ضحى الاسلام ٣-٣٤٥ ، أدب الخوارج ١٠٩ ، شعر الخوارج الشاعر الخارجى الطرماح بن حكيم ١٥٧ .
(٢) الكامل للمبرد ٩٦٩ ، ٩٧٠ .
(٣) الشاعر الخارجى الطرماح بن حكيم ١٥٥

ناقص بشر من أواسطه قسم كبير ، كثير الاخطاء والخروم ، خال من ذكر اسم الناسخ ، ولا يتبين منه اسم الشارح ، بخلاف ديوان طفيل ، فقد جاء في المخطوطة كاملا ، وفيه ذكر لراويه وشارحه أبي حاتم السجستاني^(٤) .

وجهد كرنكو في التحقيق والاخراج واضح ، فقد مهد للديوان بمقدمة ضافية ، ومقالتين باللغة الانجليزية ، اولاهما عن طفيل والثانية عن الطرمح . وقد ضبط أبيات الديوان والشرح بالشكل الكامل . كما ألحق بالديوان فهرس مهمة عديدة ، واحدا منها للقوافي ، وآخر لاعلام الناس والقبائل ، وفهرسا للبلدان ومعجما للكلمات الغريبة التي وردت في النص مع تفسيرها بالانجليزية ، وفهرسا لتخریجات الايات . وبالإضافة الى كل ذلك ، فإنه ترجم قصائد الديوانين الى الانجليزية ترا^(٥) كما أضاف الى الاصل ذبلا جمع فيه ما عشر عليه في كتب الادب واللغة والتاريخ من شعر منسوب للشاعرين غير موجود في النص . وجعل ما عشر عليه بعد مباشرة الطبع (ضمیمة) .

وقد استدركت على كرنكو في دراستي (الشاعر الخارجي الطرمح بن حكيم الطائي)^(٦) سبعا وثلاثين مقطوعة ، وأبدت ملاحظات كثيرة تتعلق بالاغلاط التي وقعت للناسخ ، كنسبته للطرمح شعرا لسواه ، وخطئه في تعيين أوزان القصائد ، وغلطه في قراءة كثير من الكلمات في النص . فضلا على مجموعة الاخطاء المطبعية التي تباثرت في الديوان . كل ذلك حدا بي الى تقرير حاجة الديوان الى نشر جديد أفضل . وقد قبض له ذلك .

ونشره ، في المرة الثانية ، الدكتور عزت حسن ، عام ١٩٦٨ ،

(٤) مقدمة الديوان نشر كرنكو ص ١١١ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة - الطرمح - .

(٥) انظر الشاعر الخارجي الطرمح بن حكيم ١٥٦ .

(٦) قدمت دراستي للمناقشة في تشرين الاول من عام ١٩٦٥ معتمدا فيها ديوان الطرمح بنشر كرنكو .

معتمدا نسخة جوروم الفريدة أولا ، والنسخة المطبوعة عن المخطوطة التي نشرها كرنكو ثانيا .

وان يكن للدكتور عزة حسن فضل العثور على المخطوطة الفريدة من ديوان الطرماع اليتيم ، واخراجها بالشكل الجيد الذي يضيف السى المكتبة العربية زادا علميا جديدا ، فإن له ايضا فضل الاجادة بهذا العمل ، بما قدم من دراسة ضافية بين يدي الديوان ، تناولت حياة الشاعر ونشأته وسيرته ومذهبه الخارجي وتأريخ اسرته وعصره ، كما تناولت شعره ولقته وفنونه بالدراسة والتقويم . فضلا على دراسة المخطوطة الاندلسية ، ومخطوطة جوروم الفريدة ، وعمله فيها . كما ألحق الناشر الكريم بالديوان المنشور فهارس للاعلام والاشخاص والقبائل والجماعات والارهاط والبلدان والاماكن ، وقد ألحق كذلك ثبنا بمصادر التحقيق ومراجعته . ومع ما بذله الناشر الكريم من جهد كبير في دراسة الطرماع وتحقيق ديوانه ، فإن لي في عمله ملاحظات وآراء ، عنت لي وأنا اطالع الديوان الجديد ، والدراسة ، التي بين يديه .

ويحسن أن تقسم هذه الملاحظات والآراء ، الى مجموعتين ، تتعلق الاولى بالدراسة ، وتتعلق الثانية بالديوان والتحقيق :

الدراسة :

قدم المحقق للديوان ، بدراسة ، تناولت حياة الطرماع ومذهبه وشعره وديوانه . وقد أحببت أن أقف ، في هذه الدراسة ، على مواضع لي فيها غير آراء الاستاذ المحقق :

١ - ذكر الناشر : أن اسمه « الحكم بن حكيم »^(٧) معتمدا في ذلك ما ذكره العيني المتوفي في (٨٥٥ هـ)^(٨) . والصحيح المعروف أن اسمه الطرماع ، تذكر ذلك المصادر المتقدمة ، كالأغاني ، ومعجم الشعراء ،

(٧) الديوان ٧ .

(٨) المقاصد النحوية ٢-٢٧٦ .

وديوانه (نشر كرنكو)^(٩) . وينص أحمد بن فارس ، في مقاييس اللغة ، على أن (الطرماع) اسمه ، يقول : « طرمع البناء : أطاله ، ومنه اسم الطرماع »^(١٠) . وينص على ذلك أيضا ابن منظور بقوله : « ومنه سمي الطرماع بن حكيم الشاعر »^(١١) . فالناشر اعتمد رواية واحدة ، انفرد بها مصدر متأخر جدا ، فقرر خلاف الحقيقة المعروفة .

٢ - ذكر الناشر أن : « الطرماع لقب عرف به الشاعر ، حتى غلب على اسمه الأصلي ، فاشتهر به منذ القديم »^(١٢) . وقد تبيننا : أن (الطرماع) اسم لا لقب . والحق أن كثيرا من المصادر تذكر : أنه لقب الطرماع لقوله بيتين سنأتي على ذكرهما . ونذكر هنا أن (الطرماع) في مثل هذه المواضع ، ما هي الا تصحيف للفظية (الطراح) . فلقبه (الطراح) لا (الطرماع) . وقد انفردت طبعة دار الكتب ، من الاغاني ، بضبط ذلك وتصحيحه ، دون سائر الطبقات الاخرى ، ودون سائر المصادر الادبية^(١٣) . ولا معنى لقول أبي الفرج : « كان الطرماع بن حكيم يلقب الطرماع لقوله :

الا أيها الليل الطويل الا اصبحي بيم وما الا صباح منك بأروح
بلى ان للعنين في الصبح راحة بطرحهما طرفيهما كل مطرح»^(١٤)

والمعقول : أن يقول : « كان الطرماع يلقب الطراح . . . » ، ويؤيد ذلك ان (الطرماع) مأخوذ نحنا من قوله « طرحهما كل مطرح » فسي البيتين السابقين .

-
- (٩) الاغاني - دار الكتب - ١٢-٣٥ ، معجم الشعراء ١٤٨ ،
الديوان - نشر كرنكو - ٦٨ .
(١٠) مقاييس اللغة ٣-٤٥٧ .
(١١) اللسان - طرمع - .
(١٢) الديوان ٧ .
(١٣) الاغاني - دار الكتب - ١٢-٣٥ .
(١٤) الاغاني كل الطبقات عدا طبعة دار الكتب .

٣- يقول الناشر: « ذكر الطرماع زوجته في قصيدة له ، وسماها سلم وسلمة . وسماها الزمخشري سليمة . وسلم ترخيم سلمة ، وسلمة ترخيم سليمة »^(١٥) . والصواب أن سليمة تصغير سلمة لا ترخيمها ، وقد أفادت الناشر أن الشاعر يدعوها سليمة أيضا ، يقول :

إذا فقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمة في التخليط المباين^(١٦)

٤- ويسمي الناشر زوجة الطرماع ، في سائر الدراسة ، (سليمة) .

وهذا الاسم لم يذكره الطرماع في شعره . لكنه ذكر سلمى وسليمة وسلمة وسلم . أما الذي ذكره فهو الزمخشري ، وقد انفرد بذلك^(١٧) .

٥- ويستمر الناشر معلقا على مجموعة الأسماء هذه ، قائلا: « وربما

كان أصل هذه الأسماء جميعا سلمى ، لأن الطرماع لا يفتأ ينسب سلمى في شعره ، حين يتغزل ،^(١٨) . ولا أرى داعيا لهذا التحوط ، فإنه من

الواضح أن أصل هذه الأسماء جميعا سلمى ، فشراح ديوانه ينص على أن الطرماع يريد بسلمة سلمى^(١٩) . أما سلم فهي ترخيم سلمى وسلمة .

وسليمة مصغر سلمة . وسليمة مصغر سلمى .

٦- يذكر الناشر : « ولا يبعد أن يكون نفر ابنه البكر . ولكن

لا نجد له ذكرا في المصادر . فهل مات وهو صغير السن ، فغاب اسمه ونسي ، وظل أبوه مع ذلك يكنى به »^(٢٠) . وأحب أن أذكر أن نفر ذكرا

في المصادر ، وإن له عقباً ، وأنه لم يمت صغيراً ، وأن من ولده

الذيال . جاء في أمالي القاضي : « حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثني عمي الحسين ، عن أبيه ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه عن الذيال بن نفر ، عن الطرماع . . . »^(٢١) .

(١٥) الديوان : ١٠ .

(١٦) الديوان - نشر كرنكو - ٦٩ .

(١٧) الأساس - ملح - .

(١٨) الديوان : ١٠ .

(١٩) الديوان - نشر كرنكو - ٦٩ .

(٢٠) الديوان : ١١ .

(٢١) الأمالي : ٢ / ٢٩٠ وانظر أيضا كنى الشعراء .

وكرنكو أيضا وضم في (نفر) ابن الطرماع ، وظنه مجرد كنية ، فهو يقول : « لانعرف حقا ما اذا كان له ولد بهذا الاسم أم لا » (٢٣) .
واذ كنا قد عرفنا أنه لم يمت صغيرا ، وأن له عقباً ، فاننا نستبعد أن يكون هو أبه البكر - كما افترض الناشر - لان الطرماع كان يكنى أبا ضبيسة .

٧ - وفي تحديد سنة وفاة الطرماع ، يستند الناشر ، إلى ما رواه أبو أحمد العسكري ، في كتاب التصحيف ، من أن الطرماع بقي بعد الفرزدق (٢٤) . وما كان أغنى الناشر الكريم عن اعتماد رواية تحصل خطأها معها ، فنص الرواية ، هو « الطرماع اثنان : الطرماع بن عدي الطائي ، من الغوث من طيء ، وهو الذي وفد الى الحسن . وله أخبار مع معاوية . والطرماع بن نفر الطائي ، وهذا من سبب ، وهو بعد الاول . وكان هذا في أيام الفرزدق ، وبقي بعد الفرزدق » . ونلاحظ أن الرواية تذكر طرماعين ، في حين نجد أن هناك خمسة طرماعين بل أكثر (٢٥) ، وتسمى الرواية شاعرنا (الطرماع بن نفر الطائي) (هكذا) ، وتذكر أنه من سبب . ونحب أن نذكر أن هناك طرماعا من سبب ، وهو غير طرماعنا ، واسمه الطرماع بن الجهم السبسي ولعله هو المقصود في هذه الرواية . وقد شبه الناشر الى الخطأ ، وذكر في حاشيته (ص ١٣) : « أن في هذا نظرا لان الطرماع ليس من سبب » . ونعود فنقول : ما الذي يمنع أن يكون أبو أحمد العسكري قصد الطرماع بن الجهم السبسي ، لانه طائي أيضا ؟ . وان يكن قصد طرماعنا ، فنلاحظ أنه غلط في اسم أبيه ، اذ ذكر أنه الطرماع بن نفر ، بينما هو الطرماع بن حكيم بن حكيم . كما غلط في نسبته إلى سبب . فمما الذي يمنع من أن يكون قد غلط في حكمه ببقائه بعد الفرزدق . وقد

(٢٢) مقدمة الديوان (نشر كرنكو)

(٢٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٤٣٦ ، الديوان ١٣ .

(٢٤) الشاعر الخارجي الطرماع بن حكيم ١٠١ - ١٠٣ .

تبعنا أخبار الطرماع بعد وفاة الفرزدق ، فلم نقع له على ذكر ، على كثرة ما راجعنا من مصادر الادب والتاريخ^(٢٥) .

٨ - قرر الناشر أن الطرماع من الصفرية ، وأكد صحة ذلك ، إذ قال : « والصحيح أن الطرماع من الصفرية المسلمين ، لانه لم ينفر الى القتال ، وآثر السلامة »^(٢٦) .

ولا ندري من أين جاءت هذه الصحة ؟ فهل يكفي المرء أن يكون مسالماً يؤثر السلامة ، حتى يصح لنا نعتة بالصفرية ؟ • أن الذي نعرفه وتنص عليه كتب الفرق والتاريخ كلها^(٢٧) . ان الصفرية خسارح ، يجيزون القعود ، مسانون هينون • والناشر نفسه ، يقرر : أن أصول الصفرية والازراقة واحدة متقاربة • والخوارح ، بعد ذلك ، أيا تكن فرقتهم - والصفرية منهم - لا يمدحون ، ولا يهجون ، ولا يتعصبون لغير الاسلام ، وليس فيهم هذا الجشع ، ولا ذاك التكالب على المال • والطرماع هجا كثيرا ، وناقض كثيرا ، وخاصم العامة ، ومدح أشهر قواد أمية عداء للخوارح ، وطمع في المال ، وطلبه وتهالك عليه ، تهالك المتكسبين من شعراء أمية ، وتعصب بأسراف ، لاهل الشام ، وأهل اليمن ، وقحط - ان •

الصفري خارجي ، يتحين الفرصة للخروج ، يقعد حتى تواتيه الظروف للاقتضاض على السلطان ، لا يمدح ولا يهجو ، الا بسبب من عقيدته • فهل يصح بعد هذا ، أن تقرر صحة صفرية الطرماع ، وهل صح لنا أنه خارجي ، حتى نتعب انفسنا في تعيين فرقته ؟

٩ - ويعد الناشر صفريته هي التي أبحاث له صداقة الكميث ، شاعر

(٢٥) انظر في وفاة الطرماع الشاعر الخارجي الطرماع بن حكيم ١٠١ - ١٠٣ •

(٢٦) الديوان ٣٢ •

(٢٧) الكامل للمبرد ٨٩٦ ، ١٠٢٠ ، ١٠٤١ ، العقد الفريد ١/٢٦١ •

الفرق بين الفرق ٧٩ ، الملل والنحل ١٢٣ •

الشبيعة المعروف ، يقول : « وهذا مايفسر لنا سر هذه الصداقة العجيبة التي امتدت بين الطرماح والكميت ، على اختلافهما في النسب والمذهب والبلاد^(٢٨) » .

أما الناس ، في زمانهما ، فسيستغربون من هذه الصداقة . ولو كانت مألوفة لما استغربوا منها ، ولما اندهشوا . وما لنا نفسر سر هذه الصداقة؟ ولم لانسأل عن سرها الشعارين ؟ . أما الشعاران فقد سئلا فأجابا بأنهما اتفقا على بغض العامة^(٢٩) . وما لنا ننسى روابط المهنة والنوازع المشتركة ، فانهما معلمان شاعران خطيبان ، يميلان الى الغريب ويستعملانه في اشعارهما .

١٠ - ولا يرى الناشر ، في موضوع الشك في خارجية الطرماح ، الذي أناره الباحثون المحدثون أي غنى أو فائدة لانه لا يجد ما يدعوه الى الشك في هذه الخارجية ، يقول : « وقد أبدأ الباحثون المحدثون القول في هذه المسألة وأعادوا ، واختلفوا منها مشكلة ، ثم شقوا على انفسهم في التحليل والتعليل ، وأجهدوا قرائحهم في اقتراض الفروض واقتراح الحلول وأبعدوا ، ثم لم ينتهوا من بعد ذلك كله ، الى شبيء ذي بسال في هذا الموضوع^(٣٠) وهو يصد عن كافة الظواهر التي رأى فيها الباحثون مبررات الشك . ويعمل لهذه الظواهر ، بصفرية الطرماح ، يقول : « والامر أهون من ذلك وأيسر ، وأقرب تعليلا مما افترضوا وحاولوا . وتعليل ذلك فيما نرى : أن شعر الخوارج كله شعر حرب وقتال ، مصبوغ بالدماء . والطرماح لم يخرج الى قتال ، ولم يشترك في معركة ، فيقول في ذلك شعرا . . .^(٣١) » .

التعليل ، اذن ، يتعلق بصفرية الطرماح ، فما دام الطرماح لم يخرج الى قتال ، ولم يشترك في معركة ، فلا داعي لان يقول في ذلك

• (٢٨) الديوان ٣٢

• (٢٩) الاغانى ٣٦/١٢ ، خزانه الادب ٤١٨/٣

• (٣٠) الديوان ٣٣

• (٣١) الديوان ٣٣

شعرا • ولا أدري اذن كيف يصح أن يعتنه الناشر بأنه معدود من أشهر شعراء الخوارج ، ومن أين جاءت هذه الشهرة ، وهو لم يخرج الى قتال ، ولم يكتب شعرا ، وهل تكفي مقطوعتان ، عدد أبياتهما ثمانية حسب ، لصنع شهرة ؟ • علما بأن واحدة منهما حسب ، مذكورة في الديوان الجديد • ولم تذكر أية واحدة منهما في القديم •

لقد حاولت الدكتورة سهير القلماوي قبل الناشر ، في كتابها أدب الخوارج ، أن ترد مظاهر سلوكه كلها ، والتي أثارَت مسألة الشك في خارجيته - حاولت أن تردها الى خارجيته ، اذ حاولت أن توفق بين خارجيته ومظاهر سلوكه الشخصي وفنونه ، وجعلت مظاهر سلوكه لاحقاً لخارجيته ، ودرستها وعللت لها ، من خلال هذه الخارجية ، وحاولت أن تفسرها بها ، وقد صنعت قبل ذلك في شعره ، اذ درستته ضمن اطار عقيدته • فهو يحس بكره العامة ، ويبادلها هذا الكره بمثله أو أشد ، لانه خارجي ، ويحب نفسه ويحب بها ، ويحب المال ، لانه خارجي ، وهو يتعصب لطىء وقحطان واليمن وأهل الشام ، بسبب ممن خارجيته وهو يهجو تميما وحلفاءها ، ويناقض الفرزدق وسواه لانه خارجي ، ثم لا ضير على خارجيته من كل ذلك^(٣٢) • فأذا كانت الدكتورة سهير قد حاولت تبرير سلوك الطرماح - مما يبدو للناس مناقضا لمبدأ الخوارج - بخارجيته ، فالناشر برر كل ذلك بصفريته •

مسألة الشك في خارجية الطرماح ليست نافعة من خلو ديوانه مما يتعلق بوصف المعارك ، ولاقلة ما يتعلق من شعره بالمذهب الخارجي فحسب ، وانما هي نابعة من كل اولئك ، ونابعة ايضا من مظاهر سلوكه التي اشرنا الى غرابتها ، وغرابة صدورها من خارجي •

١١ - يقول الناشر ، فيما يتعلق بنشأة الطرماح وقرويته : « وليس يصحح ان الطرماح قروي ، فهو بدوي النشأة معرق في البداوة وان سكن

(٣٢) انظر الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم ١٤٨ •

القرى من بعد ذلك • وليس في شعره شيء موضوع في غير موضعه كما ادعى العجاج^(٣٣) •

ان الروايات في نشأة الطرماح على قسمين لا ثالث لهما • يؤكد القسم الاول نشأته بالشام ، وانتقاله منها الى الكوفة ، مع من ورددها من جيوش أهل الشام^(٣٤) • ويؤكد الثاني أنه نشأ بسواد الكوفة وقراها^(٣٥) •

وأني صح من القسمين فإنه يناقض فكرة كونه بدوياً معرقاً في بداوته • وان كنا رجحنا في در استناله نشأته بسواد الكوفة • فكيف يصح لنا بعد ذلك اطلاق عراقية بداوته ؟ ثم ان القبائل اليمانية - والطرماح قحطاني من اليمن - اما متحضرة أو نصف متحضرة ، سواء في ذلك من سكن منها في الشام ، ومن نزل بالكوفة وقراها • وهذا أمر معروف • اما شعره وادعاء العجاج^(٣٦) انه يستعمل الغريب فيه ، فلا يقع به في مكانه ، فهذا أمر وارد • ويكفي للتدليل على وقوعه أن نورد الامثلة التالية :

أ - استعمل لفظ (الكراض) وهي لفظة من مدرسة او غريبة جدا يجهلها خاصة العلماء في بيته^(٣٧) :

سوف تدنيك من ليس سبنداء أمارت بالبول ماء (الكراض)^(٣٨)

(٣٣) الديوان ٣٩ • وينسب هذا الادعاء الى رؤبة أيضا ، الاغانى ٩٧/٢ ، ١٣٧/١٢ ، الموشح ١٩٢ •

(٣٤) الاغانى ٣٥/١٢ ، ٣٦ ، خزانة الادب ٤١٨/٣ ، تهذيب تاريخ دمشق ٥٢/٧ •

(٣٥) الموشح ٢٠٨ ، الشعر والشعراء ٣٧٢ •

(٣٦) وينسب هذا الادعاء الى رؤبة أيضا ، انظر

(٣٧) يراجع الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم ٢٠٣ - ٢١٩ حيث

ذكرت امثلة مفصلة •

(٣٨) الديوان (نشر كرنكو) القصيدة الثانية •

وحتى نعرف كيف يضطرب العلماء في تعيين معناها ، ويختلفون نذكر أن الاصمعي يقول : ان الكراض هو حلق الرحم ، ويذكر أنه لم يسمعه في غير شعر الطرمح ، وابن بري ، كما يذكر صاحب اللسان ، يفسره بأنه ماء الفحل ، وابن الاعرابي يقرر أنه ماء الفحل ، في بطن الناقة ، والزهري يرى أن الطرمح أراد به الفحل ، وأبو عبيدة يؤكد أنه جمع وواحدته كرضة في حين يؤكد غيره من العلماء : أنه جمع لا واحد له ، ويعلق يوهان فك على هذا اللفظ ذاكرة : أنه يطابق معنى يونانيا^(٣٩) .

ب - ومثل الكراض لفظة (شيام) في بيته :

كم به من مك وحشية قيص في متثل أو شيام

ويضطرب العلماء في ضبطها ، وتعيين معناها ، فصاحب اللسان ، يذكر أنها حفرة ، أو أرض رخوة ، وابن الاعرابي يرى أن (الشيام) بالكسر (الفأر) (هكذا) ، وأظنه الغار ، وأبو نصر يقول : انها التراب ، والاصمعي يرى أنها الكناس ، وأبو سعيد يذكر أن الشيام (بالفتح) الأرض السهلة عند أبي عمرو الشيباني ، ويستدرك فيذكر أنها (بالفتح) الكناس^(٤٠) .

ج - ومن الغريب النادر ، الذي أخذ على الطرمح استعماله ، لفظ (الاريمين) في قوله :

فيا ليت شعري هل بصحراء دارة الى واردات الاريمين ربوع
وللتدليل على غرابة هذا اللفظ ، نقل رأي البكري ، يقول :
« .. لم أر الاريمين ، بالياء ، الى في شعر الطرمح »^(٤١) .

د - ولا نريد أن نورد أكثر من ذلك ، فالأمثلة كثيرة ، لكننا نكتفي

(٣٩) الكامل للمبرد ١٤٣ ، اللسان (كرض) ، اعجاز القرآن
٣٢٧ ، تاج العروس ٨٢/٥ العربية ٣٩ .
(٤٠) اللسان (شيم) ، مجالس ثعلب ٥٣٧ ، اليونان القصيدة
الرابعة (نشر كرنكو) .
(٤١) الديوان (نشر كرنكو) ١٥٠ ، معجم استعجم ١/١٤٥ .

بنقل ما ذكره الدكتور عزة حسن نفسه ، تمليقاً على لفظة وردت في ديوانه الجديد * واللفظة هي (ارتشاد) في قوله :

لامهات جرى في بضعهن لنا ماء الكرام ارتشادا غير ذي ريب
اذ يعلق الدكتور عزة حسن بقوله « ولم أجد لها في كتب اللغة » ،
ويبدلها بلفظة (رشادا) (هكذا) * ويذكر الدكتور أن اللفظة موجودة
(ارتشادا) أيضاً في الديوان القديم^(٤٢) « وليس من الصحيح ابدالها في
هذه الحال »

هذه امثلة قليلة من مجموعة كبيرة من المآخذ تتوزع في أقسام عشرة.
ذكرتها في دراستي تحت عنوان مظاهر الغرابة في شعره *

وقد عملت ما يشبه الاحصاء للالفاظ القروية التي دارت في شعره.
فتمثلت لنا مجموعة منها * بعضها مما يتداوله الريفيون والقرويون
والمزارعون ، والبعض الاخر مما يشيع في كلام أهل المدينة * وقد جاء
الديوان الجديد حافلاً بمجموعة جديدة من هذه الالفاظ القروية - ان
صح التعبير - مما يرجح لي قروية الطرماع ويبعد فكرة كونه بدويًا
معرفة في بداوته *

الديوان والتحقيق

١ - ألحق الناشر بالديوان ذيلًا ، جمع فيه كل ما وجد من شعر
منسوب الى الطرماع ، غير موجود في المخطوط أو الديوان المطبوع
(نشر كرنكو) ، باعتباره أصلًا ثانيًا معتمدًا في النشر * والمفهوم المعقول
الا يتضمن ذيل الديوان الجديد ما تضمنه ذيل الديوان المطبوع من شعر ،
لاتفاء الحاجة الى وجوده * الا أن الناشر ضمن الذيل كل ما تضمنه
ذيل الديوان المطبوع من شعر لا وجود له في أصل الديوان الجديد ،
فوقع في تكرار لامبرر له *

(٤٢) الديوان ١٣ ، الديوان (نشر كرنكو) ١٢٨ *

٢ - كنت استدركت على ديوان الطرماح ، سبعا وثلاثين مقطوعة ، مما فات الناشر كرنكو أن يطلع عليه • وقد ورد بعض هذا المستدرک في الديوان الجديد ، وأورد الناشر الدكتور عزة حسن ، بعضه الآخر في ذيل الديوان الجديد ، وبقي القسم الثالث لم يتيسر له الاطلاع عليه ، أذكره هنا مستدرکاً على الديوان الجديد :

- أ - ورمى بثغرته الثغور فسدها طلق الیدين مؤملاً مرهوباً^(٤٣)
 ب - ولو أن عصفورا يمد جناحه لقامت تميم حوله واستظلت^(٤٤)
 ج - وأبرق من براق لوی سعيد^(٤٥)
 د - ثم أصبحت براق الموی من أهلها قد تخلت^(٤٦)
 هـ - دان مسف فویق الارض هیدبه يكاد یلمسه من قام بالراح^(٤٧)
 و - اذا ارتعت خاف الكمي رعائها ومن يتعلق حيث علق یفرق^(٤٨)
 ز - ولو شهد الصفيين بالعين مرئد اذا لراآنا في الوغر غير عزل^(٤٩)
 وما أنت في صدري بغمراًجته ولا بقدى في مقلتي متجلجل
 أبوكم لثيم غير حمر وأمکم بريدة ان ساءتكم لم تبدل
 واتم كعظم الريم لم یدر جاوز على أي بدأي مقسم اللحم یجعل^(٥٠)
 ح - لاته عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم^(٥١)

- (٤٣) كتاب الصناعتين ٣٣٠ • راجع ملحق المقطوعات المستدركة في دراستي •
 (٤٤) العقد الفريد ١٣١/٦ •
 (٤٥) المشترك وضعا والمفترق صقعا ١٧٠ •
 (٤٦) المشترك وضعا والمفترق صقعا ١٧٠ •
 (٤٧) خريدة القصر وجريدة العصر - القسم الثاني ٢٧٠ وينسب الى عبيد بن الابصر ايضاً •
 (٤٨) الشعر والشعراء ٨٠ •
 (٤٩) تهذيب اصلاح المنطق ٤٤/١ ، سمط اللالي ٨٦٣/٢ وينسب البيت الى الطرماح الاجني ، كما ينسب الى أبي شمر بن حجر •
 (٥٠) في البيت اقواء •
 (٥١) تهذيب تاريخ دمشق ٥٣/٧ •

ط - يروي ان الطرماح دخل على عبدالملك بن مروان ، وعنده الفرزدق وهو يقبل عليه ، فقال الطرماح : « يا أمير المؤمنين من هذا الذي أهلك عني ؟ » فألتفت الفرزدق مفضبا فقال :

أقول له (ونكر) بعض حالي ألم تعرف رقاب بني تميم^(٥٢)

فقال الطرماح :

رقاب مذلة ورقاب لسوم
فلا تجعل خليلاً من تميم
فما أدنى العييد من الصميم^(٥٣)
بأدنى من موقفه حـرون
بأوعال معطفة القـرون^(٥٤)
فلا يأمن الغدر يوماً عهدها^(٥٥)

بلى (أعرف) رقاب مخيسات
إذا ما كنت متخذاً خليلاً
يكون صميمهم وأبعد فيهم
ي - وما أروى وان كرمت علينا
يطيف بها الرماة وتتهمهم
ك - فلترك أوفى من نزار بعدها
ل - قال الفرزدق :

ومررنا بنا المختار مختار طيء
أقمنا له صهباء كالمسك ريحها
فمررنا وقد كانت عيسه عبادة

فروي مشاشاً كان ظمآن صاديسا
أقامته حتى ترحل غاديسا
يخال جزون الأرض سهلا وواديا^(٥٦)

فرد الطرماح :

ومررنا بك المختار مختار طيء
سوى شربة أبكتك حين قرينته
فلو كنتم قوماً كراماً كنتمتم

فلم تقره حتى ترحل غاديسا
فلا رقأت عيناك ان كنت باكيسا
قراكم ولكن لم تبالوا المخازيا^(٥٧)

(٥٢) شروح سقط الزيد ١٥٨٥ وذكر الناشر الاول فقط .

(٥٣) ونكر في البيت ولكن .

(٥٤) تهذيب تاريخ دمشق ٥٣/٧ .

(٥٥) معجم مقاييس اللغة ١٦٨/٤ .

(٥٦) ديوان الفرزدق ٨٩٤ وتروى الابيات في الوحشيات نالساك

يون جمدة الثقلبي ٢٥٤ .

(٥٧) الحماسة الصغرى ٢٢٢ .

٣ - أثبت الناشر في ذيل الديوان أربعة أبيات ، على أنها لطرماحنا ،
يهجو فيها نافذ بن سعد المعني^(٥٨) ، والابيات ليست لطرماحنا ، وإنما هي
للطرماح بن الجهم السبسي ، في نافذ المعني هذا ، يهجوها فيها هجاء
فاحشاً ، يتعفف عن قول مثله لطرماحنا^(٥٩) ، وإيضاً وهم كرنكو ، فأثبتها
في ذيل الديوان ، على أنها لطرماحنا^(٦٠) .

٤ - يروي شارح ديوان الطرماح (نص اسبانيا) الذي نشره كرنكو
أقوالاً كثيرة عن (أبي عمرو) ، ويعتقد كرنكو أن أبا عمرو هذا ، هو
أبو عمرو الشيباني ، دون دليل . ويأخذ الناشر الدكتور عزة حسن على
كرنكو هذا الاعتقاد ، يقول : « وقد جزم كرنكو أن أبا عمرو هذا هو أبو
عمرو الشيباني ، وليس له دليل في ذلك . فما ندرى ما الذي جعله يجزم
بذلك »^(٦١) . إلا أنه يعود فيجزم هو بأن أبا عمرو هو أبو عمرو بن العلاء ،
بدون دليل أيضاً ، يقول : « وعندنا أنه أبو عمرو بن العلاء ، لا ريب » .

٥ - مع أن الناشر اعتمد الديوان المطبوع (نشر كرنكو) أصلاً في
النشر ، إلا أنه كثيراً ما يهمل روايات النص فيه ، مع أنها تخالف نص
نسخة (جوروم) أو تكون أصح منه أحياناً . وعلى سبيل المثال فإنه لم
يشر إلى رواية الديوان المطبوع في لفظة (تمنت) من البيت (٢٣) فسي
القصيدة (٤) ولم يشر إلى رواية ذيل الديوان في لفظة (المخاطب)^(٦٢) .
وكذلك لم يشر إلى رواية ذيل الديوان في لفظة (النواكب)^(٦٣) .

٦ - جاءت في التحقيق مجموعة من الكلمات ، لا يستقيم المعنى بها ،

-
- (٥٨) الديوان ٥٨٧ ، والابيات المذكورة في معجم البلدان (عاسم) على أنها للطرماح بن حكيم .
(٥٩) شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام ١٤٨٧/٣ .
(٦٠) الديوان (نشر كرنكو) المقطوعة الثالثة والأربعون .
(٦١) الديوان ٥٦ .
(٦٢) الديوان ٥٧٥ .
(٦٣) الديوان ٩٣ .

۱۶۱ - ۱۷۱

- (۶۰) ۷۳
- (۶۱) ۵۵
- (۶۲) ۱۷۱
- (۶۳) ۵۰۰
- (۶۴) ۷۱۸
- (۶۵) ۸۱۱
- (۶۶) ۳۳۸

و...
 : ...

۷ - ...

...
 ...
 ...

...
 ...

...
 ...

...
 ...

...
 ...

...
 ...

...
 ...

يقول الناشر ، « يعني أن طيئاً ارتدت عن الاسلام أيضا . ونسأ
اخذت يشير إلى الانصار الذين أبلوا في حروب الردة بلاء حسناً » .
والحقيقة ان الطرماح يعتذر في هذا البيت عن اشتراكه في ثورة
يزيد بن المهلب ويبرره ، ويرد فشل الثورة إلى مشاركة قومه (كئاف ب
أهل الشام القحطانية) ، وينكر دور تميم وقيس في ضرب الثورة . وكان
الطرماح شارك مشاركة فعلية في الثورة يشير إلى ذلك في مطلع قصيدته
بقوله : -

عداني عنها أتني كل سارق أهر لحرب ذات نيرين التي^(٧٠)

٩ - في تفسير البيت الخامس والسبعين من القصيدة الثالثة يفسر
الناشر لفظة (خصيف) بالياض يقول وخصيف البطن أي بضاء البطن .
والصواب ان الخصيف لون كلون الرماد فيه سواد وياض ، يقال رماد
خصيف^(٧١) . والطرماح استعمل اللفظة كثيرا ويعني بها اللون الشبيه
بالرماد .

ان اخراج هذا الديوان (التيمم) لشاعر من الخوارج ، بما تضمن
من جهد في الدراسة والتحقيق ، عمل علمي جيد ، لن تتلم منه هذه
الملاحظات او سواها ، مما يمكن ان تقود إلى الحقيقة التي نسعى إليها
جميعا .

عزمي الصالحي

(٧١) اللسان (خصيف) .

المصادر والمراجع :

- الآغاثي - ابو الفرج الاصفهاني ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٧ -
١٩٦١ .
- ادب الخوارج - الدكتورة سهير القلماوي ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ .
- أساسي البلاغة - الزمخشري ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٣ .
- تهذيب اصلاح المنطق ، التبرنزي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ .
- تهذيب تاريخ دمشق - ابن بدران المرشقي ، ط ١ ، دمشق .
- خريدة القصر وجرينة العصر - الاصفهاني القرشي ، مطبعة المجمع
العلمي ، بغداد .
- الحماسة الصغرى - ابو تمام ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣ .
- خزانة الادب - البغدادي ، بولاق ، مصر ١٢٩٩ .
- دائرة المعارف الاسلامية .
- ديوان الطرماح - تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ .
- ديوان الطرماح مع ديوان طهليل - تحقيق كرتكو ، لندن ١٩٢٧ .
- ديوان الفرزدق - تحقيق الصاوي ، مصر .
- الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم - عزمي الصالحي ، مطبعة
الاقتصاد ، بغداد ١٩٧١ .
- شرح حماسة أبي تمام - المرزوقي ، القاهرة ١٩٥٢ .
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - ابو أحمد العسكري ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٣ .
- شعر الخوارج - الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري ، لندن ١٩٠٢ .
- شروح سقط الزند - التبريزي والبطلينوس ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ضحى الاسلام - أحمد أمين ، مصر ١٩٤٩ .
- العربية - يوهان فوك - ترجمة الدكتور عبدالحليم النجسار ، دار
الكتاب العربي ١٩٥١ .
- العقد الفريد - ابن عبد ربه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
مصر ١٩٤٠ .

- الفرق بين الفرق - البغدادي - ، مطبعة الهلال ، مصر
- الكامل - للمبرد - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٧
- كتاب الصناعيتين - العسكري ، دار احياء الكتب ، القاهرة ١٩٥٢
- لسان العرب - ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥
- المشترك وضعنا والمفتوح صقعا - ياقوت الحموي - غوتنجن ١٨٤٦
- معجم البلدان - يوقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت
- مقاييس اللغة - ابن فارس ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ١٣٧١
- المقاضد النحوية - العيني ، مصر ١٢٩٩
- الملل والنحل - للشهرستاني ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٩٥٦

سياسة المأمون تجاه العلويين

٨١٤/١٩٨ - ٨٣٣/٢١٨

الدكتور فاروق عمر فوزي
كلية الآداب

القسم الأول - الثورات العلوية في عهد المأمون

توطئة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة الفرس على الحكم العربي ولم تقم على اكتاف الفرس فهذه دعاية وجهتها لها العناصر المعادية في وقتها ورددها المستشرق فان تلوتن وولها وزن وثم اكدها مؤرخون عسرب آخرون ، على أن الثورة العباسية في حقيقتها كانت اعتمق من ذلك بكثير وانها قامت بها العناصر العربية في خراسان وهدفها محو اخطاء السياسة الاموية التي شملت العرب وغير العرب^(١) .

ان الثورة العباسية كأي ثورة ضد الامويين رفعت شعارات عامة متنوعة لجذب أكبر عدد من المتدبرين من الحكم الاوي . وبعد نجاحها تبنيت طبيعتها وهدفها الذي كان يرمي الى اقامة خلافة عباسية . وكان على الخلفاء العباسيين بطبيعة الحال أن يواجهوا المعارضين من علويين وخوارج وأمويين وفرس . والذي يهمننا في هذا البحث هي حركة المعارضة العلوية التي ظهرت بواكيرها ضد العباسيين مع بداية الدولة الجديدة وبلغت الذروة في عصر المنصور الذي أستطاع أن يقضي على أقوى ثورتين علويتين في عهده هما ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز وابراهيم في البصرة^(٢) . ورغم أن حركة المعارضة العاروية لم تعد قوية وخطرة بعد عهد المنصور إلا أن الثورات العلوية استمرت هنا وهناك .

لقد كان للظروف الصعبة التي مرت بها الخلافة العباسية أُنسَاء
 والحرب الأهلية بين الأمين والمأمون ١٩٣هـ - ١٩٨هـ / ٨٠٩م - ٨١٤م
 ممن اتسار الفوضى وعدم الاستقرار السياسي وانعدام السلطة ، ان انتهزت
 العاصر المعارضة للعباسيين الفرصة ومنها الشيعة العلوية فقامت بشورات
 في اقاليم مختلفة في العراق والحجاز واليمن ، فلم يكد المأمون يتسلم
 السلطة حتى فوجيء بثورة ابي السرايا السري بن منصور الشيباني
 بالكوفة سنة ١٩٩هـ / ٨١٥م بأسم ابن طباطبا العلوي ، وبعد نجاحه في
 الكوفة ارسل ابو السرايا جيوشا لاحتلال المدن الرئيسية فأرسل الحسين
 بن الافطس ومحمد بن سليمان الى الحجاز وأرسل ابراهيم بن موسى
 بن جعفر الى اليمن ، ويشير الطبري الى «انتشار الظالمين في البلاد»^(١)
 مما يدل على النجاح الذي حققه ابو السرايا الذي كان يلعب دورا مباشرا
 أو غير مباشر في كل الثورات العلوية في الاقاليم الاخرى ايضا عدا
 العراق ، ولعل سبب هذا النجاح يعود الى ملل أهل العراق من الاضطراب
 وعدم الاستقرار السياسي فأملوا ان حكما جديدا ربما يحقق لهم الاستقرار
 وهذا من جهة ومن جهة ثانية فان أهل العراق كانوا ساخطين على المأمون
 الذي نقل مركزه الى خراسان وعلى سياسة الفضل بن سهل الميالة الى
 المرس « واستبداده برأيه وغلبته على الخليفة »^(٢) .

ثورة ابي السرايا :

لم يكن المأمون موقفا في اكرامه للاركان الاربعة التي حققت له
 النصر على الأمين ، ففي الوقت الذي اغدق للامتيازات والمناصب على الفضل
 بن سهل وأخيه الحسن الذي أصبح واليا على العراق والشرق ، لم
 ينل القائدان طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين شيئا ، فقد أمر طاهر
 بالتوجه الى الرقة والاستعداد لمجابهة ثورة نصر بن سبت العجلي ، اما
 وهرثمة بن أعين فقد دعي للتوجه حالا الى خراسان ، ان هذه الاجراءات
 كانت دون شك من بناء أفكار الفضل بن سهل (ذو الرئاستين) الذي
 كان يخشى اتساع نفوذ طاهر بن الحسين وكان يطمح أن يحل أخاه

الحسن محل طاهر في ولاية العراق التي احتلها طاهر بجيشه وكسان
يأمل أن يحكمه بنفسه .

على ان انتصار آل سهل على القائدين العسكريين كان له رد فعل
من نوع اخر في العراق حيث فسره اهل العراق على اعتبار انه تأكيد لما
يشاع من استيلاء آل سهل وعلبتهم على المأمون الذي كان لا يزال في
العشريات من عمره فزاد في ثورة العراقيين الساخطين على آل سهل الذين
نقلوا مركز الدولة الى مرو بدلا من بغداد . ولعل هذه الظروف هي التي
فجرت ثورة ابي السرايا في الكوفة .

ان ثورة ابي السرايا السري الشيباني تذكرنا بثورة المختار
الثقفي^(١) في الكوفة قبل أكثر من قرن وربع القرن فلقد تار المختار
باسم محمد بن الحنفية الذي لم يلعب دورا رئيسيا بالثورة بل كان شخصية
معنوية وربما استغل المختار اسمه دون رضاه ، وكذلك كان أبو السرايا
الزعيم الحقيقي لثورة الكوفة سنة ١٩٩هـ أما ابن طباطبا (محمد بن
ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي) فلم
يلعب الا دورا ثانويا ومعنويا . ولم تكن ظاهرة الادعاء بالتشيع السني
العلويين ظاهرة عربية بل على العكس فان حركة المعارضة العلوية أصبحت
الحركة البديلة والمقابلة للتشيع العباسي ، ذلك لان الجماعات المنتصرة
التي خاب أملها بالحكم العباسي أخذت تنظر الى العلويين لتحقيق آمالها
ومطامحها ، ولذلك نرى الكثير من المفايرين والشوار الذين رفعوا شعار
الولاء للعلويين وذلك لكسب الاتباع دون ان يكون لهم في الحقيقة أي
ميل أو عاطفة علوية .

ان رواية الاصفهاني^(٢) خير دليل على هذه الظاهرة فهي تشير الى
ان نصر بن سبت العجلي اتصل في سنة ١٩٨هـ في الحج بابن طباطبا واتفق
معه على الثورة في الجزيرة . ولكن نصر العجلي فشل ان يقنع اتباعه
في الجزيرة على الثورة من اجل القضية العلوية ذلك لان قبائل الجزيرة
معروفة بميولها الخارجية أو الاموية ولم يعرف عنها تحمس لقضية آل
البيت (الهاشميين)^(٣) .

وقد اد ابن طباطبا إلى الحجاز وفي طريقه التقى بأبي السرايا في الرقة . ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن شخصية أبي السرايا وسيرته ، ولا تذكر الروايات^(١) عنه إلا أنه من شينان من الجزيرة ولم يكن ممن اشرف القوم بل تدرج حتى لمع اسمه حين التحق بجيش يزيد بن يزيد الشيباني الذي ارسل إلى ارمينيا لحرب الحزمية . وفي الحرب الاهلية بين الامين والمأمون كان إلى جانب الامين وحارب جيش هرثمة بن اعين اندي تقابل مع جيش أحمد بن يزيد بن يزيد الشيباني . ولكن ابا السرايا بدل رأيه وولائه وانجاز بحوالي ٢٠٠٠ من اتباعه الخيالة والمشاة إلى جيش المأمون ومنح لقب « أمير » . وبعد انتهاء الحرب الاهلية واستدعاء هرثمة إلى خراسان لم يحصل ابو السرايا على ما كان يطمح فيه من امتيازات فعاد إلى حياة الفزو والنهب والتناحر القبلي فقد غزا مع الطوق بن مالك التغلبي بني قيس وسلبهم ، ثم التقى بالركة بأبسن طباطبا فوجد فيه الرجل الذي يستطيع عن طريقه ان ينفس عن ميوله العلوية^(٢) من جهة ونفسيته البدوية التمردة من جهة اخرى ، وطموحه من جهة ثالثة .

وقد اتفق ابو السرايا مع ابن طباطبا على الالتقاء في ظاهر الكوفة واخذ الاول طريق البر فيما ركب الثاني سفينة عبر الفرات . وحين وصل ابو السرايا موقع كربلاء ارتجل خطبة مؤثرة خاطب فيها جنده واتباعه من الشيعة العلوية . وقد استطاع بعد ذلك كلاً الزعيمين من احتلال الكوفة بسهولة بدون اراقة دماء ذلك لان الوالي العباسي سليمان بن المنصور وقائده خالد الضبي لم يحركا ساكناً بل لم يقاوما الثورة العلوية^(٣) . على ان المقاومة العباسية تجمعت حول شخصية الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى الذي اعلن رفضه لبيعة ابن طباطبا ودافع عن نفسه من اتباعه ولكنه سرعان ما استسلم ونهب داره . لقد بايع الناس البيعة إلى « الرضا من آل محمد » . والصلى بكتاب الله وسنة نبيه^(٤) . وحين سمع امير العراق الحسن بن سهل بالحركة العلوية أرسل لتوجه

زهير بن المسيب مع ١٠ آلاف من الجند وتقابل الطرفان في اواخر شهر جمادى الثاني وكان النصر في هذه المعركة للمشيعة العلوية حيث تشتت جيش زهير بن المسيب الذي اضطر الى التراجع .

ان الحادثة التي تفاجيء المؤرخ بعد هذا الانتصار العلوي هو موت ابن طباطبا المفاجيء . ويختلف المؤرخون الرواد في عرضهم لهذه الحادثة على أن الطبري برواياته العديدة التي استقاها منه أغلب المؤرخون الآخرون يشير الى أن الموت كان غير متوقع وربما كان بسبب دس السم من قبل ابي السرايا الذي منعه ابن طباطبا من الاحتفاظ بالغانم والاسلاب التي تركها الجند العباسي . ولكننا يجب ان نذكر بأن هناك روايات اخرى تظهر ابن طباطبا وكأنه مريضا منذ مدة وانه مات موتا طبيعيا وترك وصية داعيته ابي السرايا يرشح فيها علي بن عبدالله لرئاسة الحركة العلوية المسلحة^(١٢) . ومهما يكن من امر فان ابا السرايا اعلن نبأ موت ابن طباطبا وترشيحه لعلي بن عبدالله ولكن عليا هذا رفض ان يزوج نفسه في مغامرة سياسة مسلحة وكان معروفا بتقواه وبعده عن السياسة ، واقترح بيعة محمد بن محمد بن زيد الذي كان لا يزال حدثا صغيرا وقد قبل ابو السرايا ومن معه بيعة محمد بن محمد قائلين لعلي بن عبدالله : « رضانا من رضاك وقولنا من قولك » . فكانت هذه البيعة في الاول من رجب سنة ١٩٩ هـ .

وقد اتسعت الثورة العلوية بسرعة واستطاع ابو السرايا ان يدحر قوة عباسية جديدة مكونة من ٥٠٠٠ رجل خيال بقيادة عبدوس بن محمد بن ابي خالد المروزي ارسلت لتعزيز زهير بن المسيب الذي تراجع الى قصر ابن هبيرة . وقد ايدت الثورة الكثير من المدن والاقاليم ونشير الان الى الولاة الذين ارسلوا الى المناطق التي انضمت للعلويين :

العباس بن محمد بن عيسى بن محمد . . . بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عين واليا على البصرة زيد بن علي والحسن بن ابراهيم بن الحسن بن علي على واسط^(١٣) .

وفي شعبان يمكننا ان ندرك بأن الثورة وصلت ذروة نجاحها حيث خضعت اقاليم كثيرة وارسلت اقاليم اخرى تعلن ولائها وتدعو ارباب السرايا لأرسال ولاته . وقد امتد نفوذ أبي السرايا الى نهر الملك وهو لا يبعد عن بغداد الا اميالاً قليلة . كان موقف والي العراق الحسن بن سهل صعباً فلم يكن لديه من القادة غير قريبه علي بن ابي سعيد (ذي العلمين) الذي لم يستطع ان يعمل شيئاً تجاه تعاضم الثورة العلوية ، ان هذه الظروف الحرجة^(١٤) اجبرت الحسن بن سهل ان يفكر مرة ثانية بظاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين القائدين اللذين حققا النصر للمأمون في الحرب الاهلية . وقد كتب الحسن اول الامر الى طاهر ثم بدله رأيه واستدعى هرثمة بن اعين الذي كان في طريقه الى خراسان كما امره بذلك الخليفة المأمون . وقد ارسل الحسن بن سهل السندي بن شاهك الى هرثمة يتوسل اليه بالعودة الى العراق لمعالجة الوضع الخطير هناك . على ان هرثمة رفض اول الأمر العودة^(١٥) ثم غير رأيه وقرر العودة للقضاء على الثورة^(١٦) .

ولم يمض وقت طويل حتى واجه ابو السرايا جيشان عباسيان الاول بقيادة هرثمة والمنصور بن المهدي والثاني بقيادة علي بن أبي سعيد . وقد انقذت المعركة الاولى بغداد حيث اضطر ابو السرايا الى الانسحاب من المدائن الى قصر ابن هبيرة وهناك استطاع هرثمة ان يهزمه الهزيمة الثانية واضطره الى الانسحاب بسرعة الى الكوفة . وفي الكوفة عزز العلويون مراكزهم واستعدوا لمقاومة عنيفة . ورغم ان هرثمة بن اعين حاول جاهداً القضاء على المقاومة في الكوفة قبل حلول موسم الحج لكي يستطيع اداء الفريضة^(١٧) الا ان الكوفيين لم يمكنوه من ذلك . وفي الاول من ذي القعدة وقعت معركة دموية حاسمة ولكن النصر لم يكتب للعباسيين بقوة السلاح وانما بالمرونة والسياسة والحيلة التي دبرها هرثمة بن اعين . ويشير الاصفهاني^(١٨) الى ان هرثمة استطاع ان يقنع اشراف الكوفة بانها الحرب والتخلي عن ابي السرايا وخذلانه ، وعبتا حاول ابو السرايا ان

ينبهم الى حيلة هرثمة وسوء نيته مما اضطره الى مهاجمتهم واتهامهم بقتل الامام علي (رض) وخذلان الحسين (رض) وجبنهم في ساعة الصفر امام (المسودة) العباسيين ، ولكن الكوفيين الذين اتهمتهم بالحرب التي دامت اشهرا عديدة لم يستجيبوا لنداءات ابي السرايا . وهكذا خذل الكوفيون ابا السرايا كما خذلوا المختار قبله .

وفي الليلة التالية اضطر ابو السرايا ومحمد بن محمد بن زيد وغيره من العلويين وحوالي 800 من الشيعة العلوية الخيالة الى ترك الكوفة التي فتحت ابوابها الى هرثمة ، حيث دخلها الجند العباسي دون اراقة دماء وعين غسان بن ابي فرج واليا على الكوفة .

أما ابو السرايا ومن هرب معه فقد توجهوا الى واسط بعد مرورهم بالقادسية ، على ان واسط وقعت مرة ثانية في ايدي الجيش العباسي بقيادة علي بن ابي سعيد مما اضطر ابو السرايا ومن معه الى اخذ طريق البصرة حيث عبروا نهر دجلة جنوبي مدينة واسط . وكان ابو السرايا يتجنب المخاطر والهجمات من القبائل التي يمر بها بتوزيع الاموال عليها وحين وصل الاهواز اندره الوالي العباسي الحسن بن علي الباذغيسي بترك الاقليم اذا ازاد السلامة وحين حاول ابو السرايا المقاومة هوجم وجرح ولم يستطع السيطرة على تماسك اتباعه ولذلك قرر العودة الى موطنه الاصلي في رأس العين بالجزيرة ومعه محمد بن محمد بن زيد واتباعه ومواليه المخلصين ومنهم ابو الشوك .

وفي طريقهم الى الجزيرة وقعوا اسرى في جلولاء بيد القائد حماد الذي كان في جلولاء مع ثلة من الجند فأرسلهم بدوره الى الحسن بن سهل . وقد ارسل الحسن محمدا بن محمد الى المأمون في خراسان الذي اعلن العفو عنه كما تقول بعض الروايات^(٢) الا ان هناك روايات فسي (مقاتل الطالبين) تشير الى ان العفو كان على الصعيد الرسمي فقط وان ما حدث لمحمد هو السجن ثم الموت سماً . اما مصير ابي السرايا فقد قتل في النهروان بأمر الحسن بن سهل وعلقت جثته على جسر بغداد وطيف برأسه في الاقاليم .

اما البصرة فقد استسلمت لعلي بن ابي سعيد القائد العباسي الذي اسر فيها زيد بن موسى بن جعفر الصادق ومعه جماعة من اهل بيته . وتشير رواية في الطبري ان زيدا هذا كان يلقب بزيد النار « لكثرة ما حرق بالبصرة من دور بني العباس واتباعهم وكان اذا اتي برجل من السوداء كانت عقوبته عنده ان يحرقه بالنار واتهبوا بالبصرة اموالاً » (٢١) . وهكذا فقد انتهت الثورة العلوية في العراق في ظرف ثمانية او تسعة أشهر .

ثورة العلويين بالحجاز :

ومع ان الثورة العلوية في الحجاز مرتبطة بثورة ابي السرايا في الكوفة الا ان لها خصائصها التي تميزها عن ثورة العراق وانها استمرت ولم تنته بانتهاج ثورة ابي السرايا . لم ينس ابو السرايا حين اشتدت حركته في العراق ان يمد نفوذه الى الحجاز ، فرغم فقدان الحجاز لاهميته السياسية وضعف اهميته الاستراتيجية والاقتصادية فقد بقي هذا الاقليم ذو مركز ديني ومغزوي كبير وخاصة في موسم الحج حيث يستطيع ابو السرايا تنظيم حملة دعائية كبيرة لنفسه وللإمام بين الحجاج الذين يمثلون الاقاليم الاسلامية المختلفة . لذلك فقد ارسل ابو السرايا محمداً بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي الي المدينة وأرسل الحسين بن الحسن الافطس بن علي بن الحسين بن علي الى مكة واثار اليه بأمره الحج الذي بات على الابواب (٢٢) .

اما والي الحجاز العباسي فكان داود بن عيسى بن موسى بن محمد الذي عين في الامارة منذ عهد الامين ولكنه استطاع في اللحظة المناسبة ان يبدل ولائه وارضى المأمون الذي ابقاه في الولاية . وحين سمع داود بن عيسى باقتراب اتباع العلويين لم يستعد للحرب بل لم تكن له رغبة في المواجهة ربما بسبب ضعفه وتخاذله او لاحترامه لشهر الحج او لأسباب اخرى غير معروفة . وتشير رواية تاريخية بأن مسروراً حاجب الرشيد المشهور والذي كان في مكة ينوي الحج قد قابل الوالي العباسي وابسدى استعداداه مع اتباعه الذين يدعون بمائتي فارس لمجابهة الثوار العلويين

ولكن الوالي رفض الفكرة وغادر مكة الى العراق تاركاً ابنه في الولاية وامارة الحج^(٢٣) . ان الموقف الذي اتخذه الوالي العباسي قد خيَّب آمال الشيعة العباسيين ومواليهم وعبيدهم الذين كانوا مستعدين للدفاع عن المدينة المقدسة ، وقد اضطر مسرور الخادم الكبير الى ترك مكة مع اتباعه بعد ان فقد الامل في جدوى المواجهة مع العلويين كما انه خاف من اتفاح الشيعة العلوية في مكة عليه وعلى اتباعه بعد ان فقدت السلطة وهرب الوالي .

وفي اليوم الاول من عرفات (التاسع من ذي الحجة) وجد الحجاج انفسهم دون امام يقودهم ذلك لان قاضي مكة رفض ان يقوم بالعمل لثلاثين يوماً في ذكر اسم الامام او الخليفة في الخطبة . فالحجاج لم تكن قد سقطت بعد في ايدي العلويين كما وان الوالي العباسي كان قد هرب منها ، ولعلنا نلاحظ هنا مدى تردد الحسين بن الافطس واتباعه من احتلال مكة حتى بعد هروب الوالي العباسي ، خوفاً من وجود مقاومة مؤيدة للعباسيين حتى اكد له بعض الشيعة العلوية من خلو المدينة من الانصار العباسيين فدخل مكة في يوم عرفة . وبهذه الطريقة اخذ العلويون المدينة ومكة .

ولعل ابرز ما يلاحظه المؤرخ هو قلة حماس عامة الناس وعدم مبالاتهم واكثراتهم للاحداث التي تجري امام اعينهم من نزاع على السلطة بين العلويين والعباسيين . وربما كان سبب ذلك ملل الناس من الاضطراب السياسي ونزوعهم نحو الاستقرار مما اضعف ذلك الحماس الذي كنا نعهد لاهل البيت سواء كانوا علويين او عباسيين ، بل ان الناس كانوا مستعدين لطاعة الاقوى من الفرعين الهاشميين دون ان يضحوا بانفسهم في سبيل اي منهم .

لقد سيطر الحسين بن الافطس على الحجاج باسم ابي السرايا وازال كسوة الكعبة العباسية ووضع بدلها علمين من الحرير الاول ابيض والثاني اسود ارسلهما ابو السرايا وكتب عليهما « امر به الاصفر بن الاصفر ابو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام وان يطرح عنه كسوة

الظلمة من ولد العباس ليظهر من كسوتهم وكتب في سنة تسع وتسعين ومئة^(١٤) . وقد اعقب ذلك عمليات مصادرة ونهب لممتلكات العباسيين واتباعهم في الحجاز التي رافقتها كثير من التجاوزات والاطغاء .

وحين وصلت اخبار فشل ثورة الكوفة ومقتل ابي السرايا كان علي الحسين بن الافطس من اجل ان يبقى على سلطته في الحجاز تمين شخصية علوية محترمة لرعاية الحركة معنوياً على الاقل ولم يكن هناك من يتمتع باحترام الناس وعطفهم في مكة اكثر من محمد بن جعفر الصادق الملقب (بالديباج) وكان شخصاً متواضعاً مسالماً وكبيراً في السن برز في رواية الحديث ولم يكن له ولع بالسياسة ولذلك تردد اول الامر بقبول الشيعة ثم وافق واتخذ لقب امير المؤمنين في السادس من ربيع الثاني سنة ٢٠٠ هـ^(١٥) .

والمعروف ان محمد الديباج كان يعتبر من اولاد جعفر الصادق البارزين حيث انقسمت شيعة الصادق بعد وفاته الى جماعة ايدت اسماعيل وابنه محمد وجماعة ايدت موسى الكاظم واخرى ايدت عبدالله الاطمح ورابعة ايدت محمد الديباج ولم تكن الصلة بينهم طيبة . ومهما يكن من امر فأن دور محمد الديباج في ثورة الحجاز بقي ثانوياً ومعنوياً وبقي قائد الحركة الحسينية الافطس وكذلك ابنه علي بن محمد الذي كان غير محمود السيرة مما سبب تدمراً واضطراباً بين الناس في مكة ، وعجلت بنهاية الثورة وعودة الحجاز الى المأمون .

ثورة العلويين في اليمن :

كان ابو السرايا قد ارسل الى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ليستولي عليها بأسم الامام ابن طباطبا . واستطاع ابراهيم بن موسى ان يسيطر على اليمن بسهولة ذلك لان واليها العباسي اسحق بن موسى اخلى صنعاء مع جنده قبل وصول ابراهيم بن موسى بمجرد سماعه بنياً اقتراب الثوار العلويين وبهذا قلد اسحق اجراءات خاله والي مكة الذي

السحب منها ايضاً دون ان يشتبك مع العلويين الذين زاد عددهم بانضمام البدو اليهم^(٢٦) .

وفي طريقة الى العراق قابل الجند العباسي بقيادة عيسى بن يزيد الجلودي ومساعدة ورقة ابن جميل القادمين الى مكة ، والظاهر ان اسحق بن موسى اقع او اجبر على مصاحبة الجيش الى الحجاز وبعد معركة عنيفة في بئر ميمون اندحر الشيعة العلوية وطلبوا الامان حيث تدخل عدد من القرشيين بينهم قاضي مكة واقمعوا الجلودي بمنح الامان للمتمردين . والواقع فأتنا لا نعلم شيئاً عن مصير الحسين الافطس اما الشيخ الطاعن في السن محمد بن جعفر فقد هرب وتعب من تجواله في البادية حتى حان وقت الحج فتقرب نحو مكة آملاً في استرجاع سلطته ولكنه لم يفلح فطلب الامان من الجلودي ورجاء بن ابي الضحك والي مكة فأعطى الامان بشرط ان يقف في الكعبة وفي نفس المكان الذي اعلن نفسه امير المؤمنين ويتنازل عن البيعة ويعلن ولائه للمأمون وعهده بالا يعود الى طلب السلطة والعمل من اجلها ثانية . وقد ارسل الى العراق ومن هناك الى مرو^(٢٧) .

اما في اليمن فنحن لا نعرف الشيء الكثير عن حكم ابراهيم بن موسى وادارته لهذا الاقليم ، ولكن بعض الروايات تشير الى اتباعه سياسة مالية شديدة تضمنت مصادرة الممتلكات الخاصة وقتل المعارضين . مما دفع خصومه الى تلقيبه « بالجزار »^(٢٨) . ومهما يكن من امر فأن ابراهيم بسط سيطرته على الاقليم لاكثر من سنة .

ورغم ان السيطرة العلوية في العراق والحجاز قد انتهت فأن ابراهيم قاوم في اليمن ، بل اكثر من ذلك ارسل من يؤم الناس للحج بأسم الامام بحيث عين لهذا الغرض احد ابناء عقيل بن ابي طالب المقيمين في اليمن . وفي طريق الحج كمن الطالبي امير قافلة الحج اليمانية لقافلة الحج العباسية التي كانت بقيادة اخي الخليفة ونهبها وسلب كسوة الكعبة . ولكن الجلودي قائد جند مكة لم يمهل الطالبي واتباعه بل حاصرهم واستعاد الاسلاب والكسوة وضربهم بالسياط بسبب فعلتهم^(٢٩) .

ثم ارسل الحسن بن سهل والي العراق حمدويه بن علي بن عيسى
بن ماهان اميراً على اليمن فأتصر على ابراهيم بن موسى الذي انسحب نحو
صعدة فلقى مقاومة ولكنه فتحها ونهبها وخرب سد الخندق^(٣٠) . وسار
نحو مكة فواجهته قوة عباسية اتصر عليها واحتل مكة . وهكذا عادت مكة
تحت سلطة العلويين . وفي هذه الفترة عين المأمون علي الرضا ولياً للعهد
واعترف كذلك بشرعية ولاية ابراهيم لمكة بل اعطاه امانة الحج . ويشير
المسعودي^(٣١) ان اعطاء هذا الامتياز لعلوي كان يحدث لأول مرة في تاريخ
الاسلام . ثم ان المأمون عين ابراهيم والياً على اليمن كذلك وأمر الجلودي
بمساعدة ابراهيم لاسترداد اليمن من ابن ماهان ولكن الجلودي ماطل
وتعذر ولم يذهب . واندحر ابراهيم امام ابن ماهان ورجع الى مكة .
وعندئذ اعلن ابن ماهان استقلاله في اليمن عن السلطة المركزية استياءً من
سياسة المأمون الموالية للعلويين : في نفس الوقت الذي تارت فيه العراق
ضد هذه السياسة . وقد واجه ابن ماهان ثورتين قويتين الاولى علوية
في تهامة دبرها اتباع ابراهيم والثانية ثورة قبلية في زبيد قامت بها قبيلتنا
عك واشعر ، وقد اضعف ذلك من سيطرته حيث استطاع الجلودي
بالقضاء عليه وانهزم ابن ماهان بملابس النساء ولكنه قبض عليه فسي
صنعا . وحينئذ عين المأمون باقتراح من وزيره الفضل بن سهل محمد
بن زياد المعروف بارائه المعارضة للعلويين سنة ٢٠٣ هـ / سنة ٨١٩ م^(٣٢)
لما ابراهيم بن موسى فقد ترك مكة الى العاصمة مرو حيث طلبه المأمون .

الخاتمة :

ان التمعن في الثورات العلوية في عهد المأمون يدرك بان العلاقات
العباسية - العلوية لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل المأمون . ورغم
ان المأمون كان ميالاً للعلويين عطفاً ومدركاً لتضيتهم ولكنه لن يسمح
لهم بتجريدته من السلطة او باقتطاع اجزاء من الدولة وحكمها بأنفسهم ،
ولذلك كان يواجه حركاتهم الثورية بقوة السلاح .

ورغم اختلاف المؤرخين في تصوير ثورة ابي السرايا حيث اعطاه الطبري

شخصية فارس طموح ومغامر بينما استبغ عليه الاصفهاني صفة بطل شيمي علوي ، فاننا نقول بان ثورته كانت من اخطر الثورات العلوية في عهد المأمون . ذلك لان هذه الثورة كانت وليدة عوامل كثيرة وليس الولاء العلوي فقط . فهي كما بينا عبرت عن سخط اهل العراق ضد سياسة المأمون الخراسانية وسخط القبائل العربية في الكوفة خاصة والعراق عامة على سياسة الفضل بن سهل واخيه الفارسية واستبداده برأيه ثم ملل الناس من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي . كل هذه العوامل انتجت ثورة ابي السرايا ولذلك وكما يؤكد البروفسور الايطالي كبريالي^(٣٣) ويؤيده الاستاذ الدكتور الدوري « بان ثورة ابي السرايا كانت ثورة عربية عراقية صرفة وانها كانت حركة عامة لكل القوات العلوية في العراق وهذا يؤكد بان الشيعة كانت اتشد عربية وان الثورة هذه هي ثورة عربية ضد بني العباس »^(٣٤) .

لقد كان ابو السرايا كغيره من الفرسان العرب في هذه الفترة مشبعاً بالروح العربية ولذلك فكان يقول عن نفسه « انا اسد بني شيبان » ويسمى اعدائه « بالاعاجم » . على ان الصورة التي يعطيها له الاصفهاني في (المقاتل) صورة لاتخلو من مبالغة ونصيب من الخيال والمثالية الدينية خاصة وان الاصفهاني يعترف بانه بذل جهداً في اختيار الروايات عن هذه الثورة وتفتيح الصحيح من الموضوع .»

وبعد كل ذلك فان ثورة ابي السرايا ستبقى كنورة المختار الثقفي لغزا في اهدافها وطبيعتها فمن الصعب على المؤرخ ان يحكم على هدف ابي السرايا ومدى ولائه لاهل البيت وطموحه للسلطة . ولكن هذه الثورة كانت دون شك تجمعا عاما للشيعة العلوية في العراق الطموح الثائر والمتذمر على المأمون الذي كاد ان يفقده مركزه الاول في الدولة . وقد وجدت هذه الحركة في ابي السرايا اوقاليته السياسية وقدرته العسكرية الفذة خير زعيم وممثل الذي كان موته نذيراً بموت المعارضة العلوية في الاقاليم الاخرى حيث لم يخلفه من يتمتع بمثل حنكته وبراعته .»

وقبل ان نختم كلامنا يجب ان نسجل للمأمون مروته واعتداله
في معاملته للتوار العلويين فنحن لايمكن أن نقرنه بالمنصور او الرشيد
من هذه الناحية حيث تميزت سياستهما بالشدة والقتل والتهجير والاضطهاد
ورددود فعل عنيفة تجاه التوار العلويين • ولعل ذلك يعود الى ان الدولة
كانت في بدايتها ودور تأسيسها على عهد المنصور اما في عهد المأمون فقد
تبدل الحال وتثبت الاركان • ولسنا هنا في معرض تبرير سياسة المنصور
ولكننا نقول بان اعتدال المأمون وتساهله مع العلويين يظهر ليس في معاملته
للتوار فحسب بل في بيعته لعلي الرضا بولاية العهد تلك البيعة التي
حدثت في يوم الاثنين السابع من رمضان سنة ٢٠١ هـ •
على ان الكلام عن البيعة وطبيعتها لايدخل في بحثنا هذا •• بل
سيكون له تحقيق خاص به في مجال آخر •

الحواشي :-

- (١) انظر عن طبيعة الثورة العباسية . . . الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالانكليزية) ١٣٢ هـ - ١٧٠ هـ بغداد ١٩٦٩
الدكتور فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ - ١٣٢ هـ بيروت ١٩٧٠ .
- (٢) الدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل الجزء الاول ، بيروت ١٩٧٠ . الفصل الثالث .
- الدكتور فاروق عمر ، الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية ، مجلة العرب ، الرياض ، ١٩٧٠ .
- (٣) الطبري تاريخ الرسل . . . طبعة دار المعارف ١٩٦٦ ج ٨ - ص ٥٢٨ فيما بعد .
- (٤) OP. cit. انظر كذلك ،
F. Gabrieli, al - Ma'mun..... Leipzig, 1929
- (٥) عن هذه الثورة انظر . . . ولها وزن الخسارح والتشيعة ترجمة عبدالرحمن بدوى مصر ١٩٥٨ .
- محمد جابر الحبيبي حركات الشيعة المتطرفين القاهرة ١٩٦٧ .
S. Moscati, Per Una Storia dela Antica Si'a R. S. O. 1955.
M. Watt Shi'ism under the Umayyads J. R. A. S, 1960.
W. Ivanaw Early shi'ite Movements J. B. R. A. S., 17, 1941.
- K. A. Fariq-The Story of an Arob diplomat, 1966-.
- علي حسني الخربوطاي ، المختار النقفى (سلسلة اعلام العرب) ، القاهرة .
- (٦) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ١٧٧ فما بعد .
- (٧) يقول الاصفهاني عن الجزيرة . . . « وهذا البلد جميعا اعداء لآل ابي طالب » .
- (٨) انظر الطبري III ص ٩٧٦ . . . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢١٢ . انظر كذلك نعيمة الشكرجي ، ثورة ابي السرايا ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧١ .
- (٩) لا يمكن التاكيد الى اى مدى كان مخلصا في ميوله العلوية الا ان الاصفهاني يشير الى انه « كان علوى الرأى ذا مذهب في التشيع » ، مقاتل . . ص ١٧٨ .
- (١٠) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ - الطبري III . ص ٩٧٦ ،

٩٨٦ . الازدي ، تاريخ الموصل ص ٣٣٤ خليفة بن خياط ، تاريخ ،

ج ٢ ص ٥٠٦ .

F. Gabrieli, al-Ma'mun E Ghi Alidi Lepizig, 1929, P. 14.

(١١) يقول الاصفهاني « خرج مع ابي السرايا اكثر اهل الكوفة الا من

لا فضل له ولا غنى » . مقاتل ص ١٨٠ . انظر كذلك الطبري III

ص ٩٧٦ فما بعد ٠٠٠ العيون والحدائق ص ٣٤٥ فما بعد .

(١٢) انظر مقاتل الطالبين ص ١٨٣ ، حيث يشير اليه اثناء الحوادث

« بأنه عليل يجود بنفسه » وانه اختار خليفته قائلاً « فان رضيتم به

فهو الرضي والا فاختراروا لانفسكم » . انظر كذلك الازدي ص ٣٣٥

(١٣) الطبري III ، ٩٧٩ . مقاتل ص ١٨٤ .

(١٤) عن هذه الاحداث انظر الطبري ص ٩٨٠ فما بعد . ابن الاثير ج ٦

ص ٢١٣ فما بعد . العيون والحدائق ص ٣٤٥ فما بعد . مقاتل ص ٠٠٠

ص ١٨٥ فيما بعد . - جبريالي ، المأمون والعلويين ، ليبرك ١٩٢٩

(بالاطالية) .

(١٥) قال هرثمة قولته المشهورة « نوطيء نحن الخلافة ونمهد لهم اكنافها

ثم يستبدون بالامور ويستأثرون بالناس علينا فاذا انفتق عليهم فتق

بسوء تدبيرهم واضاعتهم الامور ارادوا أن يصلحوه بنا لا والله

ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء اثارهم وقبح افعالهم » .

(١٦) قائلاً « فعل الله بالحسن بن سهل وصنع فانه عرض هذه الدوالة

للذهاب وفسد ما صلح منها » . انظر مقاتل ص ١٨٤ - ١٨٥ . البلعمي ،

تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٠٠ .

(١٧) الطبري ص ٩٨١ - ابن الاثير ج ٦ ص ٢١٥ . العيون والحدائق

ص ٣٤٧ . خليفة بن خياط تاريخ ج ٢ ص ٥٠٨ .

(١٨) مقاتل ص ١٨٨ .

(١٩) على ان جماعة قليلة من الكوفيين استمرت مخلصه له حيث يشمير

الاصفهاني « فقام اليه جماعة من اهل الكوفة وقالوا ما انصفتنا من

قولك ما اقدمت واحجمنا ولا كررت وفررنا ولا وفيت وغدرنا والقصد

صبرنا تحت ركابك وثبتنا مع لوائك حتى افنتنا الوقائع واحناحيننا

ما بعد فعلنا الا الموت فأمدد يدك نبايعك على الموت فوالله لانرجع

حتى يفتح الله علينا او يقضي قضاءه فاعرض عنهم ٠٠٠ » .

(٢٠) البلعمي ، المصدر السابق ص ٥٠٢ - اليعقوبي ج ٢ ص ٥٤٣ -

حيث قال المأمون له « لا خوف عليك لعن الله من غرك » . قارن

مقاتل ص ١٩٠ .

(٢١) الطبري ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٦ ، ج ٨ ص ٥٣٥ .

- (٢٢) الطبري ، طبعة لندن ، III ص ٨٦٠ - ٨٦٤ - ابن الاثير
الكامل في التاريخ ج٦ ص ٢١٤ . خليفة بن خياط ، تاريخ ج ٢
ص ٥٠٧ .
- (٢٣) الطبري III ص ٩٨٢ فما بعد
- (٢٤) المصدر السابق ، ص ٩٨٨ .
- (٢٥) مقاتل ٠٠ ص ١٨٥ - ١٨٦ . الطبري III ص ٩٩٠ - المسعودي
مروج ج٧ ص ٥٧ - ابن الاثير ج٦ ص ٢١٩ .
- (٢٦) الطبري III ص ٩٨٧ فما بعد - الفاسي ، تاريخ مدينة مكة ،
ص ١٨٩ .
- (٢٧) مقاتل ٠٠ ص ١٨٦ - الطبري III ص ٩٩٢ - ٩٩٣ . **العيون
والحدائق** ص ٣٤٨ .
- (٢٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة (ابو السرايا) - الطبري III
ص ٩٨٨ . ادريس .
كنز الاخبار في معرفة السير والخبار (مخطوطة في المتحف
البريطاني لندن) رقم 4581 or . والمعروف أن المؤلف شيعي
في ميوله . - حسين بن احمد العرشي ، **بلوغ المرام** ، القاهرة
١٩٣٩ .
- (٢٩) الطبري ، III ص ٩٩٥ - ٩٩٦ . ابن الديبع ، **قرة العيسون** ،
مخطوطة في المتحف البريطاني ، حيث يشير المؤلف انه اعتمد على
كتاب المسجد المسبوك للخزرجي or. 3022 ام or 25, 111
(٣٠) اليعقوبي ، **تاريخ** ج٢ ص ٥٤٤ - ادريس ، **مخطوطة كنز الاخبار** .
- الهمداني الاكليل ، ج٨ ص ١١٥ . - الخزرجي ، **الكفاية والائام**
٠٠٠ ، مخطوطة في المتحف البريطاني ، or. 6941 .
- (٣١) المسعودي ، **مروج** ٠٠ ، ج٩ ص ٦٩ .
- (٣٢) انظر ، Geddes, The Ya'farid dynasty in the Yemen,
Ph. D. Thesis London Univesity. -- H. C. Kay, Yaman, its
early Muslim History, London 1892.
- F. Gabrieli al - Ma'mun E Gli Alidi, Leipzig. (٣٣)
1929 P. 24.
- (٣٤) الدكتور عبدالعزيز الدوري ، **العصر العباسي الاول** ، بغداد ١٩٤٤
ص ٢٠٥ .

مكتبات وادي الرافدين

بقلم فؤاد يوسف قزانجي
المشرف على فرع المكتبات - الجامعة المستنصرية

من المرجح ، انه حتى ازدهار حضارة وادي الرافدين في حكومات المدن في السهول الجنوبية من العراق (٣٤٠٠-٢٣٥٧ ق م) لم توجد مكتبة يمكن مقارنتها بالمفهوم الحديث للمكتبة ، وخصوصا ما يدخل في حيز التنظيم والتصنيف (١) الخ . وهذا لا يعني ان مدن سومر واككد لم تكن تحوي حجرات للمحفوظات او دورا للسجلات تحفظ فيها تراث السلف . وكحقيقة ملموسة ، كانت معظم المعابد القديمة تضم حجرات ملحقة بها مليئة بالرقم الطينية ، مما حدا ببعض المؤرخين الى القول ان بداية ظهور فكرة الحفظ تعود الى ما قبل التاريخ ، ذلك اذا اخذنا بعين الاعتبار ، ما جمعه الانسان القديم من الاحجار والجلود المرسومة (٢) وان فكرة جمع هذه المجموعة المصورة تبدو غير مستحيلة ، الا انه من الصعب تصورها بشكل فني منظم .

ليس من الصعب جدا ، تصور السومريين بانهم اول من جمع المحفوظات والسجلات الخاصة بهم ما دام المصريون ، كما تأكد مؤخرا ، قد استماروا فكرة الكتابة من وادي الرافدين ، كما يبدو من العقول ، التصور بان فكرة حفظ السجلات والوثائق قد استعاروها ايضا ، من السومريين .

من المرجح ايضا ، أن اول ما يمكن تسميته بالمكتبة ، هو ما اكتشف في المعبد الرئيسي بمدينة لكهنو (٣٢٠٠-٢٧٥٠ ق م) والتي يدعوهـا بعض المؤرخين تلوه . وليسوء الحظ ان السجلات وجدت في خزانة المعبد

لم تكتشف خلال تنقيبات منظمة مثل تلك التي قام بها السويدي سارزك ، بل وجدت صدفة في أثناء حفريات الأعراب الذين باعوها إلى هواة الآثار الغربيين بأبخس الأثمان . لذلك تفرقت معظم محتوياتها التي وجدت ، في متاحف العالم وضاع أو تلف القسم الآخر .

وفي مسدن مثل اور وسيار ونيور (نسر) اوروك وغيرها ، وجدت في معابدها الضخمة حجرات لحفظ الرقم الطينية ، وكان الناسخون يسجلون الأحداث التاريخية وإخبار الآلهة وأسبابها والأساطير والملاحم الشعرية وكذلك التراكيب الطيبة ووصفات السحر وغيرها . إضافة إلى ذلك ، فقد وجد لدى السومريين نظام مدرسي متقدم ، يتضمن الاستفادة من خزائن الكتب الملحقة بالمدرسة لدعم الموضوعات التي تتضمنها الدراسة .

ولعل ، معظم المكتبات السومرية وكذلك البابلية والآشورية ، كانت دوراً للمخطوطات والسجلات (Archives) أو مكتبات مدرسية . وقد تطورت المكتبة البابلية والآشورية ، فيما بعد ، متبعة مثال دور السجلات السومرية .

ويصعب القول بوجود مكتبات عامة حتى زمن الإمبراطورية الآشورية الأخيرة في نينوى فالمكتبة الآشورية النفيسة في نينوى تمتد أصولها إلى عهد سنحاريب . كما أن اسرحدون قد أضاف إلى محتوياتها رقما تمثل الثقافات القديمة وخصوصاً الآشورية منها ، إلا أن آشوربانيبال ، الملك المحارب المثقف ، قد عززها وخصص لها جناحاً ضخماً من قصره الفخيم ، وبعث بالرسائل للبحث عن الوثائق والسجلات وأداب الثقافات التي سبقت عهده .

وقد استعملت في وادي الرافدين الألواح الطينية كمادة أساسية للكتابة عابها وكانت تلك الألواح تعمل من الطين النقي المزوج بالماء ، بعد أن تزال عنه الشوائب كالقش وبقايا أوراق الأشجار ، وبعد مسده .

يوضع على شكل قوالب ، ثم يجفف قليلاً ، أما الرموز الكتابية ، فكانت ترسم بشكل خدوش على تلك الألواح بأزميل يخط خطوطاً أسفينية تسمى باللاتينية بالمسمارية (Cuneiform) (٧)

وكانت الرقم الطينية ترتب في المكتبة ، موضوعياً ، في الغالب ، مع رقعة لكل لوح ورقم السلسلة واسم النسخ ، وأحياناً يضيف قيم المكتبة ، نظراً لشدة اهتمامه بالمحافظة على تلك الرقم ، بعض اللغات على مسن يتأخر في إعادة الرقم المعارة (٨) . وقد وجدت بعض الرقم الطينية ، في عدد من مكتبات وادي الرافدين ، مرتبة حسب أحجامها ، وكانت الصغيرة منها ، توضع في قوادرير أو جرار كبيرة .

ويبدو ان المكتبي في العراق القديم ، قد اوجد طريقة اكتشافها بنفسه للتصنيف ، والتي يمكن مقارنتها ، في العديد من الأوجه ، بالطرق المستعملة في عصرنا الحاضر ، فالكثير من الأعمال الأدبية والتراث ، ولا سيما المطولة منها ، قد كتب في اعلى كل منها فحوى لمحتوياتها . وبهذا يكون قد ساهم في تنظيم الرقم على رفوفها المعينة (٩) .

كان الأساس في تسليم النسخ ، هو الاعتماد على مألديه من فهم واسع للموضوعات التي يتناولها الناس في كتاباتهم ، وكذلك على الملمه باللغات المعروفة . أما الترجمة ، الواسطة الخلافة لنقل الموضوعات فقد ارتكزت على احاطة النسخ بالموضوعات التي تضمنتها الأدبيات القديمة . وكان النسخ ، في الغالب متخرجاً من مدرسة للناسخين ، ومتدرجاً على انواع الكتابات التجارية والأدبية لبضع سنوات ، ومطلعا على جميع نماذج السجلات التي تحفظ في المعابد والقصور ، وملما بصناعة الخازن للرقم .

وفي مكتبات المعابد تلك ، كان القيم على الألواح كاهناً ذا مرتبة عالية . أما مكتبات القصور فكان القيم شخصاً معروفاً بعلمه في الغالب ، ويختار من ابناء العائلات النبيلة ذات الثقافة والالمام بتراث السلف . أما الرقم فترتب بشكل متناسق ليسهل استعمالها من قبل النسخ . وقد يشرف الملك بنفسه على أعمال القيم او النساخ الذين يعملون معه ، وعلى اختيار

وحكايات دينية وميثولوجية وعلى عقود قانونية وتجارية وكذلك اوامير
الحكام والملوك ... الخ ومن اشهر دور السجلات التي لم نأت على
ذكرها هي :-

- ١ - مكتبة الملك دنكي او بالاحرى شلكي (حديثا تدعى دريهم)
٢١٥٠ - ٢١٠٠ ق.م تقريبا *
- ٢ - مكتبة ادب (حديثا تدعى بسمايا) ٢٤٠٠ ق.م تقريبا *
- ٣ - مكتبة كيش (حديثا تدعى تل الاحيمر) ٢٠٠٠ ق.م تقريبا
- ٤ - مكتبة نوزي (٣٠٠٠ ق.م تقريبا) *
- ٥ - مكتبة مدينة اشور (١٥٠٠ - ١٣٠٠ ق.م)
- ٦ - مكتبة في اطلال الجمجمة (حديثا) ٦٠٤ - ٥٦١ ق.م *
- ٧ - مكتبة اريك او اروك (حديثا تدعى الوركاء) ٣٠٠ - ٢٠٠ ق.م

ثبت بالمصادر والمراجع

- ١- ان التواريخ المستعملة في هذه المقالة معتمدة على كتاب « العراق القديم » لجورج روا (لندن ١٩٦٦).
- ٢- ريجاردسون ، ارنست . بداية المكتبات : نيويورك ، سكرينر ، ١٩١٦ ، (ص ٥٣ بالانكليزية) .
- ٣- ماكمرتي ، دوكلاس . الكتاب او تاريخ الطباعة وصناعة الكتب . لندن . مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٦ ، ص (١٠ ص) بالانكليزية .
- ٤- اوبنهايم ، اي . ليو . بلاد الرافدين القديمة . شيكاغو ، جامعة شيكاغو ، ١٩٤٤ ، ٤٣٣ ص (ص ٢٣١) بالانكليزية .
- ٥- كيسرا ، ادورد . كتبوا على الطين . شيكاغو ، جامعة شيكاغو ، ١٩٥١ ، ٤٣٣ ص (ص ٥٢) بالانكليزية .
- ٦- اوبنهايم ، اي . بلاد الرافدين القديمة المصدر السابق (ص ٢٤١ - ٢٥٠) .
- ٧- ريجاردسون ، ارنست . مكتبات عهد الكتاب المقدس . برنستون جامعة برنستون ، ١٩١٤ ، ١٦٧ ص (ص ٤٥) بالانكليزية .
- ٨- عواد ، كوركيس . خزائن الكتب القديمة في العراق . بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ ، ٣٤٦ ص (ص ٦٢ - ٦٥) .
- ٩- بيترز ، جون . بي . نفر ، او مكتشفات ومغامرات على الفرات . جزهان . نيويورك برتسام ، ١٨٩٩ ، (ص ١٩٢ - ٢٠٤) ج ٢ ، ١٩٠٤ بالانكليزية .
- ١٠- بشنل ، جورج . اقليم المكتبات في العالم . لندن ، كرافين ، ١٩٣١ ، ٥٨ ص (ص ٢٩ - ٥٠) بالانكليزية .
- ١١- كريم ، صامويل . من الرقم الطينية السومرية . انديان هلز ، مطبعة فالكون ، ١٩٥٦ ، ٢٩٣ ص (ص ٢٥٤ - ٢٦٢) ، بالانكليزية .
- ١٢- سافج ، ارنست . قصة المكتبات وجمع الكتب . نيويورك ، دتون ، ٢٣٠٩ ص (ص ٢) بالانكليزية .

- ١٣ - يشنل ، جي . اقدم المكتبات في العالم المصدر السابق . (ص ١٦) .
- ١٤ - ريجارسون ، اى . مكتبات عهد الكتاب المقدس . المصدر السابق . ص ٤٣ - ٥٥ .
- ١٥ - بيترز ، جي . نفوس . المصدر السابق (ص ٢٩٤ - ٢٩٥) . ج ١٢ .
- ١٦ - ليارد ، اوستن هنرى . نينوى واثارها . جزءان . نيويورك . بنتام ، ١٨٤٩ (ص ٣١-٣٥) . ج ١ بالانكليزية .
- ١٧ - ليارد ، اى . اج . اكتشافات في اثار نينوى وبابل . جزءان . لندن ، جون مري ، ١٨٥٣ (ص ٣٤٢ - ٣٤٥) . ج ٢ بالانكليزية .
- ١٨ - يشنل ، جي . اقدم المكتبات في العالم . المصدر السابق (ص ١٤) .

المُلُومُ الصِّفَتِ

المناخ وحياة الإنسان

الدكتور سعيد خضر حسين
استاذ مشارك

١ تأثيرات المناخ على الحياة

تعتمد طاقة الانسان وصحته على التأثير المباشر للجو المحيط به .
فقد يكون الاخير محفزا للعمل والانتاج وقد يكون مخفضا للقدره من
الناحيتين العمليه والعقلية . فالمناخ اذا كان شديد الحرارة أو الباردة
يجعل الجسم يبذل مجهودا لتكييف نفسه وفقا لذلك . ففي المناطق الواقعة
على خطوط عرض عالية من الارض تكون الفترة بين تموز وايلول هي
الاكثر ملائمة للانسان وفيها يكثر انتاجه . اما في المناطق المعتدلة فيكون
الربيع والخريف أحسن اوقات العمل وفيها تحسن الصحة ايضا .

٢ - المأوى والمحيط :

يتكون المحيط الطبيعي من عوامل عديدة مرتبطة ببعضها ، مثل الضوء
والصوت والحرارة والرطوبة وسرعة حركة الهواء - كلها تعمل في طبيعة
الانسان وسلوكه ومقدار انتاجه . ويهدف الانسان دائما الى بذل اقل
جهد لكي يكيف نفسه الى العيش في محيطه . وتعرف الشروط التي يفلح
في توفيرها لنفسه « بمنطقة الراحة Comfort zone » التي اذا وجدت
عندئذ يصبح مايبذله من طاقة لتكييف نفسه للمحيط اقل مايمكن .
يعتبر المأوى الوسيلة الرئيسية لتحقيق شروط الراحة . فالمأوى
تحويل للمحيط الطبيعي بحيث يصبح متصفا باحسن الصفات التي تناسب
الحياة . وفيه يتم تعديل درجة الحرارة والرطوبة وسرعة حركة الهواء
وكمية الاشعة الشمسية بما ينسجم وحاجة الانسان اليها .

٣ - منطقة الراحة :

يعتبر البعض درجة الحرارة المناسبة هي وسطا بين اعلى درجة حرارية يتحملها الانسان (الدرجة التي عندها يقترب من الاصابة بضربة الشمس) ودرجة التجمد . ويعتبرها البعض الاخر وسطا بين اوطأ درجة يتحملها والدرجة التي فيها يبدأ جسمه بافراز العرق لكي يقوم بتعديل كمية الحرارة بين جسمه والمحيط .

ان مؤسسة البحث العلمي والصناعي البريطانية قد اجرت عمدة تجارب وتوصلت الى تحديد شروط الراحة بالمنطقة التي فيها سرعة الهواء حوالى ٥٠ قدم في الدقيقة ودرجة حرارتها تتراوح بين ٧٤ - ٨٥ ° ف ورطوبة نسبية من ٣٠٪ الى ٧٠٪ وذلك في المناطق الحارة من الكسرة الارضية .

خريطة المناخ الحياتية :

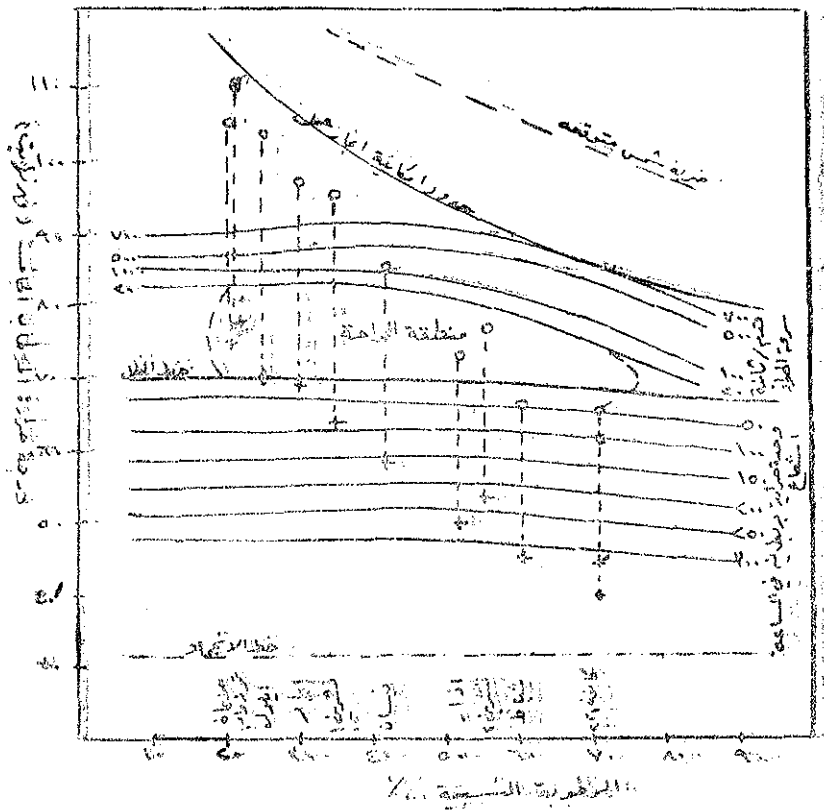
وضعت هذه الخريطة لتحديد منطقة الراحة في مدينة بغداد بالنسبة للعوامل التي سبق ذكرها . لقد اتخذت درجات الحرارة كمحور صادات والرطوبة النسبية كمحور سينات . ان المعلومات هذه استخلصت من النشرة ١٤ الصادرة عن مديرية الانواء الجوية - بغداد ١٩٦٥ . فقد وضعت على الخريطة العلامات (٥) لتمثل معدل درجات الحرارة العظمى و (+) لتمثل معدل درجات الحرارة الصغرى لكل شهر من أشهر السنة . اما موضع رسم الشهر فهو بما يناسب معدل الرطوبة النسبية فيه .

لقد وصل بين درجتى الحرارة سالفتي الذكر بمستقيم متقطع . ان جزء هذا المستقيم الواقع ضمن منطقة الراحة يعنى شعور الانسان بالراحة في الظل خلال تلك الفترة من الشهر . اما وسيلة التسخين او التبريد فتحاج اليها خلال الفترة المتمثلة بجزء المستقيم الواقع اسفل أو اعلى منطقة الراحة على الترتيب . اعلى خط الظل نحتاج الى حجب الطاقة الشمسية وأسفل خط الظل نحتاج الى التسخين دائما . فمثلا في درجة

٧٥٠ ف ورطوبة نسبية ٥٠٪ لانحتاج الى تعديل شروط المناخ فان المنطقة على الخارطة التي تمثل يهدين الاحداثين تقع ضمن منطقة الراحة .
 وفي درجة ٥٠ ف ورطوبة ٥٦٪ نحتاج الى ٢٦٠ وحدة حرارية بريطانية في الساعة من حرارة الشمس أو اي مصدر آخر للشعور بالراحة .

وفي درجة ٨٧ ف ورطوبة ٣٠ م نحتاج الى ربح سرعتها ٣٠٠ قدم في الثانية أو الى زيادة في بخار الماء الموجود في الجو لكي تشعر بالراحة .

خريطة المناخ الحياتية لمدن بغداد



معدل درجات الحرارة والرطوبة النسبية لمدينة بغداد

الشهر	درجة الحرارة (درجة ف)			الرطوبة النسبية %		
	معدل العظمى	معدل الصغرى	المعدل الحسابي	معدل العظمى	معدل الصغرى	المعدل الحسابي
كانون الثاني	٦١	٣٩	٥٠	٨٧	٥٠	٦٨.٥
شباط	٦٦	٤٣	٥٤.٥	٧٨	٤١	٥٩.٥
اذار	٧٣	٤٩	٦١	٧٤	٣٥	٥٤.٥
نيسان	٨٥	٥٨	٧١.٥	٦٨	٢٧	٤٧.٥
ايار	٩٨	٦٩	٨٣.٥	٤٦	١٨	٣٢
حزيران	١٠٦	٧٥	٩٠.٥	٣٤	١٣	٢٣.٥
تموز	١١٠	٧٨	٩٤	٣٢	١٢	٢٢
اب	١١١	٧٧	٩٤	٣٢	١٣	٢٢.٥
أيلول	١٠٤	٧٠	٨٧	٣٨	١٥	٢٦.٥
تشرين الاول	٩٥	٦٣	٧٩	٥٠	٢١	٣٥.٥
تشرين الثاني	٧٧	٥٢	٦٤.٥	٦٧	٣٩	٥٣
كانون الاول	٦٤	٤٢	٥٣	٨٩	٥١	٧٠

فيزياء البلازما

PLASMA PHYSICS

سهام قندلا
كلية العلوم جامعة بغداد

مقدمة

ان الغازات العالية التأين موصلات جيدة للكهربائية لان الدقائق المشحونة في مثل هذه الغازات تتحرك تحت تأثير المجال الكهرومغناطيسي الموضعي مولدة مجالا مغناطيسيا اضافة الى مجالها الكهربائي . فالغاز المتأين يعمل كأبي موصل آخر اذا ما سلط عليه مجال كهربائي لان الدقائق المشحونة في الغاز تتوزع بسرعة وبطريقة بحيث تحجب معظم الغاز من تأثير المجال ولقد اطلق لانكمور Langmuir على المنطقة التي تعادل فيها الشحنات الموجبة والسالبة بأسم البلازما Plasma ، كما أطلق على منطقة الشحنات او المناطق الشديدة المجال والتي تحيط بالبلازما بأسم الغلاف Sheath ، لذلك يمكن تعريف البلازما مبدئيا بانها غاز متأين يحتوي على عدد كبير من الدقائق المشحونة يقي نفسه بها من المجال الكهربائي الستاتيكي ضمن سمك وقائي ، على انا سنورد فيما بعد تعريفا ادق للبلازما بدلالة هذه المسافة الوقائية .

والفرق بين البلازما كموصل والموصل السائل ليس كبيرا ويمكن التعبير عنه بدلالة كثافة الدقائق المشحونة ففي الموصل السائل تكون الكثافة عادة من القدر 10^{22} دقيقة/سم³ على حين تكون الكثافة في البلازما من القدر 10^{18} او اقل ، لذا يمكن اعتبار البلازما موصل غازي .
هذا ولقد اعتبرت البلازما ذات التأين التام كحالة رابعة للمادة

plasma state fourth state of matter تدعى حالة البلازما

والتحول من الحالة الغازية الى الحالة البلازمية يقترن بصرف مقدار كبير من الطاقة أكبر من أية طاقة تقترن بالتحويلات الاخرى (كالتحول من الحالة الصلبة الى الحالة السائلة ومن الحالة السائلة الى الحالة الغازية) على الرغم من وجود التشابه بين هذا التحول والتحويلات الاخرى كما في الغاز المتأين جزئيا والذي يحدث في التفريغ الكهربائي في الفساروت فهو خليط من حالة غازية وحالة بلازمية وهو يناظر تماما خليط الحالة الغازية والحالة السائلة التي تحدث في ظواهر التصعيد والتكثف * والبلازما والموصوفة اعلاه يندر حصولها في الطبيعة فالبلازما الطبيعية (معظم مادة الكون في حالة البلازما مثلا جو الارض الايوني، الجو الغازي ما بين النجوم والكواكب ، جو الاشعة الكونية * * النخ) والبلازما الصناعية (المستحصلة مخبريا في اجهزة تفريغ الغازات ، الاقواس الكهربائية ، اجهزة التفاعلات النووية الحرارية * * النخ) تشذ عنها شذوذا سنوضحه فيما بعد .

كانت أهمية البلازما في البداية موجهة الى الناحية الالكترونية للغازات أي التفريغ الكهربائي خلال الغازات ، الاقواس Arcs والهباب Flames ولكن ظهرت لفيزياء البلازما مؤخرا تطبيقات جديدة كالنظرية الهيدوداينميكية المغناطيسية - أي ميكانيك الموامع للاوساط الموصلة تحت تأثير المجالات المغناطيسية القوية - ابرزت احتمال تحويل الطاقة الحرارية مباشرة الى طاقة كهربائية دون الحاجة الى استخدام المكائن الدوارة . وفي جو الارض تتحرك اجسام بسرعة كالشهب والنيازك والصواريخ ، التي تخلق جوا من البلازما يبدو انه سيفتح حقولا جديدة لها أهمية في علم الطيران والمواصلات . وفي فيزياء الفلك فان وجود البلازما يشكل قاعدة ضرورية لا في الفضاء ما بين النجوم والكواكب فحسب ولكن في فضاء الاشعة الكونية حيث تأخذ الظواهر الهيدوداينميكية المغناطيسية محلها فصواريخ البلازما Plasma Rockets تكفل بكفاءة تسير مركبات فسي

الفضاء .

ومن أهم البحوث في حقل فيزياء البلازما العمليات الحرارية النووية المسيطر عليها لأن أهم ما يتوجه إليه انتباه العلماء في الوقت الحاضر مصدر واسع للطاقة الرخيصة الديتريوم Deuterium . فالطاقة الحرارية النووية في كالون واحد من الماء الاعتيادي أكبر بثلاثمائة مرة من الطاقة الكيميائية التي يحتويها كالون واحد من الكازولين . ومفهوم البلازما مهم ومفيد ليس للغاز وحده وإنما في دراسة بعض خواص المواد الصلبة أيضا كما في البصريات المعدنية والرنين السايكلوتروني في شبه الموصلات .

دلائل البلازما (Plasma Parameters)

تتصف البلازما الموجودة في الطبيعة أو المستحصلة مخبريا بعدة دلائل قد تختلف بمقاديرها بمراتب ومنها :

١ - كثافة الإلكترون N التي تتراوح بين 10^{-6} لكل 1 سم^3 في وسط ما بين النجوم و 10 لكل 1 سم^3 في وسط كالذي بين السحب . أما في جو الأرض الأيوني فإن N تتراوح بين $10^3 - 10^6$ وفي أجهزة التفاعلات النووية الحرارية تبلغ ما يقارب 10^{10} وفي مختلف أجهزة التفريغ الكهربائي خلال الغازات تكون القيمة الطبيعية $N > 10^{10}$ وأخيرا فإن الإلكترونات التوصيل في المعادن تبلغ تقريبا 10^{23} وهي الكثافة التي تؤخذ بنظر الاعتبار عند تطبيق مفهوم البلازما في المعادن .

٢ - كثافة الدقائق المتعادلة Nm أو درجة التأين $R = \frac{Nm}{N}$

ففي جو الأرض الأيوني وفي الطبقة D السفلى $Nm \approx 10^{10}$ و $R \approx 10^{-10} - 10^{-11}$ ، وفي الطبقة E ، $Nm \approx 10^{11}$ و $R \approx 10^{-10}$ وفي الطبقة F ، $Nm \approx 10^{10}$ أو أقل و $R \approx 10^{-10}$ وفي طبقة الشمس فإن $Nm = \infty$ صفر أي أن $R = \infty$. أما في الأماكن الأخرى من الكون فإن Nm أحيانا أصغر بكثير من N ولكن الغالب في معظم

الاحيان هو أن $N \ll N_m$ ، أى ان الغاز متأين جزئيا .
 ٣ - كثافة الايونات الموجبة N_+ والسالبة N_- : اذا وجدت
 الايونات الموجبة في البلازما فقط فان كثافتها $N_+ = N_-$ في حالة التعادل ،
 اما بوجود الايونات السالبة فان $N_+ = N_- + N_s$ (ستعتبر جميع الايونات
 احادية الشحنة للسهولة) ولذا فان $\frac{N_-}{N_+}$ او $\frac{N_-}{N}$

يعتبر كبرامير للبلازما .

- ٤ - معدل الطريق الحر للدقائق : يتغير الطريق الحر للدقائق
 تبعاً لتغير كثافتها ، ومدى التغير مقارب لمدى تغير الكثافة .
 ٥ - درجة الحرارة : تقدر درجة الحرارة T للانواع المختلفة
 من البلازما بدرجات كلفن كما يلي : جو الارض الايوني m
 ٣٠٠ - ٣٠٠٠ ، الجو الغازي بين النجوم m ١٠٠ للمناطق الضعيفة
 التأيين و m ١٠ للمناطق الشديدة التأيين ، الطفاوة الشمسية m
 ١٠ ، الاجهزة المخبرية لدراسة التفاعلات النووية الحرارية m
 ١٠ - ١٠٠ .

طرق دراسة خواص البلازما

يدعى حقل دراسة تفاعل الغازات المتأينة مع المجال الكهرومغناطيسي
 المعتمد على الزمن بدائناميك البلازما ، ومعظم المسائل في هذا الحقل مهمة
 وشيقة لعدم امكان معاملتها بصيغ مرقبية ومن الضروري استخدام مايسمى
 بالنظرية الحركية حيث تدرس حركة الايونات والالكترونات بصورة مفردة
 ويؤخذ التصادم الحاصل بينها وبين الدقائق الاخرى بنظر الاعتبار عند
 حل معادلة بولتزمان . والمعادلات التي تصف مختلف الظواهر الحادثة
 في البلازما ليست خطية ، ولذا فانها معقدة وحلها صعب على العموم الا في
 الحالات التي يمكن فيها اهمال بعض الحدود في معادلة بولتزمان . وهناك
 ثلاثة طرائق تقريبية تلقي ضوء على ما يحدث في داخل البلازما .

اولى هذه الطرائق ، نظرية التوازن equilibrium theory

والتي تعتمد على كون التصادم بين الدقائق المشحونة كف لادامة ما هو معروف لتوزيع السرعة لماكسويل - بولتزمان للدقائق التي يحتويها جسم البلازما ، ولذا فالخواص الحركية يمكن حسابها بدلالة هذا التوزيع للسرعة .

اما الطريقة التقريبية الثانية فهي نظرية المدار orbit theory

والتي تفسر حركة الدقائق المشحونة (الايونات والالكترونات) في المجالات الكهربائية والمغناطيسية المعطاة ، وقد تكون هذه المجالات دالة لكل من الزمان والمكان .

ونظرية المدار تقرب جيد لحركة الدقائق داخل البلازما عندما لا يلعب التصادم بين الدقائق دورا هاما ، ولذا فانها تطبق للبلازما ذات الكثافة الواطئة حيث ان معدل الطريق الحر للتصادم كبير بالمقارنة بالابعاد المميزة للمدار ، فتحت هذه الظروف يمكن معاملة التأثيرات الناتجة عن التصادم كانهزافات على حركة الدقيقة وفي هذه الحالة يعتبر المجال المعطى هو المجال الخارجي والمجال الناتج عن حركة الدقائق المدارية .

ومن المفيد ان نذكر ان حل معادلات مدارات الدقائق لدراسة خواص البلازما مكافئ تماما لحل معادلة بولتزمان عند غض النظر عن التصادم وان هذا التكافؤ يدعى بنظرية جينز Jeans's theorem

والطريقة التقريبية الثالثة هي الصيغة الهيدرومغناطيسية Hydromagnetic formulation وتستخدم فيها المعادلات الكهرومغناطيسية الكلاسيكية (معادلات ماكسويل) مع المعادلات الكلاسيكية لحركة الموائع وهي طريقة مرقية وتصبح تقريبية جيدة عندما يكون معدل الطريق الحر للتصادم صغيرا جدا بالمقارنة بالمسافات ذات الاهمية الفيزيائية في جهاز البلازما ، والوصف الهيدرومغناطيسي يعمل كبداية جيدة لشرح الحركة الجماعية لدقائق البلازما - اى تنذب البلازما .

مع ان استخدام النظرية الحركية لحل مشاكل البلازما طريقة معقدة. الا ان الكثير من الخصائص المهمة للبلازما يمكن شرحها بواسطة الطرق التقريبية المذكورة اعلاه وفيما يلي تطبيق لكل منها *

التعادل الكهربائي في البلازما

من الخصائص المهمة في البلازما ميلها للبقاء متعادلة كهربائيا ، وهذا يعني ميل الشحنات الموجبة لمعادلة الشحنات السالبة في حجم كل حيز مرقي ، فالاختلال البسيط في كثافة فضاء الشحنات يؤدي الى نشوء قوة كهربائية ستاتيكية تعمل دوما في اتجاه اعادة التوازن . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فاذا وضعت البلازما تأثير مجال كهربائي خارجي فان الكثافة لفضاء الشحنات تنظم بشكل ما بحيث ان الجزء الاعظم من جسم البلازما يحجب عن المجال . ولناخذ مثلا بسيطا ونفرض ان شحنة اختبارية Q ادخلت الى جسم البلازما فاصبحت البلازما تحت تأثير مجال كهربائي وان المسألة غدت تعيين كيفية توزيع الشحنات وقيمة المجال في النقاط المجاورة للشحنة الاختبارية . فالتوقع هو ان شحنة الاختبار تجذب نحوها دقائق البلازما ذات الشحنة المخالفة وتبعد عنها الدقائق ذات الشحنة المماثلة وبهذه الطريقة يحجب المجال الكهربائي الناتج عن شحنة الاختبار عن الاجزاء الاخرى البعيدة في البلازما . وتحت ظروف التوازن فان احتمال وجود الدقائق المشحونة في موضع معين وبطاقة كامنة W تتناسب مع معامل

$$N \exp\left(-\frac{W}{KT}\right)$$

$$U = U_0 \exp\left(-\frac{qU}{KT}\right) \quad \text{بالعلاقة}$$

هو الجهد الموضعي ، U_0 الجهد الابتدائي (جهد البلازما) ، T درجة الحرارة المطلقة ، K ثابت بولتزمان N_0 كثافة الالكترونات في المواقع التي جهدها U_0 ، q شحنة الالكترون .

اما الجهد الموضعي فيستحصل من حل معادلة بواسون والحل المناسب

ذو المعنى الفيزيائي الذي يصبح فيه جهد القيم الكبيرة لـ r مساويا لـ U_0 يكون

$$U = U_0 + \frac{Q}{4\pi\epsilon_0 r} \exp\left(-\frac{r}{h}\right)$$

حيث ان r هي المسافة عن شحنة الاختبار q و l المسافة الوقائية لديباي Debye shielding distance والتي تعطى بالمعادلة

$$h = \left(\frac{\epsilon_0 k T}{2N_0 q^2} \right)^{\frac{1}{2}}$$

لذا نرى انه لمسافات صغيرة بالمقارنة بالمسافة

.. يكون الجهد بالقرب من شحنة الاختبار ناتجا عن مجالها الكولومبي وان هذا الجهد يضمحل كاضمحلال دالة قوى كلما اصبحت المسافة أكبر من مسافة ديبياي الوقائية ، اي ان الاخيرة تعمل كمسافة قطع لا يكون بعدها للمجال الناتج عن شحنة الاختبار تأثير يذكر على دقائق البلازما .
لذا يكون تنظيم الالكترونات والايونات في الغاز بحيث تحجب عنها Q تماما في مسافة مقدارها بضع مرات من h .

والغاز المتأين يدعى بالبلازما اذا كانت مسافة ديبياي (h) صغيرة بالمقارنة بالابعاد الفيزيائية ذات الهمية . فمثلا في درجة حرارة ٢٠٠٠ مطلقه و $N_0 = 10^{18}$ الكترون أو ايون / m^3 فان مسافة ديبياي = 2.2×10^{-6} متر .

مصادر الدقائق وحركة الانسياب في البلازما :

يمكن حساب المدار الذي تسلكه الدققة المشحونة المتحركة بسرعة V في مجال كهربائي E ومغناطيسي B من معادلة القوة :

$$\overline{F} = q (\overline{E} + \overline{V} \times \overline{B})$$

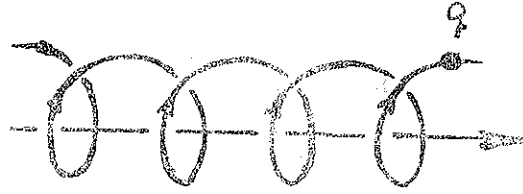
وقد تكون المجالات منتظمة او دالة للزمان او المكان او لكليهما *
 وليس تعريض البلازما لمجال كهربائي ثابت بذى أهمية لان البلازما
 كما اسلفنا تنظم نفسها لتكوين حاجز دقيق من الدقائق المشحونة يقيها
 من المجال المسلط على حين ان تسليط مجال مغناطيسي ثابت يؤدي الى تدويم
 الدقائق حول خطوط المجال دون تغير في كيفية توزيع الشحنات *

فاذا عرضت البلازما لمجال مغناطيسي منتظم فيمكن وصف الحركة
 الكلية لدقائقها بأنه تدويم للدقيقة في مدار يدعى بمدار لارمور
 Larmour Orbit سرعة زاوية w تدعى بتردد لارمور تتمثل بالعلاقة

$$w = \frac{VI}{R} = \frac{q B}{m}$$

حيث W ترمز m لكتلة الدقيقة و VI

لمركبة سرعتها العمودية على B كما يتحرك مركز المدار (المركز
 الدليلي (guiding center)) باتجاه خطوط المجال بسرعة منتظمة
 مقدارها ... (مركبة سرعة الدقيقة باتجاه -) والحركة اللولبية
 الناتجة مبينة في الشكل (1) ومن الواضح ان الشحنات المختلفة تدور



شكل (1)

باتجاهين متعاكسين كما ويدور الالكترون بمدار اصغر من مدار الايون
 في حالة تساوي طاقتهما الحركية فالنسبة بين قطري مداريهما كالنسبة بين
 الجذر التربيعي لكتلتيهما * ومن الملاحظ ايضا ان تردد لارمور يتناسب
 طرديا مع المجال المغناطيسي على حين ان نصف القطر المناظر يتناسب عكسيا

مع المجال وعليه فإن الدقائق تدور عند زيادة قيمة B بسرعة أكبر
وبمقدارات أصغر .

ومما له أهمية خاصة ، العزم المغناطيسي الناتج عن الدوران والذي
يكون في هذه الحالة باستقامة B . ومعاكسا له بالاتجاه ، لذا فإن البلازما
تتحاول اخذ صفة الدايمغناطيسية diamagnetic ، وهذا يعني ان توزيعها
معينا للدقائق المشحونة قد يؤدي الى محصلة عزم مغناطيسي ربما يكون
بمقدار كاف للتأثير على المجال المغناطيسي المسلط .

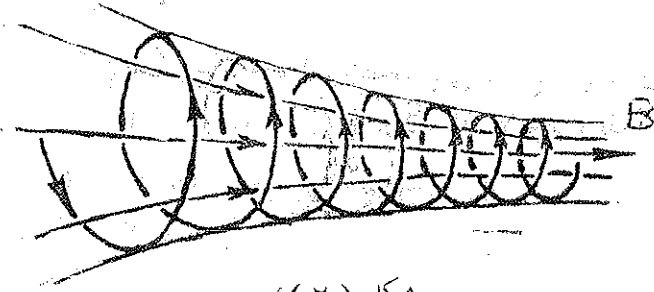
ولو عرضت البلازما للمجال الكهربائي المنتظم اضافة الى المجال
المغناطيسي المنتظم فان ذلك قد يعمل على تغير سرعة المركز الدليلي لدقائق
البلازما دون المساس بتردها ، فان كان E عمودي على B ، فإنه يعمل
على انسياق دقائق البلازما الموجبة والسالبة معا بسرعة منتظمة وباتجاه عمودي على
كلا من E و B تدعى سرعة الانسياق الكهربائية

electric drift velocity او سرعة انسياق البلازما . هذه السرعة لا
تعتمد على الشحنة او الكتلة او سرعة الدققة ولذا فان جميع اجزاء البلازما
تتساق معا بالرغم من الاختلاف الكبير الذي قد يحدث في حركة دوراتها
الفردية . اما اذا كانت E // B وكانت للمجال الكهربائي
مركبة موازية لخطوط المجال المغناطيسي فان هذه المركبة تعمل على تعجيل
المركز الدليلي للدققة باتجاه خطوط المجال المغناطيسي .

نستنتج مما سبق انه يمكن السيطرة على حركة دقائق البلازما
باستخدام المجال المغناطيسي والكهربائي ومما يجدر ذكره استخدام المجال
المغناطيسي المعتمد على المكان $B(r)$ لاهميته التطبيقية
وخاصة في المفاعلات الحرارية النووية .

فلو فرضنا ان الدققة المشحونة تتحرك في مجال مغناطيسي منتظم
تقريبا خطوطه تتقارب ببطء وهذا يعني ان B تزداد باتجاه حركة
الدققة وأن الزيادة تحصل بأبعاد كبيرة بالمقارنة بنصف قطر لارمور فان

نصف قطر المدار يقل كما هو مبين في الشكل (٢) .

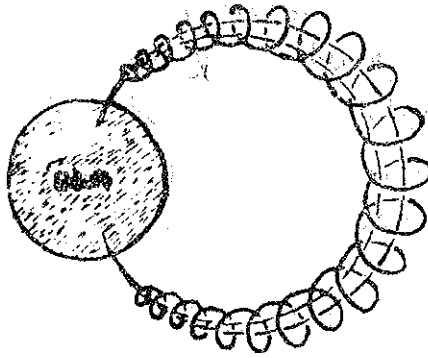


شكل (٢)

فحركة الدقيقة يمكن اعتبارها كانهزافات على المدار اللولبي ومن السهل ان نرى ان هناك قوة تحاول دفع الدقيقة الى المناطق الضعيفة من المجال فالدقيقة الدائرة تبطيء في اقترابها من مناطق المجال الشديدة اى VII تناقص ، ولكن مبدأ حفظ الطاقة يحتم من جهة اخرى زيادة آنية في مركبة سرعتها VI مما يؤدي الى دوران الدقيقة في مسارات لولبية اضيق ، فاذا كان تقارب المجال كافيا فان الدقيقة تنعكس نحو المناطق الضعيفة من المجال . ان مجالا كهذا يعمل على عكس مسار المركز الدليلي لمدار الدقيقة الدائرة يدعى بالمرآة المغناطيسية magnetic mirror والجهاز الذى يبني على هذا الاساس يحتوى على مرآتين على الأقل . فالقنية المغناطيسية magnetic bottle تتألف من اسطوانة طويلة يلف حولها سلك ذو كثافة لف منتظمة في الوسط وعالية عند الطرفين يمر به تيار كهربائي ثابت فالدقائق متى دخلت القنية فانها ستعاني عدة انعكاسات من الطرفين . ان ميكانيك المرآة المغناطيسية مهم جدا في المفاعلات النووية الحرارية .

وقد استخدم تأثير المجال المغناطيسي على الدقائق وتسييرها بهيئته الكيفية من قبل فرمي Fermi عند محاولته تفسير الطاقة العالية التى تحملها دقائق الاشعة الكونية فقد فرض وجود سحب كبيرة من الدقائق

في فضاء ما بين المجرات يصطحب كل منها مجاله المغناطيسي فإذا وجدت سحابتين تتحركان نحو بعضهما بسرعة صغيرة ووقعت دقيقة في مثل هذه المصيدة فأنها ستعاني اصطداما متكررا مهما وتزداد سرعتها VII بسطء. نتيجة لحركتهما النسبية حتى اذا أصبحت ذات طاقة تكفيها للافلات من هذه القنينة وصلت الارض وهي تحمل هذه الطاقة العالية • كذلك هي احزمة الاشعاع لفان الن Van Allen فما هي الا امثلة للدقائق المسيرة بهذه الطريقة ولكن بمقياس كونى واسع • والكرة الارضية شكل (٣)



شكل (٣)

مثال آخر لهذا الجهاز حيث يعمل قطباها المغناطيسيان كمرآتين فالمجال الارضى تتقارب خطوطه كلما اقتربنا من القطب والدقائق التي تقع بشرك المجال المغناطيسى تنعكس ذهابا وايابا بين القطبين الشمالى والجنوبى للكرة الارضية الا ان حركتها اكثر تعقيدا نظرا لوجود الجاذبية الارضية وعدم تجانس المجال المغناطيسى ، ولذلك تتساق الجسيمات حول الارض باتجاه من الشرق نحو الغرب اضافة الى حركتها المذكورة آنفا •

تذبذب البلازما والحركة التمهوجية

تميز البلازما بمقدرتها على اسناد التذبذب وانتقال الامواج وامكانية حصول الاشكال المختلفة للتذبذب • ومن الافضل معاملة الحركة الجماعية

لِدقائق البلازما بالمبادئ الهيدرومغناطيسية ، حيث تعتبر البلازما على هذا الاساس مائع كلاسيكى يخضع للمعادلات الهيدروداينميكية . كما ان هذا المائع موصل للكهربائية ، لذا يجب ان تؤخذ القوى الكهرومغناطيسية بنظر الاعتبار والتذبذب معقد لكون المعادلات الهيدروداينميكية غير خطية .

بعض التطبيقات لفيزياء البلازما

فيزياء البلازما حقل من حقول العلم السريعة التوسع ، بقي لوقت طويل محشورا في حقل التفريغ الكهربائى للغازات . وقد ظهرت له فى الاونة الاخيرة ميادين تطبيقية جديدة . ولعل أهم ما دعى لهذا التوسع السريع خلال السنوات الاخيرة ما اكتشف من العمليات النووية الحرارية المسيطر عليها عن طريق اهتمام العلماء والمهندسين دائما للحصول على مستودع غير محدود للطاقة الرخيصة . والانصهار النووى الحرارى اقرب الحلول المثالية للحصول على هذه الطاقة الرخيصة من الوقود المتوفر لهذه العملية وهو ايون الهيدروجين الثقيل ، الديتريوم .

ومن المؤسف ان يغدو بناء الجهاز الذى يتم فيه الحصول على هذه الطاقة المسيطر عليها شاقا ، وتنشأ الصعوبة من مقدار الحرارة اللازمة لبدء التفاعل النووى الحرارى فهذه التفاعلات ليست كالتفاعلات الكيميائية لانها على العموم تتطلب عتبة لدرجة الحرارة فالديتريوم قد يتفاعل مع نفسه بدرجة من الحرارة تقرب من 4×10^8 مليون درجة مطلقة وهذه الدرجة العالية من الحرارة تخلق مشاكل اهمها رفع درجة حرارة الوقود الى هذه القيمة ثم توفير وحجز الوقود بهذه الحالة لفترة كافية للسيطرة على التفاعل .

ولحل هذه المشاكل معا يجب تفهم حالة الوقود تحت هذه الظروف فالديتريوم الاعتيادي غاز في درجة حرارة الغرفة ، ثنائى الذرة ويصبح احاديا في درجة تقرب من 5×10^4 الاف مطلقة اما فى حوالى 10^6 الاف مطلقة

فيغدو متأينا وهذا يعنى ان الوقود النووي الحرارى بلازما واذا رفعت درجة الحرارة عن ذى قبل فانه يميل اكثر فاكثر الى حالة التأين التامة . ولذا يغدو التفاعل فى درجات الحرارة العالية مع دقائق مشحونة ومن هنا نشأت فكرة استخدام المجال المغناطيسى فى ابحاث فيزياء البلازما للسيطرة عليها . فحجز الوقود يتم باستخدام القناني المغناطيسية وتنحصر المشكلة عندئذ فى تصميم القنية المناسبة .

ومتى اصبح المفاعل النووى ناجحا فسيلعب دورا مهما ، إذ يصبح بالامكان تحويل الطاقة النووية الى طاقة كهربائية مباشرة دون استخدام المكائن الدوارة ويتم ذلك بادخال الوقود النووي الحرارى ، تأينه وتحوله الى بلازما ، اتمام السيطرة عليه باستخدام القناني المغناطيسية حيث يتم كبس البلازما عند زيادة المجال المغناطيسى وعندها يبدأ الاشتعال النووى الحرارى ومتى ما سمح للبلازما بالتمدد تولد تيار كهربائى فى ملفات السيطرة نتيجة للطاقة التى تفقدها . لما الوقود المستنفذ فيتم ارجاعه الى المفاعل ميكانيكيا .

ان اعتبار البلازما حالة رابعة للمادة يعطى نظرة خاصة للتطبيقات الصناعية الحاضرة والمستقبلية لفيزياء البلازما . فمن السهل مثلا ان تفهم عند ذلك لماذا تغدو العمليات النووية الحرارية صعبة المنال . فاللفاعل النووى الحرارى لا يتطلب جعل الوقود فى حالة بلازما فقط وانما يتطلب الاستمرار فى رفع درجة حرارته بحوالى اربع مراتب اخرى ولكون الحرارة الكامنة للتحويل عالية فبامكان حالة البلازما خزن مقدار كبير من الطاقة لكل وحدة من وزنها . وقد استغلت هذه الميزة فيما يدعى بمشغل البلازما Plasma Torch وهو جهاز معروف لدى خبراء المعادن اساسه قوس كهربائى ينفذ منه قسم من البلازما بصورة مستمرة . فبالاضافة الى الحرارة الكامنة العالية ، فان بمقدور البلازما نقل كمية هامة من الطاقة الحرارية فبهذين العاملين استخدم المشعل لتسخين المواد الصلبة لدرجة حرارة ١٥٠٠٠ م ويمكن زيادتها بسهولة ان دعت الضرورة . ومن هنا تبسّدو

أهمية هذا الجهاز فباستطاعة الفرد ان يبدأ بعمليات جديدة في حقن
التعدين (قطع المعادن ولحمها ، مزج المعادن في حالتها الغازية ... الخ) .
ونستطيع ان نتقل بسهولة من مبدأ المشعل البلازمي الى الصاروخ
البلازمي Plasma Rocket اذ من المعلوم ان انبثاق البلازما من فتحة ضيقة
في المشعل البلازمي المتوفر تجارياً ناتج عن قوة دفع ، شبيهة بما يحدث
في الصاروخ الكيميائي فيمكن تحويل الجهاز من آلة قطع او لحيم الى
جهاز يؤثر بدفع . اما الفائدة الناتجة عن استخدام البلازما في الصواريخ
فتكمن في ان سرعة البلازما المتدفقة أكبر بكثير مما هي عليه في الصواريخ
الكيميائية التي تكون سرعتها محددة بدرجة حرارة الغاز داخل غرفة
الاحتراق .

ان صاروخ البلازما يمثل نوعاً من المحرك الكهربائي يمكن عكس
عمله من حيث المبدأ واستخدامه كمولد ، وهذا أساس ما يدعى بالمولد
الهيدروديناميكي المغناطيسي (MHD) Magnetohydrodynamic generator
وإذا استطاع الفرد في الماضي ان يستغل الحالة السائلة والغازية فسي
المولدات الكهربائية فليس هناك ما يمنع من استخدام حالة البلازما اضافة
الى فائدتها كموصل يتعامل مع المجال المغناطيسي فهي لا تقتصر الى استخدام
عجلات التربين او المكابس او ... الخ) .

ومن الفوائد الكبرى لحالة البلازما استخدامها في الحصول على تميز
واحسن للنظائر المختلفة لنفس العنصر وذلك لان ايونات النظائر تدور
بانصاف اقطار مختلفة في نفس المجال المغناطيسي فيمكن استغلال هذه الصفة
في تركيز او حذف النظير المشع .

بقي علينا ان نتطرق الى العلاقة الوطيدة بين فيزياء
البلازما وبحوث المعادن فهي علاقة متبادلة وبأمكان خبير المعادن
مساعدة فيزيائي البلازما بأحسن النتائج (الموصلات الكهربائية ، مواد
المغناطيس الكهربائي ...) فبناء الجدار الذي يحيط بقلب المفاعل النووي

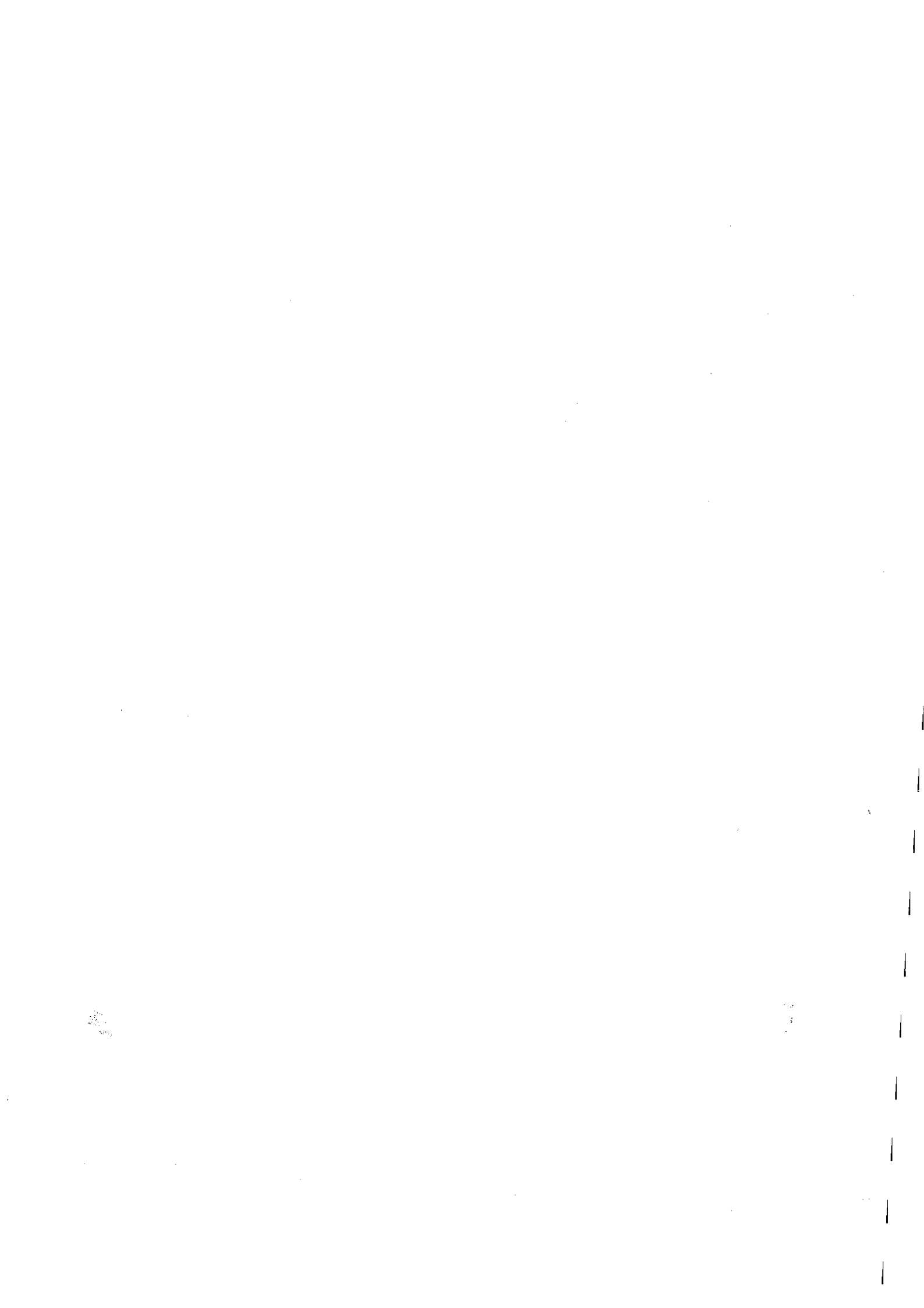
«الحرارى الازال مشكلة تخص علم المعادن فهناك احتمال لهروب الشخات
وعدم تقيدها بمجال القينة المغناطيسية مما يشكل خطرا على كفاءة جهازه
اما فيزيائى البلازما فاستطاعته مساعدة خبير المعادن فى تحسين التساج
بتجهيزه بأدوات وآلات وظروف عمل احسن * فازدياد استغلال علم
المعادن للفائدة الناجمة عن الطواهر التى تحدث فى الحالة الغازية بالرغم
من انها تتضمن عمليات اعقد سيؤدى الى سيطرة احسن لتقاوة التساج
«الاخير» *

كذلك من المؤمل ان يتم خلال وقت قصير اكمال المشعل البلازمى
وتعزيزه بعدد اخر من الاجهزة لاستغلال الفائدة العظمى للاختراعات
فى حقل البلازما ليتمكن خبير المعادن من معالجة نتاجه بظروف احسن
سواء اكان هذا النتاج فى حالة البلازما او فى حالة اخرى * فقد أصبح
من المعلوم الان ان تكوين الطبقات الرقيقة او التخلص منها يمكن انجازها
بواسطة اجهزة البلازما باشكال متعددة وبدقة اكتر من التى تنجز بواسطة
التحليل الكهربائى *

واخيرا لتتذكر ان التقدم السريع فى حقل فيزياء البلازما الذى حصل
خلال السنوات العشر الاخيرة كان حافزه الاساسى الاهتمام الذى حدث
فى ميدان التفاعلات النووية الحرارية المتحكم فيها والمسيطر عليها ، كما
ان هذا الانتعاش لفيزياء البلازما ادى فى نفس الوقت الى فتح عدد من
الميادين الفرعية التى تم فى بعضها اجراز تطبيقات عملية مهمة *

21. Solomon Gartenhaus, *Elements of Plasma Physics* Holt, Rinehart and Winston, INC., 1964.
22. R. D. Stuart, *Electromagnetic Field Theory*. Addison-Wesley publishing company, INC., 1965.
23. Chandraasekhar. *Plasma Physics*. The University of Chicago Press, 1961.
24. V. L. Ginzburg, The propagation of *Electromagnetic Waves in Plasma*. Addison - Wesley publishing company, INC., 1960.
25. K.G. Emeleu's, *The Conduction or Electricity Through Gases*. New York: John Wiley & Sons, INC., 1951.
26. A. Guthrie and R. K. Wakerling, *Characteristics of Electrical Discharges in Magnetic Field*. Mc graw - Hill Book Company, INC., 1949.
27. Tonks & Langmuir, *Phys.*, 37: 1458 (1961).
28. M. F. Hoyaux, *Plasma Physics and Metallurgy*. American Scientist, June 1966.

العلوم الاقتصادية



مفكرة النظر الاقتصادي

الدكتور عبد المنعم السيد علي
كلية الإدارة والاقتصاد
الجامعة المستنصرية

يستهدف هذا البحث أمرين اثنين هما : أولاً ، تحديد طبيعة التطور الاقتصادي ، وثانياً ، طرح بعض النظريات التي حاولت تفسير هذا التطور وطبيعة العوامل المحددة له في المدى الطويل . وبالنظر لطبيعة الموضوع الترامية فإن رائدنا سيكون الأيجاز والاقتضاب دون المساس بجوهر الموضوع من حيث تكامله وشموله وتفطيته التغطية التي تتيحها لنا ظروف الزمان والمكان .

ان لفكرة (التطور الاقتصادي) جذورها التاريخية العميقة ف في كتابات الكثير من الاقتصاديين القدماء وحتى بعض علماء الاجتماع كما في مقدمة ابن خلدون . غير أننا سنجد انفسنا بتتبع بعض الاتجاهات العامة والواضحة في هذا الصدد . كما لن نكون تقليديين في تتبع فكرة التطور الاقتصادي على أساس تاريخي تقويمي منظم ، بل سنبدأ بالفكرة العامة للموضوع وتحديد طبيعة التطور الاقتصادي كما يتفق عليها غالبية الكتاب اليوم ، ومن ثم تتبع ذلك بالإشارة الى بعض النظريات السابقة في هذا الصدد . أما بالنسبة للنظريات الحركية الحديثة للنمو الاقتصادي ، وهما نظريتا هارود ودومار ، فقد سبق للكاتب الحالي ان بحثهما مفصلاً في مقالتي سيرد ذكرهما في هذا البحث فيما بعد .

مفهوم التطور الاقتصادي (١)

ان التطور الاقتصادي هو أكثر من اقتصادي بطبيعته • ولا تصنف كلمة (اقتصادي) الا معيارا واحدا فقط لنتائج يمكن قياسها والتعبير عنها بمعايير هي مقادير اقتصادية صرفة ، كالدخل القومي ومعدل الدخل الفردي ومعدل ما يصيب الفرد الواحد من رأس المال القومي ••• الخ • كما ان عملية التطور نفسها انما هي حصيلة عوامل اقتصادية واجتماعية عديدة لا يمكن اخضاع العديد منها للقياس الاقتصادي ولا حتى للرقابة والضبط الاجتماعيين • فالميول الاجتماعية والعادات والممارسات في المجتمع وحوادث الماضي التاريخية ، بالاضافة الى الاسس الاقتصادية التي تفرض عليها التغيرات الاقتصادية نفسها ، تشكل كلها أساسا لا يمكن ان يعرف ببساطة بأنه اقتصادي • فالعامل الاقتصادي ، رغم أهميته الكبيرة التسي يجب عدم اغفالها مطلقا في تفسير التطور الاقتصادي بالذات ، ما هو الا واحد فقط من بين عوامل اخرى عديدة ربما كان لها نفس أهمية العامل الاقتصادي نفسه •

ان التوكيد في الكتابات الاقتصادية على العوامل الاقتصادية مقارنة بالعوامل غير الاقتصادية في تحديد التغير الاقتصادي واحداته قاد عموماً الى مدرستين فكريتين احدهما ، ممثلة بكارل ماركس ، تعتبر العامل الاقتصادي المقرر الاول للتركيب الاجتماعي ومؤسساته الفوقية المختلفة ، وثانيهما تأخذ بنظر الاعتبار الوضع بكلية فتؤكد بصورة متساوية على التفاعل المتبادل بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة التي لا تكيف فقط تطور المجتمع الاقتصادي وانما ايضا جميع مؤسساته الفوقية الاخرى كذلك • ويؤكد الاقتصاديون اليوم على فئة المحددات المتمسدة

(١) سنحني بالتطور عموماً التغير نحو الاحسن • ولذا فان كلمة (التطور) ستكون مرادفة لدينا لكلمة (التقدم) في القطاع الاقتصادي عموماً مع ما يعكسه ذلك من نمو في الموارد الانتاجية وتحسن في الانتاجية وزيادة في الانتاج ••• الخ •

للتطور الاقتصادي اعترافاً منهم بطبيعة هذا التطور المعقدة وتشابك العوامل التي تؤدي إليه أو تؤثر في حركته على المدى الطويل .

والتطور الاقتصادي عملية تغير في بعض المقادير الاقتصادية خلال فترة من الزمن طويلة نسبياً . ويؤكد هذا التعريف على صفات ثلاث لهذا التطور هي : - أولاً ، أنه عملية Process أي أنه تتصف بالاستمرارية ، وثانياً ، أنه يشتمل على تغير في مقادير اقتصادية Economic Variables ، وثالثاً ، احتوائه على عنصر (الزمن) ، ولذلك فإن ظاهرة مثل هذه تتصف بـ (الحركية Dynamic) بطبيعتها لأن فيها خاصتين من خواص الحركة هما : التغير والزمن^(٢) ، ولذلك فإن تحليل (التوازن) الساكن في المدى القصير ، من نوع تحليل الفريد مارشال في كتابه الشهير (مبادئ الاقتصاد) لا يمكن له أن يلائم عملية لها مثل هذه الطبيعة المتغيرة خلال فترة زمنية طويلة . ذلك أن التطور الاقتصادي هو ظاهرة طويلة المدى لها صلة وثيقة بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية

-
- (٢) انظر في هذا الصدد ما يتعلق بالاقتصاد الحركي أو الديناميكي :
Baumol, W. J., *Economic Dynamics*, Macmillan, N. Y., 1959
(2nd Ed.). Ch. 1.
Hicks, J. R., *Value and Capital*, Oxford, 1939. p. 115.
Reder, M.W., *Studies The Theory of Welfare Economics*, N.Y.
Columbia University Press. 1951. p. 103.
Harrod, R. F., *Towards a Dynamic Economics*, Macmillan,
London, 1951. pp. 2-3 and p. 10.
Samuelson P., "Dynamics, Statics, and Stationary State".
Review of Economic Studies, Feb., 1943. P. 59.

انظر أيضاً : عبد المنعم السيد علي : « نظرية هارود في النمو الاقتصادي والاقتصاد الحركي » مجلة الاقتصادية ، حزيران ، ١٩٧٠ ص ٣ - ٥ .

Hicks, J. R., *Capital and Growth*, Oxford, at the Clarendon press, 1965. Ch. 1.

التي يفترض بقاؤها ثابتة على حالها في تحليل التغير في المدى القصير^(٣) فكما

يقول كيرستيد Keirstead

« ان مفاهيم التوازن ليس لها أهمية كبيرة بالنسبة لنظرية التغير في

المدى الطويل • فهي تركز الانتباه على الاستقرار وعلى التسويات في المدى

القصير بين نماذج مستقرة وبين تغيرات معينة في الحدود Parameters

في حين تتجاهل سبب التغير والتبدلات الهيكلية في الاقتصاد ، والحركة

الدايناميكية البعيدة المدى والتأثيرات الترفيحية • وهي تشير ايضا الى

مفهوم معين وغريب للزمن يحرف بالضرورة طبيعة العملية الزمنية

الحقيقية للاقتصاد^(٤) • »

ورغم أن التطور الاقتصادي هو حصيلة عوامل اقتصادية وغير

اقتصادية الا ان معاييرها اصبحت اقتصادية بطبيعتها دون اهمال نواحيها

النوعية الاخرى • « ان معياراً ما للنمو الاقتصادي يقيس من ناحية ثمار

النشاط الاقتصادي ، ومن ناحية أخرى ، الآثار والنشاطات نفسها ، ليس

هو بالضرورة معياراً خاطئاً كمقياس للرفاه ، ولا هو بالضرورة معياراً

صحيحاً ، وانما يعتمد ذلك بصورة أساسية على نوعية هذه النشاطات ،^(٥) • »

Roctow, W. W., *The Process of Economic Growth*, N.Y., Norton,
1952. P. 10.

(٤)

Keirstead, B. S., *The Theory of Economic Change*, Toronto,
Macmillan Co. of Canada, 1948. p. 38.

Hicks *Capital and Growth* انظر ايضا

المصدر السابق - الفصل الاول ، خاصة الصفحات ٢٢ - ٢٧ •

(٥)

Clark, J. M., Common and Disparate Elements in national
Growth and Decline", in Uninversities-National Bureau Com
mittee on Economic Research, *Problems in The Study of
Economic Growth*, Princeton, Princeton University Press,
1955. p. 26.

ان مثل هذه المعايير تشتمل على مقادير مثل الدخل القومي وتوزيعه ، ومعدل دخل الفرد ، ومعدل ما يصيب الفرد الواحد من رأس المال الوطني ، وتراكم رأس المال ، ، الخ . وهناك معايير اخرى كذلك تشتمل على نمو السكان وصحة المواطنين والتعليم والعمر المتوقع . وهي معايير ذات طبيعة اجتماعية ، أي انها ليست معايير اقتصادية بحتة . غير ان اي تحسين في أي منها أو في جميعها يمكن اعتباره علامة لا شك فيها على التقدم الاقتصادي . ويمكن تعريف النمو الاقتصادي على انه تزايد في الرفاه الاقتصادي للسكان بالمعنى الذي جاء به بيغو (٦) وهو مقدار السلع والخدمات المنتجة والموضوعة تحت تصرف المواطنين خلال فترة زمنية معينة بتكاليف أقل من قبل و / أو بنوعية أحسن وكمية أكبر . ومع ذلك لا يمكن للرفاه الاقتصادي الناتج عن التقدم الاقتصادي ان يزداد بمجرد زيادة الانتاج القومي متجاهلين في الوقت نفسه الشروط الاخرى الملازمة للرفاه الاقتصادي والتي يجب ان تتوفر للحصول على تقدم اقتصادي مرغوب فيه اجتماعيا . فيجب ان تكون هناك عدالة أكبر في توزيع الدخل ، واستقرار أكبر في مستوى الدخل القومي ، وضمان اقتصادي أكبر للأفراد وللمجتمع ، وفرص اقتصادية واجتماعية أوسع ، وتقدم اقتصادي متوازن تفيد منه جميع قطاعات الاقتصاد القومي حسبما تقدمه للجهد العام للمجتمع ككل (٧) .

محددات النمو الاقتصادي

هناك في داخل النظام الاقتصادي وخارجه عوامل تطویر مقلقة لحالة

(٦)

Pigou, A. C., *The Economics of Welfare*, London, Macmillan and Co., 1950 (4th Ed.). Ch. 7.

(٧)

Clark, C., *The Conditions of Economic Progress*, Macmillan and Co., 1940. P. 1.

الركود فيه ومؤثرة في وضعه المتوازن ودافعة له في اتجاه سعودي دينوي طويل الامد . ولا تكفي النظرية الاقتصادية الحديثة للنمو الاقتصادي بعامل واحد فقط كمؤثر وحيد في هذا الشأن هاملة العوامل الاخرى وانما تتعرف بطبيعة النمو المعقدة وعوامله المتعددة التي تعمل وتتفاعل مع بعضها في اطار من ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية لاقتصاد متغير باستمرار . ولذا فان النظرية الحديثة المذكورة تضع هذه العوامل بشكل نظرية عامة للتغير الاقتصادي في المدى الطويل ، وهو تغير يتأثر ويتحدد بعوامل ليس من الضروري أن تكون ذات طبيعة اقتصادية . ويصدق ذلك حتى لو افترضنا ان الانتاج Output هو المعيار الوحيد للنمو والتغير الاقتصاديين . ذلك ان هذا الانتاج هو ليس فقط دالة لمقادير الدواخل (أو الموارد الانتاجية) التي استعملت في تحقيقه ، لان هذه الدواخل أو العوامل هي ليست فقط المقادير التي استنفذت منها في انتاج كمية معينة ، بل انها تشمل أيضا على سعة القوة العاملة ورأس المال ومدى انتاجيتها ، بالإضافة الى المعرفة العلمية والفنية والتنظيمية للمجتمع وسلع رأس المال الانتاجية المتراكمة وميول المجتمع ووجهات نظره وآماله وتطلعاته . ولذلك فان « القرارات الاقتصادية التي تحدد معدل نمو وانتاجية القوة العاملة ورأس المال يجب ألا يعتبرا على انهما يحددان بدوافع اقتصادية صرفة لدى الناس . ان العمل الاقتصادي يحكم عليه بالنتيجة التي تقود اليه عملية معقدة من الموازنة بين التقدم المادي مقبل الاهداف الانسانية الاخرى » (٨) .

ويتفق شوميتير في هذا الصدد مع غيره من الاقتصاديين مؤكدا على ان النمو الاقتصادي هو عامل واحد فقط من عوامل متشابكة عدة تكيّف التطور الاقتصادي (٩) فالنمو الاقتصادي لا يمكن تفسيره بصورة مرضية

(٨) Rostow المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٩)

Schumpeter, J., "Theoretical Problems of Economic Growth",
Journal of Economic History, Supplement, 1947. pp. 229-
230.

بمعامل واحد الا اذا كان ذلك لاغراض النظرية الاقتصادية كوسيلة لتحليل ظاهرة معقدة كما فعل شومبيتر نفسه في كتابه (نظرية التطور الاقتصادي)
The Theory of Economic Development. ولكن حتى في هذه الحالة فقد تحقق شومبيتر من اعتماد هذه الظاهرة الاقتصادية على « جميع الاشياء الاخرى » ومن أن « من غير الممكن تفسير التغير الاقتصادي على أساس الظروف الاقتصادية السابقة وحدها ، ذلك أن حالة الناس الاقتصادية لا تنشأ او تنبثق ببساطة من الظروف الاقتصادية السابقة ، وانما من الوضع بأكليته »^(١٠) Total Situation .

بعض نظريات النمو الاقتصادي (١١) - التحليل الكلاسيكي والماركسي

بعكس النظرية العامة للنمو الاقتصادي ، مال الاقتصاديون الاوائل رغم اعترافهم بعوامل التغير الاقتصادي المعقدة وتفاعلها المتبادل ، السى التوكيد على عامل واحد أو عاملين اثنين على أنهما الأكثر فاعلية ووضوحاً في التأثير في اقتصادياتهم في ذلك الحين . غير أن المرء يمكنه أن يلاحظ في النظرية الكلاسيكية اقتراباً من نظرية عامة للنمو الاقتصادي ، ولكنها تتؤكد في نفس الوقت وبشكل أشد على عامل واحد أو عاملين هما تراكم رأس المال وتزايد عدد السكان^(١١) فالنظرية الكلاسيكية تسلم

Schumpeter, J., *The Theory of Economic Development*, (١٠٠)

Cambridge, Harvard University Press, 1934. p. 58.

(١١) ليس غرضنا هنا ان نبحث نظريات النمو الاقتصادي مفصلاً كما طورتها المدارس الفكرية الاقتصادية المختلفة ، وانما بالاحرى ان نتبع نظرية النمو مشيرين الى الخطوط العامة لهذا التطور فحسب دون الدخول بتفصيلات هي بعيدة عن الهدف الذى يرمى اليه بحثنا هنا وهو تبيان العوامل الرئيسية في النمو كما يراها الاقتصاديون على اختلاف مذاهبهم .

(١٢) المصدر السابق ص ٢٣٣ .

Schumpeter, "Theoretical Problems ...

بالعوامل المتمثلة بالمؤسسات الاجتماعية والسياسية والطبيعية، معترفسة بأهميتها في مدى تأثيرها على النظام الاقتصادي، وتميل إلى أن تفسر النمو الاقتصادي على أنه ثمرة العاملين المهمين الأثنين وهما تجميع رأس المال ونمو السكان غير أن عملية النمو هذه تميل دائماً، برأي هؤلاء إلى حالة من الركود تسود فيها أجور في مستوى الكفاف وتعدم فيها الأرباح، ويزول فيها تراكم رأس المال.

ان نقطة الابداء في النظرية الكلاسيكية هي تقسيم العمل والتخصص اللذين يشجعان على الابتكار والابداع والتقدم الفني مما يؤدي الى ظهور الأرباح. وتشجع الأرباح عملية تراكم رأس المال - ذلك التراكم الذي هو عند آدم سمث وغيره من الاقتصاديين الكلاسيكيين مطابق للدخار وللتقدم الاقتصادي، وفي هذه العملية تزداد الأجور الحقيقية وتتحسن الإنتاجية وتتوسع الأسواق وينمو السكان، وتصبح العملية بذلك تراكمية ولكن الى حد معين يصل فيه التقدم الاقتصادي الى مرحلة يتوقف فيها النمو بسبب تدهور معدل الربح الناتج عن تناقص الغلة في الزراعة وتزايد حصة الملاكين الزراعيين من الربح والتنافس بين المنتجين وتزايد الأجور. عندئذ يصل الاقتصاد الى حالة الركود حيث يتباطأ معدل التجميع الرأسمالي ومن ثم يتوقف تماماً، اذ حينئذ يعجز معدل الربح عن تقديم التعويض المناسب للمخاطرة والجهد، فيتوقف التوسع في رأس المال والنمو في عدد السكان. فيهبط حينذاك معدل الربح الى الصفر وتنخفض الأجور الحقيقية الى حدها الأدنى وهو حد الكفاف، ويرتفع نصيب الربح من الأرض. وهي نهاية المطاف بالنسبة للنظرية الكلاسيكية اذ عندها يستقر السكان ويتوقف التقدم الفني وتكوين رأس المال. وعند الوصول الى هذه المرحلة، وعند عدم وجود تطورات أخرى، فإن النمو الاقتصادي يأخذ في ظل الظروف القائمة حده المرسوم فيتوقف تماماً.

محدثاً حالة من الركود^(١٣)

في هذه النظرية هناك تفاعل مستمر بين عاملين مهمين هما التقدم الفني وتناقص غلة العمل والأرض بسبب تزايد السكان ومحدودية عرض الأرض الصالحة للزراعة . غير أن عامل تناقص الغلة يتغلب دائماً في النهاية الا اذا حدث ما يزيد من امكانات الربح والانتاجية نتيجة التحسن الفني وعليه فإن النظرية الكلاسيكية في النمو الاقتصادي هي تفاعل متبادل ومعقد بين عوامل متعددة هي : نمو السكان وتناقص الغلة وحصص الأجور والأرباح والإيجار في الدخل القومي وذلك بالإضافة الى تراكم رأس المال وعملية التقدم الفني^(١٤) وهي نظرية مبنية على مأسماه شومبيتر

ب (التلقائية غير الشخصية)^(١٥) Impersonal Automatism

التي هي أصيلة في التقليد الكلاسيكي منذ بدايته ، فما يدخر يستثمر -

(١٣) انظر حول النظرية الكلاسيكية في النمو الاقتصادي التفصيل الواسع الوارد في ج . مايرور . بولدوين ، التنمية الاقتصادية ، نظريتها ، تاريخها ، سياستها . ترجمة يوسف صانغ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٤ . الجزء الاول الفصل الاول . كذلك انظر الفصل الثالث حول التحليل الكلاسيكي الحديث . ولعل هذا المصدر هو لعلم هذا الكاتب ، خير المصادر شمولاً وعمقاً حول نظريات النمو الاقتصادي .

راجع ايضاً التفصيل الشامل حول التحليل الكلاسيكي والكلاسيكي المحدث للنمو الاقتصادي في :

Brenner, Y. S., *Theories of Economic Development and Growth*
London, George Allen and Union, 1966. Ch. 2 and 4.

(١٤) انظر

Baumol, W. J., *Economic Dynamics*, N. Y., The Macmillan Co.,
1959. (2nd Ed.). Ch. 2.

Hamberg, D., *Economic Growth and Instability*, N. Y., W. W.
Norton, 1956. pp. 5-7.

(١٥)

Schumpeter, "Theoretical Problems of Economic Growth".

المصدر السابق ص ٢٣٣ .

تلقائياً^(١٦) وما يؤكد عليه هذا التقليد هو الاستجابة التكيفية Adaptive Response وليس « الاستجابة الخلاقة Creative Response التي تدخل في النظرية عنصري المخاطرة وعدم التوكد بالذين يؤديان الى التردد في اتخاذ قرار معين^(١٧) Indetermination ويلعب (المنظم) في الاستجابة الخلاقة دوراً مبدعاً وهاماً كما أشار اليه شومبيتر وكما سنرى فيما بعد في كتابه المعروف « نظرية التطور الاقتصادي The Theory of Economic Development

وتعاني النظرية الكلاسيكية ، من بين ما تعانيه من نواح متعددة ، من الدور السلبي الذي أعطته لعامل السكان في عملية التقدم الاقتصادي وذلك من حيث اهمالها أثر عامل الطلب على النمو الاقتصادي . فكما يقول كيرستيد Keirstead « ان نمو السكان يجب ان يدرس ، كما في رأي مالتوس ، ليس فقط لأنه يؤثر على الانتاج الحقيقي ، ولكن أيضاً لتأثيره على الطلب الحقيقي وعلى فرص الاستثمار . وبالإضافة الى ذلك فإن نمو السكان لا يمكن ان يدرس كما لو أنه لا تأثير له على الابتداع او أنه لا يتأثر به^(١٨) فتزايد السكان يتفاعل مع الابتداع تفاعلاً

(١٦) حول التلقائية الكلاسيكية والنظرية الكلاسيكية في الاستخدام وكذلك حول ما يدعى بالازدواجية الكلاسيكية انظر على وجه الخصوص التفصيل الشامل الوارد في :

Ackley, G., *Macreconomic Theory*, N. Y., The Macmillan Co., 1961. Part Two.

انظر كذلك : عبدالمعزم السيد علي : دراسات في النقود والنظرية النقدية ، بغداد ، ١٩٧٠ - ص ١٤٠-١٤٣ .

(١٧) شومبيتر المصدر السابق ص ٢٣٣

(١٨) Keirstead المصدر السابق ، ص ٨٢ . ولعل خير مصدر لنقد الاقتصاد الكلاسيكي هو كينز نفسه في كتابه الشهير :
.....*The General Theory of Emploment, Interest and Money*, London, MaCmillan & Co., 1936. Ch. 2.

متبادلاً ، وكلاهما يؤثران على الطلب وعلى الاستثمار تأثيراً يختلف مفعوله باختلاف معدل النمو في السكان ودرجة التقدم الفني والابتداع وذلك بنفس الوقت الذي يؤثر فيه هذان العاملان معاً على عرض الانتاج نفسه وهو ما يؤكد عليه الكلاسيكيون كلية .

وقد استمر ماركس على التقليد الكلاسيكي الذي يرجع عاملاً اقتصادياً معيئاً كمحدد للنمو الاقتصادي . غير ان هذا التقليد هو أكثر وضوحاً عند ماركس منه لدى الكلاسيكيين . فالعامل الاقتصادي يصبح عند ماركس هو المقرر الأكبر والأهم لجميع النظام الاقتصادي والاجتماعي ، أو ما يسميه ماركس بالبناء الفوقي . وبنى ماركس نظريته على أساس التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ويبقى التراكم الرأسمالي هو المحرك الأول للتطور الاقتصادي الرأسمالي . ولكن عملية النمو نفسها تختلف عند ماركس بصورة مهمة عنها لدى الكلاسيكيين . فالتراكم يزيد من الطلب على العمال فيرفع أجورهم فوق مستوى الكفاف ، مما يقلل من فائض القيمة التي يحصل عليها الرأسماليون . وبما أن التركيب العضوي لرأس المال (أي نسبة رأس المال الثابت الى رأس المال المتغير) هو في تغير مستمر لصالح رأس المال الثابت ، وذلك بسبب التقدم الفني ، فإن معدل الربح يجب أن يميل الى الانخفاض ما دامت نسبة العمل في التركيب العضوي لرأس المال تتناقص باستمرار مؤدية بذلك الى تدهور معدل الاستغلال (أي معدل فائض القيمة الذي هو نسبة القيمة الفائضة الى رأس المال المتغير أو العمل)^(١٩) وبأنخفاض فائض القيمة ينخفض معدل الربح مسبباً بذلك نتائج معاكسة بالنسبة لتراكم رأس المال .

(١٩) يمكن هنا مراجعة الكثير من المظان المختلفة التي تبحث الديناميكية الماركسية منها على سبيل المثال لا الحصر السابق ذكره ، الفصل الثالث . كما يراجع خاصة Sweeryy, P. M., *The Theory of Capitalist Development*, N. Y., Oxford University Press, 1942.

انظر كذلك ما يرو بولدوين ، المصدر السابق ، الفصل الثاني ، الجزء الاول ، و Brenner المصدر السابق الفصل الثالث .

من هنا ، ابتداءً من هذه النقطة ، يسلك ماركس سبيلاً مختلفاً عن تلك التي سلكتها المدرسة التقليدية من قبل . فبينما تتم عملية التسوية والتكيف لدى المدرسة الأخيرة عن طريق التغير في السكان ، يؤكد ماركس على أن عملية التكيف في الجهاز الاقتصادي تتم عن طريق أزمة كساد اقتصادي سببها تدني معدل الربح نتيجة ارتفاع الأجور الحقيقية فوق حد الكفاف ، مما يؤدي إلى تقليص الطلب على العمال والسعي لخلق (الجيش الاحتياطي من العمال) العاطلين عن العمل . وهكذا يقابل حالة الاستقرار الكلاسيكية في حالة الركود The Stationary State حالة نمو معاق Retarded ماركسية وتدهور تراكمي . وبذلك تصبح نظرية ماركس ، في ظل هذه الظروف ، نظرية دورة اقتصادية ونظرية نمو اقتصادي في وقت واحد ، ويصبح التغير والتقلب الحادّين والتقدم الاقتصادي عناصر أساسية في التفسير الماركسي لتطور الرأسمالية الحديثة وهكذا فإن تحليل ماركس هو تحليل ديناميكي حركي بطبيعته . فالتقدم الفني الذي يؤدي إلى ظهور فرص جديدة للربح وإلى زيادة فائض القيمة في أول الأمر هو المحرك الحقيقي للنظام الماركسي ، ويتميز التقدم الفني بطبيعته بزيادة نسبة رأس المال الثابت إلى رأس المال المتغير (العمل) لأن الابتداعات الجديدة تؤدي دائماً ، في نظرية ماركس ، إلى الاقتصاد في العمل ، مهلة إمكانية زيادة إنتاجية العمل في نفس الوقت . وبذلك يتناقص معدل فائض القيمة كما أشرنا إليه سابقاً ، وينخفض معدل الربح وتتوقف عملية التراكم الرأسمالي ومن ثم تحدث الأزمة الاقتصادية بالشكل الذي بحثناه آنفاً .

إن هذه المناقشة الموجزة تشير بوضوح إلى توكيد النظريتين الكلاسيكية والماركسية على التقدم الفني والتراكم الرأسمالي كعوامل أساسية في النمو الاقتصادي . وفي كلا النظريتين يعكس التقدم الفني عملية (الابتداع) تلك الظاهرة الهامة التي وكّد عليها شوميتز بشدة جاعلاً منها العامل الرئيس في عملية النمو ، ولن ينتهي الأمر عند شوميتز

بعملية الابتداع نفسها . فالابتداع ليس مجرد عملية وحيدة ، إنما هو بالأحرى عملية تبدأ بالابتكار أو الاختراع Invention الذي يستغلته المنظم اقتصادياً ويموله الرأسمالي عن طريق الائتمان الذي يخلقه الجهاز المصرفي ومن هنا تبرز العلاقة الوثيقة بين العوامل النقدية والعوامل الحقيقية في التطور الاقتصادي ، تلك العلاقة التي انكسر الكلاسيكيون تماماً في ازدواجيتهم المشهورة التي فصلت ما بين القطاعين النقدي والحقيقي فصلاً تاماً ، جاعلين من النقود مجرد وسائل مبادلة ومن الجهاز المصرفي مجرد تاج ثانوي لعملية النقد ومجرد وسيط لنقل الادخارات من فئة المدخرين الى فئة المستثمرين . أما عند شومبيتر فإن النظام المصرفي يصبح عنصراً مهماً من عناصر التطور الاقتصادي ، بدونها لا يمكن لأي ابتداع أن يتم ولا لأي تطور اقتصادي أن يحدث .

نظرية التطور الاقتصادي عند شومبيتر (٢٠)

لقد حاول ماركس أن يفسر عملية التطور الاقتصادي على أسس تاريخية هي اقتصادية في جوهرها . فالتطور الاقتصادي كما رآه ماركس هو حصيلة التغير في أساليب الإنتاج . ذلك التغير الذي له أكبر الأثر على النظام الاقتصادي ومؤسساته الفوقية . أما شومبيتر فقد أتى في كتابه الشهير (نظرية التطور الاقتصادي) بتفسير جديد لعملية التطور الاقتصادي تفسير يلتقي مع تفسير ماركس عندما يعزو الى (الابتداع أو الابتكار Innovation) الدور الأكبر في أحداث التطور المذكور . ويبدو

(٢٠) استندنا هنا الى كتاب شومبيتر نفسه طبعة عام ١٩٤٩ كمصدر أساسي وسنشير اليه في بحثنا اليه بذكر رقم الصفحة المعنية مباشرة وليس في الهامش .

Schumpeter, J. A., *The Theory of Economic Development*
Harvard University Press, Cambridge, Mass., 1949.

أما المصدر الآخر المهم الذي اعتمدنا عليه بصورة مهمة فهو :
Clemence, R. V., and Doody, F. S., *The Schumpeterian System*
Addison-Wesely Press, Cambridge, Mass., 1950..

لهذا الكاتب أن (تغير أساليب الانتاج) لا تختلف عن فكرة (الابتداع) ،
الا في كون هذا المفهوم عند شومبيتر هو ، باعتقادنا ، أوسع مما يفسر به .
مركس التطور الاقتصادي بالتغير في أساليب الانتاج . والتغير الأخير ما
هو الا شكل واحد فقط من أشكال (الابتداع) . وستحقق من ذلك
في مناقشتنا التالية لمفهوم (الابتداع) عند شومبيتر .

ماهية التطور الاقتصادي عند شومبيتر .

يبدأ تحليل شومبيتر بالنظام الاقتصادي وينتهي به ، ذلك أن
شومبيتر مهتم بتحليل ظاهرة تبدأ وتعمل من داخل النظام نفسه وليس من
خارجه ، فما يحدث خارج النظام لا علاقة لنظرية شومبيتر به ، لا لأن
الأخير لا يعير أهمية لذلك ، وإنما لأنه يعتقد أن تلك عوامل تعمل من
خارج النظام لا من داخله وعلى هذا الأساس يعرف شومبيتر التطور
الاقتصادي (ص ٦٣) على انه « تغيرات في الحياة الاقتصادية لا تفرض
عليها من الخارج ولكنها تأتي بمبادئها الذاتية Onits Owninitiative
من الداخل » . وهو يفترض أيضاً أن هذا التطور لا يقوم على أساس
تطور سابق كما هو مفروض ، الا انه يرى مع ذلك أن « كل عملية تطور
تخلق مقتضيات Requirements (التطور) التالي » ، فيفسر
أن هذا التطور الأولي يبدأ من نقطة انطلاق ينعدم فيها التطور رغم
أنه ينتهي بتطور متعاقب جديد .

ويتصف التطور عند شومبيتر بمايلي :

١١ - أنه تلقائي او ذاتي Spontaneous .

١٢ - أنه متقطع Discontinuous ، أي أنه عملية غير مستمرة .

يقول شومبيتر (ص ٦٤) « ان التطور بالمعنى الذي نعطيه له هو

ظاهرة متميزة Distinct ، أجنبية كلياً عما يمكن ملاحظته .

في التدفق الدوري The circular Flow أو في الميل نحو التوازن .

فهو (أي التطور) تغير تلقائي ومتقطع في مسالك التدفق وتعكير Distuabance

في التوازن ، يبدل ويحل محل حالة التوازن الموجودة سابقاً . وينظر يتسك

في التطور هي ليست الامعالجة هذه الظاهرة والعملية المتصلة بها .
٣ - ان التطور « يظهر في الحياة الصناعية والتجارية وليس في مجال
احتياجات المستهلكين للمنتوجت النهائية » . ويعتبر شوميتير التبدل
الذي يحصل في تلك الاحتياجات تغيرا في الحقائق المعطاة
Given Data فقط .

٤ - وأخيرا فأن التطور يتصف بأنه « انمام المؤلفات الجديدة » New
Combinations بين عوامل الانتاج . وهنا تبرز فكرة شوميتير عن
(الابتداع) وهو ما سنبحثه فيما بعد .

مقتضيات أو متطلبات التطور

تفترض نظرية شوميتير نظاما رأسماليا صرفاً تسود فيه منافسة حرة
وتامة ، وينعدم فيه أي عنصر من عناصر الاحتكار ، كما ينعدم فيه الربح
والفائدة . وهذا يعني وجود حالة الركود Stationary State
التي تشترط توازناً اقتصادياً تاماً ليس فيه اقراض ولا افتراض . وكما
سنرى فيما بعد ، فأن غياب عنصر الربح هو الذي يقود الى التغير الحركي
في التوازن عن طريق (الابتداع) . اما العملية الاخيرة ، أي الابتداع
فتقوم بها فئة خاصة من الناس مهمة جدا للنظام الاقتصادي يدعى أفرادها
(المنظمين) Entrepreneurs . وهذه الفئة هي ليست طبقة خاصة قائمة
بذاتها ، وانما يتميز افرادها بقدرتهم على تحيين الفرص والتحقق منها ثم
انتهازها واستغلالها لمصلحتهم ، وبالتالي لمصلحة المجتمع كله .

وعليه فأن شوميتير يفترض ثلاثة عوامل على الاقل في النظام
الاقتصادي السائد :

- ١ - منافسة تامة .
- ٢ - حالة ركود مستقر وتوازن ثابت .
- ٣ - وجود فئة المنظمين . وهذا يعني افتراضه ما يمكن ان يسمى

ب (رأسمالية المنظمين)^(٢١) • Managerial Capitalism

الابتداع والابتداعات : ما هي ؟

ان نظرية شومبيتر هي في أساسها قائمة على (الابتداع) السذبي يستغله المنظمون في سبيل الربح • فيؤدي ذلك الى تزعزع التوازن القائم والى تغير في حالة الاقتصاد الراهنة ، ويخلق تركيباً جديداً من السلع والخدمات ، وتوزيعاً جديداً في الدخول وكمية أكبر من الانتاج • ويظهر خلال ذلك التطور الاقتصادي •

ولكن ما هي طبيعة هذه (الابتداعات) ؟

للإجابة على هذا السؤال يبدأ شومبيتر اولاً بتعريف التطور الاقتصادي على انه مؤالفة جديدة بين وسائل الانتاج ، وهذا هو جوهر التطور^(٢٢) ان هذه المؤالفة الجديدة هي بحد ذاتها (ابتداع) Innovation غير أن شومبيتر يذهب أبعد من ذلك حين يعتبر الحالات التالية ضرورياً من الابتداع كذلك (ص ٦٦) :

- ١ - ادخال سلعة جديدة ؟
- ٢ - استحداث اسلوب جديد للانتاج ؟
- ٣ - فتح أو ايجاد أسواق جديدة ؟
- ٤ - اكتشاف مصدر جديد للمواد الأولية ؟

(٢١) على ذكر (رأسمالية المنظمين) وعلاقتها بالنمو الاقتصادي

لا بد لنا من التنويه بكتاب جديد صدر حديثاً

R. Morris, *The Economic Theory of Managerial Capitalism*,
London Macmillan, 1967.

حاول فيه المؤلف ان يبداً مفهوم (رجل الاعمال) القديم المهتم بتحقيق الربح بالرأى الاصيل الذي يذهب الى أن دافع الربح قد زال ليحل محله دافع النمو • وهو في الحقيقة رأى يستمد الكثير من أصوله من نظرية شومبيتر أعلاه •

(٢٢) أو ليس هذا (تغير في أساليب الانتاج) بالمعنى الذي جاء

به ماركس ؟

• - القيام بتنظيم جديد لصناعة ما ، كانشاء احتكار •
من هذا يتضح ان شومبيتر قد جعل من (الابتداع) عملية شاملة
ليس للتقدم الفني فقط وانما أيضا وعلى وجه أعم كل فرصة تدعو
للربح ، وهي فكرة من السعة والشمول بحيث أنها تتضمن ليس فقط
(التغير في أسلوب الانتاج) وانما بالاضافة الى ذلك ادخال سلع جديدة
وأسواق جديدة ومصادر جديدة للمواد الأولية واعادة تنظيم صناعة من
الصناعات القائمة ، وهو أمر يتعلق بالتنظيم الادارى أيضا •

عملية التطور

يبدأ شومبيتر عملية التطور بما يدعو به بالتدفق الدوري في حالة
الركود حيث هناك حقائق معطاة ثابتة Given Data وحيث النشاط
الاقتصادي الجاري هو مجرد عمل روتيني • ولا يوجد (منظمون) بمعنى
الكلمة في هذه الحالة لعدم وجود وظيفة متميزة للتنظيم • بل يقوم بالعمل
الروتيني اداريون اعتياديون يستلمون مقابل عملهم هذا أجوراً اعتيادية •
أما الارباح فهي معدومة • ويتداول الافراد بينهم دخولا نقدية هي عبارة
عن القيمة النقدية لاتاجهم الحدي • وينفق هؤلاء دخولهم هذه بحيث
تساوى المنافع الحدية للسلع التي يستهلكونها جميعاً •

في مثل هذه الظروف يكتشف واحد من ذوي القابليات الممتازة
طريقة جديدة للمؤالفة بين وسائل الانتاج لاتاج سلع جديدة تختلف عن
السلع الحالية من حيث النوعية والسعر •

والسؤال الذي يرد في هذه المرحلة هو : ما هو المزج الجديد
بين وسائل الانتاج ؟ هل هو بين عوامل انتاج عاطلة حالياً عن العمل ، أم
هل هو بين وسائل انتاج مستخدمة حالياً ، مما يؤدي الى سحب تلك
الوسائل من الحقول التي تستخدمها في الوقت الحاضر ؟

يجيب شومبيتر على هذين السؤالين بقوله « اننا يجب الا نفترض
أبدأ ان اتمام عملية المؤالفة الجديدة يجب ان تتم عن طريق اسستخدام
وسائل انتاج غير مستعملة حالياً • وبالاضافة الى ذلك فأن المؤالفة - سات

الجديدة هي ، كقاعدة ، متمثلة في مشاريع جديدة لا تستند على المشاريع القديمة « وانما تبدأ بأشياء مشرعية جديدة » . وهكذا فإن وسائل الانتاج يجب ان تكون مستخدمة حالياً ، غير ان مشاريع جديدة يجب ان تقوم لتعمل جنباً الى جنب مع المشاريع القديمة .

ولكي تتم المؤالفة الجديدة بين عوامل الانتاج لا بد للمنظم من وسائل يستطيع عن طريقها الحصول على الموارد الانتاجية اللازمة لتحقيق ذلك . هنا يبرز عنصر (الائتمان) Credit والتوكيد الذي يضعه شوميتير على الدور الذي تلعبه البنوك والرأسماليون في عمليتي الابتداع والتطور . فالرأسماليون يستطيعون ، بواسطة البنوك ، منح القروض الى المنظمين لكي يستطيع هؤلاء اتمام عملية المؤالفة الجديدة . غير ان هؤلاء الرأسماليين ، او المقرضين ، سيطلبون ثمناً أو (ايجاراً Rent) لرأس المال الذي يقدمونه للمنظم . وهنا تظهر (الفائدة Interest) على رأس المال . ولكن كيف يمكن للمنظم ان يدفع (فائدة) الى الرأسمالي ؟ يجب شوميتير بأن باستطاعة المنظم ان يفعل ذلك عن طريق (الربح Profit) الذي يحققه عند قيامه بعملية المؤالفة الجديدة بين وسائل الانتاج . وهكذا يلعب (الائتمان) دوراً اجتماعياً واقتصادياً مهماً ، وتصبح بذلك الرأسمالية مزيجاً من النوعين المالي والاداري

Fintncial
and Managerial Type

في هذا الوضع الجديد تترتب على عملية الابتداع هذه وعلى وضعها موضع التنفيذ والتحقيق سبع نتائج مهمة هي :

- ١ - قيام مشاريع جديدة ؟
- ٢ - تعكير التوازن القديم وعدم قيام توازن جديد يحل محله مباشرة ؟
- ٣ - تحقق ربح للمنظمين ؟
- ٤ - ارتفاع الدخول التقديية واعادة توزيعها من جديد ؟
- ٥ - اختلاف تركيب السلع وأنواعها عن ذي قبل ؟
- ٦ - كون مقدار السلع والخدمات أكبر من السابق ؟

٧ - ظهور عنصر (الفائدة) ودفعه كسعر للائتمان لتمويل أساليب

الانتاج الجديدة •

هذه كلها تدل على نشوء حالة من عدم التوازن في النظام الاقتصادي •
غير أن الأخير يميل دائماً نحو التوازن • ومما يجعل ذلك سهلاً هو زوال
الربح والفائدة • فكيف يمكن تحقيق ذلك ؟

ان المنظمين الآخرين ، حالما يتحققون من وجود فرص جديدة
للربح ، فانهم سيحاولون ترك الصناعات القديمة ودخول حقول الصناعات
الجديدة • ولما كانت المنافسة حرة وتامة ، فإن هذه المحاولة سيسهل أمرها
بسبب القابلية التامة لعوامل الانتاج على التنقل والحركة من صناعة الى
أخرى • وهكذا فإن منافسة مثل هذه ستقود الى عرض أكبر من السلع
والخدمات الجديدة ، مما يؤدي ، في حالة بقاء الاشياء الاخرى على حالها ،
الى انخفاض اسعارها • ويفضي انخفاض الاسعار هذا الى زوال (الربح)
الذي حققه المنظم تدريجياً ، وبالتالي الى تلاشي (الفائدة) ايضاً • وبذلك
يعود النظام الاقتصادي الى (التدفق الدوري) الاول ، في وضع من
السكون Static وفي حالة من الركود Stationary **تفسير ان وضعاً**
توازنياً جديداً سينشأ متصفاً بصفات تشابه خصائص التوازن القديم : ليس
فيه فائدة ولا ربح ، ولكن مع توزيع جديد للدخول ، ومقادير اكبر
وتركيب مختلف للسلع والخدمات •

هنا نصل الى مرحلة أخرى من مراحل التطور الاقتصادي هي أعلى
من السابقة وتختلف عن اللاحقة • وهذه المرحلة الجديدة هي ضرورة
لازمة للتطور المقبل ، فهي لذلك حلقة وصل في سلسلة مترابطة وجزء
من حلقات متلاحقة من التطور الاقتصادي المستمر • وهي تتصف بالصعود
والارتفاع نحو مستويات أعلى من التطور عن طريق هذه الفئة الخاصة
من الناس ، المعروفين بالمنظمين والمبتكرين •
هذه هي نظرية شومبيتر في التطور الاقتصادي • فما الذي تحاول
تفسيره ؟

لقد حاول شومبيتر في نظريته هذه أن يبين :

- ١ - كيف تنشأ الأرباح ؟
- ٢ - كيف تظهر (الفائدة) ؟
- ٣ - كيف ولماذا يخلق الائتمان الصيرفي ، ودور البنوك في ذلك ؟
- ٤ - دور المنظمين والابتداع في التطور الاقتصادي ؟
- ٥ - نظرية للتطور الاقتصادي تربط بين هذه العناصر المختلفة على أساس متماسك ؟

٦ - تفسير الدورات الاقتصادية التي تبدو وكأنها صفة طبيعية ملازمة للرأسمالية وللتطور الاقتصادي وجزء لا يتجزأ منهما .

نقد نظرية شومبيتر

ان أهم صعوبة يواجهها تحليل شومبيتر للتطور الاقتصادي هو أنها غير كمية Non-Quantitative اذ لا يمكن اخضاع الابتداعات لقياس دقيق . فهناك تطورات تحدث يوميا وباستمرار في الحالة الفنية السائدة ولا يمكن لاحد ان يشعر بها بوضوح الا بعد مضي وقت طويل . فعملية التقدم الفني هي عملية مستمرة رغم انها قد تستغرق وقتاً طويلاً . وهذه الاستمرارية في الاختراعات والابتداعات والتحول الفني يمكن ان تعتبر نقداً بالمستطاع توجيهه لافتراض (عدم الاستمرارية) في التقدم الفني وفي عملية التطور الاقتصادي ، وبالتالي نقداً لفكرة حالة (الركود) The Stationary State التي يعود اليها اقتصاد شومبيتر على السدوام .

كما ان بالامكان توجيه النقد الى اصرار شومبيتر على ان التركيب او المؤلفة الجديدين لوسائل الانتاج يجب أن يكونا من بين عوامل انتاج مستخدمة حالياً وليس من عوامل أخرى غير مستغلة . فالتقدم الاقتصادي هو ، ويجب ان يقود الى استخدام موارد غير مستعملة حالياً ما دام التركيب الجديد بحاجة اليها ، والا لما كان هناك استغلال أمثل Optimam Utilization للموارد القومية ، رغم ان الوسائل الانتاجية المستعملة-

حالياً يمكن أن تستغل استغلالاً أوفى في التركيب الجديد الناتج عن الابتداعات المستحدثة • ومن الواضح ان شوميتير يشير فقط الى زيادة انتاجية العوامل المستعملة حالياً كوسيلة للتطوير الاقتصادي ، وهو ما تهدف اليه المؤالفة الجديدة بين وسائل الانتاج •

وكذلك يهمل شوميتير عدم تمام المنافسة في السوق عملياً ، ووجود عناصر احتكارية مهيمنة على قطاعات مهمة من الاقتصاد الرأسمالي المتقدم • ومن ناحية أخرى فقد وكدت نظرية شوميتير على أهمية كل من الابتداعات والمنظمين الذين يضعون الابتداعات هذه موضع التطبيق • ولا يؤكد شوميتير على الابتداعات ذاتها قدر توكيده على المنظمين • فرأسمالية شوميتير هي (رأسمالية ادارية Managerial Capitalism في جوهرها • وتبين أهمية هذه الحقيقة اليوم عند التمييز بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة اقتصادياً نسبياً ، حيث يؤكد الاقتصاديون على فقدان ، او للاقل ضعف ، عنصر (التنظيم) في النوع الثاني من الاقطار مقارنة بالنوع الاول منها • فالمنظمون هم عناصر نشطة وداينمكية لا تؤمن بالروتين ولا بالرتابة في العمل ، وانما هي عناصر قيادية جريئة قادرة على المخاطرة بتطبيق الفكرة الجديدة اذ اقتنعت علمياً بأصالتها وفائدتها • • فهي لا تخشى الفشل ولا تخاف الخطأ غير التعمد • وليس من شئ • يحتاجه التطور الاقتصادي الحثيث والسريع اكثر من هذه العناصر القيادية • • مهما كان نوع النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي القائم •

وبالاضافة الى ذلك فإن نظرية شوميتير ليست مجرد نظرية لتفسير التطور الاقتصادي وشرح كيفية حدوثه ، وانما هي تظهر أيضاً كيفية قيام (الربح والفائدة والائتمان الصيرفي) في النظام الرأسمالي • كما أن من المهم الاشارة أيضاً الى تفسير (الدورات الاقتصادية) على أنها متأصلة في العملية الرأسمالية للتطور الاقتصادي •
أما ما يتعلق من نظرية شوميتير بالدول المتخلفة اقتصادياً فيمكن تلخيصه بالنقاط الثلاث التالية وهي :

١ - الدور المهم الذي تعزوه لعنصر التنظيم في عملية التطور الاقتصادي .

٢ - المركز الخطير الذي تحتله الابتداعات والتقدم التكنولوجي في عملية التنمية الاقتصادية .

٣ - ضرورة وجود نظام نقدي وصيرفي متقدم كشرط أساسي لتمويل استغلال الابتداعات في عملية التطور الاقتصادي^(٢٣) .

ووستو ونظريته في النمو الاقتصادي

ان التقدم الاقتصادي هو شكل من أشكال التغير ؛ ولما كنا قد تحققنا من الطبيعة المعقدة لهذا التغير ومن تشابك عوامله المتعددة والمختلفة ، فأنا بحاجة الى نظرية عامة حول التغير الاقتصادي تضم في اطارها تفسيراً لاسباب التغير المترابطة ، وبيانا للطريقة التي تعمل فيها هذه المسببات في الجهاز الاقتصادي ، وتفاعل هذه العوامل مع النظام الاقتصادي نفسه ، والنتائج المترتبة على هذا التفاعل بالنسبة لرفاهية الافراد ، والتحقق من الطبيعة الاقتصادية للعوامل المذكورة ، وأخيرا تحليل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل هذه المسببات من خلالها او التي قد تتأصل فيها هذه العوامل نفسها . وهذه نظرية كلية تشتمل على تحد من قبل المحيط الاجتماعي والاقتصادي ورد فعل من قبل شاغلي ذلك المحيط . ان هذا

(٢٣) سبق للكاتب الحالي ان بحث تطور النظرية الاقتصادية الخاصة بدور الجهاز الصيرفي والنقدي في عملية النمو الاقتصادي في المقال التالي :

عبدالمنعم السيد علي « النظام الصيرفي وتمويل التنمية الاقتصادية » مجلة التجارة ، الجزء ٣ ، ايلول ، ١٩٦٠ .

أما بالنسبة لدور الجهاز الصيرفي في التنمية الاقتصادية مسن الناحية العملية فيرجع للكاتب الحالي في :

عبدالمنعم السيد علي ، دراسات في النقود والنظرية النقدية ، بغداد مطبعة العاني ، ١٩٧٠ ، الفصل ٣١ ، ص ٤٢٩ - ٤٦٣

أما بالنسبة لنظرية شومبيتر نفسها فيرجع ايضا الى ما يروبولدون المصدر السابق ، الفصل الرابع .

التحدي والاستجابة ، او الفعل ورد الفعل ، يمثلهما روستو Rostow
 بستة متغيرات Variables يدعوها هو (ميولا) Propensities
 وهي الميل « لتطوير العلوم الاساسية Fundamental Sciences
 الطبيعية او الاجتماعية ، والميل لتطبيق هذه العلوم في سبيل غايات اقتصادية ،
 والميل « لقبول الابتداعات » Innovations ، والميل « للحصول على
 أطفال » To Have children ، والميل للحصول على تقدم مادي
 Material Advance ، واخيرا الميل للاستهلاك Propensity
 To Consume^(٢٤) . وتعكس هذه الميول تفاعلا بين المجتمع والبيئة
 التي يعيش فيها ، تفاعلا ينتقل خلال المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية
 ومختلف الفئات الانسانية في المجتمع نفسه . كما انها تعكس في الوقت
 نفسه قيم المجتمع الاساسية ، رغم انها لا تشير الى دوافع المجتمع أو الأفراد
 الذين يكونونه ، اذ ان تحديد ذلك متروك أمره لعلماء الاجتماع من غير
 الاقتصاديين . ولكن العملية السياسية لا تزال مهمة في تطور النظام
 الاقتصادي ، الا ان روستو يفترض هنا ان هذه العملية وكذلك المؤسسات
 السياسية هي من بين الوسائل التي يمكن للميول المذكورة^(٢٥) بواسطتها
 أن تصبح فعالة في مجتمع ما وأن تظهر نتائجها في الاقتصاد .
 ان احدى النتائج المهمة التي تترتب على هذا التحليل الذي يستند
 الى الرأي القائل بأن المجتمعات تتفاعل مع بعضها في سيرها المتواصل ،
 هي « عدم اعطاء اية أسبقية في الزمن او السببية Causation للقوى
 الاقتصادية مقارنة بالقوى الاجتماعية ولا للقوى الاجتماعية مقارنة بالقوى
 السياسية »^(٢٦) ، وهو فرق صارخ بين هذه النظرة وبين رأي بعض
 الاقتصاديين الآخرين من أمثال ماركس الذي اعطى للعوامل الاقتصادية
 الاسبقية الاولى وعزا اليها تأثيرا كبيرا وأولاهها أهمية قصوى في تكييف

(٢٤) Rostow السابق ذكره ، ص ١٣ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ١٤ .

(٢٦) نفس المصدر ، ص ١٤ .

الموارد المخصصة لأغراض الاستثمار • أما حجم الاستثمار فتحده

العلاقة بين منحني عرض الاموال Supply Curve of Finance

ومستوى الانتاجية ، في حين تقرر (الميول) بدورها منحني عرض الاموال ومستوى الانتاجية وحجم الابتكارات Innovations المتمثلة في عملية الاستثمار^(٣١) • وبالنظر الى ان هذه الميول نفسها تتحكم فيها مؤسسات اجتماعية مترابطة تقرر طبيعتها ومداها ، فانها (أي الميول) ستطوّر على مر الزمن ملامح خاصة بها كاشفة عن علائم نمو أو تدهور أو ركود في النظام الاقتصادي لقطر ما • فقد يكون فيها تدهور ذاتي Built-in Deceleration يعين عليه تناقض في الغلة ذو طبيعة طويلة المدى يؤثر على حجم انتاجية القوة العاملة وعلى بعض الاستثمار الصناعي والزراعي ، وبخاصة في الصناعات الاستخراجية^(٣٢) •

وينظر روستو الى الابتداعات في نظريته هذه نظرة تختلف عن نظرية شوميتير • فبينما تعتبر عملية الابتداع بالنسبة للاخير عملية مستقلة Autonomous ، ينظر اليها روستو على انها ظاهرة مولدة او مسببة Induced تتبع من عملية النمو نفسها لمواجهة بعض حاجاته • فظاهرة الابتداعات هي وسيلة تخفف عن عملية النمو بعض الضغوط الواقعة على الموارد المحدودة ، تلك الضغوط التي تهىء فرصاً للربح يمكن استغلالها عن طريق الابتداعات نفسها • وهكذا يصبح معدل النمو في الانتاج دالة لعوامل متشابكة التفاعل ومتبادلة التأثير ، تشمل على انتاجية الاستثمار ، وامكانيات تناقص الغلة ، وما يعدها او يوازها أو يخفف عنها من الابتداعات المتوالية من الناحية الاخرى ، و « العاصمتان الاجتماعيتان الاساسيتان لمجتمع ما ، وهما (مدى) استجابة (المجتمع) لفرص الربح ، بما في ذلك الربح المستخلص من العلوم

(٣١) نفس المصدر ، ص ٦٩

(٣٢) نفس المصدر ، ص ١٧

الاساسية والتطبيقية ، ومدى استعداده لقبول وتطبيق امكانيات الابتداع
المعرضة ، (٣٣) .

مراحل النمو الاقتصادي عند روستو

استمر روستو على نهجه هذا الذي شرحناه آنفاً في نظرية شاملة
جديدة للنمو الاقتصادي أسماها (مراحل النمو الاقتصادي) (٣٤) ، اراد
بها من ناحية ، أن تكون تجسيدا لأرائه تلك التي لخصناها سابقاً ، ومن
ناحية اخرى ، بديلا للنظرية الماركسية في النمو الاقتصادي مما دعاه
لان يصفها بأنها (اعلان غير شيوعي Non-Communist Manifesto
ويمكن تلخيص الاتجاه العام لطبيعة تحليله للنمو الاقتصادي في عبارته
التالية (ص ٦) :

ان المجتمعات (هي) عبارة عن وحدات عضوية متفاعلة . ومع ان
للتغير الاقتصادي حقاً نتائج سياسية والاجتماعية ، فأنا نعتبر التغيير
الاقتصادي نفسه نتيجة لقوى سياسية واجتماعية ، واخرى اقتصادية بالمعنى
الضيق . فإذا بحثنا الدوافع الانسانية وجدنا أن الكثير من التغيرات
الاقتصادية الجوهرية قد تم بفعل دوافع ومطامح انسانية غير اقتصادية .

ويتميز تحليل روستو هذا في أنه قد انتهج في نظريته « أسلوب
المؤرخ الاقتصادي القائم على اطلاق بعض التعميمات على التطور التاريخي
الحديث . أما شكل التعميم الذي (اعتمده) فهو مجموعة المراحل التي
يمر بها النمو الاقتصادي » (ص ٤) . وقد صنف روستو « جميع المجتمعات

(٣٣) نفس المصدر ، ص ٩٣

(٣٤)

Rostow, W. W., *The Stages of Economic Growth*, Cambridge,
University Press, 1960.

وسنشير هنا الى الترجمة العربية التي قام بها برهان دجاني ، المكتبة
الاهلية ، بيروت ، ١٩٦٠ . وسنذكر الصفحة المعينة مباشرة في متن
البحث .

Brenner, Y. S., *Theories of Economic Development and Growth*
London, George Allen And Unwin, 1966.

كما يمكن الرجوع اليها في :
مايروبولدوين ، التنمية الاقتصادية ، نظريتها ، تاريخها ، سياستها ،
ترجمة يوسف صائغ ، بيروت ، ١٩٦٤
وكذلك في كتاب Brenner اعلاه .
ولا محيص عن قراءة (رأس المال) لما ركس كمصدر اساسي لتفهم
النظرية اثاركسية الديناميكية بالاضافة الى كتاب Brenner السابق
ذكره .

أما عن المزيد من المراجع الخاصة بالتنمية والتطور الاقتصاديين فان
خير مصدر جامع لها هو :

Hazelwood, A., *Economics of "Underdeveloped" Areas* in an
annotated Reading List of books, articles and official pub-
lications, Oxford University Press, 1949.

— , *The Economics of Development; an annotated list of*
books and articles, 1959-1962. Oxford University Press,
1964.

أنظر كذلك :

Selected Readings and Source Materials on Economic Develop-
ment, International Banks for Reconstruction and Develop-
ment, Washington, D. C.

بدون تاريخ .

أما بالنسبة لنظريتي النمو الاقتصادي عند كل من هارود ودومار
فنشير الى البحث الذي كتب باللغة العربية في المقالين اللذين نشرهما
الكاتب الحالي كما يلي : -

عبدالمعنى السيد علي ، « نظرية هارود في النمو الاقتصادي والاقتصاد
الحركي » ، مجلة الاقتصادي ، العدد الثاني ، حزيران ، ١٩٧٠ .
عبدالمعنى السيد علي ، « نظرية دومار في النمو الاقتصادي والاقتصاد
الحركي » ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثاني - السنة الثانية ،
١٩٧١ .

أما بالنسبة لدور البنوك في التنمية الاقتصادية كما تؤكد عليه
النظرية الاقتصادية منذ شومبيتر ، فانظر للكاتب الحالي أيضا :
عبدالمعنى السيد علي : « النظام المصرفي وتمويل التنمية الاقتصادية »
مجلة التجارة ، الجزء ٣ ، أيلول ١٩٦٠ .

دراسة

في اتجاهات ومساكن التطور الصناعي

في العراق في الفترة

١٩٦٣/١٩٦٤ - ١٩٦٨/١٩٦٩

الدكتور كاظم حبيب

يستهدف هذا البحث استعراض وتحليل أهم اتجاهات ومشاكل تطور القطاع الصناعي في العراق خلال الفترة ١٩٦٣/١٩٦٤ - ١٩٦٨/١٩٦٩. وهي المرحلة الرابعة من مراحل التطور الصناعي العراقي. ان هذا البحث يشكل القسم الثاني من الدراسة الخاصة بتطور القطاع الصناعي التي يقوم بها الباحث^(١).

ان هذه المرحلة، التي ما تزال ممتدة حتى الوقت الحاضر، قد شهدت اجراءات اقتصادية مهمة، تأتي فيما يلي على تلك الاجراءات التي شملت القطاع الصناعي والتي وجدت تعبيرها في النقاط التالية:

● صدور قرارات التأميم في منتصف شهر تموز عام ١٩٦٤ والتي شملت مؤسسات مهمة في القطاع الصناعي عائدة الى القطاع الخاص المحلي^(٢).

● تم وضع « خطة » اقتصادية جديدة بدأ العمل بموجبها منذ عام ١٩٦٥/١٩٦٦ وامتدت الى عام ١٩٦٩/١٩٧٠، كما تم اقرار « خطة »

(١) راجع: د. كاظم حبيب، « دراسة في اتجاهات ومشاكل التطور الصناعي في العراق للفترة ١٩١٧ - ١٩٦٣ » مجلة الجامعة المستنصرية العدد الثاني ١٩٧١، بغداد ص ٥٦٨ - ٦٢٣.

(٢) راجع: د. كاظم حبيب « الطبيعة الاجتماعية لاجراءات التأميم في العراق » مجلة الطريق اللبنانية العدد ٣ و٣ لسنة ١٩٧١، بيروت.

اقتصادية جديدة للفترة ١٩٧٠/١٩٧١ - ١٩٧٤/١٩٧٥^(١) .
● البدء بتشكيل وتشغيل شركة النفط الوطنية والتوجه نحو
الاستثمار المباشر للنفط العراقي^(٢) .

● انجاز مجموعة من المشاريع الصناعية التي تضمنتها الخطة الاولى
والخطة الثانية والتي كانت ضمن الاتفاقية الاقتصادية السوفياتية - العراقية
بالاضافة الى مشاريع صناعية اخرى^(٣) .

وقد تميزت هذه المرحلة بعدد من الخصائص التي تجد جذورها
وامتداداتها الاساسية في المرحلة السابقة - الثالثة - من مراحل التطور
الصناعي في العراق اى الفترة ١٩٥٨-١٩٦٣ ، ولا تختلف عنها كثيرا . ان
هذا التقسيم يجد تعبيره في المحتوى الاساسي لاهم المؤشرات الاقتصادية في
القطاع الصناعي العراقي^(٤) ، والتي يتلخص في النقاط التالية:

١ - على الرغم من مرور فترة غير قصيرة على انتصار ثورة تموز
عام ١٩٥٨ وازرار مكاسب على طريق تعزيز الاستقلال والسيادة الوطنية ،

(٣) راجع : د . كاظم حبيب : « ملاحظات حول القطاع العام
والتخطيط الاقتصادي في العراق » مجلة دراسات عربية ، العدد ٩ / السنة
الخامسة - تموز ١٩٦٩ ص ١٧ - ٥٠ .

راجع ايضا : قانون خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٠-١٩٧٤
والمذكرة التفسيرية للقوائم العراقية العدد ١٨٦٢ / السنة الثانية عشرة
١ نيسان ١٩٧٠ القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٠ .

(٤) راجع : د . كاظم حبيب « خصائص اقتصاد النفط في العراق
ومهامنا في المرحلة الراهنة » مجلة الثقافة الجديدة العدد ٢٠ كانون الاول
١٩٧٠ ص ٦٩ - ٨٦ وهو موجز للبحث الذي نشر بعد ذلك في مجلة
الطريق اللبنانية في العدد سنة ١٩٧١ بيروت .

(٥) راجع : د . جواد هاشم و د . حسين عمر و د . علي المتوفي :
« تقييم النمو الاقتصادي في العراق » وزارة التخطيط كتاب مطبوع
بالزونيو بجزئين وملحق للجزء الثاني سنة ١٩٧٠ / ١٩٧١ بغداد .

(٦) راجع : د . كاظم حبيب . مصدر سابق - الهامش رقم (١) وراجع
ايضا مجلة الثقافة الجديدة العدد ٩ / ١٩٧٠ « السمات الاساسية
للصناعة الوطنية في العراق » .

الأ ان التناقض الرئيسي في المجتمع العراقي بقي قائماً بين الامبريالية العالمية وشركاتها الاحتكارية الاجنبية التي تستغل وتنهب ثروات القطر الوطنية من جهة وفصائل الحركة الوطنية ومجموع الشعب من جهة اخرى . الا ان هذا التناقض لم يتخذ بأستمرار شكلاً صارخاً وواضحاً كما كان عليه في المراحل السابقة التي سبقت ثورة تموز عام ١٩٥٨ ، بل بدأ يبرز بطواهر جديدة أكثر خطورة وتهديداً لوحدة القطر الوطنية ومصالح الشعب الاساسية . ان المهمة المركزية بالنسبة للاحتكارات الامبريالية هي الاستمرار بأستنزاف الفائض الاقتصادي المنتج في قطاع النفط الخام والتأثير على سياسة الدولة الاقتصادية . وفي ضوء هذا الواقع تبرز الضرورة القصوى لتحقيق تحالف سياسي متين بين القوى والفئات الاجتماعية الوطنية المعادية للاستعمار والاقطاع والرجعية ويستند الى الاهداف الرئيسية التي تنبثق من طبيعة ومحتوى المرحلة الراهنة .

٢ - التصفية المستمرة التي وجهت للعلاقات الانتاجية شبه الاقطاعية وان كانت مترددة تدريجية وغير حازمة ، في الاجهاز النهائي عليها ، مما عرقل انجاز هذه المهمة الكبيرة في القطاع الزراعي ، مهمة التخلص الكامل من العلاقات الانتاجية شبه الاقطاعية وازالة العوائق المنبثقة عنها والمعرقلة لنمو القوى المنتجة ولحرية حركتها . ان الخطوات الايجابية ، رغم النواقص البارزة فيها ، التي اتخذت في قطاع الزراعة ، فسحت الطريق لنمو العلاقات الانتاجية الرأسمالية في جزء محدود من المؤسسات الزراعية وبقي القسم الاعظم منها ضمن اطار الانتاج السلعي الصغير . ان التطور النسبي الذي طرأ على القطاع الزراعي وعلى محتوى العلاقات الانتاجية فيه قد أثر بصورة نسبية بسيطة على الانتاج الصناعي باتجاهين مهمين اولهما يبرز في تحسين امكانية تزويد المؤسسات الصناعية بالمواد الخام الضرورية المتوفرة في العراق من جهة وفي تحسين مستوى الفلاحين ورفع معدل حصة الفرد الواحد من الدخل المنتج في القطر الزراعي وتحسين قوتهم الشرائية من جهة اخرى ، مما يساعد على توسيع السوق الداخلية وقدرتها على تصريف افضل للسلع المنتجة في المؤسسات الصناعية العراقية مما

يساهم في تطوير تلك المؤسسات * ونخلص من ذلك الى القول بأن العلاقات الانتاجية شبه القطاعية المستغلة والمتخلفة التي كانت سائدة في ريف واقتصاد العراق عموما قبل ثورة تموز عام ١٩٥٨ قد تلقت ضربات حادة وصفت في بعض المناطق ، الا ان بقاياها واسلوب نشاطها الاقتصادي وتقاليدها ما تزال موجودة ومؤثرة على الانتاج الزراعي بصورة سلبية * ويزيد هذه المسألة تعقيدا واقع تخلف بناء العلاقات الانتاجية الجديدة والتخلص من الانتاج السلمي الصغير * ان الريف في العراق يشكل أكبر مشكلة للقطر ليس فقط في نطاق الزراعة ، بل في عموم الاقتصاد العراقي وبسبب كونه يصدّر الى المدينة جوانب حادة من مشاكله المزمنة * ان المحك الذي ينبغي الاعتماد عليه في تقدير مدى الجدوية في حل مشاكل القطاع الزراعي الاساسية يرتبط بمسألتين متلازمتين هما : ما هي الجهود التي تبذل في سبيل تحقيق التنسيق والتوازن في التطور بين القطاعين الصناعي والزراعي والتناسب في عموم الاقتصاد الوطني أولا ثم ما هي الجهود التي تبذل في سبيل تمويل الانتاج السلمي الصغير الى انتاج سلمي كبير يستند على ادخال مستمر لمنجزات التقدم العلمي والتكنيكي وتحقيق انتاجية عالية ونوعية جيدة وكلفة قليلة ؟ ان اسلوب ومحتوى معالجة هاتين المسألتين سيؤثر بشكل بارز وعميق على القطاع الزراعي والقطاع الصناعي ومجمل الاقتصاد الوطني وتركيبه الراهن *

٣ - لقد تحول القطاع العام الصناعي خلال هذه المرحلة من قطاع ضعيف بالمقارنة مع القطاع الخاص الى قطاع يتحمل مسؤولية تنفيذ مشاريع البرامج الاقتصادية ويكون القاعدة المادية لعملية التنمية الاقتصادية في العراق عموما * أما القطاع الخاص فقد تميز خلال هذه الفترة بالتردد الشديد وعدم الاستعداد في توظيف رؤوس امواله في الصناعة والاتجاه - كحد اعلى لحركته - نحو المشاريع الصناعية الصغيرة التي لا تتعرض لعملية تأميم يخشاها جدا * وعلى اي حال فإن تردد وخوف القطاع الخاص ينبثق من ناحيتين هما :

أ - الضعف العام الذي يتميز به هذا القطاع منذ نشوئه والمخاربة المستمرة التي عاناها قبل ثورة تموز بشكل خاص (المسألة تتعلق هنا بالقطاع الخاص الصناعي) .

ب - القلق الذي صاحب تطوره بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ ورغبته في السيطرة على عموم عملية التنمية الاقتصادية وعدم تجانس هذه الرغبة الجارحة مع امكانياته الفعلية ثم جنوحه الى التحالف مع القوى السياسية المعادية لتطوره ، ومنها فئات كبار الملاكين والكومبرادور وحتى البرجوازية الاجنبية ، بسبب تخوفه الكبير غير المنطقي من الطبقة العاملة خلال المرحلة المذكورة . ان الاجراءات الاخرى التي اتخذت ازاء القطاع الخاص في منتصف عام ١٩٦٤ وشمولها لعدد مهم من المؤسسات الصناعية التابعة له قد عمقت من تخوفه وتردده في التوظيف .

٤ - ان تنمية الصناعة الوطنية خلال هذه المرحلة كانت خاضعة لذهنية البرجوازية الصغيرة وبرامجها في هذا الشأن وتجد هذه الحقيقة تصيرها الواضح في « الخطة » الاقتصادية الخمسية التي صدرت في عام ١٩٦٥ وشملت الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٩ . ويتبلور مفهوم البرجوازية الصغيرة لعملية التنمية الصناعية في كونها لا ترى فيه القطاع المادي الحاسم والمؤثر بصورة مباشرة وفعالة على مجموع القطاعات الاقتصادية ولا ترى فيه القطاع الديناميكي المحرك والمعجل لعملية التنمية ، بل ترى في القطاع الزراعي كل ذلك ، بالاضافة الى موقفها الغام من وجهة التصنيع نفسها .

٥ - وعلى النطاق العربي فان تطلعات التنسيق الصناعي المشترك بين الاقطار العربية لم تحرز أية خطوة جديدة نحو الامام واقتصرت الانفاقيات التي عقدت على اتجاهين :

أ - تأكيد ضرورات تطوير عملية التبادل التجاري وحصر عملية التعاون عموما في مرحلة التداول ونجد ذلك واضحا في اتفاقية الوحدة الاقتصادية واتفاقية السوق العربية المشتركة ، وهي اتفاقيات رسمية .

ب - دعوة الى تحويل التعاون والتنسيق الاقتصادي العربي من مرحلة

التداول الى مرحلة الانتاج ايضا وتجد تعبير ذلك في المؤتمرات العلمية والاقتصادية التي عقدت خلال هذه المرحلة سواء كانت على الصعيد الرسمي ام على صعيد المنظمات المهنية *

وقد بقيت غالبية توصيات وقرارات هذه المؤتمرات دون تنفيذ عملي * وعلى أي حال فلمهم ان نشير الى ان التعاون الاقتصادي العربي لم يكن حتى الوقت الحاضر ذو أثر فعال وبارز على تطوير القطاع الصناعي في العراق ، رغم قدرته على ذلك وتوفير الامكانيات العملية ايضا *

وفي ضوء الخصائص العامة المميزة لواقع التطور الصناعي في المرحلة الرابعة سنحاول ان نعالج خصائص القطاع الصناعي المباشرة ثم المنطلقات الفكرية التي قادت الى هذا الواقع *

وفيما يخص خصائص القطاع الصناعي العراقي فستحدد الدراسة بالنقاط التالية : -

اولا : تركيب الصناعة العراقية

ونهتم في هذه الفقرة ببيان وتحليل واقع تركيب الصناعة العراقية من جوانب عديدة اهمها^(٧) :

أ - التركيب القطاعي للصناعة ؛

ب - التركيب السلعي للصناعة - مجاميع السلع الصناعية ؛

ج - التركيب الصناعي على اساس فرعي الصناعة الاساسيين ، الفرع الاول و الفرع الثاني ، اي انتاج وسائل الانتاج واتساج ووسائل الاستهلاك ، (أ و ب) *

د - تركيب الصناعة العراقية من حيث الملكية *

هـ - تركيب الصناعة من حيث توزيعها الجغرافي *

(٧) راجع :

Arnold, Borchere. Schmidt, "Okonomok der Sogialistischen Industrie in der DDR, Venlay Die Wirtschaft, BERLIN 1969. p. 30.

ثانياً : التشغيل في القطاع الصناعي وتهتم الدراسة بإبراز

ناحيتين هما :

أ - عدد العاملين في المؤسسات الصناعية ونسبتهم الى مجموع السكان
وإلى مجموع الأيدي القادرة على العمل بالإضافة الى التركيب النوعي
للعاملين في القطاع الصناعي .

ب - التوزيع القطاعي والجغرافي للعاملين في المؤسسات الصناعية .
ثالثاً - مستوى تطور إنتاجية العمل وعدد من المؤشرات الاقتصادية
المرتبطة بها .

رابعاً : مقدار مساهمة القطاع الصناعي الوطني في تكوين الدخل
القومي والعلاقة بين حجم الانتاج الاجمالي والقيمة المضافة .
خامساً : تطور قطاع صناعة النفط وخصائصه البارزة في ضوء المقارنة
مع القطاع الصناعي الوطني^(٨) .
سادساً - دور المصرف الصناعي في التنمية الصناعية .

اولاً : تركيب الصناعة العراقية .

تكمن الاهمية الكبيرة في دراسة تطور الصناعة العراقية من حيث
تركيبها المتعدد الجوانب في كونها تضع المرء بصورة مباشرة امام مستوى نمو
وتطور القوى المنتجة وتحدد طبيعة ودور علاقات الانتاج السائدة وتأثيرها على
القوى المنتجة وحركتها وتكشف العوامل التي تقف او التي تؤثر في
ظهور هذا التركيب الصناعي او ذلك ، كما انها تضع العاملين في حقل
التنمية الاقتصادية والمجتمع بأسره وجهاً لوجه أمام المهام المباشرة للتنمية
الصناعية وتحدد لهم وجهة السير اللاحقة في ضوء السياسة الاقتصادية
المتبعة . وعبر هذه الدراسة أيضاً يمكن تحديد جملة من العلاقات

(٨) لن يتم التطرق الى هذه النقطة في هذا البحث بسبب معانجتها
من قبل الباحث في بحث خاص بها نشر في مجلة « الطريق » اللبنا
يعنونان « النفط ودوره في اقتصاديات العراق ومهامنا في الـ
العدد ٨ - سنة ١٩٧١ ، بيروت .

الاقتصادية بين القطاعات والفروع الصناعية ، بين المناطق والاقاليم ، بين السلع المنتجة في مختلف المؤسسات الاقتصادية ، بين القطاع العام والخاص . والمختلط . وفي ضوء هذه المعرفة يمكن تقدير مستوى هذه العلاقة واهمية تطويرها وتلافي النواقص الحاصلة فيها ووضع خطة كاملة لافاق تطورها وايجاد التوافق والتناسب الضروري فيما بينها خلال عملية البناء الاقتصادي . وتشير عملية دراسة تركيب الصناعة بالاضافة الى كل ذلك الى واقسح العلاقة القائمة بين الصناعة في داخل القطر والموارد الاقتصادية المادية والبشرية المتوفرة ، مدى الاستفادة من تلك الموارد في عملية التتميسة الصناعية ومدى تأثير مستوى تطور الصناعة في الاستفادة من الموارد المتاحة .

١ - التوزيع القطاعي للصناعة :

ونعني بذلك توزيع المؤسسات الصناعية القائمة في العراق على أساس نوعية السلع المنتجة فيها كالصناعات الكيماوية والصناعات الغذائية والصناعات المعدنية . . . الخ . والغرض من هذا التقسيم التعرف الدقيق على القطاعات الانتاجية القائمة في الاقتصاد الصناعي اولا ووزن هذه القطاعات في اطارها الاجمالي ثانيا ، اي التعرف على مستوى مساهمة كل قطاع في تكوين قيمة الانتاج الاجمالي في القطاع الصناعي ومستوى مساهمتها في تكوين الدخل القومي الصناعي . ان هذه المعلومات تتيح لنا معرفة مستوى تطور القطاع الصناعي عموما وتعرف من خلالها على مستوى توفر اركان عملية اعادة الانتاج الاجتماعية في الاقتصاد القومي ، عملية اعادة الانتاج الموسعة .

ولو القينا نظرة على الارقام المتوفرة عن التوزيع القطاعي للصناعة العراقية خلال الفترة ١٩٦٤ - ١٩٦٨ ، لتعرفنا على الجدول ادناه :

(٩) ملاحظة : ان المؤسسات الصناعية المقصودة في هذا المجال ، هي التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق ، اي ان الجدول لا يتضمن المؤسسات الصناعية الصغيرة التي يقل عدد العاملين^{١٣} عنها عن عشرة اشخاص : ان الارقام المتوفرة لدينا هي اخر ما نشر في التخطيط حتى ٢٠-٥-١٩٧٠ في كتاب الاحصاء الصناعي

قيمة الانتاج الصناعي بسعر التكلفة وصافي الدخل القومي في القطاعات الصناعية الوطنية
بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٦٤ بالالف الديناريسر

القطاعات الصناعية	السنة		١٩٦٤		١٩٦٥		١٩٦٦		١٩٦٧		١٩٦٨	
	قيمة الانتاج	صافي الدخل	قيمة الانتاج	صافي الدخل	قيمة الانتاج	صافي الدخل	قيمة الانتاج	صافي الدخل	قيمة الانتاج	صافي الدخل	قيمة الانتاج	صافي الدخل
تصفية النفط	١٤٠٢١	١٠٤٤٧	١٨٠٠٢	١٣٧٨٣	١٨٧١٠	١٤٢٦٩	١٧٨٢٥	١٣٤٢٥	١٥٧٠٠	٢٠٤٩٦	١٥٧٠٠	
الصناعات الغذائية	٢٥١٠٦	٤٦٥٣	٢٦١٧٤	٦١٧٦	٢٧٨٧٠	٦١٧٢	٣٠٧٦٩	٦٨٠٣	٢٩٧٠٣	٢٩٧٠٣	٦٠٢٥	
المشروبات	٧١٧٢	٣٨٦١	٧٢٦٤	٤٠٥٧	٩٩٨٥	٦٤١٨	٧٢٢٣	٤٨٩٧	٥٥٩١	٨٣٤٥	٥٥٩١	
التبغ	٧٢٢٨	٢٩١٣	٧٣٤٩	١٩٧٨	٨٠١٦	٣٧١٢	٧١١٦	٣٥٠٣	٣٤١٨	٧٥٤١	٣٤١٨	
المنسوجات	١١٨٤١	٤٦٠٤	١٢٤٠٠	٥٠٢٣	١٢٧٨٣	٥٠٧٠	١٢١٠٠	٥٠١١	٥٣٢٤	١٣٢١٨	٥٣٢٤	
الملابس والاحذية	٦٠٧٦	١٧٢٣	٦٨٤٥	١٧٥٠	٨٢٠٠	٢٥٦٣	٨٥٩٧	٣٢٦١	٣٨٩٦	١٠١٩٢	٣٨٩٦	
الاثاث والتركيب	١٢٨٥	٤٧٢	١١٢٥	٤٧٢	١٣٠٥	٦٣٠	١١١٨	٤٧٦	٦٠٠	١٣٥٧	٦٠٠	
الورق ومنتجاته	١٧٦٨	٤٦٤	١٧٦١	٤١٧	١٩٣٧	٤٩٤	٢٠٧٦	٧٥١	٦٥٣	٢٢٩٦	٦٥٣	
الطباعة	١٢٨٠	٥٨٥	١٣٢٥	٤٨٦	١٨٦٢	١١٠٠	١٨٥٩	١٠٨٣	١٢٢٢	٢١٢٦	١٢٢٢	
الجلود ومنتجاتها	١٥٣٠	٣٩١	١٦٦٣	٣٦٥	٢١٤٤	٥١٥	١٥٧٢	٣٣١	٤٣٣	١٧٦٨	٤٣٣	
الصناعات الكيماوية	١٢٦٤٧	٤٢٩٣	١٤٦٥٣	٤٨٢٣	١٣٧٢٠	٤١٤٦	١٣٥٦٠	٤٩٠٣	٦٣٥١	١٦٠٠٧	٦٣٥١	
صناعات المعادن	١٣١٥٧	٨٦٠٨	١٤٢٥٧	٨٧٨٤	١٣٨٢٥	٨٦٢٥	١٢٧١٢	٧٩٦٩	٩٦٩٨	١٤٧٤٣	٩٦٩٨	
اللافلزية												
صناعات معدنية	٧٢٥١	٣٢٢١	٣٩٧٥	٢٠٤٤	٤٨٠٦	٢٢١٩	٣٧٣٢	٤٤٠٤	٧٧١٢	٧٤١٦	٧٧١٢	
اساسية												
صناعات اخرى	١٠٨٠	٤٥٧	١٠١٨	٦٥١	٨٤٨	٣١٩	٢٨	١١	٦٤	١١٤	٦٤	
مجموع الصناعات الكبيرة	١١١٤٥٢	٤٦٧٩٢	١١٧٨١١	٥٠٨٠٩	١١٠٦١١	٥٦٢٥٢	١٢٥٢٨٧	٥٦٨٢٨	٧٣١٥٧	١٣٥٣١٧	٧٣١٥٧	

ويستدل من الجدول رقم (١) الملاحظات التالية :

١ - لم يحصل اى تحويل في مواقع القطاعات الصناعية القائمة في العراق خلال الفترة ١٩٦٤ - ١٩٦٨ ، وبمضى اخر لم يحصل اى تبدل في مواقع هذه القطاعات بالمقارنة مع المرحلة السابقة ايضا ، اذ ان تركيب هذه القطاعات في عام ١٩٦٤ كان متشابها الى ابعده الحدود مع تركيبها في عام ١٩٥٩ و ١٩٦١ . الخ ، اي ان الصناعات التحويلية الاساسية كالصناعات الكيماوية والصناعات المعدنية اللافلزية والمعدنية لم تستطع ان تحقق نمواً كبيراً في تطورها خلال هذه الفترة . وفي ضوء ذلك نلاحظ ان مستوى تطور صافي الدخل في هذه القطاعات كان محدوداً جداً .

٢ - ان الزيادة الاجمالية في قيمة الانتاج الاجمالي خلال الفترة المذكورة بلغت (٢٣٨٦٥) الف دينار ، اي في عام ١٩٦٨ بالمقارنة مع عام ١٩٦٤ ، اي بنسبة زيادة قدرها ٢١٤٪ فقط ، وكانت الزيادة في صافي الدخل لنفس السنة قد بلغت (١٦٣٦٥) الف دينار او بنسبة زيادة قدرها ٣٥٪ .

٣ - كانت نسب الزيادة في صافي الدخل للقطاعات الصناعية المختلفة متباينة في عام ١٩٦٨ بالمقارنة مع عام ١٩٦٤ ، ففي الوقت الذي بلغت ١٤٦٩٪ في صناعة الملابس والاحذية ، بلغت نسبة الانخفاض في صناعة الطباعة ١٠٨٪ وكانت في الصناعات الاخرى على النحو الآتي :
الصناعات الغذائية ٢٩٥٪ ، المشروبات ٤٤٨٪ ، التبغ ١٧٣٪ ، المنسوجات ١٥٦٪ ، الملابس والاحذية ١٢٦٩٪ ، الاثاث والتركيب ٢٧٩٪ ، الورق ومنتجاته ٤٠٧٪ ، الجلود ومنتجاتها ١٠٧٪ ، الصناعات الكيماوية ٤٤٦٪ ، صناعات المعادن اللافلزية ١٢٧٪ والصناعات المعدنية ٢٩٧٪ .

٤ - وعلى العموم يمكننا ان نبين في هذا المجال الفرق بين قيمة الانتاج الاجمالي وصافي الدخل وتطوره خلال الفترة المذكورة حيث بلغ الفرق في عام ١٩٦٤ بنحو (٦٤٦٦٠) الف دينار ، اي بنسبة قدرها

٥٨٪ ، وبلغ الفرق في عام ١٩٦٨ (٧٢١٦٠) الف دينار او بنسبة قدرها ٥٣٣٪ من قيمة الانتاج الاجمالي . وهذا يعني ان هناك تحسنا نسبيا في مقدار ونسبة صافي الدخل الى حجم الانتاج الاجمالي منذ عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ (x) .

٥ - يستدل من الجدول ايضا ان القطاعات الصناعية القائمة في العراق هي صناعات خفيفة واستهلاكية ، وتعرف على ذلك في الواقع ليس من اسماء هذه القطاعات بل بالاساس من قيمة الانتاج الاجمالي المحدودة ومن مقدار صافي الدخل المنتج . وسنلاحظ ذلك بوضوح اكبر في دراستنا للجوانب الاخرى من التركيب الصناعي في العراق .

ب - التركيب السلمي للصناعات :

تستهدف دراسة التركيب السلمي للقطاع الصناعي الوصول الى معرفة دقيقة وتفصيلية لجميع السلع المنتجة في الفروع والقطاعات الصناعية كافة تبين من خلالها عدد من المؤشرات الاقتصادية منها :

١ - مدى التداخل والترابط ثم التبعية القائمة بين مختلف السلع المنتجة في القطاعات الصناعية ومدى ما تخلقها هذه التبعية من علاقة بين القطاعات الصناعية .

٢ - مدى الارتباطات القائمة بين السلع المنتجة بحيث ان كل عدد معين فيها يشكل مجموعة سلمية قائمة بذاتها ، رغم ان هذه السلع ربما تختلف في توزيعها على القطاعات الصناعية . ان سبب هذا الترابط السلمي في مجاميع سلمية ربما يعود الى نواحي تكنولوجية ومواصفات نوعية معينة او بسبب تكامل مجموعة معينة في اغراض انتاجية واحدة . . . الخ .

٣ - نوعية السلع المنتجة وكيفية توزيعها بين المجموعتين (أ) و (ب)

(x) صافي الدخل = قيمة الانتاج الاجمالي - الاندثارات ، اي أن
دق = ج - ث او ان
ج = دق + ث

اي مدى عائدتها الى مجموعة سلع انتاج وسائل الانتاج ام الى مجموعة سلع انتاج وسائل الاستهلاك في القطاع الصناعي * والجدير بالاشارة ان هناك سلعا خفيفة ولكنها تعتبر جزءا من السلع الانتاجية ، كما ان هناك سلعا ثقيلة ولكنها تعتبر جزءا من السلع الاستهلاكية ، لذلك فمن الضروري معرفة مدى ارتباط هذه السلع بالمجموعتين (أ) و (ب) اساسا * (ان صناعات الخشب والانسجة والملابس والصناعات الغذائية والصناعات الجلدية والدخانية والصناعات الورقية * الخ هي صناعات خفيفة ، الا ان جزءا منها يستخدم كسلع استهلاكية واخرى كسلع انتاجية * اما الصناعات الثقيلة فهي الصناعات المعدنية والصناعات الكيماوية والصناعات الاستخراجية وغيرها من فروع الصناعة ، الا ان جزءا منها يستخدم كسلع انتاجية واخرى كسلع استهلاكية) *

٤ - معرفة واقع التركيب الكمي والقيمي للسلع المنتجة ومسدى مساهمتها في حجم وقيمة الانتاج الاجمالي للقطاع الصناعي ومسدى مساهمتها في تكوين الدخل المنتج في القطاع الصناعي *

يشير تقرير نتائج الاحصاء الصناعي لسنة ١٩٦٨ الى ان هناك ٧٨ مجموعة من السلع المرتبطة بالقطاعات الصناعية القائمة في العراق (عمدا الماء والكهرباء وصناعة استخراج النفط الاجنبية) (١٠) *

ويبدو من الجداول المرفقة التي يتضمنها التقرير المذكور استنتاجان اساسيان تلخصهما فيما يلي :

اولا - ان القسم الاعظم من مجاميع السلع الصناعية هي صناعات استهلاكية وخفيفة من المجموعة (ب) * وان قسما قليلا جدا من هذه السلع يعتبر من المجموعة (أ) ، الا انها تخدم في الوقت نفسه اغراضا استهلاكية * ثانيا - ان كميات السلع المنتجة في هذه المجاميع من جهة وقيمة الانتاج الاجمالي لكل مجموعة منها من جهة اخرى واطئة جدا وان اغلبها

(١٠) راجع : نفس المصدر السابق *

في ضوء ذلك ينتج بتكاليف عالية بسبب ضعف مستوى الانتاجية ، انه قريب الى الانتاج السلعي الصغير • وعلى العموم فأن مقدار مساهمة كل من هذه السلع او كل مجموعة منها في تكوين الدخل القومي في الصناعة ضعيف جدا ويعبر عن التخلف الكبير الذي يعاني منه القطاع الصناعي عموما •

ان الجداول المنشورة في التقرير المذكور اعلاه تبين انعدام وجود صناعات انتاج وسائل الانتاج وخاصة انتاج المكائن والالات والمعدات والصناعات الكيماوية الاساسية • الخ انها تشير بدقة الى ان الانتاج الصناعي في العراق وعموم الاقتصاد الوطني عاجزان عن استكمال عملية اعادة الانتاج الموسعة ضمن اطار الاقتصاد الوطني • وفي ضوء ذلك نلاحظ بأن مقدار التراكم السنوي ضئيل جدا ولايشكل الا نسبة ضئيلة من الفائض الاقتصادي المحقق بالاضافة الى ضالة الفائض الاقتصادي المحقق ذاته • ان صورة الاقتصاد الصناعي في العراق من زاوية التركيب السلعي تؤكد سمة الاقتصاد العراقي الاساسية ، اي كونه اقتصادا متخلفا وتابعا في آن واحد •

ومن الملاحظ في التركيب السلعي للصناعة العراقية ان هناك ظاهرة جديدة بالاهتمام والمراقبة ، ونعني بها التوسع الافقي الكبير في انتاج السلع الاستهلاكية ذات الخصائص والأغراض المتشابهة والمتباينة من حيث الشكل، الا ان كميات الانتاج من كل سلعة من هذه السلع قليلة جدا • ان هذه الظاهرة غير الصحية تعني بطبيعة الحال عدم وجود برمجة واشراف ومراقبة سليمة على الانتاج الصناعي وعلى التوظيفات فيه ، تعني ايضا ان الانتاج سيكون ذا كلفة عالية وانتاجية واطئة •

ان المرحلة الراهنة من تطور الاقتصاد العراقي تضع على عاتق القطاع الصناعي ضرورة التوجه نحو تقليص التوسع الافقي لانتاج السلع المتشابهة وحصرها بأقل عدد ممكن مع زيادة في كميات السلع المنتجة منها

بما يساعد على تقليص التكاليف عبر التحول نحو الانتاج الكبير بالاضافة الى ضرورة بذل الجهود لزيادة انواع السلع التي يمكن ان تنتج في العراق والتي تشبع حاجات جديدة وتساهم في التخلي عن استيرادها من الخارج مع بذل العناية اللازمة بتحسين مستمر في النوعية .

ج - تقسيم القطاع الصناعي الى مجموعتين هما مجموعة انتاج

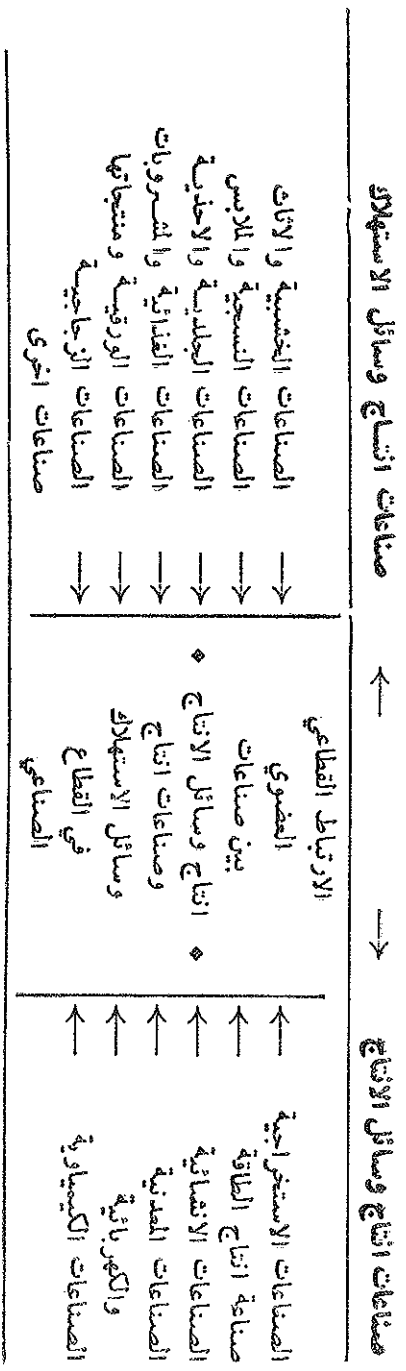
وسائل الانتاج (أ) ومجموعة انتاج وسائل الاستهلاك (ب) .

ان دراسة الاقتصاد الصناعي وتطوره من هذه الزاوية يساهم في فهم واقع الترابط القائم بين هاتين المجموعتين الرئيسيتين ودور كل منهما في عملية التنمية الاقتصادية ومعدلات نموها السنوية وتأثيرها على مجمل الاقتصاد الوطني . ان الاهمية البالغة في دراسة تركيب القطاع الصناعي من هذه الزاوية ايضا تكمن في ضرورة التعرف التفصيلي بمستوى التوازن والتناسب بين مكونات عملية اعادة الانتاج الموسعة ليس فقط في القطاع الصناعي ، بل وفي عموم عملية التنمية الاقتصادية . ان مجموعتي انتاج وسائل الانتاج و انتاج وسائل الاستهلاك تتبادلان السلع المنتجة بينهما كما انهما تتبادلان السلع المنتجة لديهما مع السلع المنتجة في القطاعات الاقتصادية الاخرى . ويعبر مستوى تطور العلاقة في التبادل ومدى قدرة كل منهما على الاستجابة لمتطلبات حاجات الاخرى عن مستوى تطور القوى المنتجة وعن متانة او ضعف القطاع الصناعي بل وعن متانة او ضعف عموم الاقتصاد الوطني .

ومن المفيد ان نشير بهذا الصدد الى ان من الضروري عدم الخلط بين مفهوم الصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة من جهة ومفهوم صناعات انتاج وسائل الانتاج و انتاج وسائل الاستهلاك من جهة اخرى ، اذ ان كلا منهما في المفهوم الاول لايعني كلا منهما في الثاني بالضرورة . ان صناعة انتاج وسائل الانتاج - المجموعة او الشعبة أ - تتضمن سلعا تنتج في قطاع الصناعة الثقيلة كما تتضمن سلعا تنتج في قطاع الصناعة الخفيفة وفي الوقت نفسه فان صناعة انتاج وسائل الاستهلاك تتضمن سلعا تنتج في قطاع

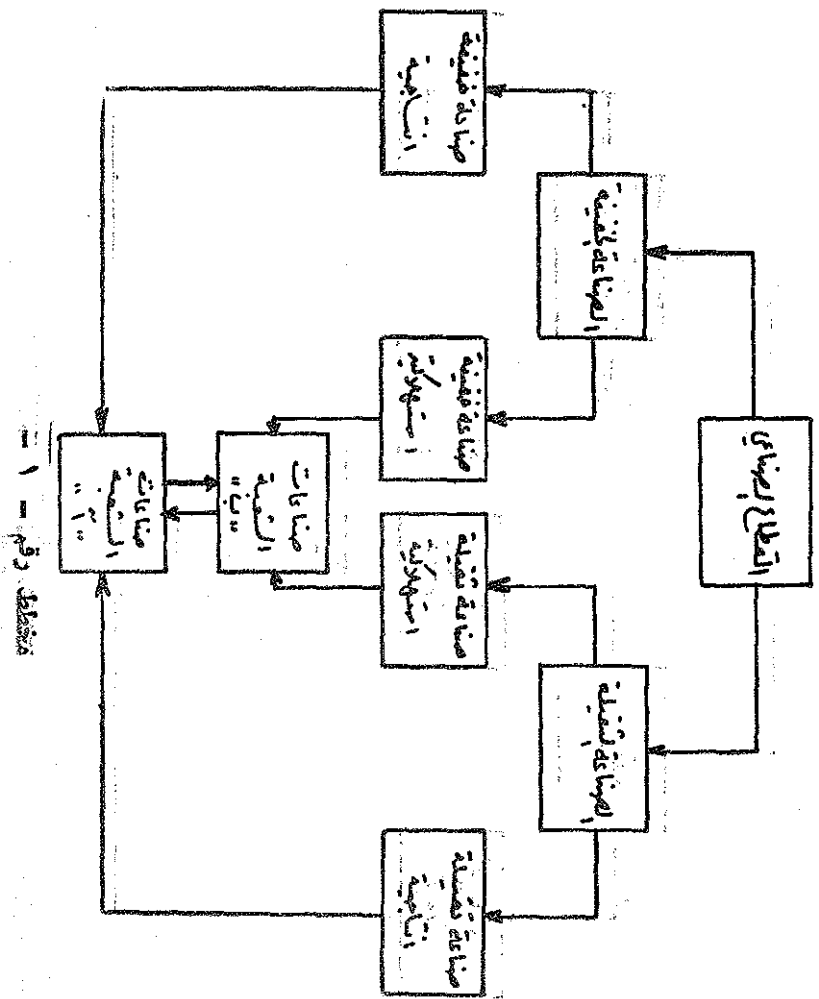
الصناعة الخفيفة كما تتضمن سلعا تنتج في قطاع الصناعة الثقيلة • وفي
سبيل توضيح ذلك وضع المخطط رقم (1) •

ان دراسة مجموعتي الانتاج الصناعي في الاقتصاد العراقي تفرض
علينا أن نحدد اولا وقبل كل شيء مضمون هاتين الشحبتين • ان شعبة انتاج
وسائل الانتاج تشمل على تلك القطاعات الصناعية التي تساهم في انتاج
سلع مواد العمل وادوات العمل ، سواء كانت من الصناعات الثقيلة ام من
الصناعات الخفيفة ، بينما تشمل شعبة انتاج وسائل الاستهلاك على تلك
القطاعات الصناعية التي تساهم في انتاج سلع مواد العمل وادوات العمل ،
سواء كانت من الصناعات الثقيلة ام من الصناعات الخفيفة ، بينما تشمل
شعبة انتاج وسائل الاستهلاك على تلك القطاعات الصناعية التي تنتج السلع
الاستهلاكية كافة ، سواء كنت منتجة في قطاع الصناعات الثقيلة ام قطاع
الصناعات الخفيفة • وفي ضوء ذلك يمكن تحديد القطاعات المنتجة لهاتين
المجموعتين الصناعيتين ، ارتباطا بتوزيعهما بين الصناعات الثقيلة والصناعات
الخفيفة على النحو الاتي :



١
٢
٣
٤
٥

مخطط يوضح الترابط والتداخل القائم بين صناعات انتاج وسائل الاستهلاك - ب - وتوزيع نظامى
الصناعات التقيية والخدمية بينهما



مخطط رقم ١ -

ان هاتين الملاحظتين البارزتين خلال المرحلة ٦٣ - ١٩٦٤ و ١٩٦٨ - ١٩٦٩ قد أدتا الى تغيير نسبي في التناسب السابق لصالح القطاع العام وخلق نوعا من التوازن بينهما . اي ان سنوات المرحلة الاخيرة كانت في صالح القطاع العام وفي صالح تطوره في حين ان القطاع الخاص لم يشهد التطور الذي شهده في الفترة السابقة . الا ان هذا الأستنتاج لا يشمل مجموع القطاع الصناعي في العراق بل يقتصر على المؤسسات الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق . أما اذا انتقلنا الى معالجة علاقة القطاعين الخاص والعام في مجموع القطاع الصناعي ، اي شمول الدراسة للمؤسسات الصناعية الكبيرة والصفيرة لوجدنا ان الصورة تختلف تماما ويصبح القطاع الخاص هو المهيمن على القطاع الصناعي فعليا .

وفي سبيل توضيح ذلك نضع الجدول التالي الخاص بالمؤسسات الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق ، نسنتقل بعد ذلك الى متابعة التطور للقطاعين الخاص والعام في مجموع القطاع الصناعي .

ويستدل من الجدول رقم (٢) على عدد من الملاحظات التي يمكن
استكمالها بمؤشرات اقتصادية أخرى كمقدار رؤوس الاموال الموظفة في
هذه المؤسسات الصناعية من قبل القطاعين العام والخاص ومعدل حصة كل
مؤسسة من رؤوس الاموال الموظفة .

١ - ان عدد المؤسسات الصناعية العائدة للقطاع الخاص في الستين
كبير على العموم بالمقارنة مع عدد مؤسسات القطاع العام ، كما تبين ان معدلات
نمو القطاع الخاص من حيث عدد المؤسسات هي اعلى من معدلات نمو
القطاع العام . وفي ضوء ذلك فقد تغيرت نسبة مساهمة القطاع العام في
مجموع المؤسسات الصناعية التحويلية ، وفق الجدول المذكور من ١٥٪
في عام ١٩٦٤ الى ١٣٪ فقط .

٢ - ان عدد العاملين في مؤسسات القطاعين شهد تطورا في صالح
القطاع العام ، ففي الوقت الذي لم يحصل نمو ملموس في عدد العاملين
في القطاع الخاص خلال الفترة ٦٤ - ١٩٦٨ حصل تطور ملحوظ في
القطاع العام بحيث ظهر نوع من التوازن في توزيع عدد العاملين ، اذ ان
كلا منهما قد احتل حوالي نصف العاملين . وفي الوقت الذي بلغت نسبة
عدد العاملين في مؤسسات القطاع العام في عام ١٩٦٤ بنحو ٤٥٫٦٪ من
مجموع مؤسسات الصناعات التحويلية - عدا الماء والكهرباء ، اصبحت
في عام ١٩٦٨ بنحو ٥٠٫٨٪ .

٣ - وفي ضوء هذين المؤشرين نستطيع ان تبين ان هناك تباين
كبير في متوسط عدد العاملين في المؤسسات الصناعية للقطاعين العام
والخاص ، ففي الوقت الذي حصلت زيادة في متوسط عدد العاملين في
المؤسسات الصناعية الحكومية ، شهدت مؤسسات القطاع الخاص انخفاضا
ملحوظا . وقد نجم هذا الواقع من تحول عدد كبير من مؤسسات القطاع
الخاص الكبيرة الى القطاع العام من جهة وتحول القطاع الخاص الى
انشاء المؤسسات الصناعية الصغيرة التي لا يحتمل ان تشملها قرارات تأميم
محتملة في المستقبل . ففي الوقت الذي بلغ متوسط عدد العاملين في القطاع
الخاص في عام ١٩٦٤ بنحو ٤٠ شخصا انخفض في عام ١٩٦٨ الى ٣٢

شخصاً فقط • أما بالنسبة للقطاع العام فبعد ان بلغ المتوسط بنحو ١٩٣ شخصاً في عام ١٩٦٤ وارتفع الى ٢٢٢ شخصاً •

وفي ضوء هذا الواقع نستطيع ان نتبين طبيعة ومستوى المؤسسات الصناعية الخاصة والعامة بصورة تقريبية لا بأس بها •

٤ - وتعكس هذه الصورة الواردة في الفقرة (٣) اعلاه بشكل اوضح عندما نلاحظ التباين القائم في مقدار الاجور المدفوعة للعاملين في هذين القطاعين من جهة وقيمة الانتاج الصناعي بسعر البيع من جهة اخرى والتي يوضحها الجدول القيمي والنسبي بشكل بارز •

ان الملاحظات التي قدمناها حتى الان اقتصرنا على المؤسسات الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق ، الا ان هذه الصورة غير كاملة بالنسبة للقطاع الصناعي في العراق اذ ان هناك الاف المؤسسات الصناعية الصغيرة التي يبلغ عدد العاملين في كل منها اقل من عشرة عمال تساهم بكمية كبيرة من الانتاج الصناعي في العراق ، كما تساهم بخلق نسبة غير قليلة من قيسة الانتاج الصناعي • ان هذه المؤسسات لها اهمية كبيرة في الاقتصاد العراقي ، بسبب كون الاقتصاد العراقي ما يزال تسيطر عليه ظاهرة الانتاج السلمي الصغير •

وفي سبيل معرفة حقيقة العلاقة بين القطاعين الخاص والعام في الصناعة العراقية نورد جداول احصائية قيمة صادرة عن وزارة التخطيط للفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٨ ، وهي ضمن دراسة قيمة عن تقييم النمو الاقتصادي وتجربة التخطيط في العراق للفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٠ •^(١٥) ان الجدول المشار اليه يتضمن مؤشرات اقتصادية اساسية هي :

● عدد المؤسسات الصناعية في القطاعين بالنسبة للمؤسسات الكبيرة والمؤسسات الصغيرة ؟

● قيمة الانتاج الصناعي فيهما ومستلزمات الانتاج ؟

(١٥) راجع : د. جواد هاشم ، د. حسين عمر و د. علي المنوفي • تقييم النمو الاقتصادي في العراق ١٩٥٠ - ١٩٧٠ ، الجزء الثاني - تطور القطاعات السلعية - وزارة التخطيط - ١٩٧١ ص ٤٦٩ جدول رقم ١٢٧

● القيمة المضافة المنتجة في هذين القطاعين في الصناعة ؟

● عدد المشتغلين والقيمة المضافة لكل عامل في هذين القطاعين .

ويستدل من الجدول رقم (٣) على عدد من الملاحظات منها :

(١) ان القطاع الخاص الصناعي ما يزال يحتل الموقع الاول في الصناعة العراقية وينعكس هذا في المؤشرات الواردة في الجدول المذكور .
(٢) ان نسب معدلات النمو في القطاعين الخاص والعام لم تكن عالية ، الا انها كانت في القطاع الخاص أعلى منها في القطاع العام بالنسبة للمؤشرات المذكورة سابقا عدا مؤشر القيمة المضافة حيث لوحظ انها في القطاع العام اكبر منها في القطاع الخاص كما ان معدلات نموها اعلى .
وتعود هذه النقطة الى واقع ارتفاع اتاجية التشغيل الواحد في المؤسسات العامة بالمقارنة مع اتاجية التشغيل في المؤسسات الخاصة ، بالاضافة الى ان غالبية مؤسسات القطاع الخاص هي مؤسسات صغيرة ، وذات تكتيك متخلف تكون فيها الاتاجية واطئة والتكاليف عالية وبذلك تكون القيمة المضافة المحققة واطئة ، كما ان رؤوس الاموال الموظفة فيها قليلة والتسي تحدد بدورها مستوى التكتيك والاتاجية وحجم المؤسسات وعدد العاملين فيها ونوعية السلع المنتجة وتكالييفها .

(٣) لم يتغير التناسب الذي كان قائما في عام ١٩٦٤ بين القطاعين العام والخاص في عام ١٩٦٨ لصالح القطاع العام ، بل بقي القطاع الخاص هو المهيمن عمليا على السوق وحركتها . الا ان هذا لا يمنع قطعا قدرة القطاع العام في الهيمنة على وجهة التصنيع وتنظيمها واخضاعها لخطية التنمية الاقتصادية ، اي ان هذا الواقع لا يتعارض مع الاستنتاج السابق الخاص بالعلاقة بين القطاعين العام والخاص .

ان ما ينبغي عدم اهماله في هذا المجال ايضا هو ما هي المجالات او القطاعات الصناعية التي يتركز فيها نشاط القطاع الخاص من جهة ونشاط القطاع العام ؟

ان الارقام المتوفرة لدينا تشير الى ان القسم الاعظم من قيمة الانتاج

والقيمة المضافة المنتجة في القطاع الخاص متأتية من قطاعين هما قطاع صناعة الاغذية والمشروبات والتبوغ وقطاع صناعة المنسوجات والملابس والجلود ، كما ان نموا ظهر في الفترة الاخيرة في قطاع صناعة منتجات المعادن اللافلزية .

وفي سبيل توضيح مراكز ثقل القطاعين العام والخاص في القطاعات الصناعية العراقية بالنسبة لمؤشرات عدد المؤسسات وعدد العاملين وقيمة الانتاج والقيمة المضافة نضع الجدول التالي :^(١٦)

(١٦) راجع : اخذت الارقام الاساسية لهذا الجدول من كتاب « تقييم
النمو الاقتصادي في العراق » مصدر سابق ص ٤٤٥ ، ٤٥٧ و ٤٨٢-٤٨٥

جدول رقم (٢)

جدول يبين عدداً من المؤشرات الاقتصادية المهمة في القطاعين الخاص والعام في الصناعة التحويلية وتوزيعها النسبي بينهما للفترة ١٩٦٤-١٩٦٨ (١)

التفاصيل والسنوات	عدد المؤسسات الصناعية		عدد العاملين فيها		قيمة الانتاج الصناعي		قيمة الانتاج الصناعي		التوزيع النسبي للتوزيع النسبي للمؤسسات %		التوزيع النسبي للتوزيع النسبي للمؤسسات %		التوزيع النسبي للتوزيع النسبي للمؤسسات %	
	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤	١٩٦٨	١٩٦٤
القطاع الخاص	١١٩٣	٣٨٠٨٠	٣٨٤٧٦	٧٥٤٣٢٠١	٨٦٢٤٣٩٢	٤٣٣٨٤٣١٦	٥٧٦٣٣٤٨١	٨٥	٨٧	٥٤	٤٩	٤٨	٤٧	٤٦
القطاع العام	١٧٦	٣١٩٩٦	٣٩٧٧٧	١٠٤٦٤٧٥٧	١٤٠٨٥٤٧٧	٧١٥٨٣٠٩٢	٨٦٦١٢٨٩٨	١٥	١٣	٤٦	٥١	٥٨	٦٢	٦٠
المجموع	١٣٧٢	٧٠٠٧٦	٧٨٢٥٣	١٨٠٠٧٩٥٨	٢٢٧٠٩٨٦٩	١١٤٩٦٧٤٠٨	١٤٤٣٦٣٧٩	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١٤) راجع : نتائج الإحصاء الصناعي لسنة ١٩٦٨ - الجهاز المركزي للإحصاء - دائرة الإحصاء الصناعي - وزارة التخطيط - مطبعة الزهراء - بغداد - ١٩٧١ - ص ٦٥-٧٠
 ملاحظات : لا يتضمن القطاع العام مشاريع الماء والكهرباء التي بلغت في عام ١٩٦٤ (٩٩) مؤسسة و (١١٤) مؤسسة في عام ١٩٦٨
 : لا يتضمن القطاع الخاص شركات النفط الأجنبية الثلاث العاملة في العراق
 : ان الجدول يتضمن الصناعات التحويلية الوطنية القائمة في العراق
 : بسبب عدم توفر ارقام دقيقة عن قيمة الانتاج الاجمالي ، اخترنا قيمة الانتاج الصناعي بسعر البيع *
 : ان الجدول يتضمن المؤسسات الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة اشخاص فما فوق *

جدول رقم (٣)

قيمة الانتاج ومستلزمات الانتاج والقيمة المضافة والتشغيل بالقطاعين العام واخص موزعة بين الصناعات

الصغيرة ، ١٩٦٥-١٩٦٨

السنة	القطاع	عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج	الصناعات الصغيرة				عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج	الصناعات الكبيرة			
				عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج	عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج			عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج	عدد المؤسسات الانتاج	قيمة الانتاج
١٩٦٥	العام	١٥٨	٦٧٥٤٣	٣٥٩٤١	٣١٦٠٢	٣٢٨٦٣	٩٢٣	٣٣٨٦٣	٣٥٩٤١	٣١٦٠٢	٣٢٨٦٣	٩٢٣	
	الخاص	٩٨١	٤٣١٩٩	٦٨٢٢٣	١٠٣٦٦٣	٣٥٤٤١	٩٣٠١٠	٣٩٧٢٠	١٦٩٠٠	٢٦٢٩٩	٤٣١٩٩		
	المجموع	١١٣٩	١١٠٧٤٣	١٠٤١٦٣	١٧١٢٠٦	١٢٦٨٧٣	٥٢٨	٧٣٥٨٣	٤٨٥٠٢	٦٢٢٤٠	١١٠٧٤٣		
١٩٦٦	العام	١٦٧	٧١٤٩٤	٤٠٠٢٩	٣١٤٦٥	٣٤٧٣١	٩٠٥	٣٤٧٣١	٣١٤٦٥	٣٤٧٣١	٩٠٥		
	الخاص	١٠٤٠	٤٩٨٩٧	٧٥٤٨٢	١١٣٧٦٠	٣٨٣٠٨	٩٤١٩٠	٤٦٧	٤١٣٦١	١٩٣٥٥	٣٠٥٤٣		
	المجموع	١٢٠٧	١٢١٣٩١	١١٥٥١١	١٨٥٢٨٤	١٢٨٩٢١	٥٤١	٧٦٠٩٢	٥٠٨٢٠	٧٠٥٧١	١٢١٣٩١		
١٩٦٧	العام	١٧٥	٧٧٥٩٧	٤١٥٥٤	٣٦٠٤٣	٣٦٥٥٤	٩٨٥	٣٦٥٥٤	٣٦٠٤٣	٤١٥٥٤	٩٨٥		
	الخاص	١٠٨٧	٥٤٨٢١	٨٩١٨١	١٢٩٠٠٣	٣٩٦٨٥	٩٧٣٠٣	٤٥٠	٤٠٧٩٤	١٨٣٦٩	٣٦٥٥٣		
	المجموع	١٢٦٢	١٣٢٤١٨	١٣٠٧٣٥	١٦١٩٠٦	١٣٨٦٣٩	١٠٣٥	٧٧٣٤٨	٥٤٤١١	٧٨٠٠٦	١٣٢٤١٨		
١٩٦٨	العام	١٨٢	٨١٣٠٥	٤٣٠٣٢	٣٨٢٧٣	٣٨٨٥٠	٩٨٤	٣٨٨٥٠	٣٨٢٧٣	٤٣٠٣٢	٩٨٤		
	الخاص	١١٣٥	٥٥٢٠٠	٨٧٢٨١	١٢٥٥٥٢	٣٨٢٧١	٩٥١٠٦	٤٥٣	٤٠٦١٨	١٨٤٢٧	٣٦٧٦٣		
	المجموع	١٣١٧	١٣٦٥٠٥	١٣٠٧١١	١٦١٩٠٦	١٣٨٦٣٠	١٠٣٩	٧٩٤٦٨	٥٦٧١٠	٧٩٤٦٨	١٣٦٥٠٥		

جدول يوضح توزيع المؤسسات الصناعية وعدد العاملين فيها وقيمة الانتاج الصناعي حسب القطاعات الصناعية لفترة ١٩٦٥ و ١٩٦٨ في العراق بين القطاعين العام والخاص

التشغيل الصناعي	١٩٦٥		١٩٦٨	
	عدد المؤسسات		عدد المشتغلين	
	العام	الخاص	العام	الخاص
الاغذية والمشروبات والتبوغ*	٢٤	٣٧٥١	٧٨٢٦	٢٣٣٥٨
صناعة المنسوجات والملابس والجلود *	٢٣	٦٧١٤	١٠٦٠٠	١٩٤٤٤
الصناعات الخشبية	٥	١٨٥٦	١٦٥	٥٨٠١
صناعة الورق والطبع والنشر	٨	٣٢٠	١٤٧٧	٤٢١٠
صناعة الكيماويات والمطاط والپلاستيك *	١٠	٣٩	٨٤	١٤٤١
صناعة منتجات المادن اللافلزية	٩	٤٧٩	٤٤٩	١٤٩٤٦
الصناعات الفلزية الاساسية	-	٢٩٠	-	١١٨٥
المنتجات الفلزية والمكانن	٢٣	٢٦٨٧	٢٥٨٨	٨٣٢٢
الصناعات الاخرى	-	٣٧٤٥	٣٩٩١	٥٨٨١
خدمات التصليح	٢٦	٥٠٨٤	٥٠٥٥	١٠٥٤١
الكوي والصيغ	-	١٤٥	١٤٢	١٦٧
مجموع	١٥٨	٢٦١١٠	٢٧٧٩٩	٢٨٨٥٠

* ان جميع مؤسسات الدخان والتبوغ الكبيرة والمتوسطة مؤمنة في العراق ، الا ان هناك مؤسسات فردية صغيرة وغالبيتها تصنف آلي تصنع السيكاير البلدية .

ويستدل من الجدول رقم (٤) على ما يلي من الملاحظات :

(١) ان هناك تبايناً كبيراً في عدد مؤسسات كل من القطاعين العام والخاص في القطاعات الصناعية لصالح القطاع الخاص وتبلغ نسبة مؤسسات القطاع الصناعي العام الى مجموع المؤسسات الصناعية بنحو ٠٠٦٪ وان الباقي هو نسبة القطاع الخاص في عام ١٩٦٥ واصبحت النسبة في عام ١٩٦٨ بنحو ٠٠٦٪ ايضاً . ومن الجدير بالملاحظة ان عدداً كبيراً من القطاعات الاقتصادية المهمة لم تشهد زيادة في مؤسساتها الصناعية خلال هذه الفترة بالنسبة للقطاع العام كما هو الحال في مؤسسات صناعات المنسوجات والملابس والجلود وفي الصناعات الخشبية وصناعات منتجات المعادن اللافلزية . . . الخ . اما عدد مؤسسات الصناعات في القطاع الخاص فقد تباينت نسبة تطورها حيث نلاحظ وجود انخفاض في بعضها مع زيادة في البعض الاخر .

(٢) تشابهت مراكز ثقل القطاعين العام والخاص في القطاعات الصناعية المختلفة تقريبا فقد لوحظ التركيز على قطاعي المنتجات الغذائية والنسيجية وصناعة منتجات المعادن اللافلزية وفي خدمات التصليح ، علماً بأن الوزن النوعي لمؤسسات القطاع الخاص هو اعلى من مؤسسات القطاع العام في هذه القطاعات .

(٣) ويجد هذا الواقع تعبيره ايضاً في ناحيتين هما عدد المشتغلين وقيمة الانتاج الاجمالي . ولوحظ ان نسب مساهمة القطاع الخاص والعام في تكوين قيمة الانتاج الاجمالي للقطاعات الصناعية المختلفة كانت على النحو الاتي للسنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٨ حيث بلغت ٣٩٤٪ عام : ٦٠٦٪ خاص و ٣٩٣٪ عام : ٦٠٧٪ خاص . وهذا يعني ان التناسب لم يتغير خلال هذه الفترة الا بحدود ضيقة جداً وغير ملموسة لصالح زيادة نسبة المساهمة في قيمة الانتاج الاجمالي من جانب القطاع الخاص وهي حوالي ٠٠١٪ نقطة فقط .

اما اذ اخذنا مقدار الفائض الاقتصادي المحقق في هذين القطاعين

خلال نفس الفترة المذكورة تبين لنا بأن حصة القطاع الخاص من الفائض الاقتصادي كانت في ارتفاع واضح حيث بلغ في عام ١٩٦٥ نحو (٣٥٤٤١) الف دينار وارتفع الى (٣٨٢٧١) الف دينار في عام ١٩٦٨ ، اي بنسبة زيادة قدرها ٨٪ ، بينما بلغت حصة القطاع العام من القيمة المضافة في عام ١٩٦٥ نحو (٣١٦٠٢) الف دينار وارتفعت الى (٣٨٢٧٣) الف دينار في عام ١٩٦٨ ، ونسبة زيادة قدرها ٢١٫١٪ .

ان المؤشر الأخر المهم الذي لا بد لنا من ملاحظته هو تطور رؤوس الاموال الموظفة في القطاع الصناعي . ان تقديرات اتحاد الصناع العراقي تشير الى ان مجموع رؤوس الاموال الموظفة في الصناعة حتى عام ١٩٦٤ وبعد حركة التأميم بلغت بنمو نحو ١٠٠٠١ مليون دينار موزعة بين القطاع العام والقطاعات المختلط والخاص .^(١٧) اذ تقديرات الاتحاد بالنسبة لعام ١٩٦٨ فقد بلغت بنحو ١٣٥٠٨ مليون دينار موزعة بين هذه القطاعات ايضاً

جدول رقم (٥)

الاستثمارات بالدينارين	التفاصيل
٥٠٩١٨٢٠	الاستثمارات في المشاريع الصغرى لدى الاتحاد
١٣٥٧٨٨٠٠	الاستثمارات في المشاريع الوسطى المنتسبة للاتحاد
٦٢١٥٢٩٧٠	الاستثمارات في المشاريع الكبرى المنتسبة للاتحاد (عدا شركات النفط)
٨٠٨٢٣٩٥٠	(١) مجموع استثمارات المشاريع الصناعية المرتبطة بالاتحاد
٥٠٠٠٠٠٠	(٢) يضاف لها استثمارات المشاريع الصناعية الاهلية غير المرتبطة بالاتحاد (مخمئة)
١٣٠٠٠٠٠٠	(٣) يضاف لها استثمارات المشاريع الصناعية الحكومية غير المرتبطة بالاتحاد (مخمئة)
٢١٥٨٢٣٩٥٠	مجموع الاستثمارات في القطاع الصناعي في العراق (عدا شركات النفط)

(١٧) راجع : د . صباح الدرة ، التطور الصناعي في العراق - القطاع الخاص ، مطبعة النجوم - بغداد ١٩٦٨ ص ٣٥١ .

(عدا رؤوس اموال شركات النفط الاجنبية • ويشير الجدول رقم (٥) الى تقديرات اتحاد الصناعات العراقي للسنة المذكورة (عام ١٩٦٨) :^(١))
ولو اضيفت لهذا الرقم رؤوس اموال شركات النفط الاجنبية لأرتفعت استثمارات الصناعة في العراق الى ٣٢٣٣٨٢٣٣٩٥٠ دينار • اذ ان مبلغ استثمارات الشركات الاجنبية هو (١٠٨)* مليون دينار • ومن الجدير بالملاحظة ان الاستثمارات الصناعية قد ارتفعت في العراق وفق تقديرات نفس المصدر الى ٣٨٦٥ مليون •

وبالرغم من ان الجدول لا يشير الى العلاقة بين القطاع العام والخاص الا ان توظيفات القطاع العام هي المتقلبة حيث يجب اضافة قسم اخر من رؤوس اموال المشاريع المرتبطة والتنمية الى الاتحاد الى المبلغ المستثمر في المشاريع غير المرتبطة بالاتحاد •

هـ - التركيب الجغرافي للمؤسسات الصناعية القائمة في العراق

ان اهمية دراسة القطاع الصناعي من حيث توزيع مؤسساته جغرافياً في القطر تكمن في :

- ١ - ضرورة التعرف على مستوى تطور مناطق ومحافظات القطر المختلفة صناعياً وحضارياً ؟
- ٢ - ضرورة التعرف على التوازن القائم بين المؤسسات الصناعية القائمة والموارد الاقتصادية المادية والبشرية في المحافظات والمناطق ؟

(١٨) راجع : اتحاد الصناعات العراقي - التطور الصناعي لعام ١٩٦٨ - بغداد - ١٩٦٩ / ١٩٧٠ ص ٢٦ •
ملاحظة : ان الجدول الوارد في تقرير اتحاد الصناعات المذكور في ص ٢٦ يتضمن خطأ في ارقام الاستثمارات يبلغ مقداره (١٧٠٥) مليون دينار • اذ ان الرقم الصحيح هو ٢١٥٨٢٣٣٥٩٠ دينار بدلاً من ٣٨٦٣٢٣٣٩٥٠ دينار • وللتدقيق راجع التقرير المذكور لسنة ١٩٦٧ مع اضافة الاستثمارات الجديدة اولوجة في التقرير الخاص لعام ١٩٦٨ والواردة في الصفحة ٢١/٢٢ • (ك ح)
(*) راجع : المصدر السابق •

٣ - ضرورة التعرف على الامكانيات التي لم تستنفد بعد في هذه المحافظات والمناطق في سبيل تطوير القطاع الصناعي والمساهمة الفعالة في عملية التنمية الاقتصادية .

٤ - ربط الاقاليم او المحافظات والمناطق بالتخطيط الاقليمي للقطر وايجاد التناسب السليم في عموم الخطة الاقتصادية .

والجدير بالاشارة ان التركيب الجغرافي للمؤسسات الصناعية في العراق يتميز بسو التوزيع وانعدام التخطيط الموجه في هذا الشأن . وسنحاول فيما يلي ان نبين توزيع المؤسسات الصناعية الكبيرة على انحاء الجمهورية المختلفة خلال الفترة موضوع البحث ، اى ١٩٦٤ - ١٩٦٨

محافظة العراق	١٩٦٤	عدد المؤسسات ١٩٦٨
الموصل	١٠٠	٦٣
اربيل	١٥	١٣
كركوك	٣٤	٣٥
السليمانية	١٠	٨
المنطقة الشمالية	١٥٩	١١٩
ديالى	٢٠	١٩
بغداد	٦٧٤	٨١٨
الرمادي	١٩	١٥
كربلاء	٦٣	٧١
الحلة	٤٢	٤٠
الكوت	١٥	١٠
المنطقة الوسطى	٨٣٣	٩٧٣
الديوانية	٢٧	٢٠
العمارة	٢٣	٢٩
الناصرية	٢١	١٩
البصرة	١٣٤	١٥٨
المنطقة الجنوبية	٢٠٥	٢٢٦
المجموع	١١٩٧	١٣١٨

وفي ضوء الأرقام المتوفرة^(١٩) .

ويستدل من الجدول رقم (٦) الخاص بالمؤسسات الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق ما يلي :

١ - ان كلا من بغداد والبصرة والموصل وكر بلاء قد استحوذت على القسم الأكبر من المؤسسات الصناعية في العراق وخاصة العاصمة بغداد سواء كان في عام ١٩٦٤ ام في عام ١٩٦٨ ، حتى ان نسبة هيمنتها على المؤسسات الصناعية قد تطورت على النحو الآتي ، في عام ١٩٦٤ بنحو ٥٦,٣٪ من مجموع هذه المؤسسات وفي عام ١٩٦٨ بنحو ٦٢٪ . وقد احتلت المحافظات الاربعة المذكورة بنحو ٨١٪ من مجموع المؤسسات الصناعية الكبيرة لعام ١٩٦٤ وارتفعت الى ٨٤٪ في عام ١٩٦٨ .

٢ - ان المنطقة الوسطى قد احتلت القسم الاعظم من المؤسسات الصناعية الكبيرة القائمة فيها الى مجموع المؤسسات الكبيرة من ٧٠٪ في عام ١٩٦٤ الى ٧٤٪ تقريباً . علماً بأن هناك توزيعاً غير متناسب في اطار كل منطقة من هذه المناطق .

٣ - ان التوزيع غير المتوازن للمؤسسات الصناعية بين محافظات الفطر المختلفة قد اثر ويؤثر بصورة واضحة على مستوى تطور القوى المنتجة فيها وعلى الدخل المنتج في كل محافظة وعلى مستوى تطور العلاقات الاجتماعية والتقاليد والعادات والثقافة العامة .

٤ - ان معدلات النمو في المؤسسات الصناعية في المحافظات كانت غالبها ضعيفة حتى ان بعضها قد شهد انخفاضاً ملحوظاً نجم في الواقع من غلق عدد من هذه المؤسسات او دمج بعضها ببعض الآخر او بسبب اخراج بعضها من الاحصاء الصناعي الخاص بالمشاريع الكبيرة كما هو الحال بالنسبة لمؤسست قص ولف ورق السيكابر .

ان ظاهرة تركز المؤسسات الصناعية في عدد من المحافظات العراقية

(١٩) راجع : نتائج الاحصاء الصناعي للسنوات ١٩٦٣ - ١٩٦٨ بغداد - وزارة التخطيط

بصورة خاصة قد وجدت تعبيرها بالنسبة للمؤسسات الصناعية الصغرى
ايضاً حيث لوحظ ان بغداد قد احتفظت بنحو ٩٨١٣ مؤسسة في عام ١٩٦٨
من مجموع ٢٦٦٩٠ مؤسسة صناعية صغيرة ، وقد كانت كربلاء وبنسوى
والبصرة وبابل تأتي بعد بغداد على التوالي *

ان العوامل الكامنة وراء هذه الظاهرة هي اقتصادية - اجتماعية
وسياسية في آن واحد وهي مرتبطة بالقانون الاقتصادي الرأسمالي ، قانون
التطور المتفاوت والذي من احد اسبابه هو انعدام التخطيط والنظرة الشمولية
الموضوعية لمجمل الاقتصاد الوطني وسيادة فوضى الانتاج ورغبة ممتلكي
رؤوس الاموال الى توظيف اموالهم في مجالات ومناطق مريحة دون النظر
الى حاجة المناطق واهمية السلع المنتجة من الناحية الاقتصادية ... *
الى عوامل عديدة اخرى *

تبدو المسألة السكانية في العراق ، كما هو الحال في غالبية البلدان
النامية ، معقدة بسبب واقع التخلف الكبير في اقتصاداته وعجز معدلات
النمو في الفروع والقطاعات الاقتصادية القائمة على استيعاب معدلات النمو
في السكان والزيادة في عدد الافراد القادرين على العمل * ان هذا الواقع لم
ينتج عن قلة في موارد العراق الاقتصادية بل عن عدم استغلال جزء كبير
من الموارد المادية المتوفرة وعن سوء استغلال الجزء الاخر من هذه الموارد *
ان المشكلة تكمن في ارتفاع مستمر في نسب نمو السكان السنوية خلال
السنوات العشر الماضية وانخفاض مستمر في نسبة الوفيات وخاصة فسي
الاطفال من جهة مع استغلال غير عقلاني للموارد الاقتصادية المادية المتوفرة
مما يعجز الاقتصاد العراقي معه توفير فرص عمل جديدة تكفي لاستيعاب
هذه الزيادة في السكان * وفي ضوء تراكم مستمر لعدد القادرين على العمل
والمساهمة في الانتاج ولكن عجزهم عن ايجاد مجالات عمل ، يلاحظ ضعف
في مستوى نمو معدل حصة الفرد الواحد من الدخل القومي المنتج والتوفر
سنوياً *

لقد شهد عدد السكان في العراق خلال الفترة ١٩٦٣ - ١٩٦٩ تطوراً

ملحوظاً وبمعدلات سنوية عالية ولكن مقابل ذلك كان التطور في عدد
المشتغلين بطيئاً ، سواء في القطاعات الاقتصادية الانتاجية ام في قطاعات
الخدمات ، ويمكننا توضيح ذلك في وضع الجدول التالي :^(٢٠)

جدول رقم (٧)

(بالاف الافراد)

نسبة الزيادة	السنة				التفاصيل
	١٩٦٩	١٩٦٧	١٩٦٥	١٩٦٣	
في عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٣ %	٩٤٥٠	٨٨٢٦	٨٣٦١	٧٧٣٢	عدد السكان
	٢٩٦٧٤	٢٩٥٦٨	٢٩٤٦٢	٢٣٦٢	عدد المشتغلين في الاقتصاد الوطني
	٢٨٥٠	٢٩٠١	٢٩٠٨	٣٠٥٥	نسبة المشتغلين الى مجموع السكان %

ويستدل من الجدول اعلاه ان هناك انخفاصاً مستمراً في نسبة عدد
العاملين الى مجموع السكان مع وجود الزيادة البطيئة المطلقة في عدد
العاملين خلال الفترة ٦٣ - ١٩٦٩ . ان ما يهمنا في هذا الشأن هو معرفة
مستوى تطور عدد العاملين في القطاع الصناعي الى مجموع المشتغلين من
جهة والى مجموع السكان من جهة اخرى .

(٢٠) راجع : كتاب الجيب للاحصاءات السنوية - الجهاز المركزي
للاحصاء - وزارة التخطيط - بغداد - ١٩٦٨ - ص ٢٧
راجع أيضاً : اسلوب التنسيق بين التخطيط التربوي والتخطيط
الاقتصادي - وزارة التخطيط - بغداد - ١٩٦٩ - ص ٢٥

لقد كانت حصة القطاع الصناعي من عدد العاملين في العراق ضئيلة جداً خلال الفترة المنصرمة ، كما ان معدلات نموها كانت بطيئة ولم يستطع القطاع الصناعي امتصاص جزء مهم من الافراد القادرين على العمل ويرجع هذا الى واقع التطور في القطاع الصناعي نفسه ، وفي سبيل توضيح ذلك نورد الجدول التالي حيث يشير الى التوزيع الكمي والنسبي لعدد العاملين في القطاع الصناعي .

جدول رقم (A)

التوزيع الكمي والنسبي للمشتغلين على القطاعات الصناعية في العراق - بالآلاف - (١١)

التفاصيل / السنوات	١٩٦٣	١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٩	الزيادة في نسبة النمو في عام ١٩٦٩ الى عام ١٩٦٣ %
استخراج النفط	١١٦٦	١٦٠	١٦٧٧	١٧٤٤	٥٠
بقية المعادن	٠٤	٠٤	٠٤	١٥٨٤	٣٤
الصناعات الخفيفة	١١٨٠	١٤٥٩	١٥٢٥٢	٠٤	صفر
الماء والكهرباء	٩٤	٠٤	٠٤	١٢٦٦	٣٤
التشييد والبناء	٤٧٠	١١٦٦	١٢٥٢	٥٦٨	٢١
النقل والواصلات	٢٢٣٠	٢٤٩٧	٢٦٠٤	٢٧١١	٢١٥
مجموع العاملين	٢٣٦٢٤	٢٤٦٧٠	٢٥٦٨٠	٢٦٧٤٠	١٣٢
التوزيع النسبي	%	%	%	%	
استخراج النفط	٥٠	٥٧	٥٧	٥٧	٤٠
بقية المعادن	٠٠١	٠٠١	٠٠١	٠٠١	صفر
الصناعات الخفيفة	٥٠	٥٩	٥٩	٥٩	١٨
الماء والكهرباء	٤	٥	٥	٥	٢٥
التشييد والبناء	٢٠	٢١	٢١	٢١	٥
النقل والواصلات	٩٤	١٠١	١٠١	١٠١	٧
المجموع	١٧٨٠	٢٠٠	٢٠٠	١٩٣٠	٩

(٢١) راجع : اسلوب التنسيق بين التخطيط التربوي والتخطيط الاقتصادي - مصدر سابق - ص ٥

ويستدل من الجدول اعلاه على عدد من الملاحظات منها :

(١) ان مجموع عدد العاملين في الصناعة التحويلية مباشرة قد تطور من (١١٨) الف شخص الى (١٥٨ر٤) الف شخص ، اي بنسبة زيادة قدرها ٣٤٪ الا ان مجموع العاملين في الصناعة التحويلية كونسوا نسبة قدرها ٥٠٪ و ٥٩٪ في سنوات ٦٣ و ١٩٦٩ من مجموع العاملين فقط .

(٢) احتلت بقية القطاعات الصناعية نسب قدرها ١٢ر٨٠٪ و ١٣ر٤٠٪ من مجموع العاملين في القطاعات الواردة في الجدول ومن مجموع العاملين في الاقتصاد الوطني . ويلاحظ بروز نوع من الركود النسبي والتراجع في نسبة عدد المشتغلين في هذا القطاع الى مجموع العاملين في حين ان التطور الكمي شهد نمواً بطيئاً جداً .

ومن الجدير بالاشارة ان عدد العاملين في الصناعات التحويلية المذكورة اعلاه يشمل مؤسسات الصناعات الكبيرة والصغيرة .

اما اذا انتقلنا الى متابعة التطور في توزيع العاملين في المؤسسات الصناعية التحويلية بما فيها مؤسسات الماء والكهرباء على المحافظات العراقية المختلفة للاحتظنا بأن طبيعة التوزيع في عام ١٩٦٨ لم تتغير كثيراً عن واقعها في عام ١٩٦٤ وان الزيادة الاساسية في المشتغلين قد حصلت في العاصمة بغداد ، في حين ان هناك ارتفاعاً بسيطاً او انخفاضاً قليلاً في عدد العاملين بالنسبة للمحافظات الاخرى . ويلاحظ ايضاً ان عدد العاملين في شركات النفط الثلاث الاجنبية قد شهد هبوطاً كبيراً . نورد في ادناه جدولاً عين تطور المشتغلين في المؤسسة الصناعية التي يبلغ عدد العاملين في كل منها عشرة عمال فما فوق وواقع توزيعهم على مناطق العراق الثلاث وعلى المحافظات بالاضافة الى المشتغلين في شركات النفط للسنتين ١٩٦٤ و ١٩٦٨ . (٢٢)

(٢٢) راجع : الاحصاء الصناعي لعام ١٩٦٨ - مصدر سابق .

جدول رقم (٩)

المحافظة	١٩٦٤	١٩٦٨	نسبة النمو في عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٦٤ %
الموصل	٧٤٢١	٧٠١٦	- ٥٤٦
اربيل	٤٣٥	٥١٣	١٨
كركوك	١٥٣٧	١٦٩٩	١٠.٥
السليمانية	١٢٧٨	١٦٦٣	٣٠
مجموع المنطقة الشمالية	١٠٦٧١	١٠٨٩١	٢.٠
ديالى	١٦٦٣	١٦٢٧	- ٣٦
بغداد	٤٩٩٨٩	٥٧٨٩٥	١٥.٨
الرمادي	٥٠٦	٦٣٥	٢٥.٥
كربلاء	٢٢٨٦	٢٩٣٨	٢٨.٥
الحلة	٢١٩٥	٢٩٥٢	٣٤.٤
الكوت	٧١٤	٨٨٠	٢٣
مجموع المنطقة الوسطى	٥٧٣٥٣	٦٦٩٢٧	١٠.٨
الديوانية	١٢٩٥	١٣٦٠	٥
العمارة	١٠٦٦	١٣٦٠	٨.٨
الناصرية	٥٤٦	٥٦٧	٣.٨٤
البصرة	٩١٤٧	٩١٢٢	- ٠.٣
مجموع المنطقة الجنوبية	١٢٠٥٤	١٢٢٠٩	١.٣
اجمالي العراق	٨٠٠٧٨	٩٠٠٢٧	١٢.٤
العاملين في شركات النفط الاجنبية	١١٣٥٩	٨٥٢٧	- ٢٥
العاملين في المؤسسات الصناعية الصغيرة	٤٥٥٦٧	٥٤٢٢٧	١٩
مجموع المشتغلين في الصناعة التحويلية والاستخراجية	١٣٧٠٠٤	١٥٢٧٧١	١١.٥

ويستدل من الجدول رقم (٩) عددا من المسائل المهمة منها :

١ - وجود سوء توزيع في عدد العاملين في الصناعة الوطنية التحويلية بالنسبة لمناطق العراق الثلاث حيث يلاحظ ان المنطقة الوسطى قد استحوذت على ٧١,٦٪ من مجموع العاملين في المؤسسات الصناعية الكبيرة ، بما فيها الماء والكهرباء ، في عام ١٩٦٤ وارتفعت الى ٧٤,٣٪ في عام ١٩٦٨ .

٢ - ان كلا من بغداد والبصرة والموصل قد استحوذت على القسم الاعظم من عدد العاملين في المؤسسات الصناعية التحويلية في هذه المناطق وكانت حصيلة بقية المحافظات ضئيلة جدا . وقد بلغت نسبة العاملين في هذه المحافظات الثلاث ٨,٣١٪ في عام ١٩٦٤ وانخفضت الى ٨,٢٢٪ في عام ١٩٦٨ ، واقسمت المحافظات الاخرى بقية النسبة في الستين المذكورتين .

٣ - كانت نسبة الزيادة في عدد العاملين بالنسبة لبعض المحافظات العراقية واطئة جدا ، حتى ان بعضها شهد تراجعا في عدد العاملين ، كما هو الحال بالنسبة للموصل والعمارة وان كان بعدد غير ملموس تماما . ان هذا الواقع يشير الى ان معدل النمو العام في عدد العاملين لم يوزع على محافظات العراق بصورة متناسبة ومتوازنة .

٤ - بلغت نسبة الزيادة في عدد العاملين في الصناعة التحويلية - عدا الصناعات الصغيرة - في عام ١٩٦٨ بنحو ١٢,٤٪ بالمقارنة مع عوام ١٩٦٤ ، بينما بلغت نسبة نمو الصناعات الصغيرة لنفس الفترة بنحو ١٩٪ وشهد قطاع صناعة استخراج النفط الاجنبية انخفاضا ملموسا في عدد العاملين حيث بلغت نسبة الانخفاض ٢٥٪ خلال نفس الفترة الزمنية وفي ضوء هذين الاتجاهين في التطور لاحظنا ان نسبة النمو في عدد العاملين في القطاع الصناعي التحويلي والاستخراجي قد شهدت ارتفاعا قدره ١١,٥٪ خلال الفترة المذكورة .

ان هذه الملاحظات تدل لنا من جديد ان القطاع الصناعي لم يستطع خلال الفترة ١٩٦٤ - ١٩٦٨ الا امتصاص جزء ضئيل جدا من الزيادة في السكان القادرين على العمل ، ولذلك فقد ارتفع عدد المتعطلين

بشكل بارز. وفي ضوء الدراسات المتوفرة نلاحظ ان مقدار البطالة قد ارتفعت خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٠. بنحو الضعف. واستنادا للسي بالارقام الواردة في منشورات وزارة التخطيط نضع التحليل التالي حول تطور عدد المعطلين للفترة ١٩٦٥ - ١٩٨٠ في العراق.

جدول رقم (١٠)

جدول تطور عدد المعطلين في العراق خلال الفترة ٦٥ - ١٩٨٠^(٢٣)

السنة	تقديرات د. الشيخلي	تقديرات الخبير ستروم
١٩٦٥	٩٩١	٢١٦٧٨
١٩٧٠	١٥١٧٦	٢٥٦٧٥
١٩٧٥	٣٠٤٧٣	٥٩٤٧٢
٩٨٠	٦٠٧٧٥	٩٤٦٧٨

في ضوء معدلات النمو الحالية في السكان واحتمالات تطورها في المستقبل من جهة ، وواقع واحتمالات تطور الاقتصاد الوطني خلال الفترة اللاحقة من جهة اخرى نستطيع المرء ان يقدر بأن تقديرات الدكتور الشيخلي متفائلة جدا وان تقديرات الخبير ستروم هي اقرب الى الواقع. ان احتمالات الزيادة في عدد المعطلين من السكان القادرين على العمل ستعرض مقابل ذلك الى احتمالات زيادة في النقص الحالي في عدد الايدي العاملة الماهرة وذوي الاختصاصات من المهندسين والاحصائيين والاقتصاديين والكيميائيين..... الخ.

ثالثا - انتاجية العمل والاجور في القطاع الصناعي *

ان قياس مستوى تطور ، ارتفاع وانخفاض ، انتاجية العمل في مؤسسات وفروع القطاع الصناعي وتحديد معدلات النمو السنوية يعتبر

(٢٣) راجع : أسلوب التنسيق بين التخطيط التربوي والتخطيط

الاقتصادي - مصدر سابق ص ٤١

مؤشراً مهما لمعرفة مستوى تطور القوى المنتجة في القطاع الصناعي وفي مختلف مؤسساته الانتاجية وهي مؤشر مهم لمعرفة مدى تأثير علاقات الانتاج على القوى المنتجة ومستوى العلاقة القائمة بينهما . ان مستوى انتاجية العمل يرتبط بعوامل عديدة تؤثر عليه بصورة مباشرة ، انه يرتبط بشروط وبعناصر شروط الانتاج الاساسية ونخص بالذكر في هذا المجال :
* مستوى تطور الأيدي العاملة من حيث التعليم والثقافة العامة والمهارة والخبرة ، من حيث الادراك والوعي الاقتصادي والسياسي ، من حيث الصحة والعوامل النفسية والاجتماعية ، بالإضافة الى طبيعة الحوافز الاقتصادية والعلاقة بين الاجور وانتاجية العمل والأسعار الخ
المؤثرة على مستوى معيشة العاملين .

* مستوى تطور وسائل الانتاج سواء كان ذلك بالنسبة لادوات الانتاج ام مواد العمل ؛ لاضافة مستوى التكنيك والتكنولوجيا المستخدمة في العمليات الانتاجية وطرق اساليب الانتاج المتبعة والتنظيم الانتاجي والاداري .

انا بذلك نشير الى ان العوامل المؤثرة على انتاجية العمل تنطلق من ناحيتين كل منهما تشكل مجموعة من العوامل وتقصد بذلك مجموعة العوامل الخاصة بعلاقة الانسان بالانسان اثناء الانتاج وموقع كل منهما ازاء وسائل الانتاج او بتعبير ادق ازاء ملكية وسائل الانتاج والانتاج ، ثم مجموعة العوامل الخاصة بعلاقة الانسان بالطبيعة ومواردها المختلفة ، اي علاقة الانسان بوسائل الانتاج في اطار القوى المنتجة .

ان ارتفاع او انخفاض او ركود التطور في انتاجية العمل يعني ايضا التأثير المباشر على حجم الانتاج وبالتالي على الدخل المتحقق عبر عمليات الانتاج ، فمن المعروف ان زيادة الانتاج في قطاع معين او في عموم الاقتصاد الوطني تتم عبر طريقين ، سواء كان ذلك بأحدهما ام بالاثنتين .
هما ، وهما :

١ - زيادة الانتاج عبر التوسع في الطاقة الانتاجية للمؤسسات المنتجة ؛

٢ - زيادة الانتاج عبر رفع مستوى انتاجية العمل .

ان هذين الطريقتين يتكاملان ويؤثر احدهما على الآخر ويؤثران
معا على حجم الانتاج الاجمالي . ان الوصول الى رفع انتاجية العمل يتم
عبر طريقتين ايضا هما :

* تقليص وقت العمل الحي الذي يبذل في انتاج سلعة معينة ،
او بتعبير آخر ، زيادة عدد السلع المنتجة في وحدة زمنية معينة ، ويدعى
هذا برفع انتاجية العمل الخاصة .
* تقليص وقت العمل الميت الذي يستخدم او يبذل في انتاج سلعة
معينة .

وبالاضافة الى ذلك فهناك امكانية رفع انتاجية العمل الاجتماعية
والتي نقصد بها تقليص مقدار العمل الحي والميت الذي يبذل في انتاج
سلعة معينة في آن واحد مع تباين في نسب هذا التقليص بالنسبة للعمل
الحي والعمل الميت .

ان المهم في انتاجية العمل انها تساهم في زيادة مقدار القيم الاستعملية
المنتجة وتساهم في اغناء الثروة الاجتماعية ، عبر التحسين المستمر فسي
مكونات القوى المنتجة وفي الاستفادة الفعلى من القوى المنتجة لصالح
تطوير الانتاج وعبر التحسين المستمر والتوافق اللازم بين القوى المنتجة
وعلاقات الانتاج .

ولو قمنا نظرة على مستوى التطور في انتاجية العمل للفرد الواحد
في العراق خلال الفترة موضوع البحث لتعرفنا على الواقع التالي بالنسبة
للقطاع الخاص والقطاع العام ومجموع الصناعة التحويلية في العراق :^(٢٤)

★ العمل الحي هو قوة العمل المبذولة في عملية الانتاج والتي
تنتقل قيمتها الى السلع المنتجة وتخلق فيها القيم الجديدة (القيم المضافة ،
اما العمل الميت فيجسد قوة عمل صرفت سابقا وتجسدت في وسائل
الانتاج التي تنتقل قيمتها الى السلع الجديدة من خلال العمل الحي واثناء
عملية الانتاج . ان العمل الميت هو وسائل الانتاج ، اي ادوات العمل
ومواد العمل المستخدمة في انتاج السلع لنادية .

(٢٤) راجع : تقييم النمو الاقتصادي - مصدر سابق الجزء

الثاني ص - ٤٥٧

تطور إنتاجية العمل للفرد الواحد في القطاع الخاص الصناعي للسنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٨ بالدينار في السنة

	١٩٦٨		١٩٦٥		المنشأة الصناعي	
	متوسط الإنتاجية العمل للفرد بالدينار	عدد المشتغلين بالاف الديناريو	متوسط الإنتاجية العمل للفرد بالدينار	عدد المشتغلين بالاف الديناريو		
١	٢١٧٧	٢٣٣٥٨	١٨٥٣	٢٣٢٢٦	الغذوية والمشروبات والتبوغ	
٢	١٦٠٩	١٩٤٤٤	١٣٦٩	١٧٧٢٨	صناعة المنسوجات واللابس	
٣	٩١٢	٥٨٠١	٧٣٠	٦٠٦٦	والجلود الصناعات الخشبية	
٤	٧١٩	٤٢١٠	٨٥٥	٣٧٨٨	صناعة الورق والطبع والنشر	
٥	٢٥٨٨	١٢٤١	٢٠٥٧	٥٨١	صناعة الكيميكالات والمطاط والبلاستيك	
	٤٣٧	١٤٩٤٦	٦٥٤٥	١٦٤٧٨	صناعة منتجات المعادن اللافلزية	
	٦٠٩	١١٨٥	٧٢٢	٧٤٦	الصناعات الفلزية الاساسية	
	١٠٢٦	٨٣٢٢	٨٥٥٢	٨٢٧٠	المنتجات الفلزية والاخرى	
	١٩٦٧	٥٨٨١	١١٥٧٢	٥٣١٥	الصناعات الاخرى	
	٤١٨	١٠٤١	٤٤١٢	١٠٦١٦	خدمات التصنيع	
	٤٦١	١٦٧	٧٧	١٦٦	الكمي والصنع	
المجموع	١٣٢٠١	٩٥١٠٦	١٢٥٥٢	١١١٤٥	٩٣٠١٠	١٠٣٦٦٣

ويستدل من الجدول اعلاه على مدى التمايز الموجود بين انتاجية الفرد الواحد في مختلف القطاعات الصناعية التابعة للقطاع الخاص فسي عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٨ ثم في كون انتاجية العمل على العموم واطئة وضعيفة التطور خلال الفترة ٦٥ - ١٩٦٨ . ويبرز هذا بوضوح بالنسبة لكل قطاع صناعي واجمالي هذه القطاعات ، حيث بلغت انتاجية العمل للفرد الواحد في عام ١٩٦٥ بنحو ٢٠٥٠٦ دينار فقط ، وهي على العموم انتاجية منخفضة ومعدل نمو واطيء بالمقارنة مع عدد كبير من البلدان الاخرى .

وإذا اجرينا مقارنة بين متوسط انتاجية الفرد الواحد في نفس السنوات المذكورة ونفس القطاعات الصناعية بين القطاع الخاص والقطاع لتبين لنا مدى الفارق القائم في مستوى التكنيك المستخدم في هذه المؤسسات ومستوى التشغيل ايضا . وفي سبيل هذا الغرض نورد الجدول التالي لبيان متوسط انتاجية الفرد الواحد في القطاع الصناعي العام^(٢٥)

٢٥

(٢٥) راجع : المصدر السابق ص ٤٦٩

ملاحظة : ان القسم الاعظم من المؤسسات الخارجية - وبشكل خاص بعد التأميم الذي حصل في العراق في عام ١٩٦٤ - هي مؤسسات صغيرة ذات رأس مال قليل وتكنيك متخلف يجد تعبيره في المستوى الواطيء لانتاجية العمل مثلا .

تطور متوسط الانتاجية المول للورد الواحد في القطاع الصناعي العام للسنوات ٦٥ - ١٩٦٨ بالدينار/سنة

القطاعات الصناعي	١٩٦٨		١٩٦٥		الاجموع
	متوسط الانتاجية المول للورد الواحد	عدد المشتغلين	متوسط الانتاجية قيمة الانتاج بالالف الدينارين	عدد المشتغلين	
الغذائية والمشروبات والتبغ	٢٣٦٩٩	٦٧٩٢	٣٤٨٩	٢٣٨٢	٧٩٨٨
صناعة المنسوجات والملابس	١٣٠٨٤	٩٦٤٠	١٣٥٧	٥٨٣٦	٢٨٧٠
الصناعات الخشبية	٧٩	١٥٠	٥٢٦	٤٦٥	٥٢
صناعات الورق والطبع والنشر	٥٤٩	١١٤٠	٤٨١	٣٣٤٩	١٤٥٨
صناعة الكيماويات والطاق	١٤٧٦٤	٣١٤١	٤٧٠٠	٣٣٨٢	٧٩٨٨
والبلستيك					
صناعة المنتجات المعدنية الالفرنية			٣٣٦١	٣٣٨٢	٧٩٨٨
الصناعات الفلزنية الاساسية					
المنتجات الفلزنية والكائن			٤٩١	٥٨٣٦	٢٨٧٠
الصناعات الاخرى			٢٢	٤٦٥	٥٢
خدمات التصليح			٢٥٢٣	٣٣٤٩	١٤٥٨
الكوي والصنع					
	٢٠٩٣	٢٨٨٥٠	٨١٢٠٥	٢٣٨٦٣	٦٧٥٤٣

ويستدل من هذا الجدول اعلاه على ان التكنيك والتكنولوجيا -
والمهارة الفنية للشغيل في مؤسسات القطاع العام هي ارفع من مستواها
في مؤسسات القطاع الخاص . يستدل منه ايضا على مدى الفارق الموجود
في مستوى انتاجية العمل في كل قطاع من القطاعات الصناعية مع واقع ان
معدلات النمو في انتاجية العمل هي على العموم واطئة . لقد بلغ متوسط
الانتاجية للفرد الواحد في المؤسسات الصناعية التابعة للقطاع العام كافة
في عام ١٩٦٥ بنحو ١٩٩٤ر٦ دينار وارتفع الى ٢٠٩٣ دينار في عام
١٩٦٨ ، اي بزيادة قدرها ٩٨ر٤ دينار فقط . وبالرغم من الزيادة البارزة
في متوسط انتاجية العمل في المؤسسات الصناعية للقطاع العام بالمقارنة
مع مؤسسات القطاع الخاص ، الا ان مقدار الزيادة خلال الفترة ١٩٦٥
١٩٦٨ كانت في القطاع الخاص اكبر بكثير من مقدارها في القطاع العام .
اما متوسط انتاجية العمل في مؤسسات القطاع الصناعي التحويلية
عموما - العام والخاص - فقد بلغت في عام ١٩٦٥ بنحو ١٣٤٩ر٤ دينار
للفرد الواحد في السنة وارتفعت الى ١٥٤٤ر٣ دينار في عام ١٩٦٨ ، اي
بزيادة قدرها ١٩٤ر٩ دينار خلال الفترة المذكورة .

واذا اتقلنا الى متابعة تطور اجور العاملين في قطاع الصناعات التحويلية
لتبين لنا الواقع التالي: (٢٦)

بلغ متوسط اجر المشتغل في القطاع الصناعي الخاص في عام ١٩٦٥
بنحو ١٤٤ دينار سنويا اي بأجر شهري قدره ١٢ دينار فقط ، وارتفع الى
١٤٦ دينار في عام ١٩٦٨ ، اي بأجر شهري قدره ١٢ر٢ دينار تقريبا ،
اي بزيادة قدرها (٢) دينار سنويا او بنسبة زيادة قدرها ١ر٤٪ فقط ، في
حين بلغت الزيادة في انتاجية العمل في نفس القطاع ٢٠٥ر٦ دينار او بنسبة
زيادة قدرها اكثر من ١٨٪ ، اي ان هناك بونا كبيرا بين الزيادة في الاجور
والزيادة الانتاجية تعبر في الوقت نفسه عن زيادة في شدة الاستغلال التي
يتعرض لها الشغيلة في القطاع الخاص .

(٢٦) راجع : المصدر السابق ص ٤٥٢ - ٤٥٦

اما متوسط اجر المشتغل في عموم قطاع الصناعات التحويلية فقد بلغ ١٩٦٥ نحو (٣٠٤) دينار وارتفع الى (٣٤٩) دينار في عام ١٩٦٨ ، اي بزيادة قدرها ٤٥ دينار او بنسبة زيادة قدرها ١٤٫٨٪ . ومقابل هذه الاجور بلغت نسبة الزيادة في انتاجية العمل نحو ٤٪ فقط ، اي ان نسبة الزيادة في الاجور كانت اعلى من نسبة الزيادة في انتاجية العمل وهي ظاهرة معاكسة للظاهرة القائمة في القطاع الخاص .

اما متوسط اجر المشتغل في عموم قطاع الصناعات التحويلية فقد بلغ في عام ١٩٦٥ بنحو ٧٨٧ دينار وارتفع الى ٢٠٤٥ دينار في السنة ، اي بزيادة قدرها ١٧٥ دينار او بنسبة نمو قدرها ٩٫٣٪ وهي اقل من نسبة النمو في انتاجية الفرد الواحد التي بلغت ١٠٫٤٪ خلال نفس الفترة .

رابعا : مستوى تطور مساهمة القطاع الصناعي في تكوين الدخل

كانت وما تزال مساهمة القطاع الصناعي في تكوين الدخل القومي في العراق ضعيفة جداً خاصة اذا ابدنا قطاع صناعة النفط الاستخراجية من قطاع الصناعة الوطنية . ان التركيب الحالي للدخل القومي السدي يتمير بعدم التناسب هو تعبير واضح عن عدم التناسب الاساسي في تركيب الاقتصاد العراقي . وما يهمنا في هذا الشأن ان نلاحظ ، وبالرغم من مرور فترة طويلة على قيام ثورة تموز عام ١٩٥٨ ، الا ان تغييراً حقيقياً ونوعياً كبيراً لم يحدث في دور القطاع الصناعي في الاقتصاد العراقي ، ويشكل كل من القطاع الزراعي وقطاع النفط الاستخراجي حوالى ثلثي قيمة الدخل القومي المنتج في العراق .

بلغت قيمة الانتاج الاجمالي للصناعة في عام ١٩٦٥ نحو (١٧٣١٢٨) الف دينار وارتفعت الى (٢٠٦٨٧٩) الف دينار في عام ١٩٦٨ ، بينما بلغت القيمة المضافة في عام ١٩٦٥ نحو (٦٨٣٨٤) الف دينار وارتفعت الى (٨٣٦٦٠) الف دينار في عام ١٩٦٨ ، وهذا يشير الى ان نسبة القيمة المضافة الى الناتج الاجمالي قد تحسنت بصورة ضعيفة جداً ، اي التناسب بين القيمة المضافة والمستخدمات في الانتاج لم تتغير كثيراً ، فبعد ان كانت

٣٩٥٪ قيمة مضافة : ٦٠٥٪ مستخدمات اصبحت ٤٠٥ قيمة مضافة :
٥٩٥٪ مستخدمات الانتاج .

ان نسبة الزيادة في الناتج الاجمالي للصناعة بلغت خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٨ نحو ١٩٥٪ بينما بلغت نسبة الزيادة في القيمة المضافة خلال نفس الفترة نحو ٢٢٣٪^(٢٧) .

وفي الوقت نفسه يمكن ملاحظة ان نسبة مساهمة قطاع الصناعة التحويلية في تكوين الدخل القومي المتوفر في العراق قد بلغت في عام ١٩٦٥ نحو ١٦٪ وانخفضت الى ١٥٪ في عام ١٩٦٨ وهي كما نرى مساهمة واطئة عموماً وتميزت بالانخفاض خلال هذه الفترة .

ومن الجدير بالاشارة ان نلاحظ مدى التغير الحاصل في تركيب صافي الدخل القومي المتوفر في العراق والمنتج خلال الفترة ١٩٥٨ - ١٩٦٩ لكي تتمكن بموجب ذلك ان نتعرف على مدى ديناميكية الاقتصاد العراقي وعن مدى دور الصناعة في التأثير على مساهمات القطاعات الاقتصادية الاخرى ومساهمتها الخاصة في تكوين الدخل القومي .

ان الارقام الاولية الصادرة عن وزارة التخطيط - الجهاز المركزي للاحصاء - تشير الى تركيب الدخل التالي ، علماً بأن الارقام الواردة في الجدول قد عزلت قطاع الخدمات المستهلك للدخل القومي عن قطاع الانتاج المكون للدخل القومي ، اي ان الجدول التالي يتضمن القطاعات الانتاجية فقط .

(٢٧) راجع : د. علي المنوفي وكامل العضاض - تقديرات الدخل القومي ١٩٦٥ - ١٩٦٩ - تقرير اولي - بغداد - وزارة التخطيط - الجداول ٤١ و ٤٦ ص ٤٥ - ٥٠

جدول رقم (١٣)

مقدار ونسبة مساهمة القطاعات الاقتصادية الانتاجية في تكوين الدخل

القومي المنتج في العراق

لعامي ١٩٥٨ و ١٩٦٩ بالاسعار الثابتة لعام ١٩٦٦^(٢٥)

١٩٦٩		١٩٥٨		
صافي الدخل التوزيع	بملايين الدينار النسبي %	التوزيع	بملايين الدينار النسبي %	القطاعات الاقتصادية
٢٤٠٤	١٧٤٠٩	٢٣٠٤	٩٣٠٣	الزراعة
٤١٠٠	٢٩٤٠١	٤٤٠٣	١٧٦٠٤	النفط الخام
٠٠٧	٥٠٣	٠٠٥	١٠٩	المعادن الاخرى
٢٠٢	١٥٠٦	١٠٥	٥٠٨	مصافي النفط
٩٠٤	٦٧٠٧	٧٠٨	٣١٠٢	الصناعات التحويلية
				الاخرى
٤٠٠	٢٨٠٥	٧٠٥	٣٠٠٠	البناء
٢٠١	١٦٠٠	٠٠٧	٢٠٨	الكهرباء والماء والغاز
٨٠٣	٥٩٠٨	٧٠٧	٣٠٠٨	النقل والمواصلات
				والخزن
٧٠٩	٥٦٠٨	٦٠٩	٢٧٠٧	التجارة
١٠٠٠٠	٧١٨٠٧	١٠٠٠٠	٣٩٩٠٩	صافي الدخل القومي
				المنتج في العراق
٢١٠٠	١٥٠٠٤	٢١٠٣	٨٤٠٣	الجزء المصدر الى
				الخارج من الدخل
				القومي
٧٩٠٠	٥٦٨٠٣	٧٨٠٧	٣١٥٠٦	صافي الدخل القومي
				المتوفر في العراق

ويستدل من الجدول المشار اليه رقم (١٣) على ان نسبة التطور والتغير في مساهمات القطاعات الاقتصادية المختلفة في تكوين الدخل القومي ضعيفة جدا وواطة ومن الملاحظ ان التغير المهم الذي حصل هو في نسبة مساهمة النفط الخام حيث انخفضت نسبة المساهمة من ٤٤.٣٪ الى ٤١٪ وقد وزع هذا الفرق على مجموع القطاعات الاقتصادية بالاضافة الى انخفاض كبير في نسبة مساهمة البناء حيث بلغت النسبة ٧.٥٪ واصبحت ٤.٠٪ فقط خلال الفترة المذكورة . وكما نلاحظ ان القطاع الصناعي التحويلي قد تحسنت نسبة مساهمته وارتفعت من ٧.٨٪ الى ٩.٤٪ واذا اضيف لها مصافي النفط للاحظنا بأنها قد ارتفعت من ٩.٣٪ الى ١١.٦٪ من الدخل القومي المنتج . اما اذا جري قياس مساهمات هذه القطاعات باستبعاد الجزء المصدر الى الخارج والاقتصار على الدخل القومي المتوفر في العراق لارتفعت نسب مساهمات هذه القطاعات بما فيها الصناعة التحويلية .

خامسا : دور المصرف الصناعي في عملية التنمية

لاحظنا في البحث السابق ان المصرف الصناعي خلال المرحلتين الاولى والثانية لم يستطع المساهمة في البناء الصناعي ومرّ بفترة ركود طويلة استمرت حتى ثورة عام ١٩٥٨ . وكان في صالح الاقتصاد الوطني والبرجوازية الصناعية ، ان يأخذ المصرف الصناعي على عاتقه مهام المساهمة في عملية التنمية الصناعية بأبعادها المقررة من جانب سلطة الدولة البرجوازية . وقد امكن خلال هذه المرحلة وبعد زيادة رأس مال المصرف

(٢٨) راجع : د. علي المنوفي وكامل العضاض - تقديرات الدخل القومي ١٩٦٥ - ١٩٦٩ - تقرير اولي - بغداد وزارة التخطيط - دائرة الحسابات القومية - ١٩٧٠ - جدول رقم (٢) .

اخفت الارقام الاساسية من الجدول المذكور كما اقتطعت نسبة مقدارها اكثر من ٦٪ باعتبارها احتياطي اندثار رأس المال .

الخلاصة : -

ان الاستعراض التحليلي لعملية التطور الصناعي في العراق خلال الفترة ١٩٦٤ / ١٩٦٥ - ١٩٦٨/١٩٦٩ يقود الى استخلاص جملة من الاستنتاجات حول طبيعة ومستوى تطور وخصائص الصناعة الوطنية في المرحلة الراهنة من اهمها ما يلي :

١ - لم يشهد القطاع الصناعي خلال المرحلة موضوع البحث تحولا نوعياً مهماً في تركيبه وخاصة بالنسبة للعلاقة بين الصناعات الانتاجية والصناعات الاستهلاكية ، فالقسم الاعظم من المؤسسات الصناعية القائمة حالياً في العراق هي مؤسسات لانتاج السلع الاستهلاكية والخفيفة ويشكل الانتاج فيها القسم الاكبر من قيمة الانتاج الصناعي الاجمالي - عدا صناعة استخراج النفط الخام - . ان القطاع الصناعي الذي لم يستفد من الموارد الاقتصادية المادية المتوفرة ، وخاصة النفط والغاز الطبيعي والكبريت حديثاً ، لادخالها في عمليات الانتاج الصناعي ، لم يستطع بعد ان يلعب الدور الفعال والمؤثر في تغيير تركيب الاقتصاد الوطني وفي تمجيد معدلات النمو للمؤشرات الاقتصادية الاساسية كما لم يستطع ايجاد الوحدة الضرورية لعملية اعادة الانتاج في الاقتصاد الوطني العراقي .

ان التخلف والتشويه او عدم التوازن والتناسب ، والتفكك الكبير في تركيب القطاع الصناعي وبين مؤسساته المختلفة كانت وما تزال السبب في ضعف معدلات النمو في الصناعة الوطنية وقلّة مساهماتها في قيمة الانتاج الاجمالي وفي صافي الدخل القومي المنتج والمتوفر في الاقتصاد الوطني . ان حركة التراكم المالي في القطاع الصناعي تتميز بالبطء الشديد وبوتائر نمو غير عالية لا تتناسب وحاجات التنمية الصناعية المعجلة وعموم عملية التنمية وهي انعكاس لحقائق عديدة بما فيها سوء توزيع الدخل القومي بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية وسوء توزيعه بين قطاعات التراكم والاستهلاك وفي هاتين المجموعتين بالاضافة الى فقدان التمرکز في تكون الفائض الاقتصادي وتبشره بين جهات عديدة .

٢ - ان الصناعات الخفيفة والاستهلاكية القائمة حاليا في العراق تعتمد في جزء مهم وكبير منها على استيراد موادها الاولية او موادها نصف المصنوعة ، وخاصة الصناعات الميكانيكية والكهربائية ذات التكنيك العالمي ، من الخارج ، اي انها صناعات تجميعية . ورغم ان عملية التجميع لها فوائد معينة منها مثلا توفير عملة صعبة بسبب الفرق الكامن بين شراء السلع الجاهزة وبين شراء مواد السلع دون ان تكون مركبة على اعتبار ان الثانية تكون أقل سعرا من الاولى بالاضافة الى ان عملية التركيب تساهم في خلق قيمة جديدة وتزيد من الدخل القومي كما انها تخلق فرص عمل جديدة للعاطلين عن العمل ، الا ان هذا النوع من التصنيع ، اي الصناعة التركيبية او التجميعية ، يجب ان لا تكون هدفا نسعى اليه بل يجب ان تكون مرحلة وسيطة تتحول عبرها الى التصنيع الكامل لاغلب تلك السلع في داخل العراق . ولا يمكن ان يتم ذلك بنشاط القطاع الخاص بمفرده بل لا بد من مساهمة فعالة واساسية من القطاع العام . وتتميز غالبية الصناعات التركيبية الحالية في العراق - ومنها صناعة التلفزيونات والراديووات او السيارات ... الخ . بأنها ذات سعة انتاجية غير عالية وربما احيانا غير اقتصادية مما يحتم دراسة الموضوع بصورة دقيقة واتخاذ اجراءات مناسبة بهذا الشأن .

٣ - ان قطاع الدولة الصناعي ، رغم نموه بمعدلات افضل خلال السنوات العشرة الاخيرة بالمقارنة مع العقد السابق ، ما يزال يعاني مظاهر الضعف والتخلف في مواقعه عن مواقع القطاع الخاص الصناعي ، اي ان القطاع الخاص ، وبالرغم من عملية التأمين المعروفة في منتصف شهر تموز من عام ١٩٦٤ ، ما يزال يحتل الموقع الاول من حيث عدد المؤسسات الصناعية وعدد العاملين في هذه المؤسسات وقيمة الانتاج الصناعي ومستوى السيطرة على حركة السوق الداخلي . ان علاقة التاسب بين القطاعين العام والخاص تسير حاليا لصالح القطاع العام وهو أمر حيوي جدا ينبغي الاستمرار فيه وتأكيد ضرورته . ان السنوات القادمة ستشهد تحولا مناسباً نسبياً لصالح القطاع العام في مجال الصناعات التحويلية . يستند هذا

توزيعهم واستخدامهم ومن قلة المعاهد والمدارس والكليات الصناعية
الضرورية لكل تقدم صناعي مرتقب *

٨ - ان اجهزة الادارة الصناعية ، باعتبارها جزءا من اجهزة الادارة
في البلد ، ترتدي صفاتها وخصائصها الاساسية ، فهي ما تزال متخلفة من
حيث تركيبها ومستوى نشاطها وتوزيع المهام عليها ومواصفات الوظائف
الاختصاصية فيها وتفقر الى الكوادر العلمية الواعية ، ويلف نشاطها
الروتين المعرفل وضعف الاستعداد لتحمل المسؤولية وضعف المسادرة
والتعاون وجماعية التفكير وما تزال تأثيرات المحسوية ، والمنسويسية
والرشوة الخ قائمة فيها وتؤثر على نشاطها ويعوز نشاطها الترابط
والتسيق والتكامل سواء كان ذلك في اطار القطاع الصناعي ام بين القطاع
الصناعي والقطاعات الاقتصادية الاخرى ، ومما يزيد في الصعوبة وجود
من لا يعتقد بأهمية القطاع الصناعي وبأهمية القطاع العام الصناعي ويعمل
في هذه الاجهزة *

٩ - ان التخلف الكبير في مستوى تطور القسوى المنتجة فسي
اقتصاديات العراق ومنها الاقتصاد الصناعي يجد تمييزه في مستوى التطور
الضعيف في عنصري القوى المنتجة ، اي في مستوى وسائل الانتاج المستخدمة
في عمليات الانتاج ، في مستوى التكنيك والتكنولوجيا والطرق والاساليب
المستخدمة من جهة وفي التخلف في مستوى قوة العمل ، اي في ضعف
المهارة وقلة الخبرة ونقص في التعليم العام وقلة الكوادر من جهة اخرى
بالاضافة الى تخلف مواز لذلك في مستوى عمليات التخطيط والادارة
والتوجيه واقتاد شمولية النظرة العلمية لمجمل القطاع الصناعي في اطار
الاقتصاد الوطني والتفاعل الضروري في طورها القريب والبعيد والتفكك
السائد حاليا بين اجهزة التخطيط والتنفيذ واجهزة الرقابة والمتابعة على
التنفيذ *

١٠ - انعدام عمليات التسيق والتعاون الصناعي بين اقطار الوطن
العربي وعدم الاستفادة من افضليات التعاون الاقتصادي في مجالسالات

• الإنتاج واستثمار المواد الخام المتوفرة في هذه الاقطار بالإضافة الى قلة الاستمارة العقلانية من الكفاءات والمهارات والكوادر الفنية الاختصاصية المسادرة المتاحة في الوطن العربي • ان التنسيق الصناعي والتنسيق في عموم عمليات الإنتاج هو الطريق العملي والمضمون لتوسيع قاعدة التعاون والتكامل الاقتصادي وتطوير التبادل التجاري وتقريب امكانيات الوحدة الاقتصادية في المدى البعيد •

ان خصائص التخلف البارزة في القطاع الصناعي المذكورة اعلاه بالإضافة الى خصائص التخلف في القطاعات الاقتصادية الاخرى المؤثرة على القطاع الصناعي بصورة مباشرة او غير مباشرة وخصائص التخلف الاجتماعي كلها ادت الى استمرار واقع التخلف وبقاء مقدار ونسبة الفائض الاقتصادي المنتج اولا والمتح منه للتنمية الاقتصادية انايا وحصة اعادة التوظيف في القطاع الصناعي الثالثة واطمة وضعيفة جدا • ان هذا يعني بدور استمرار عجز القطاع الصناعي على ان يلعب دوره الفعال الديناميكي في تطور مجمل الاقتصاد الوطني وعاجز ايضاً على ان يجري تغييراً مهماً في تركيب الاقتصاد الوطني العراقي ، رغم توفر امكانيات كبيرة لتحسين ذلك • *

• د كاظم حبيب

١-٥-١٩٧١ بغداد

☆ ملاحظة : يتضمن بحث « بعض قضايا التطور الصناعي في العراق قسمين آخرين يعالجان النقاط التالية :

اولا : طبيعة العلاقة بين القطاع الصناعي العام والقطاع الخاص والقطاع المختلط وبين القطاع الصناعي والقطاع الزراعي وبين الصناعات الانتاجية والصناعات الاستهلاكية وقد نشر في مجلة المصرفي العدد ٥ - ١٩٧١ •

ثانياً : طريق وآفاق التطور اللاحق لتركيب القطاع الصناعي في العراق • - لم ينشر بعد ، علما بان القسم الاول من البحث نشر في مجلة المستنصرية - العدد الثاني - ١٩٧١ - الكاتب •

تصويب

الصفحة ٢٥ السطر ٢١-٢٢

الصواب : ولما كان الشعر فسى في كثير من حالاته تعبيراً انسانياً
كاشفاً

الصفحة ٤١ السطر ١-٢

الصواب :

ماربع مية معمورا يطيف به غيلان ابهى ربي من ربها الخرب

الصفحة ٤٠ السطر الثالث

الصواب : بكر فما افترعتهما

الصفحة	السطر	الصواب
٤٥	١	أبو العتاهية
٤٦	٢	وامتدت
٤٦	٦	واقترضت
٤٦	١٦	الى أن مذهب
٤٦	١٧	نجد في هذا الرأى

The first excited state of this nucleus is 556 keV. The triplet lies at 1323 keV (4^+), 1333 (0^+) and 1342 keV (2^+).

Doublets of levels with spins 2^+ and 4^+ or 2^+ and 0^+ has been found(3).

Discussions

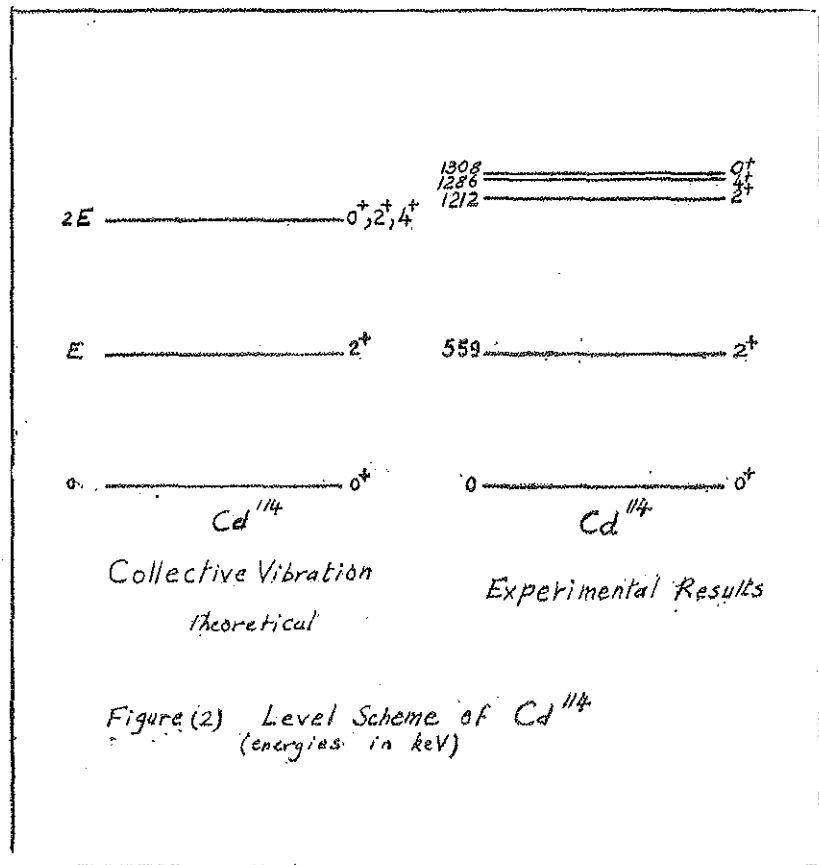
Several theories(1) had been suggested to account for the level schemes of even-even medium weight nucleides; however there is no epecific theory which gives full account for the complicated nature of their level scheme. Studies of the various systematics and regularities collected from experimental investigations will continue to be an important tool for good understanding of the subject.

Radioactivity investigation are very useful in this direction. It is hoped, with the development of high resolving power Ge-Li gamma ray spectrometers, that a better understanding of the level structure of even-even medium weight nucleides could be achieved.

REFERENCES

1. R. K. Girgis, Investigation on some even-even Nucleides, Thesis, Amsterdam (1959).
2. G. Scharff-Goldhaded and J. Weneser, Phys. Rev. 98 (1955) 212.
3. D. Strominger, J. M. Hollander and G. T. Seaborg, Rev. Mod. Phys. 80 (1958) 585.
4. R. K. Girgis, J. Al-Husseini, O. El-Rawi and A. Attia. Decay Scheme of Rh¹⁰⁴. be published (1972).

2^+ and 0^+ are present at the approximate position corresponding to the energy $2E$. One of these cases is Cd^{114} . The triple(3) consists of levels at 1212 keV (2^+), 1286 keV (4^+) and keV (0^+) where the first excited state is at 559 keV (2^+). Figure (2) shows the theoretical and experimental level scheme of 48Cd^{114} .



The difference in order of the levels of the second excited state could be due to small additional perturbation. Recently (4) a triplet of this type is found in the level scheme of Pd^{104} .

times higher than that expected on the basis of single-
Particle model.

Theoretical Studies

The spin of the ground state of even-even nucleides being 0^+ is well understood on the basis that any even number of identical nucleons couple to zero ground state spin.

The excited states of such nucleides can only be produced by breaking up a pair of nucleons. This requires so much energy that even the lowest excited states consist of complicated excitations which are usually described by concepts of vibrations and rotations of the nucleus than in shell model terms.

Various models have been proposed to account for the properties of nucleides in the medium weight region. The first is due to Scharff-Goldhaber and Weneser(2) who assume that the excited levels are vibrational in character and arise from coupling of the spherical core to the outer nucleons. When this coupling is zero the first and second excited states are E and $2E$ above the ground state where E is a characteristic vibrational energy for the nucleons considered; thus $E_2/E_1 = 2$.

In this approach the nucleus is regarded as a rather rigid structure, having spherical symmetry in its equilibrium state, and as the lowest possible modes of excitation performing collective oscillations around this equilibrium position. Interpretation of the first excited state 2^+ level as a state with one vibrational quantum leads to the prediction of a nearly degenerate band of three energy levels at twice excitation energy of this level with spins 4^+ , 2^+ and 0^+ in order of increasing excitation energy. Very few cases has been identified with certainty where all these levels with spins 4^+

Dates	Means
Before treatment	871.75
2 days after treatment	331.90
1 week after treatment	261.70
2 weeks after treatment	177.85

Treatments	Means
A	234.60
B	273.10
C	303.85
D	831.65

TABLE V
 Multipule dates and date and treatment
 Form of the Analysis of Variance for

Variation	D. F.	S. S.	Mean SQ.	Obtained	F	
					5%	1%
Total	79	20688937	261885	14.5	8.59	26.41
Dates	3	5903932	1967977	0.82	2.15	3.02
Blocks in Dates	16	1770030	110627	4.01	2.43	3.62
Treats in Dates	12	6513651	542804	11.74	8.59	26.41
Treats	3	4771215	1590405	1.43	2.83	4.57
Treats X Dates	9	1742436	193604			
Error	48	6501324	135444			

C. V. = 89%

L. S. D. = 467.85

TABLE IV
Mites counts means, and form of analysis of
variance for a single date

TREATMENT	1	2	3	4	5	TOTAL	X
A	26	2	6	17	10	61	12.2
B	4	2	4	9	15	34	6.8
C	19	32	19	26	12	108	12.6
D	1567	122	308	872	485	3354	670.8
TOTAL	1616	158	337	924	522	3557	177.85

117

ANALYSIS OF VARIANCE

VARIATION	D. F.	SUM.SQ.	MEAN SQ.	Obtained	F	
					from	table
					5%	1%
Treatment	3	1620559	540186	6.64	3.49	5.95
Blocks	4	336450	84112	1.03		
Error	12	975238	81269			

L. S. D. = 392.76

C. V. = 160%

TABLE III
Mites counts means, and form of analysis of
variance for a single date

TREATMENT	1	2	3	4	5	TOTAL	X
A	28	9	11	80	27	155	31.0
B	27	1	4	14	16	62	12.4
C	69	33	23	18	53	196	39.2
D	1272	938	853	1406	376	4821	964.2
TOTAL	1372	981	891	1518	472	5234	261.70

116

ANALYSIS OF VARIANCE

VARIATION	D. F.	SUM.SQ.	MEAN SQ.	Obtained	F	
					from	table
					5%	1%
Treatment	3	1922189	640730	4.18	3.49	5.95
Blocks	4	171696	42924	0.28		
Error	12	1838371	153198			

L. S. D. = 539.41

C. V. = 150%

TABLE II
Mites counts means, and form of analysis of
variance for a single date

TREATMENT	1	2	3	4	5	TOTAL	X
A	188	240	364	345	60	1197	239.4
B	60	77	1	58	45	241	48.2
C	22	266	65	22	207	582	166.4
D	859	885	1437	1412	25	4618	923.6
TOTAL	1129	1468	1867	1837	337	6638	331.9

115

ANALYSIS OF VARIANCE

VARIATION	D. F.	SUM. SQ.	MEAN SQ.	Obtained	F	
					from	table
					5%	1%
Treatment	3	2427955	809318	9.39	3.49	5.95
Blocks	4	397721	99430	1.15	3.26	5.41
Error	12	1033398	86117			

L. S. D. = 404.42

C. V. = 88%

TABLE I
Mites counts means, and form of analysis of
variance for a single date

TREATMENT	1	2	3	4	5	TOTAL	X
A	533	597	529	1340	280	3279	655.8
B	1209	648	1463	663	1142	5125	1025.0
C	871	679	258	2043	1340	5191	1038.2
D	709	551	1267	949	364	3840	768.0
TOTAL	3322	2475	3517	4995	3126	17435	871.75

ANALYSIS OF VARIANCE

VARIATION	D. F.	SUM.SQ.	MEAN SQ.	Obtained	F	
					from 5%	table 1%
Treat	3	542948	180982.66	0.818	3.49	5.95
Blocks	4	864163	216040.75	0.976	3.26	5.41
Error	12	2654317	221193.08			

C. V. = 15%

CONCLUSIONS

The single and combined analyses revealed chemicals used in this test were equally effective against the mite and any one of them could be used with confidence. Positive results could be obtained on any of the chemicals only two days after treatment and prolonged waiting for results is Unnecessary.

REFERENCES

Pritchard, A. E. and E. W. Baker. 1958. Tenupalpidae, Hilgaidia Vol. 28.

Rao, 1921. Preliminary list of insect pests of Iraq. Dept. Agric., Iraq. memoir no. 7, 35P.

Steel, R. G. D., and J. H. Torrie. 1960. Principles and procedures of statistics. Mc Graw-Hill Book company, Inc. New York. 481 P.

count of living mites when compared with any chemical treatment. This means that the chemicals are equally effective two days after application and the difference among the treatment means occurred only due to chance.

There was a significant difference at the 0.05 level in the analysis of mites counts one week after application (table III). The check treatment gave a significantly higher number of living mites than any chemical treatment. The treatments A, B, and C were not significantly different from each other. This again implies that the treatments A, B, and C are equally effective one week after application.

The analysis in (table III) shows a significant difference at the 0.01 level between the check treatment and the chemical treatments. There was no significant difference between chemical treatments which again provides evidence that the chemicals are equally effective two weeks after application.

The combined analysis presented in (table V) shows a significant difference at the 0.05 level for dates. The more sprayed date gave significantly higher count than any other date. The three other sprayed were insignificantly different from each other. This implies that positive results on mites kill can be obtained two days after application of the chemicals. The difference among date means (table V) are only minor and may be to chance variation.

At the 0.05 level, the check treatment was significantly different from all other treatments and the latter being none significantly different from each other.

The treatment by date interaction was not of an appreciable magnitude to yield significant.

eranianh. Three materials were used in this test namely; Kelthane 18.5% E. C., Sulfur W. P. and eradex 50% W. P. at the rate of 8 c. c., 20 grams and 2 grams per gallon of water respectively. The test also included a check of no chemical application making a total of four treatments.

Counts of living mites per leaf was obtained from 20 leaves selected at random per plot which consisted four areas. Counts were taken on September 9 (before treatment), September 13 (two days after treatment), September 18 (one week after treatment), and on September 25 (two weeks after treatment). The three different dates for mite counts were used to investigate the residual effect of the chemicals on the mites.

A Randomized Complete Block design was used with five replications for each date of count. A separate analysis of variance for each date of count was also calculated following steel and Torrie's (1960) method. A combined analysis was calculated to obtain additional results on the different dates of counts, chemicals over all dates, and to investigate the magnitude of chemicals by dates interaction.

RESULTS AND DISCUSSION

The analysis in (table I) shows no significant difference among the numbers of living mites on each plot indicating an even distribution of mites over the experimental plots before the application of chemicals i.e. homogeneity of experimental units.

A significant difference at the 0.01 level was obtained in the analysis of the numbers of mites two days after chemicals application (table II). There was no significant difference among kethane, sulfur and eradex which were designated A, B, and C. However, the check gave a highly significant

branches and trunks, branches and twigs. Next Spring, as early as the middle of March, the overwintered females become active **again and move around the feed and lay their** eggs on the very small twigs of 2-5 millimeters in diameter and also on the developed new buds. When leaves are fully developed, eggs are laid singly or in clusters on both surfaces, mostly along the midribs or in abrasions and in cast skins. They are cylindrical in shape and nibbed longitudinally about 105 microns long and 60 microns wide, greenish when first laid, turn light red shortly after. Eggs are laid mostly on upper surfaces of the leaves. Counts made on 150 leaves showed that there were 3816 eggs on the upper surface or (83%) and 780 eggs on the lower surface or (17%). In cases of several infestation, eggs are also laid on fruits. Eggs hatch into larvae with three pairs of legs. Larvae molt into protonymphs with four pairs of legs which molt into deutonymphs after a short period of rest. Adults males was first noticed in June and disappeared in December. They were always less in number than females. An examination of 250 leaves (lower surface only) during the season showed that there were only 87 males (5.3%) and 1542 females (94.7%). Larvae, nymphs and adults feed on both surfaces of the leaves. Infested leaves have silvery appearance at first, turn brown later and finally fall off. A complete defoliation may occur in cases of severe infestations. It was always observed that old leaves suffered most. Fruits when infested, leave light brown discolored areas beginning from the stem and extend further depending on the age of infestation.

CHEMICAL CONTROL TEST

The experiment reported here was conducted on September 11, 1961 at the horticultural experiment station at Zaafa-

THE BIOLOGY AND CONTROL OF TENUIPALPUS
PUNICAE PRITCHARD AND BAKER ON
POMEGRANATE IN IRAQ

BY

M. K. Abid & H. S. El-Haidari

ABSTRACT - *Tenuipalpus punicae* Pritchard & Baker is a pest of pomegranate trees in Iraq. It has recently become of increasing importance especially following the use of various hydrocarbon and organic phosphate insecticides on pomegranates. Winter is passed in the adult female stage in the crevices and under the scales of the bark of twigs and stems. Early in the Spring, they become active again and move to feed and lay eggs on the small twigs and on leaves when they develop. Sulfur, Kelthane and Eradex proved to be very effective against this pest.

Tenuipalpus punicae Pritchard & Baker was first described in 1951 (Pritchard & Baker 1958). In Iraq, it was found in all areas of pomegranate productions. It was first recorded by Rao (1921) from Baghdad. Since then, it was not considered of economic importance until recently when various insecticides of chlorinated hydrocarbon and organic phosphate origin were applied the control of some other injurious pests of pomegranate.

Life history and damage—Winter is passed in the adult female stage under the loose bark and crevices and scales of

PURE SCIENCE SECTION

materialistic, yet enlightened views of Cusins. But neither Cusins's hopeful intellectual idealism, nor the conversion of Barbara, come over as impressively and powerfully as does the brutal materialism of Undershaft's, nor Barbara's dramatic loss of religion. Nor are their characters half as formidable as his. This is a weakness in the play. In fact, Undershaft remains the hero of the piece, despite its title, a fact that accounts for the vagueness of the play's meaning.

The play, however, has another weakness, which is connected with its main theme. Surely poverty is not, in itself, a crime, although it may easily be the cause of it. Nor is money invariably a blessing, although it could be when used in the right way. Here Shaw does not distinguish between what is good or bad in itself, and what is the cause or means of goodness or badness.

general good."²⁶

With this materialistic statement which recalls the early Shaw, Barbara's conversion is complete. She is defeated by life and reality from which she had escaped into a paradise of enthusiasm, prayer and soul-saving. Bodger, and the Prince of Darkness, her father, are part and parcel of the world of reality which it is not possible to ignore or avoid, and whether you turn to the Church or to the street, you are face to face with their public services, and -

"... As long as that lasts, there is no getting away from them. Turning our backs on Bodger and Undershaft is turning our backs on life."²⁷

To her, now, life is without a division into good and "wicked". Therefore, she is not going to shirk her responsibilities. Having got rid of the "bribe of Heaven" and "the bribe of bread",²⁸ Barbara turns to her father's well-fed workers to guide them and illuminate their bumptious egotism. Barbara, here, illustrates Shaw's doctrine that people cannot be developed mentally until they are freed from the debasement of poverty.

But the question remains - how is the young pair going to resist the temptation of the hard self-interest that drives the cannon-factory? Or, how can they soften into altruism, if they should succeed in resisting the temptation? Shaw provides no clue. He satisfies himself only with stating that poverty is evil and that neither conventional religion nor the noblest enthusiasm of a girl like Barbara is effectual to cope with it. They are both defeated by the sheer power of the

26. Ibid.

27. Ibid., Act III p. 338.

28. Ibid., p. 339.

accepting the offer means the selling of his soul, though this is a daily and hourly practice of everybody since all human conduct is nothing but the "sale of our souls for trifles".²¹ What he is now selling his soul for, he tells Barbara, "is neither money nor position nor comfort, but for reality and power."²² This is a typically Shavian philosophy. Basically, it is not very much different from Undershaft's, as expressed in his retort to his wife: "What does it matter whether they are wrong, if they are true?"²³ Yet it is more hopeful for Cusins's power will be, he hopes, put into good use: "It is not for myself alone. I want to make power for the world."²⁴ He introduces the revolutionary will into Undershaft's factory of power. On the other side, Barbara seeks power, too, but it has to be spiritual, and it must not involve killing, to which Cusins replies:

"You cannot have power for good without having power for evil too. Even mothers' milk nourishes murderers as well as heroes. This power which only tears men's bodies to pieces has never been so horribly abused as the intellectual power, the imaginative power, the poetic, religious power that can enslave men's souls."²⁵

Therefore, he will be trying to handle power in such a way as to combine intellectualism and the care for common people:

"I want a power simple enough for the common men to use, yet strong enough to force the intellectual oligarchy to use its genius for the

21. Ibid., Act III p. 336.

22. Ibid.

23. Ibid., p. 332.

24. Ibid., Act III p. 336.

25. Ibid., Act III p. 337.

religion. He suggests that she should try her hand on his own men whose "souls are hungry because their bodies are full."¹⁹ Men, he contends, must be left to find their own salvation. This they can do, not through the Salvation Army, but through becoming well-off. This is, apparently, the way to abolish crime. It is also the way of making them useful and kindly people like Undershaft himself. If they cannot get rid of their poverty, then the only cure left is to kill them and not to preach at them:

"Poverty and slavery have stood up for centuries to your sermons and leading articleless : they will not stand up to my machine-guns.

Don't preach at them: don't reason with them.

Kill them."²⁰

For killing is Undershaft's final test of conviction and it works both ways: by eliminating the poor, the authorities get rid of crime and disease; by force the community can pull down governments and inaugurate new epochs.

Undershaft is, therefore, not only a cannon-maker because making cannons pays or because he is in love with destruction; he is, in fact a social reformer and a mystic at that. He sees that if poverty is evil because it means weakness and bondage, power is good because it means freedom and action. His mysticism is, for the most part, the nineteenth-century faith in progress; it also recalls Carlyle's faith in creative sincerity. Cusins, on the other hand, is the late nineteenth-century Marxist. While he admits the existence of all the evils mentioned by Undershaft, he expresses his disapproval of them. Historically, he holds, they are true, but ought not to be so. He agrees to enter the firm as an heir-apparent, but does not accept Undershaft's creed without qualification. Nevertheless,

19. Ibid. p. 330.

20. Ibid., Act III p. 331.

scarping the old religion and morality when they break down, and replacing them with new ones, she is not finally opposed, but what she asks for is a new religion for her soul and not a worse one like that which he suggests. Yet she is ready to listen to him if he cares to show her

“some light through the darkness of the dreadful place, with its beautifully clean workshops, and respectable workmen, and model homes,”¹⁶

With the unfolding of Undershaft's gospel, the denouement is reached, and the conversion begins. The seven deadly sins, according to this gospel, she is told, are:

“... food, clothing, firing, rent, taxes, respectability and children. Nothing can lift those seven millstones from Man's neck but money; and the spirit cannot soar until the millstones are lifted.”¹⁷

It is because of her freedom from those sins, those millstones, made possible by Undershaft's money, that Barbara's spirit could rise so high and her work with the Army made possible. In other words, through the manufacturing of arms, Undershaft could get the money with which he was able to save Barbara from the crime of poverty - “The worst of crimes. All the other crimes are virtues beside it; all the other dishonors are chivalry itself by comparison...”¹⁸ What is more, he points out to her, her previous work for the Salvation Army was “cheap” because the men she tried to convert were starving and they could be converted to any

16. *Major Barbara* Act III p. 328. Second Edition. Constable.

17. *Ibid.*, III p. 329.

18. *Ibid.*

reality defeats religion. Money, Shaw is implying here, is of prime importance for social reform and religious organization (as it is for everything else), without which their work of raising the moral and material standards of society is impossible. But it is often derived from such sources as are responsible for the evil those organizations are attacking, thus conditioning their work. Hence is the paradox of the situation which frustrates Barbara and leads to her resignation.

A second dimension to the central conflict emerges from the conversation between Cusins, the unscrupulous Greek Professor, standing for material intellectualism, and Under-Shaft's mystic materialism. He is neither the capitalist Under-shaft nor the idealist Barbara, and yet he supports both because he can see the merits of each "religion". Just as he supported, in Act I, Under-shaft's creed, by quoting the classic writers, he supports the Salvation Army in the same way. For the Salvation Army, he says, "reveals the true worship of Dionysos"¹⁵ to him. After Barbara has lost her old religion, Cusins's material intellectualism (itself modified and changed into intellectual materialism) comes into play by acting as a synthesis of the two "religions", Under-shaft's and Barbara's, and so helping to bring the play to a hopeful end.

Barbara's spiritual crisis continues till she goes (in the third act) to visit her father's arms factory. Here she is dazzled with the cleanliness of his kingdom of darkness and the healthy condition of the workers, which contrast sharply with the Salvation Army shelter and the misery of its converts. The battle of ideas is resumed once more ending ultimately in Barbara's conversion. Under the force of her father's argument she begins to realize that evil cannot be cured by turning her back upon any side of life. Although she cannot and does not accept her father's creed, she recognizes what truth there is in it. To his pseudo-Marxist belief of

15. Ibid. Act II p. 284.

present faith in the belief that he can offer her a better one. The word-duel between them takes place when each expresses his or her fundamental idea of Man. To Barbara there are no scoundrels, while Under shaft holds that there are no good men. A challenge ensues in which each of them undertakes to convert the other, but the course of events enlists on the father's side against Barbara. This occurs when Barbara's faith in the Salvation Army receives a terrible shock. Mrs. Baines, her superior colleague, has received a large sum of money from Undershaft as a contribution for maintaining the Army's shelters for the hungry and homeless as she has received a cheque for 1,5,000 from another objectionable source—a brewer. Barbara herself has refused two of her father's offers because she wanted him to give up manufacturing arms, which he would not do if he could ease his conscience by giving alms. But she fails to convince Mrs. Baines of her views, because, Mrs. Baines contends, Undershaft's donation is a desirable diversion of money from the destructive work of Satan to the saving work of God, while Bodger's is a self-sacrifice which will enable the Army to "stop drinking—to take his own business from him."¹³ Mrs. Baines would not listen to Barbara's argument that Bodger is only buying the Army with the money as it will be impossible to attack the evil of drink without losing his subscription. But Barbara's views receive no support from anywhere, not even from her friend Cusins, who seems to be all for the acceptance of the money. The power of the Army, she has come to realise, rests ultimately with its worst enemies, and, in bitter despair, she resigns from the Army, expressing her anguish in these moving words: "My God, why hast thou forsaken me?"¹⁴ And so the power of money prevails over the pure ideal passion of Barbara, and

13. *Major Barbara* Act II p. 297.

Ibid. Act II p. 300.

properly. I have always done so, and I always shall.... My morality - my religion - must have a place for cannons and torpedoes in it."¹¹

It is not clear what Shaw means by making Undershaft utter these words. If the aim is to contrast his straightforwardness with the hypocrisy of the aristocrats, then why did he offer to contribute a large sum of money to the Salvation Army? He could not have done it for the sole purpose of winning his daughter over to his religion by proving the impracticability of her own, because he was well aware, as he tells Mrs. Baines seriously, of the ruinous influence of his donation over his profession:

"Every convert you make is a vote against war. Yet I give you this money to help you to hasten my own commercial ruin."¹²

Undershaft's sense of duty and devotion to his business, as it is expressed in the above-mentioned passage, is certainly sentimentalized to a fantastic degree. It would have been understandable if this enthusiasm for his profession was due to the fact that it is the only way out of the degradation of poverty, but the impression one gets from this passage is that Undershaft is in love with destruction itself (even of himself) which is neither natural nor of any dramatic interest. This sadistic, even mystic, delight is never explained fully. Even in Act III arms are not admired for themselves nor for the destruction they cause but as means for power without which, according to Undershaft's gospel, life is impossible.

The dramatic tension of the play starts after the father has made his appearance on the scene, and, recognizing in his daughter a kindred spirit, decided to undermine Barbara's

11. *Major Barbara* Act 1 pp. 261-262.

12. *Ibid.* Act II p. 298.

is not denying the evil power of money when it is concentrated in the hands of the few. In this he may seem to be contradicting himself, but what he is aiming at is, presumably, to attack not the possession of money so much as the society which allows itself to be bullied by it, emphasizing, at the same time, its overwhelming influence.

Stephen's shock at learning that he has been living on money supplied by his father is reminiscent of Vivie's when she discovered the source of her mother's income. As in the other's case, Shaw does not tell us how the fact came to be hidden from Stephen all this time. Stephen's reaction, however, rings a bit false since he knew what his father was, and since he did not really object to his father's making millions on which he even prided himself.

Undershaft, it soon appears, is a clear-headed, easy-going and, in a way, a straightforward but formidable man. He is well aware, traditionally speaking, of the moral shortcomings of his trade and is not at all ashamed to admit them. When Lomax tries to find an excuse for Undershaft's boasting of the high distinctiveness of his new weapons on the grounds that "... the more destructive war becomes, the sooner it will be abolished", Undershaft, unabashed, replies:

"Not at all. The more destructive war becomes the more fascinating we find it. No, Mr. Lomax. I am obliged to you for making the usual excuse for my trade; but I am not ashamed of it. I am not one of those men who keep their morals and their business in water-tight compartments. All the spare money my trade rivals spend on hospitals, cathedrals, and other receptacles for conscience-money, I devote to experiments for research in improved methods of destroying life and

thus disappointing her mother's hopes of her. However, the mother is pleased to think that after all:

“... nobody can say a word against Greek:
it stamps a man at once as an educated
gentleman...”⁵

But Barbara herself is very happy because she is endowed with a religious temperament which she can and does exercise with the Army.

With the father's introduction the apparently innocent conversation turns into a different kind of satire. For a while it is directed against the capitalists. Andrew, we gather, is rich, quite unlike Lady Britomart's father. He is, in fact, fabulously so “because there is always a war going on somewhere.”⁶ Stephen is conscious of that through the advertisement of the Press. Besides, at school he was nicknamed the “Woolfish Infant”,⁷ and was once described as the “son and heir to Undershaft and Lazarus, Death and Destruction Dealers”;⁸ yet he is happy to remark that he was respected everywhere “because my father was making millions by selling cannons”.⁹ Here the implicit attack is directed against the aristocracy, and the whole society. Further comments by Lady Britomart reveal what is to Shaw a fundamental weakness in such societies. The secret of the Undershaft - Lazarus success “is not only the cannons, but the war loans that Lazarus arranges under cover of giving credit for the cannons”, with the effect that “These two men... positively have Europe under their thumbs. That is why your father is able to behave as he does. He is above the law.”¹⁰ Shaw as one can easily see,

5. Ibid. p. 246.

6. Act I p. 247.

7. Ibid.

8. Ibid.

9. Ibid.

10. Ibid.

Long-separated father to come home in order to discuss a settlement for the daughters. The reason for this separation, the mother tells her son, is connected with Andrew's determination to follow the tradition of the original founder of the firm—that the succession must pass to a foundling, disregarding his legal offspring. It is also connected with Andrew's code of morality. Shaw's main object of satire in this play is the aristocracy, who stand for hypocrisy, snobbery and distorted moral values. He holds implicit contrast between them and the industrialists who, if without morals, are at least straightforward. What Lady Britomart objects to about Andrew's morality is not so much his—

“... doing wrong things: we are none of us perfect. But your father didn't exactly do wrong things: he said them and thought them: that was so dreadful. He really had a sort of religion of wrongness. Just as one doesn't mind men practising immorality so long as they own that they are in the wrong by preaching morality, so I couldn't forgive Andrew for preaching immorality while he practised morality.”⁴

The conversation between mother and son, apart from its value of revealing to us the characters of both participants, introduces us to all the main characters, and gives us an insight into the life and thoughts of the aristocracy. Of the two daughters, the younger is more fortunate, for her fiancé, Charles Lomax, will be a millionaire in ten year's time, but Barbara's story is a pitiable one because of her joining the Salvation Army and getting engaged to a Professor of Greek,

4. *Major Barbara* Act I p. 250 standard Edition Constable.

of ugliness and dirt. Let him have rickety children. Let him be cheap, and drag his fellows down to his own price by selling himself to do their work. Let his habitations turn our cities into poisonous congeries of slums. Let his daughters infect our young men with the diseases of the streets, and his sons revenge him by turning the nation's manhood into scrofula, cowardice, cruelty, hypocrisy, political imbecility, and all the other fruits of oppression and malnutrition...."³

This being the case, any method by which money is obtainable and poverty can be wiped out is justifiable—a sort of Machiavellian attitude adopted, as it were, for the good of society. The munition manufacturer, Undershaft, is, from this point of view a saver not only of himself but also of the society, much more than his daughter Barbara, the Salvationist, is. In fact, it is he, Shaw demonstrates, who makes her work possible, first by bringing her up, or at least assisting to do so, decently and independently enough as to think of others, and, secondly, by providing the money for her welfare work. The contrast between the two professions, the father's and that of the daughter, is sharp and ironical. It is from this that the dramatic conflict arises. But the result of the conflict is frustration to the daughter and a defeat to her ideals, which eventually lead to her conversion.

When the play starts, Lady Britomart is discussing family affairs with her son, Stephen. We learn from their conversation that Barbara and Sarah are engaged to young men who will not be able to maintain them adequately, not for a while at least. The mother, therefore, had decided to invite the

3. Ibid. p. 211.

other side of the truth. But when, as I am inclined to think, the prospect of satisfying his sentimentality appeared to lie in the person of the heroine, and his desire to pay the Salvation Army a tribute prevailed,¹ Shaw changed the title to *Major Barbara*, without, unconsciously, of course, making Undershaft a less dominant figure.

The main theme of the play, however, consists of an attack on poverty. In this respect it is a first-rate didactic play with Shaw's great sense of fun and comic power coming to the rescue from the dullness of sermonising. The result is a good comedy with a serious purpose, and although the latter is not altogether acceptable, it is very convincingly presented.

In the Preface to the play, Shaw stresses the fact that poverty is the source of all social trouble. It is not money, he contends, but the lack of it that is the root of all evil. In fact,

“...Money is the most important thing in the world. It represents health, strength, honor, generosity and beauty as conspicuously and undeniably as the want of it represents illness, weakness, disgrace, meanness and ugliness.”²

To allow a person to be poor is the greatest crime not only against the person himself, but also against the whole society, for it means to:

“... let him be weak. Let him be ignorant.
Let him become a nucleus of diseases. Let
him be a standing exhibition and example

1. See R. F. Rattray's *Bernard Shaw: A Chronicle* Luton. The Legrave Press Ltd. P. 161.

2. Preface to MAJOR BARBARA p. 215 Standard Edition. Constable.

MAJOR BARBARA

A. W. Al-Wakil
College of Arts

This is the third great work by Shaw in which the sociological theme plays a prominent part. Between *Mrs. Warren's Profession* (Written in (1898) and *Major Barbara* (written in 1905) Shaw wrote eleven plays on diverse subjects, none of which is directly connected with the question of social reform. *Major Barbara* recalls much of Shaw's old fervour for preaching and moralizing in more or less the same way, but the socialist in Shaw has taken a new turn. While still critical of the general conditions of society, Shaw seems more sympathetic with and understanding of the capitalist's point of view than he was in his last play. One reason for this lies in the fact that he has come to realize what it takes to occupy a position of power in such a society. The capitalist in *Major Barbara*, though still a symptom of certain social ailments, is at the same time a triumph over them. He is no longer the selfish man of *Mrs. Warren's Profession*, who makes profit out of the suffering of others while surrounding himself with comfort and luxury. In *Major Barbara*, the capitalist Underchaft is a hard working man, with penetrating intelligence and sound ideas. He himself has suffered, and by going through straitened circumstances his eyes became opened to the facts of life which he exposes in convincing terms. He chose the profession of manufacturing arms because it was the only alternative he had to poverty and degradation, but he gradually came to like it because it is real.

The original title of *Major Barbara* was *Andrew Underchaft's Profession*—a fact which throws some light on the theme of the play and its manner of treatment. The play was, in fact, intended by the author to supply a parallel, however ironically, to *Mrs. Warren's Profession*, showing exactly the

through constant reading and drilling. Class 1, 2, and 4 are not very difficult to learn as they correspond to the English prepositions. Class 3 needs more care and attention by the beginner student.

Bibliography

1. Schrikel, Danke, Engel "*Wir lernen Deutsch*" Bagdad 1965.
2. Schulz - Griesbach "*Deutsche Sprachlehre für Ausländer*" München 1964.
3. Schulz Griesbach "*Teaching Supplement Phraseological Glossary Key*" München 1966.
4. Schulz - Sundermeyer "*Deutsche Sprachlehre für Ausländer*" München 1955.
5. Otto - Mattis "*Elementary German Grammar*" Heidelberg 1948.
6. Shane, Ferris, Keener "*Using Good English*" Republic of Philippines 1956.
7. J. M. Ward "*The New Intermediate English Course*" Book 1, London 1965.
8. H. L. Kufner "*The Grammatical Structures of English and German*" USA 1965.
9. English 900. New York 1965.

The Preposition: The use of preposition in German as well as in English is very troublesome. In order to choose the right preposition in one case or another, constant reading is advisable. J. Millington Ward in his book "The Intermediate English Course" gives us seven basic rules for the prepositions in English. They are as follows:

1. In and Into — for state and movement.
2. On, In, In the, At, — in expression for time.
3. At and In — with villages, towns, countries etc.
4. Before and After — in expression for time.
5. For and Since — in expression for time.
6. Among and Between — Among is used when we have more than two people or things; between is used when we have only two.
7. By and With — By is used with the agent; with is used with the instrument(1).

In German there are four classes of prepositions. They are: (2)

1. Prepositions with accusative: für, ohne, um, gegen, durch, entlang.
2. Prepositions with dative: außer, bei, mit, nach, seit, von, zu gegenüber.
3. Prepositions with accusative or dative: vor, hinter, über, unter, neben, zwischen, auf, an, in.
4. Prepositions with genitive: statt, anstatt, trotz, während, wegen.

Prepositions in both languages can only be mastered

-
1. J. M. Ward, "The New Intermediate English Course" P. 15.
 2. Schulz - Griesbach "Teaching Supplement Phraseological Glossary Key" PP. 40-41.

In German it is declined according to the gender, number and case of the noun, with which it must agree in all these particulars. e. g.

Der große Garten	The large garden.
Ein großer Garten	A large garden.
Die zwei großen Gärten	The two large gardens
Zwei große Gärten	Two large gardens

We need not give here further explanation of adjective declination in German now, since this would lead us into unnecessary details which we want to spare for the time being. More details on adjectives position declination and comparison in both languages we can get in the below mentioned literature.(1).

The adverb: The adverbs in both languages tell how, when or where, as in the sentences below:

He came <i>quickly</i>	Er kam <i>schnell</i>
He came <i>early</i>	Er kam <i>früh</i>
He came <i>there</i>	Er kam <i>dort</i>

In each of the sentences above, the adverb modifies the verb. Adverbs may also modify adjectives in both languages as in the following sentences:

The day is <i>very cold</i>	(<i>very</i> modifies <i>cold</i>)
Heute ist es <i>sehr kalt</i>	(<i>sehr</i> modifies <i>kalt</i>)

Many adverbs in English are formed by adding (ly) to the adjective. In German the adjective itself can be used as an adverb.

Example:

He is <i>clever</i> (adj.)	Er ist <i>fleißig</i> (adj.)
He works <i>cleverly</i> (adv.)	Er arbeitet <i>fleißig</i> (adv.)

1. See: Shane, Ferris, Keener "Using Good English" pp. 234.

A fundamental difference from English construction can be seen in the possessive use of the reflexive pronouns. The reflexive pronoun takes the place of the dative object and takes the dative form.

Ich wasche mir die Hände I wash my hands
Du wäschst dir die Hände You wash your hands(1)

English and German verbs are most clearly marked as such inflection for tense and mood. But students are quite unprepared for the strikingly different meanings of the past tenses in English and German. Since English and German both have a past tense, e. g. (*I asked* *Ich fragte*) and a present perfect tense e. g. (*I have asked* *Ich habe gefragt*) the students always temp to think that the difference in meaning between these two forms is the same in both languages. This is absolutely not the case. In English the past and the present perfect do have different meanings. In German, on the other hand, they differ stylistically. The past tense in German is never used in conversation, mainly in writing, while the present perfect tense is more dominant in German conversation.(2)

The Adjective: The adjectives in German as in English, may be used predicatively, accompanying a verb, to describe a thing or a person. In this case it is placed at the end of the sentence. e. g.

Der Garten ist groß. The garden is big.

In most sentences, however, an adjective is placed before the noun it modifies; as in the example:

Eine weiße Katze ist unter dem Tisch.

A white cat is under the table.

-
1. Kufner, *Ibid*, see the chapter on the tenses.
 2. Schulz - Griesbach "Teaching Supplement Phraseological Glossary Key" P. 71.

one 2nd person pronoun for singular and plural, for formal and familiar, for adults, children, animals and things. German on the other hand distinguishes three forms:

you..... (*du, ihr, Sie*)

The difference between *du* and *ihr* is easily described. *Du* is singular and *ihr* is plural. The contrast between *du, ihr* and *Sie* is more complicated, and there are few cases where it is hard to say whether to use the familiar or the non-familiar pronouns. Herbart Kufner explains roughly the following differences: (1)

du is used in addressing:

all children up to about age 14

all animals

all objects

all members of the family

and a carefully limited number of very close friends.

Sie is used in addressing:

all adults who are strangers

all people whom we address with a title regardless how well we know them.

It is advisable in the college level to ignore the existence of *du* for many lessons until the student knows a lot more German and gets more acquainted with the language, since the introduction of these two pronouns in conversation causes a good many complications. In German the personal pronouns have more forms than is the case in English. They change according to their function in the sentence.

Example:

Du kommst heute. *You* are coming today. *Du* is nominative.

-
1. Kufner, "The Grammatical Structure of English and German" see the personal pronouns.

'n' like (Tafel — Tafeln) or 'en' like (Frau — Frauen). Others do not build a plural form, and in this case the plural is indicated by the article, e. g. (der Lehrer — die Lehrer) Nouns that belong to this group usually end with 'er'.(1) Therefore, we advise the students of German to drill the nouns together with the gender article and the plural from the very first lessons.

English and German nouns are marked by suffixes. In part they are similar in the two languages: (work)er like (Arbeit)er, (child)hood like (Kind)heit, (reality) like (real)ität etc. However, they differ in a great number of suffixes. We don't need to give here a full description of noun suffixes.

Many German words are made by putting two or more words together. The new compound word usually takes the article of the last noun, e. g.

die Kinder = der Kindergarten
 der Garten

One word more about similarities and differences between nouns in both languages. In German, the article shows the function of the noun in the sentence. These forms are called 'declination forms'. These declinations do not exist in the English language.

Example:

<i>Der Schüler</i> kommt	The pupil is coming
Ich frage <i>den Schüler</i>	I ask the pupil
Ich danke <i>dem Schüler</i>	I thank the pupil
Das Buch <i>des Schülers</i> ist gut.	The book of the pupil is good

The Pronoun: Moving to the personal pronouns we notice that the only obstacle that faces the beginners of learning German is the second person pronoun. In English we have

1. Mattis, Ibid. see 'the types of nouns'. PP. 20-30.

he has now more confidence to attempt better and higher poetic achievement. The confident Milton at the end of the Poem completely differs from the hesitant Milton at the beginning. It is time now to dedicate himself to literary ends and to strive hard until he is no longer able. This is the sole business of the Poet—Priest.

Bibliography:

1. Diaches, David. *Milton*. London, 1966.
2. Kermode, Frank, ed. *The Living Milton*. London, 1962.
3. Carey, John. *Milton*. London, 1969.
4. Johnson, Samuel. *Lives of the English Poets*. Vol. I. London, 1946.
5. Goggin, S. E. ed. *Milton: Lycidas*. London
6. Patridges, C. A. ed. *Milton's Lycidas: The tradition and the Poem*. New York, 1961.
7. Brooks, Cleanth & Hardy, J. E. *Poems of Mr. John Milton*. London, 1957.
8. Tuve, Resemond. *Images and Themes of Five Poems by Milton*. Oxford, 1957.

Obviously, the reference is to Christ who is always ready to help (St. Mathew XIV. 22-31)

Lycidas is now in Heaven washing his 'oozy locks' with the pure 'Nectar'. He is listening to the songs of the Angels and saints, who stand in troops to enteration him and converse with him; so that he may not feel lonely. They are to wipe the tears for ever from his eyes. This implies a rejection of our world; it will never be remembered or regretted.

Listening to the 'nuptial song' introduces another Christian notion, that the unmarried, who remains Chaste and virtuous on earth will get married in heaven. Lycidas is, accordingly, rewarded as a Christian. He is now living happily in Heaven an immortal life. But as the whole Poem is a fusion of pagan and Christian notions. Lycidas is to get another reward that accords with the latter tradition. He has become one of the sea deities, to guard the shores and to offer help to those who may face the same doom. Apparently, there is no logic at all in the attack against the concept of the 'Genius of the shore'. It is wrong to see it out of place or trivializing the poem's close.

In the eight-line epilogue at the end, Milton assures us that once he is confronted with the notion of premature death, he does not intend to lose himself in a mood of sad-sweet contemplation, as Keats intends to do in his sonnet "When I have fears that I may cease to be." Milton seems to have decided to proceed to yet greater achievements, when he refers to his next pursuit;

Tomorrow, to fresh woods and pastures new
Despite the suggestion that the 'fresh woods' and the new 'pastures' could be a hint at his forthcoming tour; Lycidas is dated in the Trinity manuscript Nov. 1637, and Milton had left for Europe in April 1638, on what was intended to be the last phase of his self-dedication as a poet. Milton tells us that

doing this to lessen his grief for Lycidas. From the Psychological point of view, it gives a great comfort to busy yourself with something else whatever it is. To keep yourself busy with any object outside you has a soothing effect. Keats expounds the same notion in his Ode on Melancholy. He doesn't advise a melancholic person to escape from his sorrow by resorting to narcotics, oblivion or Suicide. On the contrary, He thinks that one should try to come to terms with one's sorrow in order to get comforted. Two means are offered to achieve this; either indulgence, or to direct one's contemplation to the beauty of the physical world. Milton is adopting the anticipated second means to get relieved. But while he is trying to strew the laurate hearse where 'Lycid lies' he, unfortunately, comes to realise that Lycidas has got no grave; for his body must have been hurled somewhere, either to the North, near, Hebrides, or must have been taken to the bottom of the 'monstrous world', or driven to the south western coast, where the 'guarded mount' is facing Spain. In the reference to 'England looking towards Spain'. Diachon finds a suggestion of the whole challenge of Anglo-Spanish relations of the late sixteenth century, culminating in the defeat of the Spanish Armada in 1588.

Milton's patriotism is revealed when he desperately cried that England badly needs the guardian angel, who should cease looking away from home. Besides, the Protestant Milton is annoyed to see guardianship offered to their enemy the Catholic Spain.

In the so-called first digression, Milton talks about a reward that would be granted in heaven as a compensation for early death. Hence, the last verse-paragraph in the elegy is to exhibit the reception of Lycidas in Heaven. He has ascended.

Through the dear might of Him that walked the waves,

be: (1) the two-edged sword mentioned in The Revelation i. 16 ii. 12, 16; (2) the axe which 'is laid into the root of the trees' (St. Mathew iii. 10) (3) the axe with which Archbishop Laud was beheaded; (4) the two Houses of Parliament; (5) the Sword of Justice. But the most convincing explanation is offered by Diaches. He argues that "retribution is certain through a device which suggests purposive activity on the part of society. The implication of 'two-handed' is that men will use it with their own two hands, and the suggestion of purposive activity anticipates and prepares the way for the final resolution of the problem posed by the poem—which is that man as poet and moralist should, so long as he remains alive, keep on working and striving, continuing to proceed from task to task until he is no longer able."¹⁸

Having suggested an answer for the question posed by the poem, Milton finds out that since the death of a poet and a priest means that one should not give up, but follow his lead and try to compensate for the great loss, he must, therefore, lay aside his grief for Lycidas. However, it is not fair to do this without some last tribute that ought to be paid in his honour. Edward King must have a decorated hearse: the poet deserves such an honour. Milton invites the Pastoral Poets to help him sprinkle flowers on Lycida's grave. A flower catalogue is introduced, as it was a stock feature of the pastoral elegy and was always associated with ideas of surviving fame, memorial tribute and the possibility of resurrection. Milton's Catalogue derives from Spenser's Catalogue in his April Eclogue. Milton apparently added this passage later: The trinity manuscript shows it as an insertion, the first longer and more elaborate than the one finally worked out. Milton tells us that he attempts to do this to get relieved with a false hope, that King has got a grave which could be decorated. He is

18. Diaches. P. 88.

was a fisherman and hence there is the possibility of fishing Lycidas out of the sea. It gives a great comfort to those concerned to think of their dear friend as being buried in his grave, rather than tossed for ever by the waves here and there.

The pastors of the Church are, according to the Christian notion, spiritual leaders. A corrupted Church could never be a light house to a lost boat. The Pastor's only business as Milton suddenly discovers is to.

Creep and intrude and climb into the fold.

All they could do was:

to scramble at the shearer's Feast,

And shove away the worthy bidden guest.

Their bad sermons spread the diseases among the congregation, and make them swell and get rot. The Pope of the Catholic Church is no better; he is a 'wolf.' Milton is enraged to see the people daily 'devoured' by him and 'nothing said'. How would this corruption be stopped? Milton suggests retribution. It is

That two-handed engine at the door

Stands ready to smite once and smite no more.

There are a lot of conjectures as to the possible meaning of the two-handed engine. Miss Tave tells us that there are eight and twenty explanations on the market. To her, Milton is referring to the day of Judgement, to the final reckoning which all sinners must face. Fraser objects to this suggestion. His opinion is that Milton at least meant a topical or political allusion. He adds, "I do not think that he was by temperament the sort of man who would wait patiently for the day of Judgement for his enemies to get their deserts."¹⁷ It may be of help to mention here some of the other conjectures made in this connection. It is said that the two-handed engine could

17. Kermode. P. 50.

ment by fate over that accorded to mere sensualists and opportunists".¹⁴

Milton is blamed for introducing St. Peter amongst pagan Gods and pastoral imagery. This introduction is said to be congruous. The fact is that, to the readers of Milton's time, the congruity might not have been felt as such, when the use of the allegory and the blending of sacred and mythological associations were common in Poetry. Miss Tuve is right to say that 'one great difficulty in the way of our responding, to day, to a poem like Lycidas, is our sense of separateness from nature and the separative ways in which we have learned to use language and, therefore, to think.'¹⁵

Milton was not the first poet to blend sacred and mythological associations. Spenser did the same thing in his May Eclogue. He denounced the hireling clergy and the church of Rome as fiercely almost as Milton does. It is worth noting in this regard that Lycidas is said to be the "last poem in which Milton was able to fuse Christian and Pagan imagery in this way".¹⁶ as Professor R. L. Brett points out. During the sixteenth Century, precedents are to be found in Latin and Italian pastoral poems and in Italian writers from as far back as Mantuan (1448-1516). Beside all this, there remains the fact that Edward King, the Church recruit, is in urgent need of St. Peter, personally, due to the various capacities of the disciple of Christ. He was a shepherd, and according to the Christian tradition, he was asked by Christ to care for the sheep. In this sense he was expected to attend a funeral of a shepherd. He was the carrier of the traditional keys of the Church or heaven, being the first Archbishop. Besides, he

14. Diaches. P. 86.

15. Kermode. P. 51.

16. Ibid. P. 41.

it has been built in the eclipse, and hence, doomed to sink. Man's helplessness against Fate is ascertained. Milton here exploits superstitious notions. The Sacred head of Edward King is to sink 'so low'.

I have already referred to the fact that Edward King was a fellow of Christ's and a Church recruit. Eventually, his death is a great loss to the University and the Church as well.

Being dead, Milton imagines a funeral in his honour attended by Camas, representing, the University sorrowing and St. Peter, representing the Church.

The speech of St. Peter (L 113-31) is to make the so-called second digression in the poem; the first being the passage on fame (L 76-84). The speech is an attack against the Anglican Clergy. The Critics of Milton have generally assumed the two previous passages as digressions, since both of them are not concerned with Lycidas directly. They have found out, also, that even the language used in them, differs from the rest of the elegy. Carey disagrees with them as far as the language is concerned; he argues that "even the passage in which 'a higher mood' breaks free of pastoral (76-84, 113-31) preserve the pastoral mannerism". But he admits that they do not look squarely at king's death but a side at Milton's anxiety about his own fame and the future of the Church of England".¹³

Diache's assumption is that the attack on the Anglican Church is not a digression. He tells us that "Milton has been developing the theme that the good are destroyed while the bad remain—a theme which in turn emerges from his earlier point that there is no sense in choosing a life of self-dedication to great art if the dedicated man is given no preferential treat-

13. Carey. P. 56.

Fury' may come at any moment to slit 'the thin spun life'. He is reminded by Phoebus that when the human being dies, his fame survives, for it is an immortal thing and not part of the mortal human body. Besides, real fame is that which is granted by God in doomsday. This argument may give a temporary relief, but it does not answer the question at hand. Milton doesn't suggest that early death ought to be accepted for the victim will be rewarded by God. The passage ends with despair. Milton wonders what is to be done? The question is not that we should not regret early death, simply if fame is not achieved on earth. The artist, who has a noble spirit, is not to seek fame. In other words fame ought not be sought as the only the goal. The artist's main goal is to serve. He is to contribute for the good of the community. If he is not given ample time to achieve this, then he is wronged. Besides, the society is wronged, for his loss badly affects the society. Consequently, the next question is what is to be done if a spiritual leader is gone? How could we compensate for such a great loss? No doubt that with the death of a great personality, the society is wronged. The dead person awaits a reward in heaven, but who will compensate the society for this loss? The answer comes at the very end of the poem, where Milton suggests that to overcome a Catastrophe as such, one ought to go ahead, following the track of the deceased pioneer; one ought to struggle as long as he lives, and to do what in him lies as best he can. He is not to give up, but to go ahead seeking 'resh woods and pastuers new'.

The death of Edward King is a fact, which ought to be accepted. But this acceptance doesn't mean that Milton is appeased. He looks angrily around seeking others to blame. Neptune, the God of the the Sea faces the next accusation, but he is freed by his son Triton, who has come to investigate and to prove that his father is not guilty. The waves, Aelus, The God of the wind and the birds are questioned, and they proved to be innocent. The fatal bark is, therefore, to blame.

introduce the theme that to be a poet was no guarantee against sudden death."¹¹ Fraser goes further as to find another link between them; Milton, he says,

Is not lamenting King as a person; he is lamenting the young poet; and the young poet is, because of the very root of the tradition of the pastoral elegy, The Dying God, and The Dying God is a fore-runner of Christ, who alone of all the Dying Gods has conquered Death, and given us an assurance that we may conquer it..... Orpheus is the type of all poets. But he is also a kind of prefiguration of Christ. Like Christ he descends into hell and comes out again; but, where Christ harrows Hell, Orpheus loses Eurydice at the last moment. Like Christ as the Logos, Orpheus harmonized the natural world with music. Like Christ, he is cruelly sacrificed, but, unlike Christ, he has no resurrection.¹²

Although Milton is trying his best to fuse classical and religious themes or elements in this poem, but we are not quite sure whether all that was suggested by Fraser would have probably been meant by Milton or not. The tragic death of Edward King, who was a young artist reminded Milton of the young Orpheus, who had faced the same doom. Their death was certainly a great loss. The question to be raised is if to be an artist is not to escape death, not to say forever, but until you could contribute something of benefit, what is the advantage of labouring and self-dedication? In other words, the question posed by the poem is whether it is worth trying to become a spiritual leader? Milton in a well-known passage contrasts images of self-dedication with images of self-indulgence. Obviously, the whole issue concerns Milton's anxiety about his own fame. He realizes that we pursue fame, but before it is won, we may face a tragic doom. The 'blind

11. Diaches. P. 83.

12. Fraser. P. 40.

way"¹⁰, although he believes that Johnson was wrong there. No doubt that Miss Ture has gone too far in seeking the meaning of allegory. Milton seems to have recalled their previous life together simply to intensify his loss. It is so tragic to find himself alone after all those days together. The other poet has gone, never to come back. Nature laments his death. The caves previously haunted by them are now overgrown with 'wild thyme' and the 'gadding vine'. The willows will no longer flutter their leaves to his 'soft lays'.

Edward King had been drowned off the north coast of Wales. The sea nymphs are, therefore, accused of his death. They were always expected to be seen in three places; namely, the steep which overlooks the Irish Coast, where the famous Druids were buried, or, on the top of Mona, or near the magical Deva, or the river Dee. Milton here exploits the old Celtic tradition. The nymphs seem to have purposely absented themselves, in order not to give any help. At this point, Milton comes to realize that even if the nymphs were there, they would have given no help at all. What help could have been offered if Calliope herself, the Muse of epic poetry, couldn't help Orpheus, her son, when he was savagely attacked by the frenzied Thracian? He was torn to pieces and thrown into the River Hebrus which carried him to the Island of Lesbos. His mother failed to rescue him.

The links between Edward King and Orpheus are many: they were artists; King was a poet and the latter was a musician, the founder and symbol of poetry and the son of a Muse, both of them had charmed nature; the first by his songs, and the latter by his strains, both of them had been lamented by nature, and both of them had met the same doom and left unrescued. The myth is, apparently, not decorative but functional. Diiches is right to remark that the myth is "to

10. Ibid.

Prelate.⁸ Accordingly, The Concept of the Shepherd as a symbol for the poet-priest is quite appropriate. The religious Milton, who was very deeply read in the classics, was enabled to fuse both pagan and religious elements in his elegy. This fusion, not confusion as Dr. Johnson calls it, illuminates for us his mental conflict. With rather exaggeration, he informs us that they used to be together most of their time, caring for their flock and singing beautiful songs. Their songs were not only appreciated by 'Rough Satyrs' and 'Fauns' who would judge by instinct, but old 'Damaetus' as well. Milton is probably referring here to their life at Cambridge or their early walks in the fields around Cambridge. However, there is a suggestion that the 'Rough Satyrs' and the 'Fauns' are the undergraduates at Cambridge and that old 'Damaetus' could be W. Chappel, Milton's tutor at Christ College, and later Provost of Trinity College, Dublin. But as Milton had quarrelled with him, this theory is improbable. Other editors of Milton say that 'Damaetus' could be Joseph Meade, another fellow of Christ's. It is significant to mention here that Milton is censured by Dr. Johnson for writing these allegorical lines; he believes that no image of tenderness can be excited by them. Whereas Miss Tuve, in her attempt to find the meaning of allegory, suggests that "the field in which the young scholars-drove might be their libraries, their flocks, their books, as if the fresh dews of night stood for late reading that did not lead to staleness, and as if the grey fly winding her sultry horn stood perhaps for their more frivolous fellow students, their chatter adding to the pleasantness of the University atmosphere, but not really distracting Milton and King from their studies."⁹ Quoting these suggestions, Fraser points out that "it would be mad to read, or attempt to read the poem that

8. Diaches. P. 73.

9. Kermode. P.49.

Who would not sing for Lycidas? He knew
Himself to sing and build the lofty rhyme.

Edward King was a poet, and who would not sing for a poet, who himself builds 'the lofty rhyme'? Very cleverly Milton, who is more concerned with his own fate, includes himself. As a poet, he is going to do this promising young man a favour, so that in turn, he might be done the same favour. It is not fair to leave a poet floating upon his 'watery bier'.

Unwept, and welter to the parching wind
Without the meed of some melodious tear.

Milton's elegy is the melodious tear. He seems to envy Edward who had found some one to lament his death. Who could assure Milton of a similar service? why not? Isn't he a poet like Edward King?

For we were nursed upon the selfsame hill
Fed the same flock by fountain shade and rill;

Milton deserves the same honour and must get it. It is what is due to a poet. Lets us sing then for Lycidas, says Milton, rebuking himself for the previous hesitation and invoking the muses to participate.

Soon after that he recalls their life together at Cambridge. They were always together, and according to the pastoral tradition, they were active shepherds; tending their flock all day long and part of the night on the top of the hill. Besides, they were singing on their flutes to pass the time and enjoy themselves.

I have already referred to the fact that both of Milton and Edward King were poets, and that both of them had previous ambition to join the Church. Diaches states in this regard that Edward King "Unlike Milton, was appointed to a college-fellowship by royal mandate and was not 'Church-outed by the

Milton of the fact, that if fate acts so blindly, he might be the next victim. What avails, then? Why not give ourselves up to easy pleasure, instead of all this labouring? Milton is concerned with the fate of the poet, the creative man, the artist. Eventually, if Edward King was not a friend to Milton, his death would not be less tragic. The matter doesn't concern him alone. He is a promising young man, and he could stand for any promising young man. Milton seems to be realizing for the first time that to be a poet, or a spiritual leader doesn't mean that you are spared by Fate. It gives him a great sadness to see, that the talented and the self-dedicated is given no preferential treatment. Such a person ought to be rewarded. His life ought to be prolonged; not in order to give him a chance to enjoy living, or to secure self-indulgence, but to enable him to serve. A talented person is capable of serving the community. But if this is the will of God, which ought not be challenged, such a tragic fact must be accepted. The question now is, that if an artist and a spiritual leader dies, whose death is a great loss to the community, what is to be done? In Lycidas Milton raises the previous question and tries to give his answer as a religious man, who has a great faith in God's will. From the very beginning, he introduces the concept of the poet-priest. He is a poet, but probably out of modesty, or rather to prevent any criticism, he tells us that he is a beginner and that this is not the right time to write poetry, but that he is forced to do it, in order to lament the death of a friend, who is also a poet. He assumes that, his attempt is rather crude and that he is like an inexperienced gleaner, who destroys the plants as he picks up the 'unripe fruits'. But, despite his pretence, the lines imply his confidence to get honoured for his good job; the laurel, myrtle and the ivy are always associated with triumphant art.

He is hesitant at the beginning, but is compelled to write a song because,

concerned, the spiritual leader is a shepherd, and according to the classical tradition, the poet is a shepherd whose business is to tend his flock; and to sing as well. Fraser states in this regard that the Shepherds were always used as "a way of talking about something else (about poets, for instance), with metaphorical indirection. The Shepherds, beside being poets, might in Milton's time be courtiers or lovers or parsons, (because a parson is a paster and his congregation are his flock), and they could discuss in doric allegory a very wide range of topics, including topics tricky or dangerous to discuss directly, such as politics, theology, Church Government."6 As Mr. Courthope points out Milton was then the first poet who succeeded in reproducing in English "the Doric effect of the Greek pastoral".7

It is well known that Edward King died when Milton was undergoing a period of apprenticeship at Horton. In the midst of his great labour, he was shocked to hear of the premature death of a promising and a dedicated young man. The word 'death' would not shake a man who has a great faith in God like Milton. It is not this at all. It is the sudden and premature death. Edward King was only 25 years of age when he faced death. What if death comes so unexpectedly to Milton himself? why not? He is, a human being like King and certainly liable to die at any moment. Milton is not afraid of death at all, but what shocks him is the realization that to be a poet, to work hard day and night, and to be self-dedicated is no guarantee against death. Let death come at any time, but not before contributing something for the good of the community. This is the main goal of the noble man, the poet and the spiritual leader. The sudden death of King reminds

6. Frank Kenmode, ed. *The Living Milton*, "Approaches to Lycidas" G. S. Fraser. London. 1962. P.32.

7. Goggin, P. 9.

refer to their intimacy as a motive. However, Milton's nephew tells us that there had been 'a particular friendship and intimacy' between Edward King and Milton. But nowhere else this intimacy is confirmed. John Carey's opinion is that intimacy is doubted as the poem holds itself so artificially. "Grief cannot keep its sharpness in the classical air."³ he says. Diaches confirms the view point that "Edward King does not appear to have been a very intimate friend of Milton's, but he had been a learned and virtuous young man dedicated to a career in the Church, and there must have been some sympathy and fellow feeling between them."⁴ It follows, then, that even if the dead man was not Edward King the learned, he would have been lamented as such. Milton is, therefore, concerned with the fate of a 'learned' man, a creative man, or in other words a poet. Obviously, the word 'Poet' includes Milton, who was then practising the art of poetry. Besides, Milton might have been prompted by his own desire to express his personal views concerning the Anglican Church in an Allegorical Poem. He casts the whole poem in the pastoral form. Goggin says in his introduction to the poem "It is a dirge of the same type as the first Idyll of Theocritus, The Epitaphium Bionis of Moschus, the fifth Eclogue of Vergil, and the November Eclogue of the Shepherd's Calender. To the last-named of these Milton may have owed the suggestion of the form of his elegy."⁵

Lycidas, the classical name for Edward King, is introduced as a shepherd. This presentation conforms with both classical and Christian traditions. Milton cleverly fuses both traditions in this poem. As far as the Christian tradition is

3. John Carey, *Milton*, London, 1969. p. 55.

4. David Diaches, *Milton*, London, 1966. P. 73.

5. S. E. Goggin. *Milton: Lycidas*. ed. University Tutorial press. London. P. 9.

the corruption of the Anglican Church and a decision against ordination is certainly expected from a man who has developed poetic ambitions.

At Horton Milton wrote a number of poems, adhering in their outward form to the Renaissance, though they were grave in spirit. He, therefore, wrote either masques; *Arcades* (1633?) a fragment of a masque and *Comus*-a complete masque (1634), or pastorals; *Lallegro* and *Ilpenseroso* (1632-33,) and *Lycidas* (1637), The poem in question.

Lycidas, Milton's elegy on Edward King, appeared in a memorial volume which came out in two parts in 1638, the first and larger part contains Latin and Greek poems and the second containing poems in English. *Lycidas* concludes the second part; it is signed 'J. M.'. All but two of the other eleven English elegies are signed with the author's name.

Edward King, a Fellow of Christ's was four years Milton's junior. He had drowned on his way to Ireland from Chester. when the news of his death reached Cambridge, his friends there resolved to honour his memory with one of these collections of elegiac verses which were then fashionable on the deaths of great personages. Among those asked to contribute to this volume was Milton.

We are doubtful whether Milton's intimacy with Edward King had prompted the writing of this elegy, or that he had been motivated by some other reasons. In the sub-title, which was added to the version of 1645 Milton explains to the public the circumstances which gave rise to the poem and points the application of the allegory in lines 108-131; he says " In this Monody the Author bewails a learned friend, unfortunately drowned in his passage from chester on the Irism Seas, 1637; and by occasion foretells the ruin of our corrupted Clegy, then in their height." Apparently Milton is here concerned with a 'learned' friend, not necessarily an intimate one. He doesn't

extremes, his method is to take from each side what seems best and, especially, most practicable. Believing in practical empiric Swift said, "When oppressions grow too great and universal to be borne, nature or necessity may find a remedy." Also he said, "And then . . . there is this consideration, that if the abuse be enormous, Nature will rise up, and claiming her original rights, overturn a corrupt political system."

med Harley that he would no longer endure the embarrassment of remaining in England unless he received an honourable preferment. But on the day of his installation his enemies affixed on the door of the Cathedral the following lines:

Look down, St. Patrick, look, we pray,
On thine own Church and steeple;
Convert thy Dean, on this great day;
Or else God help the people.

On the other hand, in his essay entitled "The Sentiments of a Church-of-England Man," Swift treated the Whigs as responsible for profound errors in church policy, the Tories for venial errors in political theory. There were faults on both sides. He seemed to admit that the censures laid against each party by the other were extravagant and unfair. Then he presented the supposedly impartial views of an unbiased middle-of-the-road Anglican. Swift said that a member of the Church of England should believe in God, Providence, revelation, and the divinity of Christ. His devotion to the church matters let Swift, in the *Sentiments*, take the Church of England as the proper system of a nation's faith. He scolded men of all politics but particularly the Whigs, for failing to respect the priestly order; besides, Swift longed for peace and did not like to see these troubles exist between the two parties. Therefore, he respected Harley very much. He considered him as a good and honest man because Harley could bring about those condition, especially in the relations of church and state, which Swift thought most conducive to a decent order in the country.

Swift strongly approved Harley's efforts to achieve a moderate and broad-based administration which could blunt the sharper distinction between Whig and Tory. In avoiding

they differ widely in the several fundamentals of religion and governments, and all of them from the true public interest; yet, whenever their leaders are taken into power, under an ignorant, unactive, or ill-designing prince, will probably, by the assistance of time or force become the majority, unless they be prevented by a steadiness, which there is little reason to hope, or by some revolution, which there is much more reason to fear. 7

Through this rationalization he arrived at the conviction that Whig supremacy meant party rule and therefore tyranny, while any Tory advance meant government above party and therefore freedom. Swift boastfully contrasted the new policy with the old restrictions: "When the Whigs were in power, they took special care to keep their adversaries silent. . . though by a sort of indulgence which they were strangers to, we allow them equal liberty of the press with ourselves."8

Early in 1713 it became clear that the divisions among the Tories and the bitter rift between Harley and Bolingbroke would have disastrous effects. Swift watched with despair as the ministry went to its destruction. Its fall and the death of Queen Anne in 1714 closed what he considered the most brilliant chapter in his life.

Fortunately, before the Tories fell from power he was given the long-deferred advancement in the Church, though it was after all an appointment that to him and to his friends seemed less than his deserts. Swift was made Dean of Saint Patrick's on April 23, 1713. This came to him after he infor-

7. Jeffares, *op. cit.* p. 61.

8. *Ibid.*, p. 65.

Harley, Bolingbroke, and the Tory ministry. This position of power and trust gave him a sense of exhilaration and released his energies. He struck out with consummate skill at the Whig leaders. Swift ridiculed on the principals and persons of the Whig. Therefore, he moved about among statesmen, court officials, titled aristocrats, and other dignitaries with assurance and satisfaction, with a special gusto for the incidents of each day.

His task was to show that the cause of the Tory ministry, its desire to obtain a peace with France, was a just cause, and that its members were worthy men. Also Swift wanted to restrain the more violent Tories from extreme measures. His position, maintained with singular adroitness, was that the country was crying for a peace and happiness which could be more readily obtained from the Tories than from the Whigs.

For four years Swift, by his counsel in the cabinet and his ceaseless, masterly propaganda outside, was the great support of the Tory administration. His *Conduct of the Allies* was one of the most effective of all his political pamphlets. Being pro-Tory he insisted that the Tories were the natural majority and spoke for the country. Then Swift defined "Whig" as the "name of faction," an inconsiderable minority, selfishly clutching at power and operating against the interests of the nation. He said:

...there cannot, properly speaking, be above two parties in such a government as ours; and one side will find themselves obliged to take in all the subaltern denominations of those who dislike the present establishment, in order to make themselves a balance against the other; and such a party, composed of mixed bodies, although

with Sir William Temple, and he began to know various Whigs through Temple. Therefore, Swift was very proud that the number of Whigs daily increased. In 1704 he addressed one of his friends, William Tisdall, who was a Tory: "You know you and I are Whig and Tory. And, to cool your insolence a little, know that the Queen and Court, and House of Lords, and half the Commons almost, are Whigs; and the number daily increases."⁶ He called himself a Whig. He wrote: "... having been long conversant with Greek and Roman authors, and therefore lover of liberty, I found myself much inclined to be what they called a Whig in politics."

The late fall of 1710 proved a decisive point in Swift's career. It brought his shift in political allegiance from Whig to Tory, something his enemies never permitted him to forget. Swift separated from the Whig party because he thought them opposed to the Church principles which he advocated from first to last. He disapproved their attitude of contempt for the clergy, their scandalous reflections upon the universities, and the liberty they allowed to freethinkers to attack the fundamental doctrines of Christianity. Also there is another reason for his separation from the Whig party; for almost three years the Whigs in England had kept him in suspense with constant promises of advancement in the Church. But this perferment never came.

His new political alignment, with the Tories, was a relief to him. It was friendly in its personal relationships and promising for his future. In 1710 he was an editor of *The Examiner*, a journal founded to defend the politics of Robert

6. Irvin Ehrempreis, *Swift: The Man, his works, and his Age* (Cambridge: Harvard University Press, 2 vols., 1967), p. 130.

obliged to have the same king with us." Therefore, Swift preferred to blacken England by showing, not merely that the restrictive policies were short-sighted and unprofitable, but they were constitutionally invalid because they were based upon force and upon an illegal denial of Irish rights as fellow-subjects.

Finally, when the Duke of Dorset came over as Lord Lieutenant to Ireland in the fall of 1731, Swift assured him that he would not cause him trouble during his term of office. He had also offered a further guarantee of his good behaviour in a letter to the Countess of Suffolk, written on October 26, 1731. He wrote:

If any state scribble writ here should happen to reach London, I entreat your Ladyship would continue to do me the justice of believing my innocence, because I lately assured the Duke of Dorset that I would never have a hand in any such thing, and I gave him my reason before his Secretary, that looking upon this kingdom's condition as absolutely desperate, I would not prescribe a dose to the dead.

His Attitude towards the Whig and the Tory Parties: In 1701 when Swift came to England he found the Whigs in difficulties. Therefore, he published his first political pamphlet, "A Discourse of the Contests and Dissensions between the Nobles and the Commons in Athens and Rome," in the defence of the leaders of the Whigs when they were impeached by the House of Commons. It was a particular warning against the dangers of the undue influence of popular assemblies, and the folly they had shown by impeaching their greatest leaders.

This relation with the Whigs began during his residence

of saying "His Majesty's subject," it would seem to insinuate that we are not upon the same foot with our fellow-subjects in *England*; which, however, the practice may have been, I hope will never be directly asserted, for I do not understand that Poining's act deprived us of our liberty, but only changed the manner of passing laws here... by leaving the negative to the two Houses of Parliament. But, waiving all controversies relating to the legislature, no person, I believe was ever yet so bold as to affirm that the people of Ireland have not the same title to the benefits of the common law, with the rest of His Majesty's subjects, and therefore whatever liberties or privileges the people of England enjoy by common law, we of Ireland have the same; so that in my humble opinion, the word *Ireland* standing in that proposition, was, in the mildest interpretation, *a lapse of the pen.* 5

In the *Drapier's Letters* he protested against ignorant and weak people who referred to Ireland as a "depending kingdom, as if they would seem, by this phrase, to intend that the people of Ireland is in some state of slavery or dependence different from those of England." Swift insisted that there was no statute that "makes Ireland depend upon England any more than England does upon Ireland." He said that the two nations had the same king: "We have indeed obliged ourselves to have the same king with them, and consequently they are

5. *Ibid.*, p. 79.

modern story, which was denied the liberty of exporting their native commodities and manufactures wherever they pleased, except to countries at war with their own Prince or State, yet this by superiority of mere power is refused us in the most momentous parts of commerce, besides an Act of Navigation to which we never consented, pinned down upon us, and rigorously executed, and a thousand other unexampled circumstances as grievous as they are invidious to mention.⁴

One of his few sermons, *On the Causes of the Wretched Condition of Ireland*, was devoted to an analysis of Ireland's economic difficulties, in which he complained bitterly that "The first cause of our misery is the intolerable hardships we lie under in every branch of trade, by which we are become as hewers of wood, and drawers of water, to our rigorous neighbours."

Then Swift based his arguments on a constitutional relation between his own country, Ireland, and England. Whatever his real interpretation of this relation between England and Ireland or his view of the respective rights of native Irish and Anglo-Irish, he saw the necessity and persuasiveness of arguing from the premise that "the people of Ireland are in no way distinct from the people of England, that they are fellow subjects, citizens entitled to the same rights." Swift challenged the implication that the liberty or privilege of the Irish subject was different from the liberty or privilege of the English subject:

...in specifying the word *Ireland*, instead

4. Jeffares, *op. cit.*, p. 76.

by taxes. In the poem, *The Character of Sir Robert Walpole*, Swift's dislike for Walpole, which began with the political conflicts of Queen Anne's reign, was intensified during Walpole's period of power under Hanoverian rule. He wrote:

With favour & fortune fastidiously blest
he's loud in his laugh & he's coarse in his jest
of favour & fortune unmerited vain
a sharper in trifles a dupe in the main
achieving of nothing Still promising wonders
by dint of experience improving in Blunders
oppressing true merit exalting the base
and selling his Country to purchase his peace
a Jobber of Stocks by retailing false news
a prater at Court in the Stile of the Stews
of Virtue & worth by profession a giber
of Juries & senates the bully & briber
Tho I name not the wrech you know who I mean
T' is the the Cur dog of British & spaniel of Spain.³

Swift was stimulated to concern himself with economic solution consistent with harsh realities of Ireland's dependency. From 1720, when the first of his tracts appeared he tirelessly, though rather hopelessly, protested England's restrictions on Ireland's trade. The following passage is from *A Short View of the State of Ireland*:

Ireland is the only Kingdom I ever
heard or read of, either in ancient or

3. Edward Rosenheim, *Jonathan Swift: Selected Prose and Poetry* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1966), p. 308.

opposed to reason and justice. Ireland must recognize herself and be recognized by others as a nation. A nation must be a kingdom, and there were no half-ways. There could be no such thing as a "depending kingdom." The Anglo-Irish upper class must change their hearts; they must drop some of their loyalty, their attachment to another country, and discover more public spirit. As a nation Ireland must have ranks and orders, but cannot endure a system of ascendancy, of privilege and exclusion.

Swift felt contempt for the project of a Bank in Dublin; his main purpose was to attack again his old political enemies, the Whig ministers and the moneyed men. Swift aimed to rouse the feeling of the Irish people against them, and stir their resentment against them on account of the universal oppression which was evident throughout the whole land.

The patriotic fate to which Swift was destined in Ireland seems infinitely greater than any role he might have played. As an Irish patriot he also was attacked by his enemies. They wrote about him sarcastically. But Swift was not easy to be humiliated; he always attacked his enemies bitterly. Once he said, "I will kill that louse or flea which bites me, though I get no honour by it."

He continued to interest himself in the affairs of Ireland. In 1727 Swift hoped in the new reign there might be some improvement. He even went to the trouble of explaining the needs of that wretched country to Sir Robert Walpole, the Lord Treasure. But when nothing came to this direct effort, and when his continued warnings, even in Ireland, were unheeded, he abandoned political action and turned to irony and the satisfaction of personal invective in his verses against both Walpole and the Parliament in Dublin. Walpole, as Swift said, was the incarnation of shortsightedness and greed, which held Ireland by decree and consumed Irish flesh

rity was combined with the control of land. He envisioned a people wholly under the power of laws that expressed their own customs and consent. Instead of concentrating this sovereignty, he distributed it over a legislative body with divided authority but harmonious aims. He desired a nation united under a single Church and prince, undisturbed by partisan rivalries. With these materials Swift built freedom into the very shape of the state; the citizen had a natural right to be free when he enjoyed the freedoms allowed him by a natural government. If he demanded more, he was making himself a tyrant.

Moreover, Swift wanted everyone in Ireland to participate in supporting any movement that led to the independence of Ireland. He said, "I would rather be a freeman among slaves, than a slave among freemen." His resentment at servility or tyranny in others appeared in the unbridled expression of his letters after 1727. "Enslaved," "slavish," "slaves" were repeated among the comments on Ireland. The bitterness increased until he called for an English burial to rescue his corpse from a land of slaves. By "liberty" Swift meant only a condition of the citizens of a parliamentary monarchy. They were free when ruled by laws made with their own consent. "Government without the consent of the governed, is the very definition of slavery."²

Not only did Swift attack the British government, but also he attacked the Irish Parliament for their neglect of the state of the nation and the shopkeepers for their lack of common sense. Swift could thus attack the complex Irish problem with a fierce simplicity. He had no sentimental patriotism, any more than he had sentimental attachments to anything else. Here as elsewhere he saw stupidity and selfishness

2. *Ibid.*, p. 59.

pendence which would resist by every possible means all further encroachments of the British government in London on the liberties of Ireland. Swift could not hope to do much with the leaders of the Church of Ireland or the men in public employment, because they were appointed by the Crown or under the influence of the Lord Lieutenant. Therefore, his only chance was to raise a popular campaign among the shopkeepers and country people of Ireland. He began his campaign with a proposal for the universal use of Irish Manufacture, in clothes, and furniture of houses. Swift rejected and renounced everything wearable that came from England, or as he put in the popular phrase of the moment, "to burn everything that comes from England except their People and their Coals."

Gulliver's Travels can be simply an attack on England, on the dominant Whig party, and on the war with France, which did save Europe from being tyrannized over by a single reactionary power. When Gulliver flees from Lilliput (England) to Belfuscu (France), the people of Lilliput have behaved towards Gulliver with utmost treachery and meanness, those of Belfuscu behave generously and straightforwardly. Evidently Swift's attitude is against England. It is "your Natives" (Gulliver's fellow-countrymen) whom the King of Brobdingnag considers to be "the most pernicious Race of little odious vermin that Nature ever suffered to crawl upon the surface of the Earth."¹ Also the long passage at the end, denouncing colonization and foreign conquest, is plainly aimed at England.

Swift's ideal was a community in which political autho-

1. A. Norman Jeffares, *Swift: Modern Judgements*, (Bristol: Western Printing Services Ltd., 1968), p. 194.

JONATHAN SWIFT'S POLITICS

Munir Jamil Isma'il M. A.

Swift, as an Irish patriot, wrote many political pamphlets, which are brilliant and powerful work. There are two tasks in his political career. One of them is his attitude towards his own country, Ireland, and Irish people; the other one is his attitude towards the two political parties, the Whig and the Tory in England.

The theory of politics, to Swift, is a matter of a few basic principles; but to establish these principles in practice one needs much good sense, adaptability, and knowledge of men. He is not deeply concerned to achieve theoretic consistency. Politics to him is an empirical matter, part of the giddy circumstance of man's world in which the same action may be at one time right and at another wrong; at one time a worth-while risk and at another an incalculable danger.

Swift's conclusion can be paralleled again and again in the political theory of the time. He is accustomed to distrust generalizations and to try to make his way among warring factions. Swift is sceptical about the absolute worth or the divine sanction of any particular form of government, since for him so much depends upon the whims of a confused world and on the varying and incalculable passions of men. Being thus sceptical, he has resort to empirical solutions.

In all his writing concerning Irish politics his object was to prevent collaboration and to keep alive the spirit of inde-

tional... The poet makes poetry, the metaphysics makes metaphysics, the bee makes honey, you can hardly say that any of these agents believes, he merely does.

To conclude, it may be true that Hawthorne, as R. H. Fogle says, expounds "the fundamental ethic, metaphysic, psychology, and aesthetic of English Romantics", in the sense that in him the "germ of Romantic doctrine of transcendentalism and Platonic belief in the ultimate identity of Goodness, Truth, and Beauty" 26 is to be found. Still, it is not difficult to find a place for Hawthorne among the outstanding figures modern criticism.

26. Richard Harter Fogle *Hawthorne's Fiction: The Light and The Dark*, (Univ. of Oklahoma Press, Norman, 1952), p. 77.

in various ways, the general purpose of the work.

Nevertheless, Hawthorne and Poe are two pioneers who did more than pave the way for the twentieth century school of criticism. Croce emerged with his vehement emphasis on the independence of art of morality and practical considerations, a principle he pugnaciously defended all his life. As late as 1945, for instance, he still maintained that art is art and nothing else:

In this philosophy of mine, poetry is poetry and not philosophy, action and morality are what they are, not poetry or philosophy; and philosophy is itself, neither poetry, nor action, nor morality.

Following on his heels comes Clive Bell. In *Art* he writes:

To appreciate a work of art we need bring with us nothing from life, no knowledge of its ideas and affairs, no familiarity with its emotions.²⁵

Then I. A. Richards follows with his affirmation of Coleridge's suspension of disbelief, a condition which cannot be realized unless one starts with accepting the independence of art of morality and philosophy. The trend reaches its full maturity with T. S. Eliot and his disciples. In the essay on Shakespeare and the Stoicists Eliot writes:

Poetry is not a substitute for philosophy or theology or religion, it has its own function which is not intellectual, but func-

25. Clive Bell, *Art* (Chatto & Windus, London, 1949), p. 27.

The author has considered it hardly worth his while, therefore, relentlessly to impale the story with its moral as with an iron rod,— or, rather, as by sticking a pin through a butterfly,— thus at once depriving it of life, and causing it to stiffen in an ungainly and unnatural attitude.²³

The echo is unmistakably that of Poe's "Poetic Principle,"²⁴ which, in my opinion, puts Poe among the major modern critics:

The simple fact is that, would we but permit ourselves to look into our own souls, we should immediately there discover that under the sun there neither exists, nor can exist any work more thoroughly dignified - more supremely noble, than this very poem, this poem *per se* - this poem written solely for the poem's sake.²⁴

Yet, Hawthorne does not go with Poe all the way. At a certain stage they separate. Hawthorne, we have just said, is for the beautiful as a subject matter of art, for the poetic. Poe is not. For he goes on to say:

It by no means follows, however, that incidents of passion, or precepts of duty, or even the lessons of truth, may not be introduced into a poem, and with advantage: for they may subserve, incidentally,

23. *Ibid.*, preface to *The House of the Seven Gables*, pp. 224.

24. *Poe op. cit.*, *The Poetic Principle*, pp. 9.

is valued, not in itself, but as an element which may be brought into the larger unity - that is, it is not valued in itself unless we value the poem as science or as exhortation to a practical purpose."

Closely related to Hawthorne's concept of the independence of art of reality is the futility of using art for practical purposes. For, art cannot, or should not be, compared to reality, it naturally follows that a work should be considered within a reality of its own no matter whether it contributes to our own world or not. Owen Warland was shocked when accused of trying to capture perpetual motion only because of the practical considerations implied:

"The perpetual motion? Nonsense!" replied Owen Warland, with a movement of disgust; for he was full of little petulances. "It can never be discovered. It is a dream that may delude men whose brains are mystified with matter, but not me. Besides, if such a discovery were possible, it would not be worth my while to make it only to have the secret turned to such purposes as are now effected by steam and water and power. I am not ambitious to be honored with the paternity of a new kind of cotton machine.²²

His rejection of moral considerations was no less vehement than his rejection of practical ones. He conceives of the work of art as a living body, any attempt to pin it down to a moral lesson is exactly like sticking a pin through a butterfly - thus depriving it of life. His argument in this connection is pronouncedly stated :

²². Hawthorne, "The Artist of the Beautiful", p. 1142-43.

theory that the ugly in an "apt" description, to use Addison's term, or "in the description given to it by the poet", as Lessing says, becomes no longer so.

In my opinion the whole question, to put it plainly, is another version of the "poetic subjects". The fact is that what matters in our consideration of a work of art is its totality of effect, in the sense that every part in the work is aesthetically beautiful in so far as it functions, in so far as it contributes to the total effect. "The whole," says Croce, "is that which determines the quality of the parts", which statement is echoed in Cleanth Brooks' sentence: The only unity which matters in poetry is an imaginative unity."

In the light of this principle the ugly can be introduced into art. If the total effect the artist wants to convey is that of ugliness or poverty, then anything can be artistic, i.e. beautiful, provided it contributes to that effect. It is then, and only then, that these parts, though ugly in themselves, become beautiful. Upon this Croce, and later most of the modern critics, build their concepts of the poetic and the non-poetic in art. While Hawthorne seems to affirm that only the beautiful is poetic, the modern critic affirms something else. He advocates that an object, an idea, an emotion, etc., outside the work of art is neither poetic nor nonpoetic; it is what it is until it enters a work of art. Hence modern critics find it easy to permit the introduction of anything into the work, provided it loses its original identity the moment it enters a poem. For now it acquires a new identity, the identity of being a part in an artistic whole. "A philosophic theory which entered into poetry," writes T. S. Eliot in his essay on "The Metaphysical Poets," is established - for its falsity or truth in one sense ceases to matter, and its truth in another sense is proved." "Logical unity," writes Cleanth Brooks in *Modern Poetry and the Tradition*, "When it occurs in a poem

cription, or Sound that represents them.... any thing that is disagreeable when looked upon, pleases us in apt description... For this reason, therefore, the description of a dunghill is pleasing to the imagination, if the image be represented to our minds by suitable expressions, because we are not so much delighted with what is contained in the description, as with that aptness of the description to excite the image.

On the Continent, in Germany, Lessing almost simultaneously says:

It is precisely because ugliness in the description given of it by the poet, becomes a less disgusting appearance of bodily imperfection and, ceasing to be ugliness when seen from the point of view of its effect, is then useful to the poet. And that which he cannot use for itself, he uses as an ingredient to cause, or to strengthen certain mixed sensation.

Hawthorne seems to have ignored the basic difference between physical or natural beauty and ugliness and artistic beauty and ugliness, between what is beautiful in art and what is beautiful in life. In the absence of this difference he sees the beautiful in art as that which is considered beautiful in life. What is perplexing is that Hawthorne, who rejects the idea of art as representation, ironically advocates the beautiful and only the beautiful, as the subject matter for art. He turns his back, consciously or unconsciously, on the

lovelier picture of the life that belongs to woman, than an actual acquaintance with some of its hard dusty facts could have inspired.²¹

It by no means follows that Hawthorne can be easily located among the advocates of the modern analytical school of criticism. In the last quotation, for instance, Miriam's subject matter is the "warm and the pure suggestions of a woman's heart, and thus idealizing a truer and a lovelier picture of the life that belongs to woman than an actual acquaintance with some of its hard and dusty facts could have inspired." The hard and dusty facts are dismissed as unbecoming subjects for the creation of the beautiful. In his pursuit of the beautiful Hawthorne's artist starts with the beautiful; the raw material he works on is the world of the beautiful: since the early days of his childhood the artist was noted for an abhorrence for the ugly, the vulgar, and the repugnant. He always ran to the world of the butterflies. In other words, while Hawthorne stresses the fact that art is not representation but creation of the beautiful, he seems also to stress the theory that the starting point is the beautiful. Here lies the major difference.

Hawthorne, in this respect, disagrees with a considerable number of modern critics as well as a number of outstanding figures that preceded him in the sphere of letters. Discussing the second category of the 'Pleasures of Imagination' Joseph Addison says:

It proceeds from that action of the mind which compares the ideas arising from the original objects, with the ideas we receive from the Statue, Picture, Des-

21. *Ibid.*, "The Marble Faun", p. 616.

The idea of a license, or what Eliot calls "the poetic license", is something that Hawthorne goes back to more than once:

But, having once got the clew, my subsequent researches acquainted me with the main facts of the following narrative; although, in writing it out, my pen has perhaps allowed itself a trifle of romantic and legendary licence.²⁰

Art, then, is different from reality. Hawthorne goes on to say that it is even better than reality. If the artist can make "better" pictures with the artfully arranged lights and shadows if he applies the tools of selection and elimination, then synthesis to his raw material, the resultant work will not only be different from, but better than, reality. The artist's butterfly, to fall back on the old example again, was better than all the butterflies the artist observed. In "The Marble Faun" a much more telling example is given:

There was a drawing of infant's shoe, half worn out, with the airy print of the blessed foot within; a thing that would make a mother smile or weep out of the very depths of her heart; and yet an actual mother would not have been likely to appreciate the poetry of the little shoe, until Miriam revealed it to her.... But it is more delightful to believe that, from first to last, they [the shoe and other drawings] were the productions of a beautiful imagination, dealing with the warm and pure suggestions of a woman's heart, and thus idealizing a truer and

20. *Ibid.*, "The Blithedale Romance", p. 546.

sidering the qualities of each element one has to bear in mind that each has its own qualities independent of others.

Though Eliot introduced the analogous relation between the creative and the chemical processes to substantiate his Impersonal Theory of art, yet the whole thing applies to Hawthorne's aesthetics, and to his concept of the relation between art and reality. Art, then, is art and nothing else; at least it is not reality. It has a reality of its own within which it should be viewed.

In the prefaces to both "Blithedale Romance" and "The Marble Faun" Hawthorne discusses, *in unique economy*, the relation of art and reality in *all* its ramifications: the licence awarded the artist to deviate from reality, the work of art as the product of the artist's imagination, and, consequently, the futility of comparing art to reality:

In short, his [the author's] concern with the socialist community is merely to establish a theatre, a little removed from the highway of ordinary travel, where the creatures of his brain may play their plantasmagorical antics, without exposing them to too close a comparison with the actual events of real lives. In the old countries, with which fiction has long been conversant, a certain conventional privilege seems to be awarded to the romancer; and his work is not put exactly side by side with nature; and he is allowed a licence with regard to every-day probability, in view of the improved effects which he is bound to produce thereby.¹⁹

19. *Ibid.*, preface to *The Blithedale Romance*, p. 439.

imperfectly copied from the richness of
their visions.¹⁸

The problem of selection and elimination leads, inevitably, to a discussion of art and reality. Is art mere copying of reality as it stands outside the artists? Apparently, with a process that entails selection and elimination, the answer is no. A camera copies reality; a painter does not. And a cameraman is an artist only in so far as he chooses the angle, arranges light and shadow, which, again, can be considered a process of selection and elimination. To Hawthorne art is not only different from reality, but also better. That it is different we have already seen in Miriam's statement: "But we make very pretty pictures sometimes with our artfully arranged light and shadows." It is not mere copying, but artful arrangement.

They start with reality, that is true, but the result of the artist's effort is different. One cannot help thinking of T. S. Eliot's interpretation of the creative process in terms of a chemical analogy. For the formation of water, for instance, we should have three elements: oxygen, hydrogen, and electric spark. The spark is the catalyst without which the chemical process can not be completed. When the transformation is finished we find that the resultant material, water, has nothing in common, chemically, with either the oxygen or hydrogen, or even the catalyst. To apply this to the creative process T. S. Eliot says that the mind of the artist is the catalyst, which is indispensable for the creation, and that the two elements, oxygen and hydrogen, are the raw material the artist starts with. It may be personal experiences, memories, natural impressions, reality, etc. Yet the work of art is different from them all. A complete transformation is realized, and in con-

¹⁸. *Ibid.*; "The Artist of the Beautiful", pp. 1245-1246.

How terrible should be the thought, that the nude woman whom the modern artist patches together, bit by bit, from a dozen heterogenous models, meaning nothing by her, shall butt as long as the Venus of the Capitol!17

The resultant material, therefore, is not reality (assuming that our artist starts with things, i.e. reality). In this sense Hawthorne is even more of a modern critic than Poe himself.

With the turn of the twentieth century B. Croce introduces his aesthetic theory. He says that the final aesthetic production, i.e., the work of art, passes through four stages : 1— impressions, 2— expression or spiritual aesthotic synthesis, 3— hedonistic accompaniment, or pleasure of the beautiful, 4— translation of the aesthetic fact into physical phenomena (sounds, tones, movements, combination of lines and colors, etc.). Judging by what we have quoted for Hawthorne so far it is evident that his work of art passes through the first two stages. Yet, Croce's last two stages were also foretold by Hawthorne :

Alas that the artist, whether in poetry, or whatever other material, may not content himself with inward enjoyment of the beautiful, but must chase the flitting mystery beyond the verge of his ethereal domain, and crush its frail being in seizing it with a material grasp. Owen Warland felt the impulse to give external reality to his ideas as irresistibly as any of the poets or painters who have arrayed the world in a dimmer and fainter beauty. Light and

17. *Ibid.*, p. 668.

despair as unmanageable, at the cautious selection and rejection, at the painful erasures and interpolation--the tackle for scene shifting...15

Hawthorne's artist, similarly, started with butterflies, tens of them; but he worked on them. Observation meant impressions. Every butterfly left an impression on his senses. A butterfly gave an impression, say, of color, another gave one of movement, and so on and so forth. Yet, the butterfly he created was different from all of them. That means a two-stage process was undergone: first, selection and elimination or rejection; secondly, synthesizing the various impressions. The artist's tools in this are comparison and analysis.

Here I would like to point out that this was not a principle that Hawthorne incidentally introduced. For the fact is that it is the core of his aesthetic theory as exemplified in his major works. In "The Marble Faun" Miriam tells Donatello:

We artists purposely exclude sunshine, and all but a partial light, because we think it necessary to put ourselves at odds with Nature before trying to imitate her. That strikes you very strangely, does it not? But we make very pretty pictures sometimes with our artfully arranged lights and shadows.16

Then, later on, Hawthorne himself, in his role as the storyteller hits the mark more explicitly:

15. Edgar Allan Poe, *The works of*, vol VI (Chicago, 1895), pp. 32-33.

16. Hawthorne, *op. cit.*, "The Marble Faun", p. 613.

hand like the butterfly that symbolized
it?¹⁴

Undoubtedly he is after the 'soul of the thing'; his was "an ideal pursuit," but to be realized through the "chase of butterflies." His ideal is to capture the beautiful idea, only it should be through the butterfly that symbolized it. It is a long way from Emerson's inspiration or revelation.

When Hawthorne emphasizes that "Nature's ideal butterfly was realized in all its perfection, not in the pattern of such faded insects as flit among earthly flowers" he hits upon a repeatedly discussed aesthetic principle. The resulting product from the creative process is different from the material the artist usually starts with. The butterfly is different from the countless number of butterflies put under observation. It is a new creation that has its own reality, or truthfulness. The principle implied here is the principle Poe advocated a couple of years before Hawthorne, i.e. the principle of selection and elimination. In "The Philosophy of Composition" Poe writes :

Most writers, —Poets in especial— prefer having it understood that they compose by species of frenzy —an ecstatic intuition; and would positively shudder at letting the public take a peep behind the scenes at the elaborate and vacillating crudities of thought, at the true purposes seized only at the last moment, at the innumerable glimpses of idea that arrived not at the maturity of full view, [but] at the fully mastered fancies discarded in

14. *Ibid.*, p. 1145.

Emerson's 'Platonic' form of the soul of the thing, and that the only difference between the two literary figures is that Hawthorne's artist has to work harder for his product than seems implied by Emerson. Still, there is a chasmal difference between their aesthetic concepts, at least, as far as the creative process itself is concerned. In the main it is a difference of method. Hawthorne's artist started with things, he started by imitating the beautiful movements of natural things as exemplified in the flight of birds and the activity of little animals. His starting point, then, was things. The final product, nature's ideal butterfly, may be considered the soul of these things, but the significant fact is that he did not start with this soul of things. With Emerson the process is reversed. "Poetry was all written before time was, and we are so finely organized that we can penetrate into that region where the air is music." Emerson's denial of the existence of things in their physical status — which is easily understood as part of his revolt against the European sensationalism, and his own Unitarian background — makes the soul of the thing his only alternative for a starting point. Things are caducous, illusory, but the Over-Soul is not.

This basic difference between the thing and the soul of the thing is further emphasized by Hawthorne in the story :

There was something truly mysterious in the intentness with which he contemplated these living playthings as they sported on the breeze or examined the structure of an imperial insect whom he had imprisoned. The chase of butterflies was an apt emblem of the ideal pursuit in which he had spent so many golden hours; but would the beautiful idea ever be yielded to his

concept of the Over-Soul, what he means here is the soul of the thing and not the thing itself. But we should not forget that, to Emerson, the soul of the thing is what matters as things in their physical manifestations are 'caducous', as he puts it. So the soul of the thing is its only true existence. Hence, the 'critics' province, or legitimation is to judge the poem according to its accuracy or inaccuracy of representation. In short, poets "are mirrors carried through the street ready to render an image of every created thing."¹² In other words, the work of art should be judged according to its degree of truthfulness, or otherwise, in representing the already pre-existing nature.

With Hawthorne, on the other hand, the idea of the work of art as a result of a deliberate and conscious effort is unmistakably emphasized. Take the butterfly his artist 'made' as an example. How did he make it? The story tells us about the months and the years the artist spent in pursuit, not of a butterfly, but of butterflies; about the months and the years he spent watching the movements of imprisoned insects. Then the ideal was realized. Did the butterfly he 'made' look like the butterflies he had been watching?

Nature's ideal butterfly was here realized in all its perfection; not in the pattern of such faded insects as flit among earthy flowers, but of those which hover across the meads of paradise for childangels, and the spirits of departed infants to deport themselves with.¹³

It may be said that Hawthorne here is not very far from

12. *Ibid.*, p. 340.

13. Hawthorne, *op. cit.*, p. 1153.

world! The leaden thoughts and the despondency that you fling upon me are my cloges, else I should long ago have achieved the task that I was created for."10

with this in mind, let us try to define the nature of the creative process in the light of "The Artist of the Beautiful", as seen against a contemporary background of literary criticism. In "The Poet" Emerson writes:

Over everything stands its daemon or soul, and, as the form of the thing is reflected by the eye, so the soul of the thing is reflected by a melody. The sea, the mountain-ridge, Niagara, and every flower-bed, pre-exist, or super-exist, in precantation, which sail like odors in the air, and when any man goes by with an ear sufficiently fine, he overhears them and endeavors to write down the notes without diluting or depraving them. And herein is the legitimation of criticism, in the mind's faith that the poems are a corrupt version of some text in nature which they ought to be made to tally.11

First, we have the concept of poetry as representation. Secondly, during the creative process the poet is absolutely passive. He is best fitted to represent these pre-existing tones in pre-existing cantations. It is true that with Emerson's

10. *Ibid.*, p. 1145.

11. R. W. Emerson, *The Selected Writings of, "The Poet"* (Mod. Lib., N. Y.), p. 331.

Unfortunately, she touches the unfinished butterfly:

“Go Annie,” murmured he; “I have deceived myself, and must suffer for it. I yearned for sympathy, and thought, and fancied, and dreamed that you might give it to me; but you lack the talisman, Annie, that should admit you into my secrets.⁸”

Her bondage with reality is revealed when Owen takes his work to her as a gift. She does not only lack the talisman, but also possesses the same despise of Hovenden and Danforth for imaginative work:

There was, amid all her kindness towards himself, amid all the wonder and admiration with which she contemplated the marvellous work of his hands and incarnation of his idea, a secret scorn - too secret, perhaps, for her own consciousness, and perceptible only to such intuitive discernment as that of the artist.⁹

The three of them, then, stand up, as the advocates of reality with all its connotations, against the artist and his search for the beautiful. Annie is by no means different from both her father and her husband. They are the frustrating elements for the artist. Together they represent the world outside the artist; and his complaint against them is his complaint against the world:

“You are my evil spirit,” answered Owen, much excited,—“You and the hard, coarse

8. *Ibid.*, p. 1147.

9. *Ibid.*, p. 1154.

unreality, in his interpretation of the word, of the butterfly:

"That goes beyond me, I confess. But what then? There is more real in one downright blow of my sledge hammer than in the whole five years' labor that our friend Owen has wasted on the butterfly."⁵

Annie's case is much more intricate. It took only the artist to unmask the statue of reality that crouches behind her delicacy and unmeant sympathy. Part of locating Annie among the realists, i. e., the artist's enemies, arises from her colorless behavior in the first two thirds of the story. When her father criticises Owen Warland she presses his arm and says:

"Hush father! He hears you! His ears are so delicate as his feelings; and you know how easily disturbed they are."⁶

Her slight admonition of her father smacks of a delicacy that is promising. Later she pays Owen a visit. Even the artist is deceived in the beginning:

And then the thought stole into his mind that this young girl possessed the gift to comprehend him better than all the world besides. And what a help and strength would it be to him in his lonely toil if he could gain the sympathy of the only being whom he loved!⁷

5. *Ibid.*, p. 1154.

6. *Ibid.*, p. 1139.

7. *Ibid.*, p. 1146.

all, all, look so vain and idle whenever my path is crossed by Robert Danforth! He would drive me mad were I to meet him often. His hard, brute force darkens and confuses the spiritual element within me.³

Robert Danforth is thus a variation on Peter Hovenden; we may not even be far from right if we say that he is a repetition of him. The artist's complaint — "all, all, look so vain and idle whenever my path is crossed by Robert Danforth!" — is an echo of his comment on Hovenden's unimaginative regard for "by contact with which everything was converted into a dream except the densest matter of the physical world." Both Danforth and Hovenden, then, are frustrating elements to the artist. At a later stage in the story, when the artist's work ripens into the butterfly, we have Danforth's own words sealing the unmistakable touches of his identity as the advocate of a crass reality. First, he could not believe that the butterfly was the artist's work. His comment is instinctively given:

"Alive? To be sure it is," answered her husband. "Do you suppose any mortal has skill enough to make a butterfly, or would he put himself to the trouble of making one, when any child may catch a score of them in a summer afternoon? Alive? Certainly!⁴

Certainly the world of Owen is something beyond his understanding; limited as he is within the boundaries of reality. Then comes his comment when convinced, at last, of this

3. *Ibid.*, p. 1143.

4. *Ibid.*, p. 1153.

native sagacity, by contact with which everything was converted into a dream except the densest matter of the physical world. Owen groaned in spirit and prayed fervently to be delivered from him.²

It may be objected that Hovenden's world is seen as crass and ruthlessly practical only through the eye of Owen Warland, which can be prejudiced enough, and not through the author's eye. Partly, this is true. But the fact is that in spite of the deceptive beginning that allures us into feeling for Hovenden, by the middle of the story the crassness and vulgarity of his world is unmasked when seen against the tenderness and beauty of that artist. We no longer sympathize with Hovenden. Maybe we do not sympathize enough with Hawthorne's artist, but, at least, we do not sympathize with his Hovenden — nor with Annie and Danforth. In other words, even if — and I say if — Owen's world is not accepted as tremendously idealitic, yet Hovenden's world should never, under any circumstance, be the alternative. Maybe, to put it another way, we do not sympathize with Warland, but decidedly we condemn Hovenden.

Danforth's case is easier. He is used by Hovenden as a testimony to the falsity and absurdity of the artist's dream. Then he is seen through the artist's eye:

"How strange it is," whispered Owen Warland to himself leaning his head upon his hand, "that all my musings, my purposes, my passion for the beautiful, my consciousness of power to create it, — a finer, more ethereal power, of which this earthly giant can have no conception, —

²2. *Ibid.*, p. 1144.

coarseness as it could have been in either of the fine arts. He looked with singular distaste at the stiff and regular processes of ordinary machinery. Being once carried to see a steam-engine, in the expectation that his intuitive comprehension of mechanical principles would be gratified, he turned pale and grew sick, as if something monstrous and unnatural had been presented to him.¹

I have given the quotation at such a length for: first, it throws light on the character of our artist and his premature love of the beautiful; secondly, it defines his relationship to the other characters we are going to examine; thirdly, it touches upon more than one point in Hawthorne's aesthetics: art and the beautiful, imitation and creation, art and reality, art and use or utilitarian considerations.

The reality to which the artist is opposed is embodied in the old man, Danforth, and Annie. Early in the paper we have seen Hovenden's words about both worlds, the one of reality and the other of the beautiful. Later on we see him inspecting Owen's work, before the butterfly is in any way defined. His mere presence oppresses the artist's heart and crushes his dreams of the beautiful against the rocks of his hard, crass reality:

The artist, meanwhile, could scarcely lift his head. There was nothing so antipodal to his nature as this man's cold, unimagi-

1. Nathaniel Hawthorne, *The Novels and Tales of*, "The Artist of the Beautiful" (Modern Library, N. Y.), pp. 1140-41.

of, shall we say, identification with Hovenden is achieved. Consequently, when the vulgarity of the sordid reality he represents and that all of us stand for is shown against a simultaneous gradual unveiling of the tenderness of the artist's world of the beautiful, the condemnation is not limited only to Hovenden but to all the Hovendens, i. e. all of us. Even the full impact of his remark on seeing Danforth — "I know what it is to work in gold; but give me the worker in iron after all is said and done. He spends his labor upon reality." — is not fully grasped. One is easily tempted to accept his thesis. Then the author introduces the artist. But before we are initiated into what he is working on we see his life retrospectively:

From the time that his little fingers could grasp a penknife, Owen had been remarkable for a delicate ingenuity, which sometimes produces pretty shapes in wood, principally figures of flowers and birds, and sometimes seemed to aim at the hidden mysteries of mechanism. But it was always for purposes of grace, and never with any mockery of the useful... Those who discovered such peculiarity in the boy as to think it worth their while to observe him closely, sometimes saw reason to suppose that he was attempting to imitate the beautiful movements of Nature as exemplified in the flight of birds or the activity of little animals. It seemed, in fact, a new development of the love of the beautiful, such as might have made him a poet, a painter, or a sculptor, and which was as completely refined from all utilitarian

to examine "the point of view" in the works of Hawthorne. My main concern is Hawthorne's aesthetics, as a product of and a major contributor to, the great literary flowering of the mid-nineteenth century in America. Hawthorne's aesthetics has to be seen in the light of that of his two great contemporaries: Emerson and Poe.

"The Artist of the Beautiful" gives rise to almost all questions related to aesthetic studies of the creative process and the nature of art. What is the nature of art? How does a work of art come to exist? Is art imitation or creation? Is it a matter of passive inspiration or deliberate effort? Then, what is the relation between art and reality? By reality here I mean the real life as it stands outside the artist. Hence the question can be spelled into two: what is the relation between art and practical considerations, use, or utility? then, what is the relation between art and morality?

Before trying to answer this series of questions, it is indispensable to define the relationships in "The Artist of the Beautiful. As a matter of fact, it is the opposition between the young artist and Hovenden, Danforth, and Annie that provides the main source of our attempt to an understanding of the basic opposition between the artist and all the Hovendens, the Danforths, and the Annies of the world, on the one hand and the aesthetic principles of Hawthorne, on the other.

First we are introduced to the artist at work. But *skillfully* enough we are introduced to him from a distance, from behind a glass window, as seen through the eye of "old Peter Hovendon". 'Skillfully' because at the beginning of the story old Hovenden, with his failing eyes and his interest in the real, manages, in some mysterious way, to give the impression that he is speaking for us, for the practically minded. After all, we are not all poets and artists. Thus some degree

HAWTHORNE'S AESTHETICS

A. Hammouda

Unlike Emerson and Poe, Nathaniel Hawthorne did not deliberately pose as an aesthete or a literary critic. He did not put down his thoughts, in the domain of criticism, in a "Philosophy of Composition" or "The Poet". Even in his prefaces for "The House of the Seven Gables," "The Blithedale Romance," and "The Marble Faun" what aesthetic statements we have are given primarily as Hawthorne's apologia for what he tells in the novels, or as his answer to the charge levelled at him, sometimes, of portraying real locales and events.

Yet, it by no means follows that Hawthorne did not have his own say on aesthetics and criticism. For apart from his "Artist of the Beautiful," to which we will often refer as the backbone of our discussion, the three above-mentioned novels are littered with purely aesthetic commentaries. True that the most of these commentaries are given by characters in the novels and not by an immediate Hawthorne. But it is always easy to detect the voice of Hawthorne once the inevitable (inevitable in Hawthorne, I mean,) degree of identification between the author and the characters is grasped. Moreover, a considerable amount of his commentary is directly given by the author himself without any attempt at masking his presence, a fact which accounts for the major technical defects in the structure of his novels. In "The Marble Faun", in particular, the commentary on art is presented by the triangle of Heida, Miriam, and Kenyon. Sometimes they speak in their capacity as artists, but, more often than not, they are the mouthpieces for the unhidden figure of the author. It is not my intent here

- Word Wit", *Modern Language Quarterly*, volume IX,
No. 2, June, 1948, p. 195.
30. Bajazet is the Emperor of the Turks in Marlowe's
Tamburlaine the Great.
 31. Scott Elledge, *Modern Language Quarterly*, Volume
IX, p. 189.
 32. R. B. Hinman, *Abraham Cowley's World Of Order*,
p. 128
Cambridge, Harvard University Press, 1960.
 33. *Classical Literary Criticism*, translated by T. S.
Dorsch, p. 101.
Middlesex, Penguin Books, 1965.

115. Samuel Johnson, *The Lives Of The English Poets*, p. 6
116. Ibid p. 7.
117. Ibid p. 7.
118. Ibid p. 7.
119. Ibid p. 6.
120. Douglas Bush, *English Literature in the Earlier Seventeenth Century: 1600 - 1660*, p. 165.
Oxford, Clarendon Press, 1962.
121. *Critical Essays of the Seventeenth Century*, ed. by J. E. Spingarn, Volume II, p. 142.
122. Samuel Johnson, *The Lives Of The English Poets*, p. 12.
123. *Critical Essays of the Seventeenth Century*, ed. by J. E. Spingarn, Volume II, p. 86.
124. F. R. Leavis, *Revaluation: Tradition And Development In English Poetry*, p. 30.
London, Chatto And Windus, 1962.
125. *The Pelican Guide To English Literature: From Donne to Marvell*, ed. by B. Ford, Volume III, p. 235
Middlesex, Penguin Books, 1962.
126. *Eight Metaphysical Poets*, ed. by J. Dalglish, p. 118
London, Heinemann, 1963.

Subsequent references to page numbers of this edition will appear in the text.

127. Zeuxis was a famous Greek painter of 5th century B.C. He was said to be so skilful that the birds were deceived by the grapes he painted and so came to peck at his pictures.
128. Amphion was a musician who played the harp so skilfully that when he and his brother fortified Thebes his music caused stones to move and build themselves into a wall.
129. Scott Elledge, "Cowley's Ode 'Of Wit' And Longinus (On The Sublime: A Study Of One Definition Of the

NOTES AND REFERENCES

1. D. J. Milburn, *The Age Of Wit: 1650 - 1750*, p. 18
London, Collier - Macmillan, 1966.
The author indicates on page 81 that the term 'wit'
came from the word *Witan* (to know).
2. W. F. Thrall and A. Hibbard, *A Handbook To Literature*, p. 509. New York, The Odyssey Press, 1960.
3. Jim Hunter, *The Metaphysical Poets*, p. 21
London, Evans, 1965.
4. See "The Poet as a Critic: Thomas Carew", *Bulletin of College of Arts*, Volume XII, 1969, pp. 86-92.
5. *The Poems Of Thomas Carew*, ed. by R. Dunlop, p. 72
Oxford, The Clarendon Press, 1964.
Subsequent references to page numbers of this edition will appear in the text.
6. W. K. Wimsatt and C. Brooks, *Literary Criticism: A Short History*, pp. 229-30. London, Routledge and Kegan Paul, 1965.
7. Thomas Hobbes, *Leviathan*, Volume 1, p. 33
London, Dent, 1914.
8. *Ibid.* p. 33.
9. *Ibid.* p. 34.
10. Samuel Johnson, *The Lives Of the English Poets*, p. 6
London, Jones, 1828.
11. Edward Benlowes, *Theophilia, Or, Loves Sacrific: A Divine Poem*, p. A2
London, 1652.
12. *Dryden's Essays*, ed. by W. H. Hudson, p. 192
London, Dent, 1954.
13. *Ibid.* p. 117.
14. *Critical Essays of the Seventeenth Century*, ed. by J. E. Spingarn, Volume II, p. 294
Oxford, Clarendon Press, 1908.

sublime is akin to genius.³³

This critical essay in verse as we have seen, therefore, illustrates Cowley's conception of wit, the 'moderate' wit instead of the 'extravagant'; the ode "Of wit" epitomizes the poetical evolution of the poet's own age and at the same time illustrates Cowley's own critical sense, or the value of criticism when the critic himself is a creator.

*to 'true wit' the power to move the passions,
the chief distinction of the 'sublime' is
perhaps more persuasive than any of the
more specific parallels."*³¹

Again, the emphasis in the second quatrain, as R. B. Hinman indicates, is on harmony and order:

*"All things exist as concepts in God's mind.
When He translates these into creation,
the resulting objects reflect His mind-and
it is an ordered mind, unity encompassing
multiplicity."*³²

Cowley concludes his definition of perfect wit in stanza nine:

*"But Love that moulds One Man up out of Two,
Makes me forget and injure you.
I took you for my self sure when I thought
That you in any thing were to be Taught.
Correct my error with thy Pen;
And if any ask me then,
What thing right Wit, and height of Genius is,
I'll onely shew your Lines, and say, 'Tis This."*

(120, 65-72)

Before, however, he produces his ideal definition of perfect wit, Cowley makes a tribute to an imaginary master of wit, to the perfect poet Cowley himself wanted to be. Then, in the next to the last line of this stanza, Cowley concludes that wit is similar to genius and is in fact the very essence of poetic genius. Again, Cowley's definition of wit remarkably parallels the idea of the classical critic Longinus that the

sis on Senecan epigrams. At the end of the stanza, Cowley, like Longinus who defined the sublime in terms of negatives, says that wit can only be defined by negatives. But to define wit seems to be as difficult as it is to describe the power of God. What is wit then?

The answer to the above question is given in the first couplet of stanza eight:

*"In a true piece of Wit all things must be,
Yet all things there agree.
As in the Ark, joy'n'd without force or strife,
All Creatures dwelt; all Creatures that had Life.
Or as the Primitive Forms of all
(If we compare great things with small)
Which without Discord or Confusion lie,
In that strange Mirror of the Deitie."*

(120, 57-64)

Cowley seems to conclude that wit is chiefly a matter of propriety or decorum. It is the capacity to produce harmony between style and content and bring harmony out of diverse elements. It is not so much as "discordia concors" as a harmony of all. As Cowley ends his poem he comes back to the variety mentioned in the first stanza, but not before it has rejected several kinds of false wit. S. Elledge perceives another parallel in this stanza (lines 59-60) between Cowley's attitude towards wit and the definition of the sublime by Longinus:

*"In it Cowley says that a true piece of wit
must have life, an omnipresent, life -
giving soul, a power to move or transport
like that possessed by the miracle - working
music of Amphion. Cowley's attributing*

In stanza six we are told that neither puns and verbal or metrical ingenuity, nor bawdry and obscenity which were wit's older companion, at least not the emphasis on any of these things for its own sake, are the product of true wit:

*"Tis not when two like words make up one noise;
 Jests for Dutch Men, and English Boys.
In which who finds out Wit, the same may see
In An'grams and Acrostiques Poetrie.
 Much less can that have any place
 At which a Virgin hides her face,
Such Dross the Fire must purge away; 'tis just
The Author Blush, there where the Reader must."*

(119, 41-48)

Cowley here concentrates on vices of content in the works of poets, which readers should view with scorn. These vices may amuse the childish, but emphasis on any of these things for its own sake depreciates poetry.

Cowley then, in stanza seven, turns to vices of style, and makes a list of outmoded wit:

*" 'Tis not such Lines as almost crack the Stage
 When Bajazet begins to rage.³⁰
Nor a tall Meta'phor in the Bombast way,
Nor the dry chips of short lung'd Seneca.
 Nor upon all things to obtrude,
 And force some odd Similitude.
What is it then, which like the Power Divine
We only can by Negatives define?"*

(119, 49-56)

Among the negatives, or things wit is not, is inflated rhetoric, two common signs of which, Cowley says, are bombastic metaphors and forced and odd similies; nor is wit the empha-

Cowley whose cool critical temper was still further cooled by Hobbesian rationalism, is not sufficient by itself to create the unique and permanent work; in order to achieve this kind of work, the poet must bring his entire mind into the process, and his judgement must take a major part. The poet, adds Cowley in the second quatrain, must also create something with the power to move and affect the passions. Cowley, of course, does not demand from poetry to perform literal miracles, like the wonders attributed to Amphion's verse, but believes that poetry is not a mere decorative form of writing; art is creative as well as decorative. Here, as well as in the following stanzas, Cowley is associating wit with the sublime; his definition of wit remarkably parallels the definition of the sublime by Longinus, which the classical critic considered in his book *On the Sublime* to be the life-giving force that informs all poetry capable of moving.²⁹ Cowley, perhaps, is the first English poet to relate wit and the sublime.

Stanza five is concerned with the amount and distribution of wit:

*"Yet 'tis not to adorn, and gild each part;
That shows more Cost, than Art.
Jewels at Nose and Lips but ill appear;
Rather than all things Wit, let none be there.
Several Lights will not be seen,
If there be nothing else between.
Men doubt, because they stand so thick i' th' skie,
If those be Stars which paint the Galaxie."*

(119, 33-40)

Cowley warns against excess of wit, the kind of wit that is displayed too lavishly; it is better, maintains Cowley, to have no wit at all than such a display. This kind of wit is like a meaningless flash of light, whereas a successful work of art is like a star in its permanence and significance.

*'Tis not a Tale, 'tis not a Jest
Admir'd with Laughter at a feast,
Nor florid Talk which can that Title gain;
The Proofs of Wit for ever must remain."*

(118, 17-24)

The title of 'a wit', Cowley states, is the highest honour that fame can confer on an artist; but this title, he maintains, is bestowed too often to false 'wits' and, therefore, these 'wits', like the Roman Catholic bishops of sees in England, are titular only. Cowley then with the second quatrain, proceeds with his critical analysis of wit in which it is defined by negatives, or by things that wit is not. He rules out levity and flowery speech as wit. In the closing line of the stanza, however, we have the positive account of wit; the artist is a creator, and the true artist is the one who can achieve permanence for his work.

The method of defining wit by negatives forms the opening lines of stanza four:

*" 'Tis not to force some lifeless Verses meet
With their five gouty feet.
All ev'ry where, like Mans, must be the Soul,
And Reason the Inferior Powers controul.
Such were the Numbers which could call
The Stones into the Theban wall.²⁸
Such Miracles are ceast; and now we see
No Towns or Houses rais'd by Poetrie."*

(119, 25-32)

Wit, according to Cowley, is not technical skill, and the poet cannot achieve permanence through certain metrical patterns. True wit, Cowley goes on to argue, in his positive account of wit, is that which is controlled by reason. Fancy, implies

simultaneously, upon many materials, but cannot comprehend the mystery of the actual creative process. Wit, we are told at the end of the stanza, is mysterious and elusive like the spirits.

In the second stanza, Cowley draws a careful distinction between the genuine and the false wit:

*"London that vents of false Ware so much store,
In no Ware deceives us more.
For men led by the Colour, and the Shape,
Like Zeuxes Birds fly to the painted Grape,²⁷
Some things do through our Judgment pass
As through a Multiplying Glass.
And sometimes, if the Object be too far,
We take a Falling Meteor for a Star."*

(118, 9-16)

Cowley does not deny that it is not always easy to distinguish between the true and the false wit, but insists on intellectual discipline. Cowley implies that true wit is neither an illusion nor a momentary thing. It is true, asserts Cowley, that men can be deceived by false wit, just as the eyes can be deceived and so arrive at false conceptions about material reality, but men's mistake about wit should not lower its reputation. The stanza closes with a scientific analogy in which Cowley cleverly compares false wit to the falling meteor - a transitory phenomenon of the variable atmosphere, and he compares genuine wit - the enduring creation, to the fixed and eternal star.

The third stanza begins with a serious warning:

*"Hence 'tis a Wit that greatest word of Fame
Grows such a common Name.
And Wits by our Creation they become,
Just so, as Tit'lar Bishops made at Rome."*

The ode which is considered to be one of Cowley's masterpieces, was also the most influential definition of wit, because it is the most complete analysis of imagination written during the seventeenth century. By 'wit' Cowley means the complex and elevated poetic creation. In this poem, however, Cowley is trying to analyse and define wit not only as a quality of mind, but as a characteristic of expression - the excellence in expression which distinguished good writing:

*"Cowley's conception of the poetic imagination would therefore seem to combine the idea of inspiration and variety of material with those of selection and conscious art."*²⁵

Cowley's intellectual and critical analysis of wit, opens with the following stanza:

*"Tell me, O tell, what kind of thing is Wit,
Thou who Master art of it.
For the First matter loves Variety less;
Less Women love't, either in Love or Dress.
A thousand different shapes it bears,
Comely in thousand shapes appears.
Younder we saw it plain; and here 'tis now',
Like Spirits in a Place, we know not How."*

(1 - 8) 26

The first stanza is a brief introduction in which Cowley sets the question and points to the variety of form in which wit may appear. This first description of wit has a certain depth of meaning. Clearly wit implies a mass of varied material available to or created by the poet's imagination. Cowley makes wit a synonym for 'fancy', both source and product of the artist's success. Cowley recognizes the element of variety in wit's creative production and that wit operates,

"Cowley's critical abilities have not been sufficiently observed; the few decisions and remarks, which his prefaces and his notes on the *Davidis* supply, were at that time accession to English literature, and show such skill as raises our wish for more examples."²²

Indeed, his chief critical utterances are contained in the 1656 edition of his poems, both in the general preface and in the notes to *Davidis*. In the preface Cowley revealed not only his estimate of his own poetic achievement but also something of his views on poetry in general. Of special value, however, are his remarks on the religious epic, in his preface to *The Cutter of Coleman Street* (1663), written towards the close of his life. Finally, there are his remarks on the Pindaric ode, which as one of "the lost inventions of antiquity" he claimed to introduce to English readers.²³ But his keenest critical opinions expressed themselves, however, in his verse, as in his ode "Of Wit".

The ode "Of Wit", the first poem in Cowley's volume of verse entitled *Miscellanies*, published in 1656, exemplifies Cowley's essential critical sense. The ode is a critical essay in verse in which Cowley defines, discusses and expounds his conception of wit. The significance of this essay is that Cowley attempts to analyse in it the very secret of 'metaphysical' verse, and at the same time presents us with an account of the poetical evolution of his own age. Wit, indeed, takes on a different character in the middle years of the seventeenth century; the emphasis in those years was on rational congruity and decorum, and the prevailing spirit was of "good sense, of common sense; appealing to criteria that the coming age will refine into Reason, Truth and Nature."²⁴

that is to say the union or connection of contraries, and points out that this kind of wit, which he ascribes to the poets of the early seventeenth century, is their chief characteristic.

Abraham Cowley was almost the last of the so-called 'metaphysical' poets and in many respects he foreshadowed the English neo-classicists. He was one of the literary figures of the middle years of the seventeenth century, and everything about Cowley, assigns him to a transitional position. He stands midway between the 'metaphysicals' and the neo-classicists. Cowley wrote in a 'metaphysical' manner, and looked backward to the 'metaphysicals', but his mind was radically different from them and he looked forward to the eighteenth century neo-classical. In reading Cowley's work one becomes aware of the attitudes, tone and common-sense of the Age of Reason.

Cowley was the only professional among the 'metaphysicals' because he was the only poet to produce theories to support his practice. In other words, like all creators or poets, he may be regarded as a critic also, a conscious - critic. This is, perhaps, what Douglas Bush had in mind when he commended Cowley:

*"He deserves critical respect, for he was a very clever, versatile, learned, self-conscious, and serious artist, a mirror, if not a profound interpreter, of the new rationalism of the English and the European mind."*²⁰

But the theories of Cowley were never formally paraded. His critical opinions are casual and fragmentary. Thomas Sprat remarks that Cowley had planned a *Discourse Concerning Style*, that was hardly begun before his death.²¹ Cowley's theories are confined to his prefaces and his footnotes. Samuel Johnson remarks that:

of wit; first, he mentions the concept of wit as novelty where he says that "their thoughts are often new",¹⁶ and in another place in the same essay he expounds this quality of wit when he observes that:

*"In persuing the works of this race of authors, the mind is exercised either by recollection or inquiry; either something already learned is to be retrieved, or something new is to be examined."*¹⁷

The effect of novelty or "new" thoughts or ideas, on the reader, of course, is to generate surprise; Johnson connotes this concept when he remarks that the early seventeenth century poets "were wholly employed on something unexpected and surprising", and again when he reiterates that "their acuteness often surprises."¹⁸ When Johnson discusses the third source from which poetry takes its from, namely the object of the poem, he gives the famous conception of wit as "discordia concors", where he observes that:

*"... wit, abstracted from its effects upon the hearer, may be more rigorously and philosophically considered as a kind of discordia concors; a combination of dissimilar images, or discovery of occult resemblances in things apparently unlike. Of wit, thus defined, they have more than enough. The most heterogeneous ideas are yoked by violence together; nature and art are ransacked for illustrations, comparisons and allusion...."*¹⁹

Johnson finds the essence of wit in the "discordia concors",

*"...Wit writing... is no other than the
faculty of imagination in the writer, which,
like a nimble spaniel, beats over and
ranges through the field of memory...
Wit written is... the happy result of
thought or product of imagination."*¹²

Later, however, in the apology prefixed to an opera, *The State Of Innocence And Fall Of Man*, written in 1677, we find Dryden writing that:

*"...the definition of Wit... is only this:
that it is a propriety of thoughts
and words elegantly adapted to the subject."*¹³

As Dryden's courtly friend the Earl of Mulgrave put it in his poem "An Essay Upon Poetry", in 1682:

*"...tis the top of wit
T'express agreably a thing that's fit."*¹⁴

Finally, before we turn to Abraham Cowley, we must consider Johnson's criticism of the wit of the early seventeenth century poets. In his book *The Lives Of the English Poets*, written in 1779, this leading eighteenth century critic presents the first profound analysis of the character of wit of early seventeenth century poets in the life of Cowley. Johnson mentions three conceptions of wit relating to the three sources from which poetry takes its form, that is first the language of the poem, secondly its thought, and thirdly the object of the poem. With regard to the thought of poetry, Johnson objects to Pope's description of wit as being "that which has been often thought, but was never before so well expressed", and dismisses it as erroneous, and defines it as "strength of thought".¹⁵ Johnson, moreover, infers two other qualities

fancy without judgement or reason could not constitute wit, though judgement without fancy could. In other words, Hobbes felt that wit could be achieved by judgement alone:

*"...in any Discourse, whatsoever, if the defects of Discretion be apparent, how extravagant soever the Fancy be, the whole discourse will be taken for a signe of want of wit; and so will it never when the Discretion is manifest, though the Fancy be never so ordinary."*⁹

This concept explains why the poetic wit which the late seventeenth century came to prefer to that of the 'methaphysicals' was the kind which Hobbes here relates to a good 'judgement' rather than a good 'fancy'; that is, wit based on nice balances or oppositions, rather than on the 'heterogeneous ideas yoked with violence together" that Samuel Johnson objected to in the poetry of the earlier part of the century.¹⁰

Edward Benlowes, however, writing in 1652, makes wit the joint outcome of 'judgement' and 'invention':

*"...Now 'tis Judgement begets the Strength; Invention the Ornaments of a poem; both These joyn'd form Wit, which is the Agility of Spirits: Vivacity of Fancie in a florid Style disposeth Light and Life to a poem, wherein the Masculine and refined Pleasures of the Understanding transcend the feminine and Sensual of the Eye..."*¹¹

But wit is explicitly identified with the imaginative element in poetry by Dryden in the preface to his poem *Annus Mirabilis*, written in 1666:

extent, wit did assume this important position in the seventeenth century poetry is amply demonstrated in their verse. In their poetry they played on words and thoughts and displayed their learning, and more often, as readers, we are more conscious, and our attention is more directed towards these elements than upon the subject itself.

With the coming of neo-classicism, however, the term 'wit' took on new meanings to reflect new critical ideas, and for a hundred years many critics and philosophers endeavoured to define 'wit':

*"But 'wit' because of its near synonymity with 'poetry', had to move as the implicit concept of good poetry moved. It is only thus that one can explain, from the inside as it were, the successive uses of the term 'wit' by single writers, like Dryden or Hobbes."*⁶

During the later half of the seventeenth century wit and imagination could be either connected with judgement or they could be separated, because there was always the belief that any mental activity worthy of man as a rational being would be under the control of reason; whether or not this connexion was actually made explicit. Thomas Hobbes, for example, identified 'wit' and 'fancy' and opposed these to 'judgement' when he said that those who are readily able to discern similitudes and likenesses of images "are sayd to have a *Good Wit*; by which, in this occasion, is meant a *Good Fancy*."⁷ Those who are able to observe differences "are sayd to have a good Judgement."⁸ Nevertheless, it becomes quite clear that for Hobbes judgement rather than fancy was the principal element of wit. In fact, Hobbes asserts that:

*Our stubborn language bends, made only fit
With her tough - thick - rib'd hoops to gird about
Thy Giant phansie, which had prov'd too stout
For their soft melting phrases."*

(73, 49-53)

Fancy, or "phansie" means here poetic imagination, the actual process of poetic creation, with reference to Donne's wit as a vast imaginative power. Carew, finally, concludes that:

*"Here lies a King, that rul'd as he thought fit
The Universal Monarchy of wit;"*

(74, 95-96)

Carew here in his reference to Donne as the monarch of the kingdom of wit employs the term in the sense of "the man of intellect". Indeed, the early seventeenth century poets were characteristically intellectual and introspective; their intellectuality and subtlety of mind is marked by and expressed in the content, quality, and manner of their poetry. These poets, or wits, were intelligent and often learned men, and their wit was a matter of personal brilliance. The early seventeenth century poetry was intellectual in tone and preoccupation because these poets sought to make poetry intellectual, by incorporating their erudition and knowledge in their mode of expression. To achieve this it was necessary for them to bring in their genius and cleverness. The effect of wit in early seventeenth century poetry is due to, or almost totally the outcome of how the mind of the poet works, how it proposes, reasons or argues, and how it reaches a conclusion. The whole process was a mental exercise or an act by which these poets exercised their mental ingenuity. Moreover, wit, as an intellectual faculty or force, in the verse of early seventeenth century poets, eventually assumed the prominent position of the whole poetic process. Wit was not a means but rather an end. The question as to how, and to what

meant 'intellect', 'wisdom', 'intelligence' or 'mental activity'. In Elizabethan period, however, it was mainly applied to a man's conversation and writing. In poetry it was used for poetic keenness or fancy; 'wit', therefore, meant 'good writing' to an Elizabethan. 3

Thus enriched, the term 'wit' continued to acquire an even greater variety of meaning in the seventeenth as well as in the eighteenth century. An important critical use, for example, developed in the early seventeenth century when the term, as applied to the 'metaphysical' poets, meant 'fancy', in the sense of inspiration, ingenuity, originality, or creative imagination. 'Wit', indeed, was regarded as perhaps above all things the essence of poetry. Thomas Carew in his remarkable poem, "An Elegie upon the death of the Deane of Pauls, Dr. John Donne",⁴ written in the first half of the seventeenth century (1631), presents us with a concept of 'wit'. This significant essay in criticism embodies a definition of wit, as represented by the poetry of John Donne, written by a contemporary poet. Carew describes Donne, written by a contemporary poet. Carew describes that:

*"Did through the eye the melting heart distill;
And the deepe knowledge of darke truths so
teach,
As sense might judge, what phansie could not
reach;"*

(18 - 20) 5

Carew points out the presence of "sense", meaning 'intellect', in the poetry of Donne, and proceeds in the following lines to present us with his conception of wit:

"Since to the awe of thy imperious wit

THE POET AS A CRITIC

ABRAHAM COWLEY

Faiz Jaafar Abbas, Ph. D.

'Wit' is one of the most interesting words in the English language. As a literary term, 'wit' has, in critical usage, undergone periodic change so that its meanings extending from period to period, have at any one time been numerous. The significance of this term lies in the fact that most discussions of imagination in literary history, as well as in literary criticism, introduces at some point the term 'wit'. Indeed, this is a concept anyone wanting really to understand poetry written between 1500 and 1750 must comprehend.

The term 'wit' etymologically means the faculty of knowing in general (with either mind or senses). This original meaning of the term is traced back to the German *wissen* - to know, and the English *wise* and *wisdom* which are related through the same origin. A common term in Old English, it continued to signify 'mind' or 'intellect' for approximately a thousand years.¹ The term, then, meant awareness; and by a rapid extension it also meant 'cleverness', 'intelligence', the fine application of learning. 'Wit' continued in the late Middle Ages to signify 'intellect', the seat of consciousness, the 'inner' senses as contrasted with the five 'outer' senses.² In Renaissance time, though used in various senses, 'wit' usually

Essays
In Literature and Language

TABLE OF CONTENTS

Page

ESSAYS IN LITERATURE AND LANGUAGE

7	The Poet As A Critic Abraham Cowley	Dr. Faiz J. Abbas
27	Hawthorne's Aesthetics	Mr. A. Hammouda
51	Jonathan Swift's Politics	Mr. Munir Jamil Isma'il
65	The Concept of the Poet-Priest In Milton's Lycidas	Mrs. Fatima Sa'eed
82	Similarities And Differences Between The English And The German Language	Dr. Nawal K. Said
92	Major Barbara	Mr. A. W. Al-Wakil

PURE SCIENCE SECTION

109	The Biology And Control of Tenuipalpus Punicae Pritchard And Baker on Pomegranate In Iraq.	Mr. M. K. Abid & Mr. H. S. El-Haidari
120	Properties of Even-Even Nu- cleides of Medium Weight	Dr. Raafat Kamal Girgis





Al - Mustansiriya University
Review

ISSUED BY
AL-MUSTANSIRIYA UNIVERSITY

VOLUME THREE

1971 - 1972

1391 - 1392

Dar Al-Salam Press - Baghdad

بِسْمِ اللَّهِ

الجامعة المستنصرية

تصدرها رئاسة الجامعة

العدد الثالث

السنة الثالثة

١٣٩٢ هـ

١٩٧٢ م



لجنة المجلة

- | | |
|--|-------------------------------|
| كلية الآداب | ١ - الدكتور احمد حسن عبيد |
| كلية القانون والسياسة | ٢ - الدكتور محمد عبيد الكبيسي |
| كلية العلوم | ٣ - الاستاذ سعدى الدبوني |
| كلية الادارة والاقتصاد | ٤ - الدكتور عبدالرحمن الحبيب |
| كلية الآداب | ٥ - الدكتور كمال نشأت |
| كلية الدراسات الصباحية | ٦ - السيد منير جهيل اسماعيل |
| كلية الدراسات الصباحية
« سكرتير » التحرير | ٧ - السيد حميد الهيتي |

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع	كاتب البحث
	كلمة لجنة المجلة	لجنة المجلة
	علوم اللغة العربية وآدابها	
١١	تطبيقات البديع عند أبي تمام	السيد حميد مخلف الهيتي
٤٥	أبو العتاهية والنقاد	السيدة حياة جاسم
٦١	موقف ابن الأنباري من القياس	الدكتور فاضل صالح السامرائي
٧١	الاقتصاد وأثره في شعر العصريين الأموي والعباسي	السيد قحطان رشيد التميمي
٨٣	مسرحة عزيز أباظة	الدكتور كمال نشأت
١٠٣	الأمثلة النحوية	الدكتور هادي الحمداني
١٠٩	عناصر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي	الدكتور يحيى الجبوري

التربية وعلم النفس

١٣٧	دراسة تجريبية في تأثير ترتيب الظروف على تكوين الانطباعات الشخصية	الدكتور إبراهيم يوسف المنصور
١٥٤	آثار التلفزيون الاجتماعية والنفسية على الأطفال	السيد احسان محمد الحسن
١٦٤	في فلسفة التعليم الثانوي وتنظيمه « عرض مقارن »	الدكتور احمد حسن عبيد
٢٠٤	مفاهيم في علم النفس الاجتماعي	السيد دحام الكيال
٢٢٦	التخطيط وأهميته	الدكتور طه الحاج الياس
٢٤٢	في طريقة التربية المقارنة ومحتواها	الدكتور عبدالامير الوكيل



Al - Mustansiriya University
Review

ISSUED BY
AL-MUSTANSIRIYA UNIVERSITY

VOLUME THREE

1971 - 1972

1391 - 1392

